



www.hotamr.com

مجموعه ۱۹۶۵

جدال

محمود مودی

الأثار القديمة لها رونق خاص , وتضفى على النفس مهابة إحساس بأن عصور
ودهور مرت على ذلك المكان , ويتجلى ذلك فى منطقة مصر القديمة بالقاهرة
والتي تعد منطقة مصر القبطية الأثرية .. فحين تطأ قدمك خارجا من محطة مترو
مارجرس من الجهة الشرقية ستجد أمامك الكنائس الأثرية الشاهدة والمدونة
لتاريخ مصر القبطية .. الكنيسة المعلقة التي بنيت على برجين من الأبراج القديمة
للحصن الرومانى (حصن بابليون) , ويتردد أنها بنيت على أنقاض مكان
إحتمت فيه العائلة المقدسة : السيدة مريم والمسيح الطفل والقديس يوسف النجار
وذلك أثناء الثلاث سنوات التي قضوها بمصر هربا من هيرود حاكم فلسطين
الذى كان يقتل الأطفال خوفا من نبوءة وردته .. وترى دير مرقوريوس (أبو
سيفين) والعديد من الكنائس , وكذلك معبد الأديان والمتحف القبطى ومعبد بن
عزرا اليهودى .. ويرجع تاريخ تلك المنطقة إلى ما بين القرن السادس والتاسع
الميلادى .. وعندما تسير لمسافة ليست طويلة جهة الجنوب ستصل إلى جامع
عمرو بن العاص أول مسجد بنى فى مصر وأفريقيا فى مدينة الفسطاط .. ستشعر
بعبق التاريخ وأصالة الماضى فاليهودية والمسيحية والإسلام يتجسدون أمامك فى
منطقة مساحتها كيلومترات قليلة , وسيتملك منك الخيال لينقلك عبر التاريخ
لأكثر من ألف سنة , عندما خاف الوزير شاور إبان الحملة الصليبية على بلاد
المسلمين فأمر بإشعال النار فى مدينة الفسطاط خوفا من إحتلال الصليبين لها ,
وعندما ضم صلاح الدين الأيوبي مصر إلى دولته , أمر بإعادة إعمار المسجد ..
إنه شهادة على التاريخ صامدا على مر العصور والدهور .. بعد جولة قصيرة ثم
تعبر الكوبرى أعلى محطة مترو مارجرس فيندثر التاريخ وتنمحي الأثار , ولا
ترى سوى منطقة شعبية تتسم بعض أجزائها بالعشوائية .. ولكن ذلك لا يعنى أن
تلك المنطقة ليس لها تاريخ مثل لصيقتها شرق المترو .. بل على النقيض تماما ,
فتاريخ تلك المنطقة يرجع إلى ألقى سنة قبل الميلاد منذ كانت معبرا لمدينة
ممفيس عاصمة مصر القديمة أيام حضارة قدماء المصريين وكانوا يسمونها (
خرى عحا) وتعنى مكان المعركة , وفى تلك المنطقة إبتدأت أسطورة إيزيس
وأوزوريس .. أسطورة صراع الخير والشر يوم دبر الشرير (ست) إغراق
أوزوريس فى النيل بداخل التابوت عند تلك المنطقة .. لكن مات هنا التاريخ
ودفنت الأثار ولم يبقى سوى مجرد منطقة يحدها من الشمال حى السيدة زينب
ومن الجنوب حى البساتين ودار السلام ويفصل نهر النيل بينها وبين حى الجيزة
والدقى من الغرب .. وتنقسم منطقة مصر القديمة إلى عدة مناطق أشهرها
الفسطاط والفرنساوى وشارطة الشيخ مبروك وعشش القروذ وفم الخليج وأثر
النبي وحوش العجر , بالإضافة إلى كورنيش مصر القديمة .. وتحوى المنطقة
على العديد من المزارات السياحية منها حديقة الفسطاط والمتحف القبطى ومتحف
أم كلثوم والمتحف الجيولوجى ومتحف قصر المنسترلى بالإضافة إلى الأثار
الباقية مثل الكنيسة المعلقة والمعبد اليهودى وجامع عمر بن العاص .

وعلى مقربة من كورنيش النيل تكمن عطفة لولا عبارة عن مجموعة من الشوارع الضيقة والبيوت العتيقة المتهاككة وكأنها على وشك الإنهيار , لكنك ستري أن منها ما تم بناؤه حديثا حيث قام ملاكه بهدمه وإعادة بناؤه من جديد , وفى عطفة لولا تبدأ حكايتنا , ولنبدوها فى أوائل الستينات

حينما ضحكت الدنيا فى وجه صالح نعمان حين تم تعيينه صحفيا بجريدة الأهرام كبرى المؤسسات الصحفية فى مصر .. وإبتسم له القدر حين تزوج بابنة عمه هناء واشترى شقة على النيل تبعد ثلاثة شوارع عن مكان مولده فى عطفة لولا , يستنشق صالح وهناء نسيم الصباح المفعم برطوبة ماء النيل فى منظر جميل وخلاب كل صباح , وتكتمل السعادة بقدم ابنتهما مها .. وكان صالح يراوده شعور غريب مبهم بأن الدنيا إذ منحته هذه السعادة والهناء , فلا بد أنها تضمهر له شيئا ما , وبالفعل حدث ما كان يتوجسه صالح , حيث أصيبت زوجته بتضخم فى عضلة القلب بعد ولادتها لطفلتها , فقد إنتقاها القدر ضمن تلك الحوامل اللاتى يتضخم القلب لديهن عقب الولادة .. وكان الأمل فى أن تتعافى مع الوقت وقطعا لا يمكن لها أن تحمل وتلد مجددا .. لم يكن صالح يعبأ بحرمانه من طفل آخر بقدر ما كان مهموما بسبب حالة زوجته التى صارت لا تقدر على الحراك من الفراش , وتنتابها نوبات من السعال الحاد وضيق التنفس ولا تطيق حتى رائحة الطعام وتنقىا على الدوام وجسدها متورم محتقنا بإستمرار .. لم يكن صالح يقدر على أن يكبح جماح دموعه كلما رأى زوجته تذبذب أمامه يوما بعد يوم .. لكن بعدما ذهب أثر الصدمة بدأ الإعتياد على الوضع .. ومرة السنين وبالفعل شاءت الأقدار أن تتعافى زوجته مع العلاج , وتمكن صالح من الإنتهاء من كتابة روايته الأولى , ولم يكن صالح يعرف أنها ستكون الأخيرة , كان ذلك فى بدايات السبعينات حيث إجتاحت المجتمع المصرى فى ذلك الوقت حالة من الإفتتاح على العالم وبالأخص العالم الغربى , وانتشر كل ما هو أوروبى وأمريكى بين طبقات المجتمع المصرى , وقطعا نرى ذلك جليا واضحا فى الطبقات الأرقى فى المجتمع .. حفلات الرقص وموسيقى الروك إحتلت عقول الشباب , وحركات التحرر النسائية الفيمينية غمرت عقول النساء , وكان من العادى أن نجد النساء فى مختلف الأعمار ترتدين الملابس القصيرة التى بالكاد تصل إلى منتصف الفخذين .. وتظهر النهود من فتحات واسعة على الصدر .. أما الرجال والشباب فكانوا يرتدون القمصان الحريرية المزركشة زاهية الألوان ذات الياقات الكبيرة المنفرجة والبنطلونات الشارليستون التى تضيق ملتصقة بالفخذين ثم تنتسح تدريجيا حتى تصير غاية فى الإتساع عند عرقوب القدم .. وإحتل الجنس مكانة لا بأس بها فى فنون المجتمع المصرى وعلى رأسها السينما , حيث صار الجنس مادة رئيسية وأساسية فى أفلام نهاية الستينات وزادت خلال عقد السبعينات , وأصبح من العادى أن نرى المشاهد الساخنة من القبلات والأحضان والإيحاءات الجنسية تغزو أفلام تلك الحقبة .. ولم تبتعد تقريبا أية ممثلة أو ممثل فى تلك الفترة عن أن يكون له ظهور فى تلك المشاهد .. وبدأت شرائط أفلام البورنو تدخل

مصر وكان صناع تلك الأفلام وقتها من جماعات (الهبيز) حيث الشعور الكثيفة الملتفة المهملة بلا تصفيف وكذلك كان من النادر أن تظهر امرأة فى أحد تلك الأفلام دون أن يغطى الشعر الكثيف عانتها ويخفى ما بين فخذيهما , وحتى شعر الإبطين علامة مميزة لتلك الفترة فى صناعة أفلام البورنو .. وبالتبعية بدأ جهاز الفيديو يظهر فى بيوت الأسر الثرية ثم بيوت الأسر الأقل ثراء .

لعل أحد أهم اسباب ذلك الإنفتاح على الغرب .. كان بالقطع النظام السياسى الحاكم القائم على الإشتراكية الشيوعية أيام حكم الرئيس عبد الناصر حيث سادت حالة من التحرر الدينى بين طبقات المجتمع , ولم يعجب ذلك الرئيس أنور السادات الذى أراد إحداث نوع من التوازن بعد توليه الحكم فأطلق يد الجماعات الإسلامية , وعلى رأسها الإخوان المسلمين الذى بدأ صوتها يعلو بفعل مؤسسها حسن البنا ومن بعده سيد قطب .

هنا كان صالح نعمان مسلطا قلمه من خلال عموده اليومى فى جريدة الأهرام لمقاومة الظهور الدينى الذى بدأ ينتشر مجددا بين طبقات المجتمع , وكان رافضا لأن يتحكم الفقهاء والدعاه فى حياة الناس , وهنا يمكننا أن نتخيل مدى الهجوم الضارى الذى تعرض له من المحافظين وذوى التيارات الإسلامية .. ونالت روايته بعد صدورها إنتقادات واسعة ليس فقط لأنها تدعو للعلمانية وعدم اعتماد الدين كمرجعية لحياة الناس , ولكن أيضا لأنها حظت بمشاهد جنسية وصفها المعارضون بالإبتذال والوقاحة .. كان صالح يتعجب كثيرا من ذلك الهجوم على روايته , فما جاء فيها لم يكن يتعدى تلك المشاهد التى تعج بها أفلام تلك الحقبة ولا تنال هجوما قاسيا مثل الذى نالته روايته .. أدرك صالح أن الأدب الروائى فى تلك الفترة موجهها تجاه موضوعات محددة ولا يجوز له تخطيها , ومن تخطاها قليلا مثل إحسان عبد القدوس , أطلقوا عليه أديب الفراش .. وهكذا كانت تلك هى رواية صالح نعمان الأولى والأخيرة وإكتفى بعدها بمقالاته السياسية .

حينما بلغت مها الخامسة عشرة , وشفيت أمها هناء تماما وعاد قلبها يؤدى وظيفته على ما يرام لكن يتهدهد الخطر , بدأت حالة من الجدل بين هناء وزوجها صالح .. فكلما كانت هناء ترى إبنتها مها تكبر أمامها عام بعد آخر وحيدة بلا أخ ولا أخت , كان ينتابها إحساس بالتقصير والندم وتشعر برغبة عارمة فى إنجاب أخ ليكون سندا وعونا لمها بدلا من وحدتها .. يرفض صالح ذلك بشدة لأنه لا يريد المجازفة بحياة زوجته , فإذا تكرر تضخم قلبها مرة أخرى بسبب الحمل , قد تكون حياتها هى الثمن , وبعد شد وجذب وحالة من الجدل وإستشارة الكثير من الأطباء , أذعن صالح لرغبة زوجته وحملت تحت متابعة طبية منذ اليوم الأول للحمل .

هذا يفسر لنا الفارق الزمني الكبير في العمر بين مها وأمانى والبالغ خمسة عشر عاما .. فور أن علمت هناء بأنها وضعت بنتا شعرت ببعض الحزن فقد كانت تتمناها ذكرا لتعويض صالح وإسعاده , لكن صالح لم يكن عابئا سوى بخروج زوجته سالمة من حملها , وعزما سويا على الإكتفاء بمها وأمانى وعدم الإنجاب مرة أخرى .

لم يشفع وجود أمانى لكى تتبدد وحدة مها , فالفارق الزمني الكبير فى العمر كان يجعل مها فى دراستها الثانوية ثمرة يانعة تنضج أمام الأعين بينما أمانى تحبو محاولة الوقوف والسير بضع خطوات فلا تلبث أن تسقط وتصرخ باكية .

سبت مها متعلقة بأبيها لأبعد الحدود .. تنتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر حيث تخرج الأسرة للتنزه فى حديقة الفسطاط التى لا تبعد كثيرا عن منزلهم فى شارع صلاح سالم .. أو الذهاب الى السينما أو المسرح بعد قضاء سهرة الخميس أمام الفيديو لمشاهدة فيلم أو مسرحية .. وذات مرة حين كانت الأسرة فى النزهة الأسبوعية بحديقة الفسطاط .. كانت مها تسترق النظر إلى سامى ذلك الشاب الذى يماثلها فى العمر , ويسكن مع أسرته فى الشقة المجاورة لشقة جدتها أم أبيها فى البيت القديم بعطفة لولا .. كثيرا ما كانت تصادفه على السلم وهى صاعدة بصحبة أوبوها لزيارة جدتها , ولكن ما جعلها تحفظ اسمه هو صياح جدتها ذات مرة وهى تفتح الباب لهم وتصيح منادية حين رأت سامى

- سامى .. سامى .. إنت نازل ؟

عاد سامى صاعدا بضعة درجات ليقف إلى جوارهم ويقول بصوت هادئ وملامح تبدو أكبر من سن شاب فى المرحلة الثانوية من الدراسة

- محتاجة حاجة يا أمى ؟

الأدب الجم الذى نطق سامى به عبارته , جعل مها ترنو إلى وجهه ذو الملامح الهادئة الرجولية , والتى تختلف عن ملامح من تراهم ممن فى مثل عمره وعمرها , وسمعت جدتها تدعو له

- ربنا يجبر بخاطرك يا سامى يا ابنى وينجح مقاصدك .. هاتلى دوا الضغط

اللى بتجيبهولى عشان خلص من عندى

- حاضر يا أمى .. لما أرجع بعد ساعة هاجيبهولك معايا

قالها ثم توجه ناحية صالح قائلا

- أهلا يا أستاذ صالح

- إزيك يا درش .. عامل إيه فى مذاكرتك ؟

- الحمد لله .. أنا عايز أحيك يا أستاذ صالح على مقالاتك .. ما ينفعش فعلا

إن الدين يكون مرجعية لحياة الناس وإلا هنرجع تانى للعصور الوسطى

لم يخفى صالح إندهاشه من ثقافة سامى رغم صغر سنه , ووجد نفسه مدفوعا

لحديث قصير عن المبدأ الذى يدافع عنه من خلال مقالاته حرصا على مستقبل

مصر من أجل شبابها الواعد مثل سامى , واختتم كلامه قائلا

- ما تعرفش يا درش أنا أد إيه مبسوط , لإن فى شاب فى سنك كده وواعى وفاهم وياريت شبابنا كلهم يكونوا زيك
- شكرا يا أستاذ صالح .. ربنا يوفقك
- قالها سامى بابتسامة رقيقة ودودة قبلما ينصرف نازلا يغادر , بينما شعرت مها بغيرة لإمتداح أبيها شابا فى مثل سنها وجعلها ذلك تسأل أباهها بمجرد دخولهم عند جدتها
- إيه يا سى بابا .. هو أنا مش شابة واعدة ؟ .. ولا لازم يعنى أقول كلمتين عن الدين ومرجعية والكلام دا
- ضحك صالح عاليا وقال
- سامى دا شاب مهذب وسابق سنه وزمانه كمان ردت مها بغيظ وغيره
- يا سلام .. كل دا عشان قال كلمتين عن مقالاتك تدخلت الجدة وكأنها تفرغ الكلمات تكيل المديح والثناء على سامى , وكيف أنه لا يناديها سوى بأمى , ويحرص على الإطمئنان عليها يوميا , ويحضر لها دواء الضغط , ولا يتبرم أبدا إذا قصده فى مطلب , لتخلص مها فى نهاية الحديث عن سامى إلى شعور مبهم يغلفه الإعجاب , وجعلها ذلك تسترق النظر إليه حين رأته جالسا وحيدا شاردا يفكر على دكة خشبية بالقرب منهم بداخل حديقة الفسطاط , وتعجبت لماذا يأتى إلى الحديقة وحيدا بلا صاحب وبلا أسرة , ولماذا هو شاردا على هذا النحو ؟ .. رأته ينظر إليها فابتعدت بوجهها عنه , وحين عاودت إستراق النظر , رأته يقترب بخطا متندة متجها نحو أبوها الذى تلقاه بالتحية قائلا
- أهلا يا درش .. إنت بتتفسح هنا
- آه .. باجى أغير جو هنا
- طب ما تيجى تتغدا معانا
- شكرا يا أستاذ صالح .. هاروح هاذاكر
- يالا شد حيلك وربنا يوفقك
- انتبهت مها على أن ذلك الشاب يخاطب أباهها دوما بأستاذ صالح , وليس بعمو كما يفعل ممن فى مثل سنه .. وقبلما يبتعد سامى وأثناء مداعبة الأم لأمانى الجالسة على حجرها , سقط صالح على الأرض فاقد الوعى .. دخلت مها فى نوبة بكاء هستيرى وسط صرخات الأم , ولم يهدأ الوضع إلا بعد أن تجمع بعض المحيطين يتصدرهم سامى , وأفاق صالح ليتجهوا الى المستشفى ليتضح أنها غيبوبة سكر وغادر صالح المستشفى بعد عدة ساعات شاكرا سامى الذى ظل إلى جواره وكأنه ابنه تماما ..

أصبح الأنسولين صديقا دائما لصالح كما بات ممنوعا من قائمة طويلة من الأطعمة حفاظا على مستوى الجلوكوز فى دمه .. لعل ذلك لم يكن ذو بأس شديد , إلا أن صالح كثيرا ما كان يراوده إحساس مبهم غامض تجاه المستقبل مما دفعه إلى سحب مدخراته فى البنك إلى جانب ما ورثه عن أبيه ليشتري شقتين : واحدة

باسم مها والثانية باسم أمانى , إلى جانب مبلغا فى البنك لكل منهما .. وشعر بعدها ببعض الراحة والإطمئنان .

ذات يوم من أيام سبتمبر عام 1981 م , كانت هناك فى زيارة لأسرتها مع ابنتيها .. وكان صالح وحده فى الشقة , وأثناء مشاهدته لفيلما إباحيا , ومن شدة إندماجه مع مشاهد الفيلم لم ينتبه إلى صوت إنفتاح باب الشقة من خلفه بسبب أصوات التآوهات المنبعثة من الفيلم .. فزع صالح حين أحس بزوجته خلفه تهرع محاولة أن تحجب بجسدها شاشة التلفزيون عن عيني مها , وأطفأته بسرعة قائلة - ياللا يا مها خدى أختك وأسبقينى ع الحمام كان وجه صالح محتقنا يتحاشى النظر إلى زوجته وهو يقول - حمد الله ع السلامة .. جيتوا بدرى يعنى ؟ - ماكناش عاوزين نسيبك لوحدك

هنا نحتاج إلى توضيح نقطة هامة .. ما الذى يدفع رجلا مثقفا ناضجا ينعم بحياة أسرية دافئة مثل صالح أن يشاهد فيلما إباحيا مصطنعا ساذجا ؟ .. تكمن الإجابة فى أن هذه الأفلام كانت نادرة خلال فترة السبعينات وأوائل الثمانينات .. ومارس صالح الجنس مرتين قبل الزواج أثناء دراسته فى المرحلة الثانوية فى أحد شقق الدعارة المرخصة قبل منع البغاء فى مصر عام 1961 , وبالصدفة ساقه حديث مع أحد أصدقائه عن الأفلام الثقافية , وبدافع الفضول لا أكثر حصل صالح على شريط فيديو , وانتهاز فرصة وجوده وحيدا فى الشقة وبدأ مشاهدته ليرى لأول مرة فى حياته ممارسات جنسية كهذه , تملكته منه الدهشة ومحاولة فهم كيف يفعلون ذلك ؟ .

التقطت أعين مها لقطة لجسدين عاريين ملتحمين قبل أن تتوارى اللقطة خلف جسد أمها , وألتقطت أذناها تآوهات محمومة تنم عن أشخاص يتألمون , لكنها رغم بلوغها عامها السادس عشر إلا أنها لم تدرى كنه ذلك , وقامت ذاكرتها بتخزين ذلك الحدث المبهم الغير مفهوم .. كانت تشعر بأنه حدث غير عادى .

أما هناك فقد فهمت الأمر على نحو مختلف , فمنذ شهرين حين إكتشف صالح إصابته بالسكر .. بات بمنأى عنها فى الفراش , وإلتحمت به ذات مرة تناغشه وتناغيه , وتولت هى إثارته وتدلريك قضيبه .. لم تعتد عليه طريا هكذا فى كفها .. غمرت صالح بالقبلات واعتلته تدلك رأس قضيبه بين شفرائها .. نجحت هناك فى جعل قضيب صالح ينتصب وإن كان ليس كما الأيام الخوالى , واهتاج صالح لسماعه صوت إحتكاك قضيبه بين شفرائ زوجته وسط إفرازاتها المنهمرة التى تعلن شبقها وجوع حرمانها منذ شهرين .. ولما صارت هناك على ظهرها ووطأها صالح وولج قضيبه فيها , إرتخى سريعا .. كانت هناك تعزى ذلك الى مرض السكر والأنسولين وقالت وهى تمسح على رأس زوجها

- إنت الیومین دول مش منظم الأكل بتاعك .. عایزین نحلل لك سكر

إهتمت هناع فى الأيام التی تلت ذلك فى تنظیم وجبات زوجها .. تكثر له من الخضروات وتنهیه عن النشویات والسكریات .. بدا لها زوجها شاردا منذ فترة , فرصه على تأمين مستقبل البننتين جعلها تسألها ذات مرة وهى تنظر إلى وجهه بنظرات مشفقة

- هو أنت أول واحد یجبله السكر ؟ .. وإیه یعنى .. ما أنت بتاخذ الأنسولین ومنظم الأكل .. خایف كده لیه على مستقبل البنات

رد صالح باسم بنظرات حزینة

- مش عارف یا هناع .. خایف ع البنات من بعدى .. عایز أطمئن علیهم

حدقت هناع فى وجهه ثم إحتضنته قائله

- ما تقولش كده .. إن شاء الله هتفرح بیهم وهما متجوزین وتبقى جد كمان ضحك صالح واستكانت رأسه على كتف زوجته .

كان ذلك هو ما جعل هناع تفسر مشاهدة زوجها لفیلم إباحیا , مجرد حرص على إثارة نفسه حتى لا یعجز حین یكون بین فخذیها .. بادرت هناع بعدما إطمأنت على البننتين فى تجهیز العشاء لزوجها الذى كان محرجا لمرأى زوجته له وهو یشاهد الفیلم وحاول تناسى الأمر .. وأثناء تناوله للطعام , أحضرت هناع التلیفزیون وجهاز الفیدیو إلى غرفة النوم وسمعت زوجها یقول

- البنات مش ناموا ؟ .. عایزة تتفرجى على إیه ؟

- عایزة أشوف إنت كنت بتتفرج على إیه !!

داهمت الجملة الأخيرة صالح وقال متلعثما

- دا شریط بناع واحد صاحبى كنت باشوف الحاجات اللی الغرب بیعملها بس لقیبت

توقفت كلماته على إثر التأوهات التی انبعثت بمجرد تشغيل زوجته للفیلم , والتی لم تكن تعرف أنها سترى ما رأت .. كانت تسمع عن الأفلام الثقافیة لكنها كانت تعتقد أنها أفلام أكثر جراً قليلا من فیلم (حمام الملاطیلی) الذى شاهدته فى السينما بصحبة زوجها أو فیلم (سيدة الأقمار السوداء) الذى شاهدته بالفیدیو واضطرت لإيقافه وإستبداله بعد دقائق قليلة حتى لا ترى ابنتها ما لا یناسب سنها , إلا أنها حرصت على مشاهدته مع زوجها فیما بعد .. وكانت مندهشة من جراً بعض مشاهد الفیلم فى إظهار ثدى امرأة وشعر عانتها .. لذا كانت تتصور أن الأفلام التی یطلق علیها الشباب الأفلام الثقافیة ما هى إلا أفلاما شبیهة أكثر جراً وتعری .. وبالطبع كانت صدمتها شدیة وهى ترى رجلا بشعر كثیف ملتف مجرد یملك قضیبا طویلا ضعف طول قضیب زوجها وشعر عانتة كثیف خشن , ومن تحته امرأة بجسد مثير متناسق وقد إختفى ما بین فخذیها وسط غایة من الشعر الكثیف .. نزعت هناع فیشة التلیفزیون والفیدیو ووجها محمر خجلا ترید أن تویخ زوجها على فعلته بمشاهدة ذلك الفحش .. إلا أن شعورا بالبلل بین

فخذيها , ودغدغة سرت فى جسدها جعلها تلهث محدقة فى وجه زوجها الذى يتجنب النظر إليها .. إتجهت هناء ناحية الدولاب الأبانوسى تتردى قميص نوم أسود مثير شفاف وترش بعضا من العطر الذى يحبه صالح .. لم تكن هناء ترغب هذه الليلة سوى فى إسعاد زوجها أكثر مما ترغب فى التمتع بممارسة بعد إنقطاع , لذا دفعها ذلك فى أن ترقد ملاصقة لصالح على السرير .. ومدت يدها تمسك بقضيب زوجها من فوق البيجامة لتفاجأ بأنه قد بدأ ينتصب فى كفها , فهمست ضاحكة ووجهها يعلن رغبتها

- يعنى الموضوع طلع مش من السكر أهو؟! .. ودا من الفيلم اللى شوفته ضحك صالح قبل أن يلتقم فم زوجته فى قبلة طويلة طغت عليها الشهوة المتأججة التى تضاعفت لديه بفعل كف زوجته الذى يداعب قضيبه وكيس صفنه بعدما أزاحت بنظونه للأسفل .. أراد صالح أن يعطى زوجته بعضا مما تعطيه , فمد يده لينزع عنها كيلوتها ولما لامست أصابعه بظر هناء , إنتفض جسدها وتأوهت وهى تسمع صالح يقول
- إيه ده كله؟

- مش عارفة أول مرة كسى ينزل كثير كده
ضحك صالح عاليا , وانتبهت هناء لما نطقت به , فعلى ما يبدو أنك حين تكون تحت وطأة إثارة عارمة وشهوة طاغية يتفوه لسانك بما يعف عن نطقه بعيدا عن الجنس .. زادت جملة هناء الأخيرة من إثارة صالح ليقول
- خلاص زبى مش قادر
- طب تعالى

قالتها هناء وهى تجذب زوجها ليعتليها .. نزعا ما على جسديهما من ملابس .. لم يحتمل صالح طويلا وقذف سريعا لتخبط هناء على كتفه صائحة
- إيه دا؟ هو أنا لحقت؟
رد صالح ضاحكا وهو يلهث
- ما اقدرتش أمسك نفسى
- ما ليش دعوى .. عاوزه تانى .. أنا ما لحقتش
- حاضر

قالها وهو يمسخ ما علق بقضيبه من منى بطرف بيجامته الملقاة على السرير إلى جواره .. فى حين نهضت هناء واتجهت إلى الحمام تغتسل , بينما تمدد صالح منتشيا مسترخيا حتى عادت هناء من الحمام , وبدأت القبلات الشبقة .. إهتم صالح بإعداد زوجته جيدا حيث تفنن مهتاجا بفعل تأوهات الخافتة فى إعتصار نهديها ومداعبة شفراتها وتدليكها بقوة .. لذا جاءت لحظة الإيلاج كنتويج لما وصلت إليه هناء فى تلك الليلة التى لم تحظى بمثلها طوال سبعة عشر عاما هى عمر زواجها من صالح سوى ما ندر .. فما أن إنزلقت رأس قضيب زوجها بفعل إفرازاتها اللزجة التى لم تتوقف عن الإنسياب .. حتى كانت النشوة تغمرها وهى تمسح بكفيها على ظهر صالح وصعدت إلى سماء المتعة وهى تهمس فى أذن زوجها

- إستنى .. قوم
نفض صالح ونهض عنها ليجدها تسجد على أربع تقول بتمحن
- عاوزه كده
دفع صالح بقضيبه فى مهبل زوجته من الخلف , وهو يقول
- طيزك ربربت ليه كده ؟

لم ترد هناء واكتفت بهز مؤخرتها فى حركة راقصة وهى تعنصر قضيب زوجها
بعضلات مهبلها .. لم يحتمل صالح كل هذه المتعة ليقدف وتتملك رعدة لذيدة
ممتعة من الجسدين وصالح قابضا بيديه على وسط زوجته الساجدة أمامه حتى
إرتخى الجسدان , ومدت هناء كفها تلتقط ما يسيل من كسها حتى لا تتسخ ملاءة
السريير , ولم تجد جوارها سوى بيجامة صالح لتمسح بطرفها شهدها الممزوج
بمنى زوجها , ثم استلقيا متعانقان وهمست هناء بصوت مفعم بالسعادة
- إنبسطت ؟

- جدا
- وأنا كمان .. بس إيه اللي إحنا عملناه ده ؟
لم يجبها صالح واكتفى بضحكات خافتة , وتابعت هى كلماتها
- أيوه كده وشك نور .. روق بالك ماتفكرش فى المستقبل وتفضل شايل الهم كده

إحتضن صالح رأس زوجته على صدره يداعب بأصابعه شعرها الناعم فى حين
مدت هى يدها تتحسس شعر صدره ولمس جسديهما العاريان يغمر قلبيهما
بالدفء والحنان .. لكن صالح من ذلك النوع الذى لا يفرح ولا يسعد بلحظة
ممتعة سعيدة .. فكلما منحته الدنيا لحظة سعادة , يشعر بعدها بتوجس من شئٍ
مجهول .. طبعت زوجته قبلة حانية على شفثيه وهى تهمس بصوت ملؤه الحنان
- ربنا يخليك لينا يا حبيبي
ما كادت هناء تنطقها حتى شهقت فزعا على إثر طرقات عنيفة على الباب أيقظت
البنيتين , وصاحت هناء
- إيه ده .. فى إيه ؟

هرع صالح يرتدى بيجامته بسرعة , ويتجه ليفتح الباب , لتلحق به زوجته بعدما
غطت جسدها بروب حريرى أسود .. ليجدا رجال أشداء ذوى بنية قوية
يتصدرهم رجل أربعينى بشارب كثيف يقول بصوت عميق
- إتفضل معانا يا أستاذ صالح

- على فين
- هاتعرف بعدين
- انتو مين ؟
- أنا المقدم جلال قاسم من أمن الدولة .. فى قرارات أصدرها رئيس الجمهورية
واحنا بنفذ .. ما عنديش معلومات أكثر من كده .. إتفضل معانا لو سمحت
- أنا مش فاهم حاجة و..

قاطعه المقدم بنبرة بدت مخيفة
- أرجوك يا أستاذ تتفضل معانا
كانت نبرته تحمل تهديدا بلا كلمات وعيد , فأذعن صالح وقال متلعثما
- طيب أبدل هدومي
صاح سيادة المقدم
- ما عندناش وقت .. هما يجيبولك اللي إنت علوزه هناك
قالها وهو يشير بأصبعه للرجال من خلفه .. فإندفع إثنان يمسان بزراعي صالح
يجذبانه وسط صيحات زوجته المتسائلة
إنتوا واخدينوا على فين ؟ -
لم تتلقى ما يفيد .. كادت تجرى ورائهم لولا أنها تذكرت جسدها العارى تحت
الروب الأسود , فعادت تبكى مع ابنتها مها وصراخ أمانى الرضيعة فى مهدها ..
إتصلت هناء بأخيها تستنجد به .

كان ما حدث ضمن حملة إعتقالات واسعة فاجأ بها الرئيس محمد أنور السادات
الجميع بقرار إعتقاله قائمة من سياسيين وكتاب ورجال دين بلغ عددهم 1536
شخص من ممثلى الإتجاهات السياسية المعارضة وسميت تلك القرارات بقرارات
سبتمبر السوداء , وقد بدأت حملة الإعتقالات فجر يوم 3 سبتمبر عام 1981
وامتدت لتشمل 3 آلاف شخص من الشباب والطلبة وأعضاء الجماعات الدينية
من مسلمين ومسيحيين , وبرر السادات تلك الحملة بأنه لا يريد أن تتخذ إسرائيل
المعارضة المصرية لاتفاقية كامب ديفيد التى تم توقيعها عام 1978 ذريعة
للتنصل من تعهداتها بالإنسحاب من سيناء .. وزعم السادات أنه كان ينوى
الإفراج عن المعتقلين عقب تنفيذ إسرائيل وعدها بالإنسحاب .

كان أسبوعا أسود ذلك الأسبوع الذى مر على هناء وابنتها مها التى إنقطعت عن
الدراسة , وبعد جهدٍ جهيدٍ وسعى مضمئى خلال أروقة أمن الدولة .. تمكنوا
بمساعدة أصدقاء صالح من زملائه الصحفيين بالوصول إليه وزيارته فى ليما
طرة .

لم تتمالك هناء نفسها وهى ترى زوجها وقد نحف جسده فصار كمومياء وشحب
وجهه فبدا كعائد من الموت أو ذاهب إليه .. لم تكن مها تريد أن تترك حضن أبيها
وهو يحاول أن يتماسك أمامهم ويجلس بينهم محتضنا أمانى الرضيعة يقبلها ..
كفكت الأم دموعها وقالت
- أنا جبنتك أكل وهدوم .. واصحابك بيقولوا إن كل الصحفيين المعتقلين هايفرجوا
عنهم قريب .. كان مالنا ومال السياسة يا صالح بس

قالتها وشعرت بالندم , فحالة زوجها لا تسمح بالعتاب ووجدته يبتسم ويقول
بصوت خافت

- لو كلنا قلنا كده .. طب وبعدين ؟

ازدردت هناء ريقها محاولة كبت رغبة البكاء وقالت

- أنا جيت لك كمية أنسولين

- دكتور السجن هنا متابع معايا وباخذ العلاج

مر الوقت سريعا وانتهت الزيارة

عاد صالح إلى زنزانته أكثر حزنا وكمدا بعد زيارة زوجته وابنتيه , وأمضى
باقي النهار وحيدا شاردا .. يغمره الخوف على مستقبل بنتيه , ويسأل نفسه :
لماذا هو بعيد عنهما الآن ؟ .. وما الجريرة التي إرتكبها ليحرموه من أبنائه
وزوجته ؟ وقد كانت فعلته الشنعاء مجرد كلام كان يكتبه فى مقالاته , وماذا فعل
هذا الكلام ؟ الذى لم يقدم ولم يؤخر شيئا .. كان لحالة صالح نعمان النفسية بداخل
المعتقل أبلغ الأثر فى عدم إستجابته لعلاج السكر وعادى أن يقفز مستوى
الجلوكوز فى دمه لمرحلة جعلت عقله يذهب إلى عالم آخر : عالم نورانى يرى
نفسه فيه بصحبة زوجته وابنتيه وقد توقف الزمن وهو يلهو مع مها وأمانى , كلما
إحتضن أمانى يناغيها ويقذفها لأعلى ثم يلتقطها بيديه وهى تضحك ببراعة نقية ,
ويرى علامات الغيرة على وجه مها فيقول لها ضاحكا
- غيرانة ليه ؟! .. إنتى ياما إتهشكتى لما كنتى قدها كده

ترد مها بوجهها الطفولى الباسم

- يا ريتتى كنت فضلت صغيرة على طول .. عشان تفضل تلاعبنى كده

يلمح صالح زوجته قادمة من بعيد فيصيح فيها

- إتأخرتى ليه كده يا هناء .. فين الأكل البنات جاعت

كانت ملامح وجه صالح نعمان تتبدل .. يبتسم حيناً ويتجهم حيناً وعينيه زائغة

تائهة .. مما جعل أحد زملائه يقترب منه يناديه

- صالح .. صالح

لم يرد صالح فينهزه زميله قائلا

- شكالك تعبان ودايخ ووشك مصفر .. تعالى نروح للدكتور , ولا أناديه يجيلك

هنا الزنزانة

بالكاد نطق صالح وعينيه نصف مغمضة

- أنا كويس .. عايز أنام بس

كان المساء قد حل حين أوى صالح إلى فراشه , لكنه لم ينم بل نهض يلهو مع

طفلتيه وانتبه على صوت زوجته يقول

- يا بخت بناتك يا سيدى واخدين كل وقتك .. يا ريتتى كنت بنتك زيهم

فى تلك اللحظة تذكر صالح البيجامة , فهض مسرعا يحضرها ويتحسس

الموضع الذى مسحت فيه زوجته سوانلهما ممتزجة , فى آخر ليلة مع زوجته

وابتسم كالأطفال وهى يستعيد تفاصيل تلك الليلة وأصابعه تتحسس البقع الجافة وهو يتذكر ما توجس منه بعد المتعة والسعادة التى نالها .
إنقبض صدره وهو يرى مها بستان الزفاف تنثر الضحكات السعيدة , لكنه لا يرى عريسها .. صوراً أخرى يرى فيها أمانى وقد كبرت قليلاً تمشى وحدها بدون مساعدة .. صداع ودوار وغثيان .. الصور بهتت وصارت ممسوحة مشوشة .. نادى على زوجته بصوت شاحب
- هناء .. هناء

سمعه زميله المجاور له بداخل الزنزانة فرد قائلاً
- بتنادى على مين يا صالح ؟

لم يرد عليه صالح .. كان ذاهباً إلى عالم آخر .. عالم زيزفونى تلبى فيه زوجته ندائه وتحضر تحمل الرضيعة أمانى على كتفها وتمسك باليد الأخرى بمها ليضمهم صالح إلى صدره يحميهم , ولم يدري بعدها بشئ

فى الصباح إستيقظ جميع من فى الزنزانة عدا صالح ولما إتجه إليه أحدهم لإيقاظه لم يستيقظ .. تعالت الهمهمات والصيحات
- لا إله إلا الله .. إنا لله وإنا إليه راجعون
وقال أحدهم

- من ساعة ما أهله زاروه إمبراح وهو كان تعبان
عقب آخر

- كنت سامعه زى اللى بيخطر ف طول الليل وبينادى على حد
- إنا لله وإنا إليه راجعون

حضر طبيب السجن على الفور , وبعد أقل من ساعة تم إستخراج شهادة الوفاة مرفقة بتقرير الطبيب الذى إحتوى ما نصه (هبوط حاد فى الدورة الدموية أدى إلى توقف القلب نتيجة إرتفاع مفاجئ بنسبة السكر فى الدم) , وتم إرسال الجثة إلى أسرته

منطقة حوش العجر بمصر القديمة .. تلك المنطقة التي باتت مركزا ينطلق منه تجار وموزعو الحشيش الذى تنامى إستيراده منذ أوائل السبعينات وانتعشت تجارته وازدهر .. وأصبح من العادى فى مصر كلها أن يدخن الناس الحشيش , ولا عجب فى ذلك إذا كان يتردد عن رئيس الجمهورية السادات نفسه أنه يدخن الحشيش بين الحين والآخر , وتتميز تلك المنطقة مثل الكثير من المناطق فى مصر القديمة بتقارب التعداد السكانى بين المسلمين والمسيحيين , فإذا كانت تلك المنطقة تمثل مصر القبطية قديما بكنائسها وآثارها القبطية , فإن من الطبيعى أن يزحف المسيحيون إلى الإقامة فيها بحكم كثرة الكنائس , فنجد مناطق كاملة أغلبية سكانها من المسيحيين , والعديد من المناطق تتساوى فيها أعداد المسلمين والمسيحيين .. والمسيحيون شأنهم شأن باقى المصريين تتنوع طبقاتهم وتختلف ثقافتهم , وتنشأ دوما الفتن الطائفية فى تلك الطبقات المدقعة الفقيرة ذوى الثقافات الموروثة المتخلفة , ذلك يفسر لماذا تتفاقم أية مشاجرة بين مسلم ومسيحى فى حوش العجر لأسباب تافهة ؟ .. والسبب طبعاً هو الدين , فالمسلم يرى المسيحى برائحته الكريهة وكفره إلى النار , ولا يجب أن تقرؤه السلام , والمسيحى يرى أنه صاحب البلد قبل أن يحتلها المسلمون إحتلالاً إستيطانياً بقيادة عمرو بن العاص .. وكلمة قبط فى العربية مشتقة من إيكيبوتوس فى اليونانية وهى لفظة تطلق على ساكنى وادى النيل أى المصريين , وبالتالي تحولت فى العربية قبل الإسلام إلى أقباط وتعنى المصريون قبل أن ينحسر إستخدامها على المسيحيين بإعتبار أنفسهم المصريون فقط , أصحاب البلد .. لكن بالطبع كانت الطبقات المثقفة التى لا تعتد بالدين كمرجعية للتمييز البشرى , لم تكن تضاهى الموروث الثقافى لدى باقى طبقات المجتمع .

وفى حوش العجر رغم تلاصق منازل المسيحيين والمسلمين , إلا أن التعايش الظاهرى بينهم لا يعبر عما تضرره القلوب , وفى هذا المكان ولد ونشأ الصبى عربى عطا الذى يعمل أبوه لدى أحد تجار الحشيش , ولما وصل عربى لمرحلة البلوغ سار هائماً على وجهه فى الشوارع والطرق بعدما انقطع عن الذهاب للمدرسة وأصبح واحداً من مجموعة صبيان فى مثل سنه لا هدف لهم سوى نشل الدكاكين كلما سنحت لهم الفرصة والفرار هاربين , وكذلك تتبع البنات كبيرات وصغيرات وإطارهن بأفزع الألفاظ والتحرشات بلا وازع ولا رادع .. ومع الوقت إتضح للصحبة الصيبانية ذوى الوجوه المتسخة والهلهيل المهترئة بأن عربى عطا هو أجرأهم وأكثرهم إثياناً بالجديد , وبدأ ذلك يوم كانوا يسرون خلف إمراة سمينة تحمل من الخلف مؤخرة ضخمة تتماوج فلقتيها صاعدة هابطة مع خطواتها فى منظر يبعث على الضحك .. تسير المرأة فلقة صاعدة وفلقة هابطة , والصبية يتبعونها يضحكون ويسخرون , وأخذ عربى المبادرة وصاح

- إيه وليه ده ؟ .. دا ولا لية الخروف
فاستدارت المرأة على الفور صارخة
- يا عيال يا ولاد الكلاب .. يلعن اللي جاب أهاليكم
قالتها وهي تميل تتناول حجرا صغيرا وتذف به تجاه العيال , بينما يتابع المارة
مستمعون .. ابتعد الصبية عدا عربى الذى تفادى الحجر وظل يرقب المرأة وهي
تسير مجددا , وسرعان ما عاد الصبية يلتفون حوله ويسيرون خلفها على مسافة
بعيدة بعض الشئ , حتى انحرفت المرأة فى حارة ضيقة خالية من المارة , وهنا
أشار عربى للصحبة بمتابعة الحدث الذى سيقوم به .. فهرع يجرى مسرعا حتى
وصل للمرأة وأنقض يحيط بزراعيه دون أن يتمكن من القبض على وسطها
العريض المتسع وألصق موضع قضيبه الذى كان منتصبا من إمعانة فى تماوج
مؤخرة المرأة أثناء مشيتها , وحك وسطه على مؤخرة المرأة فى ثلاث حركات
سريعة وهو يقول لا هنا
- هانيك طيزك يا مرا يا لبوة
لم يكد عربى يتمها حتى كانت المرأة تستدير صارخة تفتك به ووجهها محتقن
وعروق جبهتها نافرة
- يا واد يا ابن الوسخة .. أنا هاموتك
تمكن عربى بكل ما أوتى من قوة وشقاوة من تخليص نفسه بسرعة وأطلق جماح
ساقيه للهروب .. إختفى عربى وشلته خلال لحظات فى حين استمرت المرأة
ثوانى تشتم وحدها وتتوعد وتهدد
- أنا هاعرف أجيبك يا ابن المتناكة
لكنها حين وجدت الجميع قد خرجوا من عششهم المدفعة ينظرون إليها , أدركت
أنه لا سبيل سوى مواصلة الطريق .

هكذا فرض عربى عطا نفسه قائدا للشلة , وأحس بإحساس الزعامة مبكرا ..
يملؤه الفخر والزهو حين يفعل ما لا يقدر أحد من أقرانه على فعله , حين ساق
الشلة إلى المقابر الكائنة بالقرب من القلعة ظهيرة الخميس , يدورون على النساء
المتشحات بالسواد من بين باكيات ومتصنعات البكاء , ويجمعون ما يعطونهم من
الرحمة من قرص وشوريك وبرتقال وموز , فأصبح يوم الخميس يوما له رونق
خاص عند عربى وشلته .. كذلك تفنن عربى فى سلب ما يشاء بدافع الإستعراض
أمام الشلة من جهة وكذلك إثبات جدارته بقيادتهم من جهة أخرى .. حيث يسوقهم
ورائه إلى منطقة لا يعرفهم فيها أحد , فإذا رأى فكهانى يجلس يدخل الشيشة
شاردا .. ظل يتحين الفرصة ثم ينقض مسرعا ويخطف سباطة موز ويفر هاربا
بها .. فلا يملك الرجل عديم الحيلة سوى أن يضرب كفا بكف مرددا
- يا ولاد الشياطين .. حسبى الله ونعم الوكيل
يقوم عربى بتوزيع الموز وفقا لمشيئته وإرادته , فمن يكيل له المديح والثناء دوما
يتحصل على النصيب الأكبر .. يتطور عربى عطا سريعا ويتفنن فى ابتداع
الجديد حتى من باب اللهو .. فها هو يسوق الشلة ممسكا بقطع حديدية صغيرة

تحايل للحصول عليها من عند الحداد , وتمكن من القفز من فرجة بسور شريط المترو الحديدى ثم يضع قطعة الحديد ويثبتها جيدا على قضيب السكة الحديد ليعبر المترو من فوقها فنتمغنط وتتحول إلى مغناطيس , يلهو به عربى مع شلته من باب الترفيه .. يجمع عربى وشلته أعقاب السجائر من الشوارع والطرق ويفرغون ما تبقى بها من تبغ , ثم يعيدون لفة فى ورق البافرا ليصنعون بضعة سجائر من كمية كبيرة من الأعقاب .. يدخلون مستلذون وينال عربى مكافئته على أفكاره بالمديح والثناء ويزداد إحساسه بالقدرة والقيادة والزعامة .. وتمر سنوات ويتجاوز عربى السادسة عشر وتلح غريزته الجنسية فى طلب الإشباع .. يا ترى وفقا لما ألمنا بشخصية عربى عطا وتتطورها خلال هذه المرحلة , كيف سيصبح غريزته الجنسية ؟ .. قبل أن ننتقل بالبحث عن الإجابة , يجيب عربى نفسه على صديقه حين تحدثا فى هذه الجزئية الحيوية

- يا ض باقولك عليها حنة كس .. أد كده

قالها وهو يرسم بأصابع يديه السبابة والإبهام شكلا مثلثا , فسأله أحد أفراد الشلة

- ودى هاينفع الواحد بينيك فيها

سحب عربى شجرة عميقة غاضبا على إنتقاد فكرته وأجاب متحمسا

- دى لسه والدة الشهر اللى فات خامس ولادة .. وزمان كسها بقى نفق

أفحمت تلك الإجابة الجميع , وبدأ التدبير لإختطاف الفريسة .. وبالفعل جعل عربى باقى شلته ينتظرونه بعيدا , وحمل بعض البرسيم متجها تجاه بيوت الحلايف المبنية من الصفيح والألمونيوم وبعض القطع الحديدية مع الأخشاب , واللى يقطنها من يعملون فى تربية وبيع الخنازير لمحلات الجزارة التى يرتادها المسيحيون أو تقوم بتوريد لحوم الخنازير للفنادق من أجل السياح الأجانب .. كانت منطقة الحلايف أشبه بتل من القمامة حيث يعمل عدد كبير من سكان المنطقة زبالين يجمعون القمامة ويجلبونها للحرق فى هذا المكان بعد إنتقاء ما قد ينفع منها .. وتمثل تلك القمامة الغذاء الأساسى للخنازير , وعلى حدود منطقة الحلايف يقبع بيتا من الصفيح والحديد والأخشاب ومن حوله مرعى من القمامة والورق تأكل منه الخنازير وبعض الخرفان بالإضافة إلى عنزات معدودة .. كان عربى يحضر هنا مع أحد معارفه ويجلس معه بين الحين والآخر , ومن هنا إنطلقت الفكرة فى رأسه .. اقترب عربى مشوحا بالبرسيم , فبادر خنزير بالإقتراب منه وردد عربى

- مش إنت يا نجس

قالها وهو يقترب من العنزة المختارة , وتمكن من إستدراكها بسرعة والإبتعاد بها حيث الشلة فى مكان نائى , وما أن رآه أفراد الشلة حتى صاحوا يهللون

- أهو كده يا ريس

- فعلا دى عليها كس جامد

عقب ثالث

- دا باظظ أوى لفوق كده ليه ؟

افتتح عربى الحفلة حيث رفع جلبابه الرث الممزق , وأمسك بقضيبه يدلکه سرعيا لينتصب ثم أودعه بداخل مهبل العنزة التى أصدرت صوت النغاء متألّمة , ترفس برجليها عربى تحاول الفرار مما دفع أحد أفراد الشلة يمسك بقرنيها صائحا - دا أنتى معزة لبوة هاتفضحينا

تکالب الجميع لتثبيت العنزة ومنع صوتها حتى أفرغ عربى شهوته وحن الدور على آخر .. تناوبوا جميعا ومرارا على العنزة التى لم تعد تحتاج أحد للإمساك بها , فعلى ما يبدوا أنها اعتادت على الوضع فأسلمت نفسها عملا بالمثل القائل : إذا ناکك أحدهم ولم تستطع المقاومة فحاول أن تستمتع .. وبعدما انتهوا أعادوا العنزة حيث جلبوها .. تمضى أيام عربى عطا وشلته على نفس المنوال .. وتتواصل الإبداعات , فعلى الرغم من أن حوش الغجر هو وكر الحشيش إلا أن حصول عربى وشلته عليه ليس بالأمر الهين , فلا أحد يملك المال الذى يمكنه من الحصول عليه بصفة مستمرة , كانوا يقتاتون بعض الفتات من هنا وهناك , لكن ذهن عربى تفتق عن البديل وهو البانجو الذى لم يكن يضاهى الحشيش فى تلك الحقبة بالطبع , ولكنه لرخص ثمنه أصبح فى متناول معدمى الغجر من جهة , وكذلك صار له زبائن يفضلونه على الحشيش , وهؤلاء لا يشترى البانجو .. بل يزرعونه .. وحينما تمكن عربى عطا من الحصول على بضعة بذور للبانجو , قاد الشلة إلى المقابر وانتقوا ركنًا قصيا بعيدا عن الأعين وقاموا بزراعة البذور ..

إنها لحظة عظيمة حين ترى نتاج عملك وخلاصة مجهودك , تماما هى اللحظة التى ينظر فيها عربى الآن إلى وريقات البانجو النامية بعد متابعتهم لها وسقيانها على مدار أيام وأيام .. وجاءت لحظة القطاف , فأسرعوا بقطع بعض الأعواد الخضراء الطرية , وأشعلوا نارا تحت قطعة من الصفيح حتى توهجت ثم مروا فوقها عيدان البانجو الخضراء , فجفت وتبخر ماؤها , وأصبحت جاهزة للتدخين , فركوها جيدا ولفوها فى ورق البافرا , وتناوبوا على سحب الأنفاس وفقا لأوامر وتوجيهات السيد عربى عطا والذى إكتسبت شخصيته فى الآونة الأخيرة بعدا جديدا , ألا وهو إنعدام الرادع أيا كان , إجتماعيا أو دينيا أو أخلاقيا .. فإن كان عربى يفعل الفعلة ويفر هاربا ثم يفتخر مزهوا بتشجيعات الرفاق , إلا أنه الآن لا يفر ولا يهرب مطلقا , بل يقف أمام خصمه بعيون متمرة تنطلق منها سهام الشر , وبدأ ذلك حين كان بصحبة الشلة عازمين على الحصول على بعض الفكاهة وانقض عربى يخطف بطيخة وأثناء فراره لحق به الفكاهى وأمسك به صائحا - أنا هاوديك القسم يا حرامى يا ابن الحرامية أسقط عربى البطيخة على الأرض , واستدار وأحكم قبضة يده وهوى بها على وجه الرجل الذى تراجع مذعورا بينما عربى يحدق فى وجهه بنظرات جعلت الرجل يستنجد مستغيثا كالأطفال

- الحقونى .. الحقونى يا ناس

دفع ذلك الموقف عربى إلى حمل سكيننا حادا , وقد أدرك أنه يمكن أن يحصل على ما يريد دون الهرب كالفأر المذعور .. وتوالت المرات , حيث يتحين فرصة وجود بائع فى محل ليلا وحيدا , وحركة المارة من حوله هادئة فى منطقة بعيدة لا يعرفه فيها أحد , وما عليه سوى أن يشهر السكين على رقبة الرجل فى حين يحرسه اثنين من أتباعه ذات اليمين وذات اليسار , ويتولى الباكون جلب ما يريدون من بضائع أو مال , وإن كان المال هو الأسهل والأيسر إذا تيسر الوصول إليه .

أصبح الجميع فى المنطقة يعرفون أن عربى عطا لا رادع له ويمكنه أن يفعل ما يشاء , بعدما كثرت مشاجراته التى يخرج فيها دوما منتصرا وتكبيد الخصوم جروح دامية حتى وإن كانوا أكبر منه .. واعتاد عربى وشلته إذا صادفوا ليلا من تبدوا على وجهه قلة الحيلة بأن يطمعوا فيه ويتجرأوا فى قطع الطريق عليه وتهديده بالسكاكين ليحصلوا على ما معه من مال .

كان سامى عائدا منتصف الليل بعدما انتهى من استذكار بعض دروسه عند صديقه أسامة والذى يقطن فى مواجهة كورنيش النيل بجوار بنك مصر وأثناء مرور سامى بالشارع المؤدى لعطفة لولا وحيدا .. إذا به يسمع صوتا من خلفه يناديه

- كابتن .. كابتن

استدار سامى ملتفتا تجاه الصوت وسرعان ما وجد أربعة صبية فى مثل عمره يتصدرهم عربى شاهرا سكيننا فى الظلام , ما أن رأى وجه سامى حتى قال بصوت مغيب عن الوعي من جراء تدخين البانجو بشراهة

- إيه يا سامى .. رايح فين ؟

- مروح البيت

قالها سامى وتدخل أحد أعوان عربى

- إنت تعرفه ؟

- كان معايا فى المدرسة

قالها عربى وهو يدس السكين فى جيب بنطلونه وهو يسمع سامى يسأل

- إنت رحى أنهى مدرسة دلوقتى ؟

لم يفلح سامى فى إخفاء الخوف الذى إعتري نبرة صوته محاولا أن ينجو من الوقف بسابق زمالته لعربى فى المدرسة .. وأجاب عربى بصوت ثقيل مغمم بالحسرة

- لا .. أنا سيبت المدرسة خلاص

سحب عربى نفسا وقال متوددا

- شوف لى معاك اتنين جنبية سلف يا سامى

بحث سامى فى جيوبه ولم يجمع سوى جنبيتها واحدا .. أخذه عربى وانصرف وشلته ليتابع سامى العودة سالما إلى بيته .

بين ليلة وضحاها إختفت أحد أسر شارع أبوسيفين فى حوش العجر , وحكى الناس الروايات عن سبب إختفاء عائلة رضوان .. ولأن المصريين شعب يعشق الحكايات ويتفنن فى رواياتها , إتخذت تلك الحكايات تفاصيل مختلفة وإن كان محورها جميعا واحدا , وهو المشاجرة التى كانت بين عائلة رضوان وعائلة جرجس بسبب أن زوجة الأول كانت ترش ماء الغسيل أمام بيتها وتلوثت عتبة بيت جرجس ولأن الماء المرشوش (مش ولا بد يعنى) , ويحمل نجاسة الملابس الداخلية على حد زعم زوجة جرجس , نشبت مشاجرة وسرعان ما تفاقمت حين صرخت زوجة جرجس بعدما لم تفلح محاولات العتاب الهادئة , فاتخذ الحوار مساراً آخر

- هو انتوا تغسلوا نجاستكم وترموها علينا يا معفنين
- إحنا بتوع النجاسة برضك يا أربعة ريشة
معايرة زوجة رضوان لزوجة جرجس بديانتها , دفعها إلى مزيد من الغضب وخرج جرجس صارخا
- معناته إيه الكلام دا يا أم محمد .. وهو دينكم ونببكم قال لكم كده .. مش دا اللى وصاكم على سبع جار
ردت زوجة رضوان محتدة كالجمره المشتعلة
- مالكوش دعوى بدينا ولا نبينا يا كفاتسة انتوا .. خليكوا إنتوا فى ريحة الكنيسة المعفنة اللى قرفنا بيها دى .. المية يدوبك جت على عتبة بيتكم هاتعملوها خناقة .. إنتوا بتقولوا شكل للبيع
تحت وطأة الغضب المتملك من مينا الابن الأكبر لجرجس , اندفع يحضر جردلا من الماء وهرع يسكبه بمدخل بيت رضوان الذى خرج منه ابنه محمد ممسكا بشومة كبيرة يصيح
- أنت هاعلقكم ع الصليب يا بتوع الصليب يا عيلة كلها خولات ومتناكين نجح الجيران فى الإمساك بمحمد وانتزاع الشومة من يده , بينما تتواصل صرخات زوجة جرجس
- أذى المسلمين أهم .. ألحقونا يا عالم هايموتونا .. يا لهويبيبيبيبي .. يا لهويبيبيبيبي

هدأت المشاجرة بفعل تدخل المعارف والجيران , وسرعان ما حضر قسيس من الكنيسة بصحبة إمام مسجد الناحية ومعهم المعلم أبانوب أبو هانى التاجر الغنى والذى يعد كبيرا للمسيحيين بالمنطقة , واجتمعوا بجرجس ورضوان , وتم الصلح بينهم تحت شعارات .. كلنا مصريين ومافيش فرق بين مسلم ومسيحى وترديد إمام المسجد لبضعة أحاديث وترديد القسيس لبعض أقول المسيح (طوبى لصانعى السلام , لأنهم أبناء الله يدعون) , ليتم دفن النار تحت الرماد .. ومنذ

ذلك اليوم بدأت أم محمد وزوجها رضوان فى إطلاق الشائعات حول سهير بنت جرجس

- البت كل يوم والتانى يا اختى تروح الكنيسة عشان مرافقة قسيس بينيكيها هناك , وها تعمل إيه يعنى ماهى قاعدة من غير راجل بعد جوزها ما رماها فى الشارع , وأهلها مش عارفين يخلصوها منه عشان ما عندهم مش طلاق .. وبيقولوا إن جوزها رماها بعد ما عرف علاقتها بالقسيس ولما بلغ أم مينا وزوجها جرجس ما تردده أم محمد عن ابنتهما سهير , وأرادوا وضع الجمل أمام الجمال حيث واجهت أم مينا أم محمد بأحمد الخباصة , وأنكرت أم محمد تقول صائحة

- وإننى تصدقى الولية الخباصة دى .. ما الناس كلها عارفة إنها موقعاتية وتحب تخربها وتقعد على تلها

تدخلت أم أحمد تدافع عن نفسها

- أيوة قلتي يا اختى على سهير الكلام دا

إنتهت المشاجرة الكلامية بين النسوة , بتحذير ووعيد من أم مينا وزوجها جرجس إذا لم تتوقف أم محمد عن ترديد الشائعات على سهير .. سكنت أم محمد إيثارا للسلامة لأنها هى المخطئة , لكن تداول النسوة فى الشارع والمنطقة لما حدث جعل أم محمد تشعر بالهزيمة وضياع الكرامة والضعف , ولما لا ؟ وقد بلغها أنهم يقولون عليها

- أم مينا شكمت بقها وعرفتها قيمتها قدام الناس كلها عشان تحرم تلسن على البت سهير تانى

جعل ذلك أم محمد تعاود ثرثرتها على سهير لينتهى الأمر حين حضر زوج سهير وتصالح معها وأخذها لبيته فى السيدة زينب , ويومها كانت أم مينا تصفق بيديها وتغنى إحتفاء بالنصر

- اللى خبصوا خدوا إيه ؟ .. خدوا بعبوص وقعدوا عليه وتظل أم مينا تنشد مبهجة

- اللى خبصوا خدوا إيه ؟

ويجيب معارفها وقريباتها فى نفس واحد وبنغم متناسق بلا نشاز بقيادة المايسترو أم أحمد الخباصة

- خدوا بعبوص وقعدوا عليه

لدرجة أن أم محمد كانت تشعر فعلا بالعبوص .. وصارت بعدها مثار سخرية الجيران , ويكفى ذلك كمبرر لمشاجراتها التى لا تنقطع مع أم جرجس على أتفه الأسباب .. وأدى ذلك لشعور جرجس وابنه مينا وزجته بالضعف , ولم تفلح محاولات أبو هانى الذى دائما ما يلجأ إليه المسيحيون فى مثل تلك المشاكل فى إنهاء الوضع المشتعل , حيث كانت الجلسات كلها أشبه بمسكنات مؤقتة , مما دفع جرجس للإستنجاد بذوييه من مسقط رأسه سوهاج , فحضر عدد كبير منهم بجلايبهم الصعيدية وشواربهم الكثيفة والعمامات الملتقة على الرؤوس .. كان غرض جرجس هو إرهاب رضوان وزوجته بأنه ليس مقطوعا من شجرة بل له

حظوة يمكن أن تنتهش من يحاول إيذائه , ولم يكن جرجس يدري أن ذلك سيدفع رضوان للشعور بالضعف والإهانة أمام الجيران فأرسل هو الآخر يستدعى أقاربه ومعارفه , وأصبح الجميع يعلم أن معركة وشيكة تطرق الأبواب , وبالفعل بدأت المعركة حين إتجه جرجس داعيا للسلام عند رضوان قائلاً
- عيب اللي إحنا بنعمله دا يا حاج رضوان .. إنتوا فى حالكم وإحنا فى حالنا , وكل حى يروح يشوف حاله ,

فما كان جزء جرجس على مبادرته السلمية سوى صياح رضوان
- العين بالعين والسن بالسن والبادى أظلم .. إنت اللي رحى الأول تلم شوية بلطجية من بلدكم .. فإكر هاتخوفنى بشوية الكفاتسة دول .. دا أنا أدفنكم هنا وأصلبكم كلكم

كرد فعل منطقى إندفع أحد المحيطين من أقارب جرجس ورفع الشومة , لتبدأ المعركة .. قرابة عشرون رجل يتعاركون بالشوم , لكن المستفيدون من المعركة وعلى رأسهم عربى عطا وشلته قد أشعلوا الصراع بالهجوم وتحطيم محلات ودكاكين المسيحيين وسرقة محتوياتها , وبفضل المحاولات الدؤوبة لأهل الخير فى إستدعاء الشرطة .. وصل رجال البوليس بعد ساعات وساعات بعد سقوط عشرة جرحى وقتيلاً واحداً من أقارب رضوان .. والمحلات تهشمت وسرقت من مسلمين ومسيحيين استغلوا الفرصة تحت وطأة الفقر والجوع لنهب ما تطوله أياديهم من أشياء بخسة وثمانية .. المشكلة أن عربة الشرطة كانت مجرد دورية نجدة مكونة من ملازم وأمين واثنين من العساكر .. وبعدما أدركوا أنهم لا قبل لهم بالسيطرة على الوضع نهائياً وطلبوا قوة أمن كبيرة احتاجت لمزيد من الوقت لكى تصل بمباركة الله , كان الوضع قد زاد سوءاً حيث تواصل تكسير المحلات ونهبها بل وإضرار النيران فى بعضها .

كان عربى عطا وشلته فى منتهى الحيوية والنشاط , والسعى الدؤوب حيث يحمل عربى على كتفه مقصاً حديدياً كبيراً من الذى يستخدم فى قص الحديد المسلح عند البنائين .. بسرعة ومهارة يقص الأقفال ويكسر الزجاج ويسرق المحلات .. وبعد حضور قوة الأمن خمدت الأوضاع تماماً وبدأت التحقيقات , وبلغ الأمر الرئيس السادات , وحتى لا يتم تصوير ما حدث أمام العالم على أنه فتنة طائفية , إنتهج السادات سياسة المستبد المستنير التى يعتنقها وصدرت توجيهاته لتتحرك عربات الأمن بمختلف أنواعها وأشكالها , يجمعون عاطلاً بباطلاً لتمتلى أقسام شرطة مصر القديمة وفم الخليج والمنيرة وهرمل والسيدة , بأهالى حوش العجر ممن لهم دخل فيما حدث وممن ليس لهم أية علاقة بالموضوع .

إختفى عربى عطا وشلته فى المقابر بعدما خبأوا المسروقات فى بيت أحدهم , وأخذوا معهم ما خف وزنه يبيعونه ليحظوا ببعض المال يكفى حاجتهم , ومرت الأيام التالية ينشط فيها الأساقفة والبطاركة والقساوسة بصحبة أئمة المساجد وأكابر المنطقة من المعلمين والتجار , يترنمون بنشيد يحيا الهلال مع الصليب

والدين لله والوطن للجميع , وكأنهم لا يفهمون أن السبب الحقيقي هو الجهل والتخلف والموروث الثقافي الذي جعل الدين هو المتحكم في حياة الناس .. مع إن تلك المشاكل بعيدة عن الدين والمشكلة تنفقم من مجرد إختلاف ديانة المتنازعين , فلو كانت مثلا بين أبناء ديانة واحدة لما تتطور الأمر .. وكالعادة يتم دفن النار تحت الرماد , وتظهر تبعات تلك المشكلة فى عقول ونفسيات الأطفال والشباب لتتواصل السلسلة .. واختفت عائلة رضوان بين ليلة وضحاها , ويتردد أنهم سيحضرون قريبا لقتل مينا ثارا لمقتل واحد منهم , ولا يكتفون بالقبض على القاتل ومحاكمته .

يتواصل رجال الأمن مع كبار عائلات المنطقة للوقوف على واقع ما يحدث فى المنطقة بين المسلمين والمسيحيين , واندھشوا من إجماع الجميع على خطورة من يدعى عربى عطا وأعوانه , ولم يكن سبب الإندھاش سوى صغر أعمارهم التى لم تصل للعشرين بعد .. وتأكدوا من ضلوع عربى فى أعمال سرقة المحلات .. وتمكنوا من التحريات والمخبرين من الوصول إليه والقبض عليه فى المقابر .. بعد الضرب والتعذيب تم إنتزاع إعتراقاتهم بالسرقة والإدلاء على أماكن المسروقات , وخلال المحاكمة تبين أن عربى عطا هو المدبر والمنفذ وتم إيداعه الأحداث , بينما باقى الشلة تم تبرئة غالبيتهم والحكم بعقوبات مخففة على بعضهم .

إعتاد سامى الطالب بالمرحلة الثانوية على قضاء الأجازات الصيفية بعد إنتهاء الدراسة على الإعتكاف معظم الوقت للقراءة .. قليلا ما يخرج مع أصدقائه للتنزه أو التسامر , وبالأخص فى هذه الأيام حيث خلت مقاهى المنطقة من الزبائن تقريبا , بسبب وضع منطقة مصر القديمة تحت الحماية الأمنية بعد ما حدث فى حوش العجر , وبات من المعتاد يوميا أن تتجول عربات البوكس وحتى الميكروباصات التى يجبر الضباط سائقها على الإمتثال لهم ويقومون بتعبئتها من أهالى المنطقة .. والهدف هو ردع ووند ظهور مثل تلك المشاجرات بين المسلمين والمسيحيين .. وأثناء جلوس سامى على السرير ممددا يقرأ جريدة الأهرام التى يحرص على إقتنائها يوميا من مصروفه الصغير , ولا يفوت مقالة من مقالات صفحتى قضايا وآراء .. رن جرس الهاتف , وبعد أقل من دقيقة سمع صوت والدته تناديه

- تعالى يا سامى كلم أسامة

نهض سامى وإتجه حيث الهاتف وتحدث لأسامة زميله الذى بادره قائلا

- إيه يا درش مش باين من ساعة الأجازة ما بدأت

- إنت مش عايش فى الدنيا يا ابنى .. هما سابوا حد ما أخدهوش .. دا أنا

كنت هاتأخذ تحرى إمبراح

- وما روحتش معاهم ليه عشان آجى أزورك فى القسم وأجيبك عيش
وحلاوة

ضحك سامى وقال

- كنت فى وسط البلد إمبارح باشتري كتب ويدوبك نزلت من المترو ولسه
داخل على شارعنا لقيت عربية بوكس واقفة , وواحد عامل زى الشحط
بينادينى .. كابتن كابتن خد هنا .. رحى لطابط قاعد فى العربية شاف
بطاقتى وسألنى إنت طالب فى إيه .. قلت له فى ثانوى .. راح مدينى
البطاقة وسابنى أمشى

ضحك أسامة وقال وسط ضحكاته

- وإنت قاعد فى البيت خايف تنزل لتتاخذ تحرى

- لأ .. قاعد أقرا

- سمعت آخر نكتة

- إيه ؟

- بيقولك عربية بوكس نازلة تلم الناس وعشان ما يخافوش خلوا واحد يقف
قدام العربية جنب القهوة وقعد ينادى : مكة .. مكة .. مكة .. مين عايز

يحج ؟ .. اللي عايز يروح الحج يجى .. الناس كلها قامت جريت وركبت

العربية واتملت .. بس لقوا واحد قاعد بعيد لوحده وماركبش .. راح

المخبر سأله : إيه مش عايز تحج ؟ .. قال له : أصل أنا مسيحي .. رد

المخبر : تعالى تعالى هانعدى ع القدس

ضحك سامى مع أسامة وإضطر سامى لإنهاء المكالمة للنزول لصلاة العشاء
ليلحق بها فى جامع عمرو بن العاص .. ترجل سامى قليلا وعبر الكوبرى أعلى
محطة مترو مارجرس وواصل السير إلى أن وصل لمسجد عمرو بن العاص
بشموخه العريق وهندسة بنائه البديعة .

بداخل المسجد بعد الصلاة جلس سامى مع عدد من زملائه فى الدراسة وجيرانه

فى المنطقة يلتفون حول الشيخ عبد المنعم يتناوبون على قراءة القرآن .. وكان

الشيخ عبد المنعم يقطع القراءة بين الحين والآخر بقوله

- فتح الله عليك

ثم يشرع بعدها فى سكب خواطره القرآنية بما يفتح الله عليه من تفسيرات لمعانى

الآيات , وتعود القراءة مجددا ثم تنقطع وهكذا .. كان سامى كثير الشرود , فهو

حين يفكر فيما يقوله الشيخ عبد المنعم يشعر بأنه مبهم ومتناقض أحيانا , وغير

قابل للتطبيق الفعلى الآن , وظل يفكر وشرذ ذهنه فى وجود الله وحكمة الخلق , لا

يكفى مجرد أنه ولد فقالوا له أن الله هو خالق كل شئ , وليس كمثل شئ .. وأن

هناك حياة بعد الموت بعد الحساب والميزان وخلود فى الجنة أو النار .. لا بد من

دليل .. كان سامى كثيرا ما يتمنى لو كان حاضرا ليرى البحر ينفلق فكان كل

فرق كالطود العظيم .. أو كان من الصحابة ليرى إنشقاق القمر وبركات النبى ..

أفاق من شروده على صوت الشيخ عبد المنعم يقول

- سامى

- ها

- إنت سرحت ؟ .. ياللا إقرا الحزب بتاعك من أول الآية 120

إستغفر سامى فى سره وبدأ بالقراءة .. وبعدها انتهوا بدأ الشيخ عبد المنعم فى الحديث عن محاسبة النفس , وكيف عليهم أن يستغلوا الأجازة الصيفية فى الصلاة فى الجماعة وقراءة القرآن وجمع الحسنات , واختتم الشيخ النصيحة قائلا

- عشان ربنا يكرمكم فى دراستكم وتنجحوا

جعلت تلك الجملة سامى يشرد سريعا , فمعنى ذلك أنه يقدم عربون لله لكى يمن عليه بالنجاح , وما بال الكفار اللذين ينجحون .. هل لأن الله يعطيهم الدنيا ليعذبهم فى الآخرة .. هز رأسه طفيفا ليمنع تلك التساؤلات المقيتة , وأمعن فى الإنصات

لحديث الشيخ عبد المنعم الذى كان يتحدث عن السلف الصالح وكيف كانوا يحاسبون النفس , فقد ورد أن فلانا رفع عينيه ينظر للسماء , فوقعت عيناه على امرأة فوق سطح أحد البيوت , فأقسم على نفسه بالألا يرفع نظره عن الأرض حتى لا تتحول نظراته إلى سهام إبليس .. وذاك كان كلما أحس بأن عزيمته فى الطاعة والعبادة فترت , وكان قد حفر قبراً تحت السرير , فينزل فيه ويجلد نفسه بالسوط ويبيكى وكأنه مات ويواجه عذاب القبر حتى إذا وصل إلى منتهى الألم , فتح القبر وخرج يقول : ها أنتى يا نفس قد عدتى , فاعلمى ليوم تنزلى فيه ولا تعودى ..

مصمص الطلبة شفاههم معجبون بذلك التقى الورع .. وحكى الشيخ عبد المنعم عن رجل رأى عيون امرأة فاتنة فكتب فيها شعرا وأرسله لها , فخلعت عينيها وأرسلتها له قائلة : لا أريد أعينا يفتتن الناس بها .. تبسم الطلبة معجبون بالسلف الصالح والشيخ عبد المنعم يتابع كلماته

- دول السلف اللى المفروض نفتدى بيهم ونتعلم منهم

هنا لم يحتمل سامى وقال بوجه ممتعض وصوت خفيض

- بس أنا شايف يا شيخ عبد المنعم إن الأقوال دى إن صحت لا تعبر سوى عن عقليات وآراء أصحابها .. وهو يعنى اللى خلعت عينيها دى تبقى تقية ورعة , ولا دماغها مش مضبوطة .. دا لو كانت حكايتها دى أساسا هى اللى مضبوطة .. ماهى عنيها دى نعمة من ربنا مالهاش حق إنها تخلعهم عشان واحد افتتن بيهم وكتب شعر

كان باقى زملاء سامى يحدقون فى وجهه بنظرات تجمع بين الإعجاب بمنطقه , والدهشة بالمساس بقديسية الأثر الوارد عن السلف الصالح .. وضحك الشيخ عبد المنعم وقال

- شوف يا سامى .. ما تفكرش كده فى الموضوع .. إنت باين عليك بتحب

تقرا كتير وباين إنك سابق سنك

شعر سامى ببعض الزهو وهو يسمع مديح الشيخ عبد المنعم الذى يواصل كلماته

- السلف الصالح كانوا مسلمين ملتزمين حتى فى أدق تفاصيل الشرائع , وبصرف النظر عن الآثار الواردة اللى أنا قلتها .. فى فعلا مشايخ قالوا إنها مدسوسة من الإسرائيليات .. بس إحنا بناخد منها اللى يفيدنا تنهد سامى وأراد أن يدير حوارا مع الشيخ عبد المنعم , يستعرض قرائته وثقافته , ودافعه فى ذلك مديح الشيخ أولا ونظرات زملائه ثانيا , فسحب نفسا عميقا وتحديث بصوت وقور , وكأنه فيلسوف عظيم
- أنا السبب بس اللى خلانى اتكلم .. إن شفت زمايلى منبهرين ودا لإننا إتعودنا على تقديس كل ما يتعلق بالدين وقبوله من غير ما نفكر فى معناه .. أنا قرئت كتاب عن عصمة الأنبياء واقتنعت بيه جدا .. الأنبياء دول بشر زينا ومش معصومين من الخطأ زى ربنا ما قال بنص القرآن .. سيدنا موسى أخطأ وقتل لأنه كان عصبى وبيغضب بسرعة زى ما صورته لينا آيات موسى والخضر ولم يطق صبورا .. وسيدنا يونس أخطأ لما غضب على قومه عشان مش عاوزين يؤمنوا له وسابهم ومشى وربنا خلا الحوت يبيلعه وبعدين نجاه لما قال تبت إليك سبحانك إنى كنت من الظالمين , وسيدنا يوسف ضعف أمام إغراء امرأة العزيز وهمت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .. وسيدنا محمد أخطأ لما خالف رأى سيدنا عمر بن الخطاب فى توزيع الأنفال , ونزلت سورة الأنفال تؤيد رأى سيدنا عمر , وكمان لأنه بشر زينا نفسه اشتهدت زوجة زيد اللى كان عاوز يطلقها وكان محرر بيوح بكده , فنزلت الآية بتزويجه منها لم يدري سامى من فرط حماسته فى سكب ما لديه عن عصمة الأنبياء بنظرات الجميع المحملقة رافضة لما يقول , وقاطعه الشيخ عبد المنعم قائلا
- لأ كده إنت ماشى فى سكة غلط .. إنت لسه صغير وأى حاجة بتقراها بتاكل دماغك .. نصيحتى ليك لما تيجى تقرا فى الدين .. إقرا رياض الصالحين وتفسير ابن كثير وكتب الأئمة الأربعة وفقه السنة .. ما تقراش الحاجات دى وإلا دماغك هاتبوظ .. فى ثوابت فى الدين ما نقدرش نقرب ناحيتها
- شعر سامى بغضب مكظوم من كلمات الشيخ وأراد أن يدافع عن آرائه اللتى استخلصها من قراءاته محاولا إقناعهم بفكره , فقال متحمسا وقد علا صوته
- ليه يعنى ؟ .. ربنا أمرنا بإعمال العقل والفكر عشان تكون عقيدتنا قوية قاطعه الشيخ محتدا بغضب عارم وقد تحول الحوار إلى جدال
- عقيدة إيه اللى تبقى قوية .. الله يهديك يا ابنى .. دا لما واحد نصرانى يتكلم عن قسيس تلاقبه ناقص يبوس التراب اللى بيمشى عليه .. وإنت شوف إزاي بتتكلم عن الأنبياء المخلصين
- رد سامى وقد حاول خفض صوته
- بس أنا أى حاجة فى الدين لازم أفكر فيها الأول .. أنا مثلا مش مقتنع إن اللحية دى فرض ولا حتى سنة , والأحاديث اللى جت عنها اللى بتقول إعفوا اللهى وحفوا الشوارب دا لإن وقتها كان عادى إن الرجالة مؤمنين

وكفار بيعفوا اللحية بس الكفار كان بيسيبوا شواربهم تنزل على افواههم ,
فالنبي أمر أتباعه بإعفاء اللحية زى العرف السائد وقتها بس أمر بحف
الشوارب , ولما دلوقتي مبعثش اللحية من العرف المجتمعى يبقى خلاص
صاح الشيخ عبد المنعم معترضا

- بس بس بس .. كفاية يا ابنى كده وربنا يهديك .. أنا هابقى أكلم أبوك يلحقك
إعترض سامى قائلا

- هو أنا كفرت يعنى ؟

- ما احنا مش عاوزين نسيبك لما توصل للمرحلة دى .. إنت ناقص تقول إن
الدين مافيهوش نقاب ولا حجاب

على الفور قاطعه سامى

- ما أنا قرريت كتاب عن الحجاب بيقول مافيش آية صريحة فى القرآن كله
بتأمر المسلمة بالحجاب والأحاديث هما ثلاثة وفيهم كلام

قاطعه الشيخ عبد المنعم قائلا

- صلى ع اللى هاشفع فيك

- اللهم صلى على محمد

قالها سامى وقبلما يتابع الشيخ عبد المنعم كلماته , ابتلع ريقه وقال

- تعرف إن الشفاعة دى معظم المسلمين فاهمنها غلط

قالها سامى وهو مندمجا فى الجدل المحموم وقد تسارعت أنفاسه ليرد الشيخ عبد
المنعم

- إزاي ؟

- أنا قرريت كتاب للدكتور مصطفى محمود بيقول دى كده تبقى زى الوساطة
وبتناقض مبدأ ولا تزر وازرة وزر أخرى

شهق الشيخ عبد المنعم وقال باسم بنبرة ساخرة ممطوطة

- مصطفى محموووووووود .. قول كده من الأول .. أنا عرفت إيه اللى
عمل فيك كده

قالها وهو ينهض قائما منهبيا الجدل بدعاء ختم المجلس

- سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

تمطع وقال وهو يغادر المسجد موجهها كلامه لزملاء سامى

- ابقوا خدوا بالكم من صاحبكم وعقلوه شوية .. سلام عليكم

شعر سامى بالمهانة من طريقة تجاهل الشيخ للنظر فى وجهه ومن جملته الأخيرة
التي يتهم فيها عقله بالخبل .. وازداد غضبه حين التف حوله زملائه ضاحكين

ساخرين منه ينصحونه بالعودة إلى طريق الرشاد وأختتم زميله أسامة نصائح
الزملاء بقوله

- على فكرة بجد يا سامى لو فضلت تفكر بالطريقة دى هتلحد وتكفر بربنا
فى الآخر

جعلت تلك الجملة عقل سامى يغلى أثناء عودته من المسجد إلى بيته فى عطفة
لولا بمصر القديمة .. وظل يتمشى قليلا على كورنيش النيل تتردد على مسامعه

كلمات زميله أسامة .. ووجد شيئين مرتبطين ببعضهما تحملهما الجملة .. الفكر والإلحاد , يسأل نفسه هل أعمال الفكر فى الدين يقود إلى رفضه وبالتالي الكفر بالله والإلحاد ؟ .. وهل لكى يصبح مؤمنا حقا عليه أن يلغى فكره !!! .. وعليه تقديس النصوص الدينية وتقديس الأئمة وحتى رجال الدين ليصبح مؤمنا مستنيرا ويتقبل كل ما يقال مذعنا مستسلما , وإلا صار مارقا فى طريق الهلاك نحو الغاوية وكان حتميا أن يشعر بصداع جعله يعود إلى البيت ويتمدد على سريره , إلا أنه لا يكف عن التفكير .. يعتريه إحساس بالضيق والندم لأنه تفوه بما كان يجب أن يكتبه فى صدره لئلا يصبح متهما بالشطط والخيل بين زملائه وأقرانه , وود لو عاد الزمن به ثلاث ساعات للماضى لأنتهى من المقرأة دون أن يبدي ما يعتمل بصدرة ويختلج بعقله .. فقرر سامى منذ تلك الليلة وعقد العزم على عدم البوح بأية تساؤلات من هذا النوع حتى لا يتهم بالشطط والسير فى طريق الهاوية .. ومرت أيام الأجازة ينهل سامى من متعة وفائدة القراءة .. وحين يصيبه الملل أحيانا يتجه لقراءة المؤلفات القصصية والروائية من باب الإستمتاع حتى وإن خلت من فائدة يتعلمها خلال القراءة , قرأ لنجيب محفوظ ويوسف السباعي ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس وعاش فى رسائل القراء لعبد الوهاب مطاوع وضحك مع محمود السعدنى , وهام فى الخيال ساهرا فى ألف ليلة وليلة ويفند جريدة الأهرام حتى انتهت أجازته وعاد لدراسته , ورغم عزمه على كبت وقمع ما يعتمل بداخله من آراء كلما سمع ما لا يعجبه فى الدين إلا أنه لم يتمكن ذات مرة حين كان جالسا فى الفصل الذى يعج يستين طالبا قابعين على الدكك الخشبية المهشمة غالبيتها ومن أمامه السبورة السوداء الكبيرة تتوسط الجدار ويعلوها صورة الرئيس السادات بزيه العسكرى الذى توارى خلف النياشين العديدة .. وكان شيخا أزهريا منتدبا لتدريس مادة التربية الدينية ويشرح اليوم درس علم الغيب الذى اختص الله به والمعنونة فى مقرر التربية الدينية بعنوان مفاتيح الغيب , حيث يقرأ الشيخ من الكتاب : عن النبى(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله , لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله , ولا يعلم ما فى غد إلا الله , ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله , ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله , ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) .. مصداقا للآيات : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

هنا وجد سامى نفسه مدفوعا ليرفع يده ويتلقف الإذن من الشيخ ليقول واقفا وسط التختة

- أنا كنت قرئت إن فى عالم قدر يصنع جهاز يبخر المياه ويحولها لسحاب وبعدين تنزل منها أمطار .. والأرصاد الجوية بتتنبأ بموعد سقوط الأمطار .. وكمان بيتحدد نوع الجنين فى بطن أمه ولو قاتل بعث يقتل واحد ما هو كده يبقى عارف الأرض اللى المقتول هايموت فيها ودى المفروض من الغيبيات اللى ربنا اختص بيها نفسه

لم يكن فى مجمل ما قاله سامى شيئاً يعيب وهو كلام مردود عليه , ولكن جملته الأخيرة وطريقة نطقها جعلت الجميع يحدقون فى وجهه , حيث حملت نبرته معنى متحدياً لله .. ورد الشيخ يقول

- معنى إن واحد يعمل شوية مطرة مش إنه هو اللى خلقها .. هو مجرد استخدم اللى ربنا خلقه عشان ينزل مطرة على حثة أرض صغيرة .. إنما الأمطار اللى بتسقط على الأرض وتروى الزرع ومنها بتجرى الأنهار دى من صنع الله وحده , ولا دخل للبشر فيها .. وموضوع معرفة نوع الجنين دا بيثبت إعجاز القرآن
حملك سامى فى وجه الشيخ منصتاً بإمعان لما سيقوله عن الإعجاز القرآنى وسمعه يواصل

- الآية بتقول ويعلم ما فى الأرحام .. مش من فى الأرحام .. من غير ما .. لإن من للعاقل إنما ما شاملة كل شئ .. فإذا كان العلم دلوقتى بيحدد نوع الجنين فهو بيحدد من .. إنما ما اللى ربنا ذكرها فى الآية تشمل كل شئ عن الجنين ذكر أم أنثى وشقى أم سعيد .. يعنى كل اللى هايعمله فى الدنيا ربنا عارفه من قبل ما يتولد ومكتوب فى اللوح المحفوظ
إضطر سامى مجدداً للإستفسار

- دا بيدخلنا فى جدلية الإنسان مسير أم مخير ؟

قاطعته الشيخ متحمساً يقول

- الإنسان مسير فيما لا دخل له فيه .. زى الشمس والسما والأرض والكون كله والسيول والزلازل والأعاصير .. إنما مخير فى عمله بين الخير والشر وهاتحاسب على اللى عمله فى دنيته وينال جزاءه فى الآخرة يا إما جنة ويا إما نار .. لكن ربنا بعلمه الواسع الشامل يعلم ما سيفعله الإنسان فى حياته من خير وشر , فكتبه حتى قبل ولادته , ومش معنى كده إنه أجبره على إن يعمل المكتوب

صمت الشيخ يسحب نفساً عميقاً قبلما يواصل

- هاديك مثال والله المثل الأعلى .. لما يكون فيه أب عارف كل كبيرة

وصغيرة عن ابنه وشايف إن ابنه بيحب اللعب وما بيذاكرش .. وراح الأب كتب إن ابنه هايسقط فى الإمتحان وفعلاً الولد سقط .. دا معناه إن الأب هو اللى أجبر ابنه على السقوط .. ولا بعلمه هو عارف مصيره فكتبه قبل حدوثه

قالها الشيخ وتنهى بعمق وعلى وجهه ابتسامة مزهوية بمنطقه ثم سأل سامى

- ها .. وضحت بالنسبالك ؟

سحب سامى نفساً سريعاً وقال

- برضه أنا شايف إن الإنسان كده مايقاش حر .. إزاي أبقى حر مثلاً إنى أو من بالله أو أكفر طالما هاتحاسب وأتعاقب على اللى عملته يخالف رغبة الله

صمت سامى وقال هاقول مثال

- حضرتك يا أستاذ حر تدرس المادة أو لا .. إنت حر ولك مطلق الحرية .. بس خد بالك ولا ماقتش بتدريس المادة هتترقد من المدرسة .. يبقى أنت كده حر ؟

فوجئ سامى بالشيخ كأن لم يسمعه وأشار إليه بالجلوس ووجه حديثه للطلبة قائلا
- شوفوا يا ولاد .. القرآن الكريم معجزة بكل المقاييس .. كل الأنبياء كان ليهم معجزات , ومعجزة سيدنا محمد هي القرآن نفسه اللي كل يوم بيكتشف العلم إعجاز القرآن .. أنا لسه كنت قرئت عن باحث مصرى إخترع قطرة لعلاج المياة الزرقاء على العين من القرآن تشوق الجميع لمعرفة ذلك الإعجاز القرآنى المبهر والشيخ يفسر الإعجاز قائلا
- سيدنا يوسف لما عرف إن أبوه سيدنا يعقوب فقد بصره وابيضت عيناه من الحزن على يوسف وأخوه .. سيدنا يوسف عمل إيه ؟ .. قال لإخوته : إذهبوا بقميصى هذا وألقوه على وجه أبى يرتد بصيرا .. ومن هنا اكتشف الباحث إن القميص كان بيحوى عرق سيدنا يوسف ودا اللي رجع بصر سيدنا يعقوب .. اشتغل الباحث على إنه يحلل العرق بتاع الإنسان وقدر يستخلص منه مادة يصنع منها قطرة تعالج المياة الزرقاء على العين إنطلقت مهمات التسبيح من الطلبة , بينما لم يتمكن سامى من مكابدة رغبة الضحك , فعلت أصوات ضحكاته قبلما يقف وسط التختة يقول
- ما هي الحاجات دى بتخلى ناس كثير تضحك علينا وتسخر من دينا .. عرق إيه اللي هايقعد فى قميص سافروا بيه من مصر لفلسطين أيام الجمال والبغال والحمير من غير ما يجف , ويكون سبب فى شفاء سيدنا يعقوب .. وكمان أنا قرئت رأى مقتنع بيه إن ما ينفعش نربط النصوص القرآنية بالمكتشفات العلمية وندل بيها على إنها إعجازات قرآنية .. لإن ده بيخلى النصوص الدينية تحت نظريات علمية قابلة للتغير والتبديل وفقا لتطور العلم .. ما هو برضه قرئت إن فى حاجات كثير فى القرآن بتتعارض مع نظريات علمية
- زى إيه ؟

قالها الشيخ مستفسرا وأجاب سامى
- الآية اللي بتقول (تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .. دى لازم تكون كل التفسيرات اللي وردت للآية خاطئة لأنها أجمعت على إن إليه معناها الملاء الأعلى .. والنظريات العلمية بقياسات سرعة الضوء تقدر تحدد مكان الملاء الأعلى على بعد خمسين ألف سنة يقطعها الضوء يعنى هاتطلع مسافة لا تتعدى دقيقة ضوئية ويمكن الوصول إليها بالتلسكوبات الفلكية ومش هنلاقى الملاء الأعلى قاطعه الشيخ بغضب يقول
- إنت اسمك إيه ؟
- سامى

- تعالى يا سامى
جلس الشيخ على منضدته أمام السبورة ووقف إلى جواره سامى يسمع النصيحة
الغالية

- شوف يا سامى .. إنت مافيش على لسانك غير .. قرئت قرئت .. جميل
الواحد يقرا كتير , وانت سابق سنك كتير .. بس إنت دلوقتى فى بداية
مرحلة المراهقة , وأخطر حاجة فيها التقلبات المزاجية ورفض الحاجات
الموجودة والتمرد على الواقع .. وانت فعلا كده بس للأسف تمردك دا جه
فى الدين عشان أكيد بتقرا كتير لناس مش فاهمة الدين على حقيقته .. إنت
تصلى وتلتزم بصلاتك وما تفكرش بالطريقة دى فى الدين .. دا ربنا بيقول
: أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهدى من أضل الله .. لو فكرت فى معنى
الآية دى هتلاقى الموضوع كبير وخطير .. وكمان الآية اللى بتقول : قل
هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا اللذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. دى واحدة من أخطر الآيات القرآنية ..
فكر كده زى ما بتشغل عقلك فى الحاجات التانية فى معنى الآية دى ..
معناها إن فى ناس فاكرين نفسهم فاهمين الدين صح وبيخترعوا لنفسهم
دين وفاكرين إن هما صح .. ربنا قال عنهم .. الأخسرين مش الخاسرين ..
يعنى أشد وأفدح خسارة

بعدها استمع سامى لنصائح مدرس التربية الدينية عاد إلى التختة , ونظرات
الجميع تلاحقه , وهمس أسامة له
- أنا قتلتك إنك هاتلحد وأخرتك السرايا الصفرا
وعندما اعتدل سامى فى جلسته احتك جسده برفيقه فى التختة فابتعد بجسده يقول
ساخرا

- ما تلمسنيش أنا متوضى .. كده تخلينى أعيد الموضوع
ابتسم سامى رغم شعوره بالضيق وندمه على البوح بتساؤلاته وآرائه وخرج منذ
ذلك الحين عاقدا العزم على عدم التقوه بمثل ذلك مجددا .

يومها كان سامى يترنح فى كلمات مدرس التربية الرياضية فالآية قد تعنى ما قاله
المدرس ووجد نفسه يتخيل أنه ملقى فى قبره والثعبان الأقرع ذو التسعة وتسعين
رأسا يأرجحه بين الأرض والسماء وتخيل نفسه فى النار يشوى على مقامع من
حديد , وظل يفكر فعمد عقله إلى تأمين نفسه طالما ظل محافظا على صلاته
مؤمنا بالله ورساله وكتبه واليوم الآخر , وليطرح ما يعتمل بعقله من تساؤلات ..
وفى اليوم التالى عندما كان سامى عائدا من المدرسة صاعدا السلم , سمع
أصوات الصراخ تخترق أذنيه فأسرع يقفز على السلام حتى وصل حيث
الصوت فى شقة أم صالح التى تبكى وتصرخ وإلى جوارها أمه وباقي الجيران
ينتحبين باكيات .. وفتح باب شقته ودخل ليجد أباه يتهيا للخروج وبادره قائلا
- الأستاذ صالح اتوفى .. تعالى نروح عندهم

سرعان ما خرج الرجال والنساء حيث شقة صالح نعمان .

- 3 -

كانت مها شبة فاقدة للوعي لا تدري ما يحدث حولها .. كل ما تعرفه أنها لن ترى أباه مرة أخرى .. لقد أخذوه حيا وأعادوه ميتا ولا تفتأ تتردد على مسامعها كلمات أمها وسط المعزين من الأقارب والمعارف والجيران - قتلوه .. صالح ما ماتش صالح إنقتل

يقتررب منها أحد زملاء زوجها من الصحفيين - شدى حيلك يا مدام .. إنت ست مؤمنة .. كل زملائه اللي كانوا معاه فى المعتقل قالوا إنه نام ومامصحيش .. دى إرادة ربنا , وإنتى الخير والبركة وكلنا جنبك

كان باديا للجميع الزرقان الذى يكسو وجهه هناك وصعوبة تنفسها وبروز أوردة وجهها وهى لا تكف عن البكاء , ولاحظ أخوها الأكبر سوء حالتها فاتجه إليها وجلس جوارها يقول - شكلك باين عليه إنك تعبانة أوى .. ما تنسيش إنك كنتى عيانة بالقلب .. ربنا يصبرك ويعوضك خير فى بناتك

عند الفجر غادر الرجال وتمددت النساء تنام واحتصنت هناك ابنتيها على السرير والبكاء لا يقطع لتقتررب منهم الجدة - يا بنتى حرام عليكى اللى بتعمليه فى نفسك دا .. إن شاء الله ربنا هاي عوضك خير

بالكاد سكنت الأم , ومرت الساعات المتبقية من الليل , وفى الصباح استيقظ الجميع عدا هناك التى لم يحتمل قلبها المريض الحزن على زوجها ولحقت به بعد يوم واحد .

لقد كانت مأساة إنسانية باتت حديث الرجال على المقاهى والنساء فى البيوت على مدار الأيام التالية .

ووسط الحزن المخيم على المنزل جاء يوم السادس من أكتوبر لعام 1981 , وبمجرد أن علمت مها نعمان باغتيال السادات فى ذلك اليوم إلا وقد غمرت الفرحة قلبها , فقد كانت تشعر بأن الله قد إقتص لها من قاتل أبويها .. ولكن ذلك لم

يفلح فى تبديد بعضا من حزن مها على فراق أبويها , حيث لم يكن مضى على يوم إعتقال أبيها سوى ثلاثة وثلاثون يوما فقط .

تكفلت الجدة بالإقامة فى شقة ابنها صالح ورعاية مها وأمانى وكان ذلك أمرا يصعب تنفيذه عمليا بسبب صحة الجدة ولم تظهر تلك المشكلة خلال الشهر الذى تلا المأساة فقد تكفلت القريبات برعاية البننتين , ولكن كان لابد أن يمضى قطار الحياة فلا يمكن له أن يتوقف طويلا عند محطة من محطاته , لذا بدأت تتباعد زيارات الأقارب والمعرف والجيران تدريجيا واستعانت الجدة بخادمة تحضر يوميا لإنجاز مهام تنظيف الشقة وإعداد الطعام .. وسألت الجدة مها - إنتى مش هاتروحي المدرسة ؟ .. يمكن ينفع تعدى السنة دى من غير ما تعيدها

لكن مها كانت لاتزال تحت وطأة الصدمة المأساوية وتحتاج لعلاج يعيدها إلى مسار الحياة مجددا , وبالفعل أرسل لها القدر ذلك يوم أن أرسلت الجدة فى طلب سامى الذى حضر ملييا , ودخل يقبل يد أم صالح قائلا - إزيك يا أمى ؟ .. عاملة إيه ؟

قالها ثم التفت إلى مها الجالسة تضع البيرونة فى فم أختها أمانى الرضيعة وقال - البقية فى حياتك

لأول مرة ترد مها على أحد يعزيها فى وفاة والديها دون أن تنهمر دموعها حيث قالت

- فى حياتك الباقية

ونادت الجدة على الخادمة

- والنبي هاتى يا سعدية حاجة لسامى يشربها

قالتها ثم تحولت إلى سامى تقول

- شوف يا سامى .. مها مش عايزة تروح السنة دى المدرسة .. وأنا باقول حرام

تضيع سنة من عمرها .. بعثلك عشان تساعدنا لو ينفع تلحق تذاكر المواد

بتاعتها من غير السنة ما تضيع .. هى أدبى زيك

رد سامى

- مش فاضل كتير ع الإمتحانات .. بس ممكن لو ركزت وذاكرت كويس تلحق

السنة من غير ماتضيع

- معلش يا سامى يا ابنى .. أنا عاوزاك تبقى تيجى تذاكر مع مها عشان تشجعها

تذاكر

- حاضر يا أمى

لا تدري مها لماذا وسط كل هذا الحزن الذى ملأ حياتها تشعر بشئ جديد .. شئ جعلها تنتظر حضور سامى فى الغد وقد هيأت حجرتها ومكتبها , وابتسمت الجدة بخبث وهى ترى مها تخرج الكتب الدراسية بعدما اتصلت بخالها ليذهب بها غدا

للمدرسة لتدارك مشكلة إنقطاعها عن الدراسة .. نجحت الجدة فى إخراج مها من حالتها بحنكتها التى تعلمتها من الحياة , ولم يكن ذلك فقط بل كانت الجدة تتمنى أن يأتى اليوم الذى ترى فيه مها تزف إلى سامى .. صحيح أن ذلك لازال على حدوثه سنوات , لكن ما المانع فى زرع البذرة وترك النبتة تنمو أمام عينها .. كانت تدعو الله أن يمنحها العمر لترى ذلك اليوم .

رغم تماثل العمر الزمنى لسامى ومها إلا أنها كانت تشعر أنه يكبرها بسنوات نظرا لتفاوت العمر العقلى بينهما فقد كانت تشعر أن سامى رجلا ناضجا أشبه بمدرس يعلمها .. تهفو مشاعرهما إليه كأنثى لذكر فى تلك المرحلة العمرية وأيضا لأنه بات إلى جوارها فى وقت كانت تحتاج فيه إلى ونيس تسيير على خطاه , وبدأ خيالها يرسم مستقبلها دوما إلى جوار سامى .. لا تتوقف الجدة عن الدعاء لهما بالنجاح وهى تدخل عليهما عبر باب الغرفة المفتوح تحمل الشاي والعصائر والمأكولات ثم تذهب لتهدد أمانى الرضيعة وتلاعبها وتطعمها.. وفى آخر يوم من أيام الإمتحانات إنتهى سامى ومها من مراجعة المادة , ولاحظ سامى شرود مها فسألها

- سرحانة النهاردة كده ليه ؟
- لأ أبدا .. خلاص هانستريح من تعب المذاكرة ده
- كان سامى يدرك أن سبب شرودها هو نفس ما يحس به , حيث لن يكون هناك داعى بعد ذلك لأن يجتمعا سويا ولن يتمكن من رؤيتها يوميا والتحدث إليها وسيعود نزيفا فى غرفته يقرأ وحيدا , لكنه وجد أن الأمر لن ينتهى بعد حين قالت الجدة وهو يغادر على الباب
- بكره يا سامى بعد ما تخلص الإمتحان تيجى عشان تتغدا معانا
- إن شاء الله يا أمى

بعد أداء الإمتحان الأخير وحين وصل سامى فى الغد بادرتة الجدة تقول وهى تفتح الباب

- ربنا إن شاء الله هايجبر بخاطركم وينجحكم .. تعالى خلاص الغدا هايجهز
- مها لسة ماجتش ؟
- سأل سامى ليتلقى صوت مها قادم من غرفة مكتب أبيها
- جيت من بدرى .. وأنا استلمتتى ع الشغل على طول
- ضحكت الجدة عاليا تقول
- هو عشان قلتلك رتبى الكتب عشان سعدية تيجى تنضف المكتبة بكره بقى شغل .. دا أنا ناوية الأجازة دى أوقفك فى المطبخ تتعلمى الطبخ عشان لما تتجوزى ما تيقبش خايبة
- قالتها الجدة وهى ترنو لوجه سامى الذى يفهم بالطبع ما تلمح له الجدة وقال
- طب أنا هاساعد مها فى لم الكتب

قالها واتجه إلى مها بداخل غرفة المكتب ليدور حول نفسه مندهشاً محدقاً في المكتبة الضخمة المنصوبة على ثلاثة حوائط بالغرفة واللون البني اللامع لأرصف المكتبة الخشبية التي تحمل مئات الكتب , إلى جانب لون طلاء الغرفة البيج يجعلك تشعر بأنك في مكان مهيب , وسمع مها تسأل

- طبعا مستغرب من كمية الكتب دي كلها
 - لأ أبدا .. مكتبة تليق بكاتب مثقف زي باباكي الله يرحمه
 - أنا ما كنتش باشوف بابا في البيت إلا وهو يا إما بيقرأ يا إما بيكتب
 - أكيد إنتي طالعة زيه بتحبى القراءة
- خافت مها أن تقول أنها لا تحب القراءة لأن ذلك لن يعجب سامى فردت وهى تحرك كنفها منهمكة فى جمع الكتب
- يعنى ساعات وساعات
 - ضحك سامى قائلاً
 - أنا بأه مدمن قراية .. كل أجازة لازم أنزل وسط البلد واشترى كتب على قد ما أقدر

- خلاص إبقى تعالى خذ كتب من هنا
لم تكد مها تتم جملتها الأخيرة حتى اتجه سامى إليها يساعدها فى تجميع الكتب من جهة وإنتقاء بعض ما يجذبه عناوينها ليقرأه وأثناء ذلك عثر على أجندة خضراء وحين فتح صفحتها الأولى وجد كلمة واحدة وسط الصفحة : خواطر .. وشعر بالخرج فقد تكون أموراً خاصة بالأستاذ صالح نعمان لا يجب الإطلاع عليها وقال

- خدى يا مها دي تقريبا حاجات خاصة لباباكي
 - تناولتها مها وقلبت صفحاتها ثم قالت وهى تضعها على الكتب
 - دى شكلها مقالات بابا ما كانش نشرها
- هنا مد سامى يده وتناول الأجندة الخضراء مجدداً وفتحها لتقع عيناه على خاطرة تقول

- الأديان هى وسيلة الطغاة للسيطرة على الكادحين والفقراء والمظلومين ..هى تحويلهم إلى عبيد يمتلكون أملاً زائفاً فى عالم آخر بعد الموت يرد لهم حقوقهم المغتصبة و أحلامهم المفقودة

ووجد سامى من أسفلها إسهاباً فى إيضاح الفكرة وقلب الصفحة ليقرأ

- كل المشاحنات والحروب والفتن الدينية ليس سببها نصره الدين أو المذهب بقدر ما هى تفريغ طاقات من العنف والكبت ضلت طريقها نحو الآخر..ويكون الدين هى الواجهة والمنشط الذى يتيح لنا ممارسة وحشيتنا بضمير مستريح متلذذ وبدم بارد

وتحول للصفحة الثالثة

- أنا أمنحك حرية الإختيار فأنت حر ..ولكن لاحظ لو إخترت ما لا أريده فسأحرقك فى جهنم ..ولكن أنت حر والحرية لديك ..منطق كل الطغاة والآلهة

- إذا كان الإلحاد لا يمتلك نظرية بديلة لأسطورة التكوين .. فيكفى جدا نموذج الإله الإبراهيمي لكي تلحد
- حالات التفكير التي تعترى الإنسان هي أعدى أعداء المنظومة الدينية .. إنها تمارس كالعادة السرية فى الخفاء مصحوبة دائما بالخجل والشعور بالذنب
- إن فكرة البعث والخلود هي فكرة طوباوية ولا تزيد عن مجرد أخيلة وأوهام للتغلب على الموت والتشبث بالحياة .. إستغل الأنبياء والكهنة هذا الإحساس لتمرير أخلاقيات وسلوكيات تخدم طبقات إجتماعية بعينها
- أحس سامى أنه وجد ما قد يجيب على تساؤلاته .. عيناه محدقة ويدها تسرع فى تقليب الصفحات يقرأ عناوينها
- إن المؤمن عليه أن يقرأ كتبه المقدسة بنفس العقل النقدى والتحليلي الذى يقرأ به كتب الآخرين .. إنه يستنكر عدم منطقية بعض الأمور فى المعتقدات الأخرى .. ولكنه يرمى العقل والمنطق عند أول صندوق قمامة عندما يقترب من غيبياته
- أن تتصور إنك إنسان وسط عشرات المليارات من البشر الذين عاشوا على هذا الكوكب الذى يمثل بالفعل حبة رمل فى وسط صحراء شديدة الإتساع .. وأن خلف هذه الصحراء الكونية هناك إله يرصد حركاتك ويسجل أفعالك .. أن تصدق وتتوهم هذا .. فإما أن يكون هذا الإله تافها ومختل عقليا أو تكون أنت شديد الغرور والنرجسية
- المؤمن اتكأ على فساد معتقدات الآخرين لقبول خرافاته .. فالمسلم والمسيحي والهندوسى واليهودى كل فصيل منهم يرفض خرافات الآخرين .. إذن فخرافاتى صحيحة
- لو إفترضنا جدلا أن نظرية التطور لدارون خاطئة فهذا لن يدعونا إلى الإرتماء فى أحضان نظرية شديدة السذاجة وقبولها .. فلن تعيش نظرية الخلق الطينية على إنتقاد النظريات الأخرى , فالإنسان خلق الإله وأعطاه صفاته وبدون صفات الإنسان تصبح الآلهة نكرة
- أجمل ما فى الإنسان أنه كائن مندهش .. وأسوأ ما فيه أنه متعجل فلا يصبر على فهم سبب إندهاشه
- الخوف صنع فكرة الإله وتدور الدوائر لتصنع الفكرة الخوف
- هذا من فعل الله .. ليس إجابة لسؤال .. إنما هي إجابة من ليس له تفسير ما , فالصلوات والذبائح والنذور رشاوى فاضحة تقدم للإله .. الغريب أن هناك إله إفتراضى يقبلها والأغرب أن هناك إنسان يعتقد بجودها

- ليه ؟

سؤال برئ لم يجد له سامى جوابا وتنتهى الجدة الأمر بزعيق على

- كده تخلونى هاسخن الأكل تانى

خرجت مها وتبعها سامى لتناول الغداء وبعدها انصرف سامى , وقفت مها تغسل

الصحون مع جدتها لأن سعديّة الخادمة ستحضر لتقضى يومها غدا فى تنظيف

المكتبة وتسببت مها فى كسر طبق مما دفع الجدة تقول ضاحكة

- اللى واخذ عقلك يتهنابه

لكن مها كانت شاردة فى كتاب غير منصوح لها بقراءته خاااa

نصحها بعدم قراءته ؟ .. إذن كان لابد لها أن تقرأه كى تعرف لماذا لا ينصحها

سامى بقراءته .

إحساس الراحة الذى تشعر به مها فى أول أيام الأجازة بعد الإنتهاء من أداء

الإمتحانات يجعلها منتشية قليلا وهى أسفل رذاذ الماء المنهمر من الدش بداخل

البانيو فى الحمام وكعادتها دائما تحرص مها على تنظيف ما بين فخذيهما بتدليكها

جيذا بالليفة .. عادى أن تشعر مها بلذة من جراء ذلك التدليك اللزج بفعل صابون

بومباردى المنعش لكن هذه المرة مختلفة عن المرات السابقة التى كانت تكفى

فيها بعد التنظيف بتصويب رذاذ الماء من الدش يرشق ما بين فخذيهما ويمنحها لذة

سرعان ما تنتهى بعد إيقاف الماء .. ففى هذه المرة وجدت مها باطن فخذيهما

يرتعش وتتملكها متعة طاغية جعلتها تشعر بأن هناك شئ ينساب من مهبلها ,

وأسرعت تشطف الصابون لتتمكن من تفحص الأمر حيث قامت بتحسس حواف

فتحة مهبلها بطرف أصبعها الأوسط لتتدرك بالفعل وجود سائل لزجا ينزلق من

فتحتها , ووجدت مها نعمان نفسها منساقا إلى معاودة تدليك ما بين فخذيهما بالليفة

الغارقة فى الصابون مجددا , ومع تزايد متعتها كانت حركة يدها تزداد بالتدليك

فى حركات محمومة , وفجأة إنقبض فحذاها وشعرت باحتقان شديد فى منطقة

الحوض وتقوس ظهرها وهى تلقى بالليفة وتقبض بيديها الإثنتين على ما بين

فخذيهما غير قادرة على الوقوف , ولم تتمكن من مدافعة البول الذى انهمر على

كفيها .. غسلت مها جسدها ثم جففته وعقلها شاردا فيما حدث لأنها لأول مرة تمر

بهذه التجربة .. صحيح أنها بغريزة الأنثى قد استكشفت اللذة فى مداعبة ما بين

فخذيهما من قبل , لكن ذلك لم يتعدى التدليك بالليفة أو رذاذ الماء يرشق شفراتها

فتستنيم للذة خفيفة لم ترقى للوصول إلى مرحلة الأورجازم كما هذه المرة ..

إحساس مبهم يحتاج إلى تفسير , لم تتمكن مها من الوصول إليه بعدما خلدت لنوم

عميق أثناء تمشيطها لشعرها الأسود الناعم المنسدل على ظهرها كخيوط من

حرير , وعقدته خلف رأسها على شكل ذيل حصان .. استيقظت مها بعد العشاء

وجسدها كله يرتعش وقلبهما تغمره السعادة بسبب رؤيتها لحلم جميل ممتع يجمعها

بسامى وهما يستذكران معا ووجدت سامى ينظر لوجهها بنظرات محبة حانية ثم

يمسك برأسها ويقبل شفتيها ويحتضنها على صدره , فلم تتمكن مها من إحتمال

المتعة واستيقظت من نومها مرتعشة وبعدها هدأت أوصالها , تنهدت بعمق

ضاحكة ونظرت فى ساعتها لتجدها الثامنة مساءً .. إلتقطت مسامعها أصوات
قادمة من الصالة , فخرجت لتجد الجدة قد أنهت أيام الحداد وفتحت التليفزيون
منهمكة فى متابعة المسلسل على القناة الأولى .. رأت الجدة مها تتثائب وتدعك
عينها بظهر يديها , فقالت

- نمتى كويس
- أو مات مها برأسها إيجابا , لتتابع الجدة
- طب ياللا حضرى العشا فى المطبخ

أول ما فعلته مها بعد العشاء هو أنها اتجهت لغرفة المكتب تحضر كتاب (نواضر الإيك فى معرفة النيك) وتخففت من جلبابها لتبقى بقميص النوم وتمددت على السرير تقرأ وقد فردت رجلها اليسرى وثنت ركبتيها اليمنى تحرك رجلها فى حركات متندة .. إنكبت مها على قراءة الكتاب لكنها لم تكن تعي كثيرا مما تقرأ بسبب حالة الذهول التى سيطرت على عقلها بحكم كونها تقرأ لأول مرة عن الجنس من جهة , وأيضاً بسبب الإثارة الجنسية التى دبت فى جسدها من جهة أخرى .. فقد كانت أشبه بمن شاهد فيلماً إباحياً لأول مرة دون أية سابق معرفة أو توقع لما سيراه , وحين زال ذهولها بدأت تستسيغ نصوص الكتاب وحمرة الخجل التى غطت وجهها بدأت تتلاشى .. شعرت مها برطوبة باردة تعترى كسها فكانت تضم فخذها عليه ليتوقف عن ذرف الدموع , لكنها مع كل ضمة كانت اللذة تتأجج , فإستكانت لضم وفتح فخذها بحركات متتابعة ليبتلى إلى سمعها صوت إفرازاتها اللزجة بفعل حركة فخذها ضامة ومنفرجة على كسها .. تشعر مها بأنها لصة تسرق شيئاً محرماً بشهوة مدفوعة آثمة , لذا شهقت فرحاً وكادت تقفز من على السرير حين إنفتح الباب ودفقت جدتها تقول

- بتعملى إيه يا مها ؟
- أجابت مها مرتبكة متلعثمة وهى تضع الكتاب جوارها
- باقرا شوية
- وشك محمر كده ليه ؟
- هكذا سألت الجدة مستفسرة عن إحتقان وجه مها محمراً من فرط شهوتها , وأجابت مها

- الجو حر شوية
- طب أنا نيمت أختك أمانى وداخلة أنام
- تصبى على خير يا أنأ
- وإنتى من أهله

إلتقطت مها أنفاسها وهدأت دقات قلبها لتعود لمواصلة القراءة بعدما أغلقت جدتها باب الغرفة وذهبت للنوم .. ظلت مها تقرأ وتعيد قراءة النصوص المثيرة وتمعن فى تخيل الوضع الموصوف حين تقرأ (وضع الإستلقاء وأحد أشكاله هو نيك

العادة : تستلقى المرأة على ظهرها وترفع رجليها إلى صدرها ويقعد الرجل بين فخذيهما على أطراف أصابعه ويضمها ضما شديدا ويمص شفثيها ويعض لسانها ويولج أيره فيها , ويدفعه ثم يسله حتى تظهر رأسه ثم يدفعه كله ولايزال فى دفع ورهز إلى الفراغ .. أما وضع الإنبطاح وأحد أشكاله اسمه نيك الفقهاء : تنام المرأة على وجهها وينبطح الرجل عليها , وساقه بين ساقيهما ويده فى خصرها والأخرى فى بطنها فتدير وجهها إليه ويبوسها وينيك) .. ضحكت مها حين قرأت قصة ذلك القاضى الذى كلما واقع امرأته وأولج زيه فيها , اسمعته من فاحش القول وأبيحه , واشتد عليه الأمر فطلب منها أن تتوقف عن ذلك , ولما فعلت فتر نشاطه وخارت عزيمته ليطلب منها أن تعود .. لم تفهم مها ذلك القول الفاحش التى كانت تقوله امرأة القاضى حين ينيكها زوجها , ووصلت إلى مرحلة من الشبق أدت إلى شعورها بحرقان ورغبة فى حك أسفارها .. لم تجد بدا فى أن تمد يدها لتحك وتهرش كسها من فوق قميص نومها , فازداد هياجها شبقا , وكان لإحساسها بأنها ترتكب فعلة شنعاء أبلغ الأثر فى أن يعتربها التوتر , لذا كانت عينيهما تنقل بين الكتاب وبين مقبض الباب مترقبه دخول جدتها فى أية لحظة .. جسدها يرتعش وأدى توترها إلى جفاف حلقتها , فتزدرد ريقها وتبلل شفثيها بطرف لسانها تباعا ودافعتها رغبة فى التبول .. أخفت الكتاب تحت مخدتها , ونهضت مسرعة إلى الحمام .. أفرغت مثانتها ثم نزعت كيلوتها الغارق فى سوائلهما , وساقها الفضول لتتحسس بأناملها تلك الإفرازات , ووجدت نفسها تقرب الكيلوت من أنفها تنتشم مستكشفة تلك الرائحة , وأحست بأن هياجها يتأجج وأصبح جسدها جمرة مشتعلة .. غسلت الكيلوت وعلقته على المشجب , وحين خرجت من الحمام وجدت جدتها نائمة والسكون يغمر الشقة , فتنهدت شاعرة ببعض الراحة وزال توترها .. لا تدري مها نعمان ما الذى دفعها لتحمل التليفون الرمادى بداخل سلة من الخرزان من الصالة وتظل تفرد فى السلك حتى وصلت إلى السرير , ومددت جسدها ممسكة بالسماعة تدير القرص تطلب رقم سامى منتصف الليل , ومع سماعها لرنين الجرس تقافز قلبها مضطربا .. ماذا تقول إذا ردت عليها أمه أو أبوه وهل تطلب الحديث لسامى فى هذه الساعة المتأخرة ؟ .. طال الجرس وكادت تضع السماعة لولا أن أتاها صوت سامى هادئا

- ألو .. ألو .. ألو

بالكاد نطقت مها تقول

- أيوه يا سامى .. أنا صحيتك من النوم ؟

- لأ أبدا .. أنا نمت شوية بعد ما جيت من عندكم وقاعد دلوقتى سهران

- اصل كنت عاوزه اسألك النتيجة هاتظهر إمتى ؟

ضحك سامى بشكل أشعرها بسذاجتها أو بالأحرى أنه يفهم أنها لم تطلبه منتصف

الليل لتطرح عليه هذا السؤال , وأجاب سامى

- إحنا لسه مخلصين الإمتحانات النهاردة .. هى فى الغالب هاتظهر بعد شهر

تحاول مها أن تفتح بابا للحديث

- إنت بتعمل إيه ؟

- قاعد أقرأ
- وأنا كمان
- وبتقرى إيه ؟
- بماذا تجيب مها على هذا السؤال .. لا إجابة مما دفع سامى للضحك عاليا بشكل
- استفز مها لتسأل بغضب
- بتضحك على إيه ؟
- أجاب سامى دون أن تتوقف ضحكاته
- أصل باحس كثير إنك طفلة
- إزداد غضب مها وقبل أن تعترض تابع سامى كلماته
- ودى أحلى حاجة فيكى
- أعجبتها الجملة الأخيرة , فلتكن طفلة إذن إذا كان ذلك يعجبه لكنها أرادت
- الإستفسار , فسألت بصوت رقيق ناعم
- يعنى إيه ؟
- وكان سامى لم يسمع سؤالها الأخير ليسأل هو
- كنتى بتقرى إيه ؟
- سألها سامى وضحكاته تتعالى بلا إنقطاع وكأنه يريد أن يشعرها بأنه يعلم ماذا
- كانت تقرأ .. ردت مها بعد تنهيدة غاضبة وبنبرة مزمجرة
- فشتك عايمة النهاردة كده ليه ؟
- استلذ سامى بغضب مها الطفولى فعلت ضحكاته أكثر وأكثر ليندفع الدم فى نافوخ
- مها وتصيح
- إنت مستفز .. أنا غلطانة إنى كلمتك .. باى
- ولم تنتظر ردا وأغلقت السماعة .. علا حاجبها الأيسر وهى تهز ساقها اليمنى
- علاها تخفف من حدة غضبها , وسرعان ما رن جرس الهاتف لتلتقط مها السماعة
- بعد حين حيث لم تكن ترغب فى الرد , لكنها لم تستطع , وأتاها صوت سامى
- هادئا معتذرا
- أنا أسف يا مها
- طريقته الحانية فى نطق الإعتذار جعلها تهدأ قليلا وتقول
- وإيه اللى بيضحك كده ؟
- أبدا ولا حاجة .. أنا كنت قاعد أقرأ خواطر باباكي وعجبتنى جدا جدا
- قاطعته مها
- وبتتكلم عن إيه ؟
- لم يشأ سامى أن يخبر مها عن أن أباهما كان يعتقد الفكر الإلحادى , لأنه يعلم أنها
- قد تفهم الأمر على نحو آخر , فأجاب على سؤالها
- عن أمور فلسفية فى طبيعة الخلق والوجود
- عقل مها نعمان لا يستوعب مثل هذه المترادفات ورغم ذلك أرادت أن تبدو أمام
- سامى بأنها محبة للقراءة والتنقيف فقالت
- بعد ما تقرأها هابقى أقرأها

بعدها كان يوم الجمعة هو اليوم الذى تنتظره مها بفارغ الصبر لتحظى بالنزهة الأسبوعية بصحبة أبيها وأمها , بات يوما يبعث على إجتراح الذكريات , فيها هى تقف بداخل حجرة مكتب أبيها تنسق الكتب على الأرفف بداخل المكتبة الضخمة تنتسم رائحة أبيها من هواء حجرة المكتب وتذكر أمها لتفريق على صوت الجدة ينادى

- تعالى يا مها إنزلى هاتى حاجة نقدمها للضيوف لما يجوا
خرجت مها تسأل

- ضيوف مين ؟

- أبو سامى وعيلته

اسم سامى وحده كان كفيلا لأن تخرج مها لشراء ما يلزم لإكرام الضيوف اللذين حضروا وبعد الترحاب جلسوا فى الصالة .. الأستاذ رضا والد سامى الموظف الحكومى وابنته الكبرى التى تزوجت منذ خمسة أعوام بصحبة طفليها وكذلك ابنه المجند فى الجيش إلى جانب سامى ووالدته , وكان مبعث الزيارة الإطمئنان على الجدة التى إرتبطوا بها بجيرة حميدة إمتدت لسنوات عديدة أولا ومباركة نجاح مها وحصولها على الثانوية العامة بمجموع أقل كثيرا من المجموع المتفوق الذى حصل عليه سامى ثانيا .. ولا تفتأ الجدة تتحدث عن سامى ومها ومها وسامى فى مناقشة معلومة للجميع ليقول الأستاذ رضا

- إحنا خلاص حاجزين مها لسامى .. ربنا يكرمهم ويخلصوا تعليمهم عشان
نجوزهم لبعض

إنطلقت الجدة تعدد حسنات وفضائل سامى وفضله فى مساعدة مها على النجاح بعدما كادت أن تفقد العام الدراسى وتختتم ترنيمة المديح

- وهو احنا هنلاقى أحسن من سامى لمها .. دا احنا نوصلها لحد البيت

تنصت مها للحوار الدائر وهى تنظر إلى الأرض بخجل تسترق النظر لوجه سامى المبتسم بما ينم عن موافقته .. وبعد مغادرة الضيوف إستقبلت الجدة زميل ابنها الأستاذ جمال عبد المقصود الصحفى والأستاذ بكلية الآداب والذى كان يحرص على زيارتهم والإطمئنان على أحوالهم بين الحين والآخر برا بصديق عمره وزميله فى الأهرام صالح , وأشار الأستاذ جمال عبد المقصود على مها بالإلتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية تحت رعايته ليتمكن من تعيينها فى جريدة الأهرام بعد تخرجها لتسير على درب أبيها , وسعدت مها بذلك كثيرا وبعد مغادرة الأستاذ جمال أسرعت مها تتصل بسامى وهى تشعر بأن كلام أبيه اليوم بمثابة إعلان خطبتها لسامى ويجب أن تأخذ برأيه فى الكلية التى ستدرس بها وتعجبت مها وهى تسمع سامى يقول

- ما أنا كمان هاخش آداب

- بس إنت مجموعك يدخلك سياسة وإقتصاد

- لأ أنا حابب أدرس فلسفة

ضحكت مها تقول

- إنت ناقص .. كفاية الفلسفة اللي فى دماغك دى
- بادلها سامى الضحك وتابعت هى
- وهاتشتغل إيه بعد ما تتخرج
- مش مهم دلوقتى .. كل اللي هاممنى إنى أدرس فلسفة
- ردت مها تضحك
- أنا خايفة عليك م الفلسفة دى .. بس ع العموم بعد ما تتخرج يمكن الأستاذ جمال صاحب بابا يعينك فى الأهرام
- قاطعها سامى قائلا
- طب هو صاحب باباكي وزميله فى الجورنال .. هایتوسط ليا أنا ليه ؟
- ما أنت مننا وعلينا ومش غريب
- قالتها مها تترقب رد سامى الذى اكتفى بضحكة خافتة وحجب الصمت الأثير بينهما لثنانى , مما دفع مها لتقول
- مش باباك خلاص حجزنى ليك ؟
- ألقت مها سؤالها دفعة واحدة وقلبها ينبض مترقبا للإجابة التى جاءت
- أنا لسه صغير .. وهابقى أفكر فى الموضوع دا بعدين
- برد فعل طفولى ممزوجا بغضب أنثوى قالت مها مسرعة
- ع العموم ربنا يوففك .. سلام
- وقبل أن تضع السماعه , جائها صوت سامى مسرعا يقول
- مش قلتلك إنك لسه طفلة .. أنا باهزر معاكى
- وأنا مش باحب الهزار
- قالتها بنبرة طفولية بريئة جعلت سامى يضحك واستفزتها ضحكاته لتسأل بغیظ
- وبنبرة شاخطة
- بتضحك على إيه ؟
- بتر سامى ضحكاته وقال محتدا
- فى واحدة تشخط فى خطيبها ؟!
- كانت الكلمة الأخيرة تكفى جدا لتتبدل حالة مها وتغمر السعادة قلبها وتتلعثم قائلة
- خطيبى !!
- مجرد نطقها للكلمة ضاعف من ساعدتها وفرحتها وشعرت بروحها تهيم وهى
- تسمع سامى يقول
- مش خلاص بابا حجزك ليا , وأول ما نتخرج من الكلية هانتجوز
- كلمة الجواز ومشتقاتها تحمل سحرا خاصا لأية فتاة شرقية وخصوصا فى مثل سن مها نعمان التى هدا صوتها تماما تقول بنبرة فرحة متهللة ووجها مضیئا مشرقا
- وإنت بتعمل إيه دلوقتى ؟
- باقرا لحد ما أصحابى يعدوا عليا نروح السينما

- سينما !! .. يا بختك
- ما تيجي معايا
- هاينفع ؟
- آه .. بس لوحدنا
- ليه يعنى ؟
- عشان مش هاينفع تكونى وسط الشباب أصحابى
- نبرة الغيرة التى ملأت صوت سامى فى نطقه لجملته الأخيرة جعلها تتدلل قائلة
- وفيها إيه يعنى ؟
- لم يرد سامى وخشيت هى أن تكون أغضبتة فأسرت تقول
- ما هى أنا مش هاتوافق
- بترت جملتها وتداركت مسرعة
- ولا أقولك إستنى
- باعدت السماعه عن أذنها ونادت بصوت على
- أنا .. أنا
- حضرت الجدة من المطبخ لتسمع مها تتحدث فى التليفون تقول
- خد إنت قول لها
- قالتها وهى تناول السماعه لجدها قائلة
- سامى عاوز يكلمك
- وجد سامى نفسه محرجا لأنه يتوقع رفض الجدة وقال بنبرة مترددة
- كنت عايز أستأذنك يا أمى .. مها عايزة تروح السينما معايا
- وفوجئ بالجدة تقول
- أنا هاوافق عشان نجاحكم تخرجوا تنفسحوا .. بس ما تتأخروش
- ولو كان سامى طلب ذلك قبل ظهور نتيجة الإمتحانات لوافقت الجدة التى تسعد
- كلما إجتمع سامى ومها وتدعوا الله أن يجمع النصيب بينهما

حظيت مها بحماما دافئا وصففت شعرها أمام المرآة بالفازلين بمساعدة جدتها التى صنعت لها ضفيرة جميلة تجمع شعرها خلف رأسها , وارتدت مها بلوزة زاهية الألوان فوق الجبية السوداء التى تصل إلى فوق ركبتيها بقليل , وحين همت بالخروج إلى الصالة تنتظر سامى بادرتهما الجدة تستوقفها

- إستنى .. لسه

قالتها الجدة وهى تنجه إلى غرفتها تحضر بعض أدوات التجميل من دولاب والدة مها , وتقوم بطلاء شفاهها بأحمر الشفاه وتكحل عينيها , ونظرت مها فى المرآة لترى وجهها الفاتن الجميل وأنفها الصغير وجبهتها العريضة التى يزيدتها حاجبيها المزججان بخلقتهمما جمالا , وبدا فمها الرقيق كزهرة الياسمين والشفاه المطلية الحمراء الممتلئة مبعثا لسحر الشهوة وعينيها الجميلة الناعسة قد زادها الكحل إتساعا , وتأملت جسدها الممتلى بلا إفراط وصدورها البارز بإستواء والمجرى بين ثدييها لامعا من فتحة البلوزة .. ضحكت الجدة وهى ترى مها

تستدير وتلف رأسها تنظر الى مؤخرتها الطرية الممتلئة فى المرأة وتشد الجبية بيديها حول وسطها لتتأكد من تناسق مؤخرتها مع جسدها المثير , وقالت الجدة وسط ضحكاتها

- الحركة اللى عملتها دى بتفكرنى بالمرحومة أمك .. منين وكانت تقف قدام المرايا إلا لما تلف وتبص على طيزها فى المرايا ضحكت مها من كلمات جدتها التى واصلت
- ما شاء الله يا بنتى طالعة شبه أمك
- قالتها الجدة بنبرة حزينة دفعت مها إلى الحنين لأمها الراحلة وقبل أن يمسسها الحزن , كان صوت جرس الباب يعلو لتصيح الجدة
- ياللا أهو سامى جه

لم يبتعد سامى ومها كثيرا يتمشيان على سور كورنيش النيل , وبادرت مها بإمساك يد سامى الذى ابتسم لتقول مها

- مش إنت خطيبى ؟

أحكم سامى تشبيك أصابع يده بأصابع كف مها الصغير وسارا يتحدثان عن مستقبلهما فى الجامعة حتى وصلا إلى سينما فاتن حمامة التى كانت تعرض فيلم إحترس نحن المجانين بطولة ناهد شريف وصفاء أبو السعود وصلاح السعدنى وسعيد صالح ويونس شلبي , ودخلا حفلة السادسة .. كان من الطبيعى مثل كافة الأفلام فى تلك الحقبة أن يعج الفيلم بعدد المشاهد الساخنة , ولكن ليس من الطبيعى أن تتابع مها فيلما آخر غير المعروض على الشاشة .. فيلم بطلته الفتاة التى تجلس ملاصقة لها على اليمين بالصف الأخير فى البلكون بينما سامى على يسار مها ملاصقا للحائط .. تسترق مها النظر بطرف عينها تتابع الموقف أولا بأول منذ أن وضعت الفتاة رأسها على كتف رفيقها وتمكنت مها من رؤية الفتاة تمنح شفاهها لرفيقها ينعم بقبلة سريعة قبلما يهدأ الوضع تماما عند اقتراب عامل السينما حاملا الكشاف الصغير المضى , ولما ابتعد وجدت مها الوضع قد اشتعل حين مد الفتى يده داخل فتحة بلوزة الفتاة على صدرها .. تشعر مها أنها تحتقر تلك الفتاة وتحسدها فى نفس الوقت , وتزامن ذلك مع مشهد رقص ساخن فى الفيلم ورأت سامى ممعنا فى المشاهدة فخطبت ركبتة بركبتها ومالت عليه تهمس

- غمض عينك يا قليل الأدب

- ضحك سامى ورد عليها
- إنتى هاتغيرى من أولها
- أغير من إيه .. دى حتى مش عارفة ترقص
- قالتها مها والغيرة ترسم على وجهها وسألها سامى
- إنتى بتعرفى ترقصى
- أحسن منها
- وتعلمتى فين ؟
- دى حاجات ما بتتعلمش

- إبقى ورينى بعد كده .. وأنا أحكم بنفسى
ضحكت مها وعادت تتابع ما يحدث بجوارها لترى أن جارتها استغلت فرصة
إنشغالها بحوارها مع سامى وسحبت جيبتها القصيرة لأعلى ليتمكن رفيقها من
العبث بيده فيما بين فخذيه .. أفلتت شهقة من مها ووضعت يدها على فمها
ومالت مسرعة على سامى تقول

- إلحق الإنتين اللى جنبنا بيعملوا إيه ؟
حاول سامى إستكشاف الوضع دون أن يلاحظه أحد فلم يتمكن وسأل مها
- مش شايف حاجة .. بيعملوا إيه ؟

لم تجد مها إجابة تقولها .. وألح سامى فى السؤال
- إيه بيعملوا إيه ؟

أجابت مها بضحكة خافتة ثم مالت تهمس لسامى

- بيعملوا حاجات مش كويسة

- أيوه .. بيعملوا إيه يعنى ؟

خفضت مها صوتها لأدنى مستوياته ونطقت بهمس خفيض

- حاظط إيده تحت الجيبة بتاعتها

حاول سامى أن يرى الحدث وسط ظلام القاعة ولم يتمكن فهمس لمها

- أوصفيلى حاظط إيده فين بالظبط عشان مش شايف

تتهدت مها وقالت

- لأ ركز فى الفيلم أحسن

رد سامى

- ولا أقولك .. ما تيجى نعمل زيهم

- بس يا قليل الأدب

النبرة والطريقة التى نطقت مها بها الجملة كانت تستحث سامى على أن يفعل ..

بالفعل مد سامى يده يضعها على ركبة مها التى زامت وأمسكت بيد سامى تبعتها

عن ركبته , لكن إعتصارها لكف سامى إثناء الإمساك بيده جعله يعيدها ولكن

على فخذها فوق الجيبة .. تمناع مها وهى راغبة وتبعد يد سامى التى تعود

متشبثة , فتتنهد مها فى دلال وكأنها مغلوبة على أمرها تاركة يد سامى التى

تزحف حثيثا لأعلى تدغدغ جلدتها وشعرت مها بغريزتها تصبو .. رنت مها

بعينها ترى حالة سامى فوجدته يهرش قضيبه من فوق البنطلون وزادها ذلك

إثارة .. لكنها أسرعت تتشبث بطرف الجيبة التى حاول سامى تسليحها لأعلى

وهمست بصوت مفعم بالدلال

- إيه هاتعمل إيه ؟

حالة سامى لم تكن تسمح له بالرد , فلهاثة الظاهر ونظرات الشهوة التى تلمحها

مها فى عينيه على إضاءة شاشة القاعة الخافتة , كانت تحمل الإجابة , ورفقت

مها بحاله تاركة الجيبة لتتزعزع بيد سامى لأعلى , وما أن شعرت مها بأصابع

يد سامى تداعب أعلى باطن فخذيه إلا وتبللت وشعرت بهبو من الصهد يكتنف

وجهها وتملك من رأسها دوار لذيذ .. اهتاج سامى بشدة حين لامست يده كيلوت

مها ولم يدري بعدها بما حوله , فاندفع يختطف قبلة من فمها والتي كانت قبلة بكر
دفعت بالجسدين إلى هاوية الشبق , ويفيقا مذعوران على ضوء الكشف فى يد
عامل السينما وهو يقول

- بعد إذنك يا أستاذ تعالى إنت والآنسة اللي معاك
بخطوات مرتبكة مرتعشة والإضطراب يحملهما سارا خلف العامل يخرجان من
القاعة إلى مكتب مدير السينما , وقال العامل
- الأستاذ والآنسة عاملينها ماخور ونازل تفعيص فيها و....
قاطعه سامى محتدا

- دى خطيبتي
رد مدير السينما بإبتسامة ساخرة
- لأ طالما خطيبتك يبقى إحنا اللي غلطانين .. حقك علينا يا ابنى .. خد خطيبتك
وتفضلوا ع الكنبه دى كملوا اللي كنتوا بتعملوه جوا
قالها وهو يشير إلى الأريكة الجلدية الموجودة أمام المكتب , ولم يعقب سامى ,
فواصل المدير

- بطايكم لو سمحتم
يحاول سامى مرتبكا متلعثما النطق بأية كلام .. بينما مها تقف بعيون دامعة تنظر
إلى الأرض تحاول ألا تبكى وبنبرة أمرة بصوت أجش
- بطاقتك يا كابتن إنت وهى ؟
تناول المدير البطاقتين الورقتين بداخل حافظتين من البلاستيك وقال
- وإنتوا طلبة فى سنة كام
- رايحين أولى جامعة

خفض المدير من حدة صوته وهو يقول
- السينما دى محترمة .. مش زى سينيمات تانية .. لما تعوزوا تعملوا الحاجات
دى تبفوا تروحوا تحت تانية .. دا فعل فاضح فى مكان عام وأنا المفروض ما
أخليكوش تمشوا من هنا إلا لما تتصلوا بأولياء أموركم يجوا يخدوكم
صمت يرنوا إلى وجه مها التى أجهشت بالبكاء ولطخ الكحل المنساب مع الدموع
ما حول عينيها , وانتهى الأمر بكلمات مدير السينما وهو يناولهما بطاقتيهما
- اتفضلوا بره وما تجوش السينما دى تانى

مع عبورهما الباب , أخرجت مها المنديل تمسح وجهها وبعدها ابتعدا بضعة
خطوات , انفجر سامى ضاحكا وتبعته مها تضحك عاليا وهو يقول

- كده فى أول خروجة لينا
قالها وأمسك بيد مها يتمشيان على الكورنيش وافترشا الحشائش الخضراء إلى
جوار السور الحديدى للنيل وقالت مها
- كان زمانا فى بوليس الآداب دلوقتى
- ولا يهمننا إحنا مخطوبين
- وهما المخطوبين بيعملوا كده فى مكان عام

- لأزى الرجال ما قال .. فى سينيمات تانية فيها كده .. نبقى نشوف واحدة منهم ونروحها
- ضحكت مها وأمسك سامى بالمنديل يمسح ما علق بوجهها من بقع الكحل ينظفه برقة وهو يقول
- شكلك جميل أوى النهاردة
- تهلل وجه مها من إطراء سامى وأخذت من يده المنديل قائلة
- بس إنت ما حرمتش .. الناس اللي قاعدة حوالينا بتبص علينا
- تلقت سامى حوله ثم نهض قائلاً
- تعالى
- على فين
- لم يجيب سامى وأوقف تاكسيا يقلهما مسافة صغيرة حيث كوبرى عباس , ونزل سامى يمسك بيد مها متجها إلى مساحة خضراء من الحشائش موجودة عند نهاية الكبرى , واندھشت مها بمجرد دخولها حيث لم تكن تتوقع ما تراه .. فتيان وفتيات فى أوضاع حميمة بين هادئة وملتهبة يعج بهم المكان وصاحت
- إيه دا ؟
- دا بقى يبقى وكر الحبيبة
- وإنت عرفت المكان دا منين ؟
- باسمع عنه من أصحابى
- قالها سامى وألقى بنفسه على الحشائش ممدا على ظهره وجلست مها إلى جواره وهى ترقب الولد والبنت المتعانقين فى الظلام بالقرب من شجرة كثيفة , واعتدل سامى يحيط زراعيه حول ركبتيه جالسا يقول
- أنا مبسوط لأنك معايا النهاردة
- فرحت مها وأجابت مسرعة
- وأنا كمان
- فى حاجة كنت أخذت عهد على نفسى إنى ما اتكلمش فيها مع حد أبدا .. بس عايز أحكيلك عليها
- أحست مها بأنها باتت موضعاً لثقة سامى فى أن يحكى لها ما لا يريد أن يحدث فيه أحد وأنصتت إليه بجوارحها وهو يقول
- أنا اخترت أدرس الفلسفة عشان فيا حاجة مش قادر أعيش من غيرها .. التفكير .. دايماً أقعد أفكر فى حاجات كتير رغم إنى عارف إن مافيش فائدة من تفكيرى ده .. بس باكون مستمتع بالتفكير زى إستمتاعى بالقراءة
- ظل سامى يحكى لها عن شطحاته الفكرية , وحكى لها عن جدالاته فى مسائل دينية تسببت فى أن يكون مثارا لسخرية الصحاب وعزمه على ألا يتحدث مع أحد , ولما لمح فى عيني مها نظرات مستريية قال
- شكل كلامى خلاكى تخافى منى ؟
- تلعثت مها وهى تجيب

- لأ أبدا .. بس ليه ما تبقاش عايش سنك .. إيه اللي بيخايلك تفكر كده
- زى ما قلت لك ببقى مستمتع
- تعرف إيه أكثر حاجة بتشدنى ليك
- إيه ؟
- إن تفكيرك وحبك للفلسفة بيفكرنى ببابا الله يرحمه
- تنهد سامى وهو يسألها
- وهو أنتى عارفه ؟
- عارفة إيه ؟
- باباكي كان ملحد
- الكلمة الأخيرة جعلت وجهها يتجهم لأن معنى تلك الكلمة بالنسبة لها لا يتعدى كونها وصفا لكافر مصيره العذاب الأليم فى نار جهنم وبئس المصير .. لكن سامى أخذ يشرح لها حرية الإنسان فى التفكير وإختيار معتقداته الغيبية دون المساس بالقيم المجتمعية , وأن إعجابه بعقلية أبيها قد ازدادت بعدما قرأ خواطره فى فلسفة الوجود وأخبرها أنه لا يستطيع أن يرفض وجود الله , لكن ثمة أمور كثيرة فى حاجة إلى تفسير .. لم تكن مها نعمان تفهم ما معنى عدم قناعتة الكاملة بالنصوص الدينية ورفض الكثير منها وفى نفس الوقت لا يستطيع رفض وجود الله .. وقالت
- بعد ما تخلص الأجندة دى أنا عاوزة أقرأها
- أنا صورتها و عملت نسخة منها عندى وهابقى أرجعلك الأجندة صمت وتابع
- وإنتى بأه بتحبى تقرى فى إيه ؟
- ترددت مها قليلا لكنها فضلت الصراحة
- بصراحة أنا مش زيك بحب القرابة كثير
- بس إنتى قرىتى الكتاب اللي نصحتك ماتقرهوش
- قالها وهو يضحك لتضحك مها على إثره تقول
- قرىت فيه شوية وبعد ما كلمتك يومها ما كملتهوش
- ليه ؟
- أصله بيوصف أوضاع الجماع بين الرجال والست بتفاصيل وألفاظ أبيض
- بترت كلمتها الأخيرة وسرعان ما احمر وجهها خجلا ليبادر ها سامى مستفسرا
- ودا بيضايقك
- صمنت مها واكتفت بابتسامة خجلة جعلت سامى يلح قائلا
- إحنا خلاص حياتنا بقت واحدة ومافيش بينا كسوف .. ولازم نبقى إحنا الإثنين واحد
- ترددت الجملة الأخيرة على مسامع مها وأسعدت قلبها وحاولت التغلب على حيائها وهي تهمس بصوت مبجوح
- هى مش بتضايقنى .. بس بتخايلنى

صممت تنظر إلى السماء مفكرة وهي تزعم شفيتها المثيرة في منظر جعل سامى يشعر بإثارة فقال مسرعا

- بتخليكى هايجة ؟

قالها ثم تضايق من الكلمة حين رأى تأثيرها على وجهها التى أشاحت بوجهها دون أن ترد وأردف هو

- بتثيرك جنسيا يعنى

- أه

بالكاد نطقتها وهي توما برأسها وتعوض شفيتها ليوصل سامى

- وتعملى إيه بعدها ؟

علا صوت مها وهي تقول

- إيه مالك النهاردة ؟

- أصل انا أول مرة أحس بإثارة جنسية قوية لما كنا فى السينما .. ما تعرفيش

البوسة عملت فيا إيه .. البنطلون كان هاينفجر

ضحكت مها بحياء شديد وسكبت جملة خرجت ببراءة وتلقائية

- ما أنا خدت بالى

- خدتى بالك إزاي ؟

سألها سامى وتحاول مها أن تتغلب على حياء أنوثتها الفطرى وهي تقول

- كنت شايفاه واقف

ضحك سامى عاليا وهو يقول

- ما أنتى بتخدى بالك كويس أهو

امتعض وجه مها وأشاحت بوجهها لتسمع سامى يقول

- مش اتفقنا إن حياتنا خلاص بقت واحدة ومافيش بينا كسوف فى أى حاجة

مصطلح الحياة الواحدة التى باتت تربط حياتها بحياة سامى كان يجعل مها تشعر بفرحة غامرة , لكنها فى نفس الوقت تحاول أن تتغلب على حياء الأنثى الفطرى

حين يصبح الجنس هو محور الحديث بين شاب وفتاة ولأول مرة .. لذا قالت

- أنا كان هدفى من قرأيتى للكتاب إن أعرف هو بيتكلم عن إيه .. لإنى

ماعنديش معلومات فى الجنس خالص .. بس لقيت نصوص الكتاب بتثيرنى

وبينزل منى إفرازات بتخلينى عاوزه

بترت كلماتها ليضحك سامى ويقول

- أنا عمرى ما عملت العادة السرية اللى بيقولوا عليها دى وعمرى ما شفت

أفلام ثقافية .. كل فترة باحتلم وأنا نايم لما أشوف حلم مثير , وآخر مرتين

كنتى إنتى اللى معايا وحصل حاجات كثيرة

ابتهجت مها سعيدة لأنها باتت شريكة سامى فى أحلامه وقالت ضاحكة

- وكنا بنعمل إيه فى الحلم ؟

- قصة الحلم ما كانتش واضحة بس مش عارف إيه اللي جابك عندنا على سريرى وكنت قاعد أبوسك وبعدين حصل اللي حصل وصحيت من النوم وأنا باحتلم وكان أول مرة ينزل منى كمية سائل منوى كتيرة كده

بدأ دبيب الإثارة يدغدغ جسد مها وظهر ذلك جليا على وجهها مقروءا لسامى الذى سألها

- وإنتى ما حلمتيش بيا قبل كده ؟

- مرة واحدة .. يوم ما خلصنا الإمتحانات قاطعها سامى ضاحكا

- دا اليوم اللي كنا فيه فى أوضة المكتب ساعة الكتاب صح ؟

أومأت مها برأسها بإيمائة حملت معانى الدلال والأنوثة جعلت سامى بيتسم قائلا

- دا الكتاب سره باتع بأه

- لأ ماكنتش لسه قرитеه .. كنت بافكر يومها فى إنى مش هاشوفك كل يوم بعد الإمتحانات ما خلصت ومش هنذاكر مع بعض .. وساعتها حصلت ليا حاجة غريبة فى الحمام وأنا باستحمى

- إيه اللي حصل ؟

وجدت مها نفسها منساقة فى وصف ما حدث لها فى الحمام , وأوضح لها سامى أن ذلك ما يسمى بالأورجازم وقد قرأ عنه فى كتاب بلا غلاف ولا عنوان كان قد إشتهر مع مجموعة كتب من الأزبكية .. وقالت مها

- شكلك كمان متقف فى المسائل دى .. عايزة أسألك فى حاجة ؟

سحبت مها نفسا عميقا وترددت كثيرا جدا فى طرح السؤال , مما دفع سامى لتشجيعها قائلا

- نفسى يجى اليوم اللي ألقى بتقولى اللي عاوزه تقولىه من غير ما تترددى كده .. اعتبرى أنى أنا أبقى إنتى .. كأنك بتحكى لنفسك مش شخص تانى

تشجعت مها وهى تسأل

- هو كل واحدة لما بتوصل للأورجازم ده ما بتقدرش تمسك نفسها

- قصدك إيه ؟

تنهدت مها وهى تقول بصوت عميق وكلمات ممطوطة

- مش عارفة أقولك إزاي

حين رأت مها الضيق على وجه سامى لأنها لا تبوح بما يعتمل بداخلها خجلا , سكبت جملتها دفعة واحدة

- أصل أنا ماقدرتش أمسك نفسى و عملتها على روى

ضحك سامى عاليا مستلذا وقال

- دى عشان كانت أول مرة ليكى والإنقباضات القوية لعضلات الحوض خلينك ما تتحكميش فى البول يا أم شخة

ضحكت مها ثم قالت بغضب مدلل

- طب مش هاحكيلك حاجة تانى

- باهزر معاكى
- تنهدت مها ثم قالت
- أول ماقرريت فى كتاب نواضر الأيك فى معرفة الذ
- بترت الكلمة خجلى قبلما تسمع سامى يقول
- النيك
- فتابعت هى
- كنت حاسة إن جسمى كله سخن أوى , والإفرازات بتاعتى بتنزىل منى ..
- عشان كمان الحلم اللى حلمته وإنتم معايا كان مخلىنى كده
- صممت تفكر فى كلمات تعبر بها عما كانت تحس به يومها وقالت
- مش عارفة كنت حاسة إنى فى حضنك .. المهم هرشت تحتيا من فوق الهدوم
- قاطعها سامى
- كنتى لابسة إيه ؟
- قميص نوم
- ها وبعدين
- حصل معايا تانى الموضوع ده
- شخيتى على نفسك ؟
- بس يا مقرف
- ضحك سامى وهو يسمعها تتابع
- لأ رحت الحمام بس مش كنت قادرة أمسك نفسى خالص

حالة من الشهوة المتأججة شحنت الأثير بينهما من جراء الحديث الدائر , وأصق سامى جسده بجسد مها ليشعر بحرارة جسدها فتنتفض غريزته .. بينما تشعر هى بدفع جسده فيتملكها دوار لذيد ممتع جعلها لا تعى كيف وصلت يد سامى إلى باطن فخذها وأفاقت على ملمس شفتاه على شفتيها , وفزعت تنظر حولها خشية أن يكون هناك من يراها , لكنها وجدت ما يحدث بينها وبين سامى لا يرقى لما يحدث حولهما من الفتیان والفتيات , فأودعت شفتيها الشهية لقم سامى يقبلها ويمتصها وتبلل ما بين فخذيها فضمت فخذيها بقوة تنبه لها سامى وقال

- إيه أخبار المسائل تحت ؟
- ردت مها بضحكة مائعة مثيرة وقبلما يعاود سامى الكرة , نظرت فى ساعتها وشهقت فزعا حين وجدتها قاربت منتصف الليل وصاحت مذعورة
- الساعة داخلة على اتناشر
- وإيه يعنى ؟
- يعنى إن أتأ مش هاتخلىنى أخرج ولا حتى معاك تانى
- نهضا سويا وأسرعنا الخطا يعبران كوبرى عباس ولم يمضى الكثير من الوقت حتى كانا بداخل مدخل البيت , وأبى سامى أن يودع مها إلا بقبلة ساخنة أمام باب الشقة الذى إنفتح بعدما سمعت الجدة الهمهمات خارجه , ورغم أنها رأت ما كانا يفعلانه إلا أنها تصنعت العكس وقالت

- كده تتأخروا كل ده , وتوغشوا قلبي عليكم
اعتذر سامى عن التأخير وغادر منصرفا .

تناولت مها العشاء واستحمت وهى تشعر بنشوة فائقة وخرجت لتجد جدتها قد
دخلت غرفتها لتنام , وقبلما تتمدد على السرير سمعت جرس الهاتف فى الصالة ,
أسرعت ترفع السماعه حتى لا تستيقظ جدتها على صوت الجرس لأن قلبها
يحدثها أن المتصل سامى
- استنى يا سامى هاخذ التليفون الأوضة

ممددة على السرير بقميص نومها وأتاها صوت سامى مبتهجا

- إنبسطتى معايا
- كثير
- بتعملى إيه ؟
- اتعشيت وخذت حمام وهانام .. وإنى بتعمل إيه ؟
- هانام بس كنت عاوز أسمع صوتك قبل ما أنام
- مش هاتقرا لحد ما تنعس
- لأ جسمى مسترخى خالص بعد اللى حصل لى وأنا باستحمى من شوية
- سألت مها بصوت خفيض مبجوح
- وإيه اللى حصل لك ؟
- ماقدرتش أقاوم جمالك وأنا باتخيل اللى حصل بينا , ولقيت المسائل على
آخرها ويدوبك لسه باشطف الصابون من عليه , إلا ولقيته راح منزل
- ضحكت مها بميوعة ودلال وقالت
- إنت قليل الأدب
- ضحك سامى من طريقتها المثيرة فى نطق الجملة وقال
- ما أنتى السبب .. إنتى اللى خلتنى أوصل للمرحلة دى .. جاية تخرجى معايا
وحاطة روج واللى عملناه فى السينما وفى الجنية
- خلاص بلاش نعمل كده عشان ما تتعيبش
- قالتها بصوت مفعم بدلال أنثوى مثير وتقصد إغاظه سامى الذى رد ضاحكا
- وأهون عليكى
- أنا عمري ما عملت حاجة كده غير اليوم اللى حكيت لك عنه وبعدها حسيت
إنى عملت حاجة وحشة وكنت متضايقه
- وليه يعنى .. الجنس غريزة زى الأكل وأقوى والمفروض نشبعها
- لما نتجوز
- ما إحنا خلاص متجوزين .. فاضل الورق يكتبه المأذون بعد ما نخلص دراسة
- ضحكت مها بميوعة تقول
- دا أنت فعلا تعبان وعلى آخرك

- فعلا .. وعاوز دلوقتى آجى أنام فى حضنك
- طب تعالى
- أنا مجنون وأعملها
- ضحكت مها بخفوت واستمر الحوار اللذيذ بينهما لساعتين وينتهى بقول سامى
- أنا هاخذك فى حضنى وأنام
- وأنا كمان
- طب هاتى بوسة
- ما أنت هاتخذنى فى حضنك .. إعمل اللى إنت عاوزه
- حاضر .. أمووه .. تصبحى على خير
- وإنت من أهله
- وقبل أن يضع السماعة تصنع سامى الزعل وقال
- إخس عليكى .. كده من غير بوسة
- ضحكت مها وأرسلت قبلة عبر سلك الهاتف وسمعت سامى يقول
- إيه ده ؟ .. مافيش حاجة جت
- تنهدت مها تقول
- يوه بأه
- ثم أرسلت قبلة طويلة منغمة وأعقبها مسرعة
- تصبح على خير

تمطعت مها تصدر أنينا منغما ينم عن سعادتها والنشوة التى تشعر بها , وقامت بتشليح قميص نومها لما فوق عانتها لتحس مها لأول مرة فى حياتها بمذاق مختلف لنصفها السفلى العارى .. مررت أصابع يديها تستكشف كسها بمذاق جديد تحسه لأول مرة .. لاحظت الفرق الذى يحدث فى بظرها عند تدليكها بأصبعها حيث يتصلب ويسبب إرتعاشة لذيدة تتملك جزعها كلما مر أصبعها عليه .. فكانت تشعر حين تقبض على قمرها المنتفخ بين فخذيهما كقنفذ صغير بأنه صديق حميم ملتصق بها , وتربت عليه بكفها مستنيمه لإحساس طاغى باللذة , ثم تقبض عليه كاملا بكفها تعتصره ليزرف سوائله اللزجة محدثا صوتا أثيرا جعلها تبسّم وتضحك بخفوت .. وكأنها طفلة تلهو بدميتها ظلت مها تلهو بكسها , تهدده تارة , وتعتصره تارة , بعدما تخلصت من إحساسها بأن العبث فى نفسها لإستقطاب اللذة هو أمر آثم مدنس بعد حديثها مع سامى .. وانتهى فكرة لتختبر حب سامى لها حيث قامت بنتف شعرة من شعر عانتها تردد فى سرها : بيحبنى , ثم تنتف شعرة أخرى مرددة : ما بيحبنيش , لكنها لن تصل للنتيجة بسبب ألم نزع الشعر رغم كونه ممزوجا بمتعة تدفعها إلى حالة فريدة .. وصلت مها إلى حالة لم تعد معها تعباً بشئ , حتى ولو دخلت جدتها ورأتها على هذا الوضع , ولتكتمل المتعة نزع قميص نومها لتصير عارية تماما ملقاة على الفراش , وجسدها المتوهج

بالشهوة يتصعب عرقا بفعل ما هي فيه إلى جانب هواء الغرفة الحار , ولمحت
بطرف عينها تلك المروحة التي حصلوا عليها تعويض عن ضياع المال الذي
إستثمره أبوها فى شركات الريان .. قامت تدير المروحة وتوجهها ناحية السرير ,
ثم تستلقى مجددا , لتشعر بهواء المروحة أشبه بسهما صغيرة ترشق جسدها
العارى وهى تفتح شفراتها بيديها وتعصرهم بأصابعها .. باتت مها أشبه بسكير
مخمور أو بمن تعاطى مخدرا ممتعا لذيذا يبعث على النشوة , فإنطلق خيالها ينسج
مشاهد جنسية تجمعها بسامى تشعر بلمس جلده وقبلاته لشفتيها , ولأنها لم تشاهد
من قبل مشهدا جنسيا حقيقيا , عجزت فرشاة خيالها عن رسم صورة واضحة
المعالم .. حيث يستقى خيالها المشاهد من الأوضاع التي قرأتها فى الكتاب .. ألقى
وعيا المخدر لعقلها بفكرة إبتسمت لها وإفترجت شفتاها وهى تدير جسدها
موجهه كسها تجاة المروحة , وما أن رشق الهواء المندفع منطقة ما بين فخذيهما ,
حتى إنقبض فخذاها بعنف منغلقة على قمرها الساطع الليلة كبدر يزين السماء ,
وسرت فى جسدها دغدغة جعلتها تضحك بشبه هيستريا غير عابئة بشئ .. هنا
إكتشفت مها شيئا , حيث وجدت أن المنطقة العليا على يمين بظرها تسبب لها
متعة أكبر كلما دلكتها بقوة , إعتادت على دغدغة هواء المروحة المنعش وأصبح
كسها باردا من الخارج لكنه حاميا يغلى من الداخل .. عكفت أصابع يدها اليمنى
تدلك المنطقة المثيرة بقوة تستحث المزيد والمزيد من اللذة .. تتخيل سامى بين
فخذيها وتدخل معه فى نوبة ممحونة وجسدها كله محتقنا عن آخره .. ضمت
فخذيها بقوة على صدرها تحيط بزراعيها ساقياها تستشعر قضيب سامى يخترقها
بينما شفتاه تلثم شفتيها كوضع الإستلقاء الذى قرأته فى الكتاب , ثم باعدت بين
فخذيها وهوت تدلك بظرها ويمينه بسرعة مجنونة , وصوت لهاتها أعلى من
صوت المروحة ..

وفجأة دون سابق إنذار تشنج جسدها وإنضم فخذاها على بطنها ليرتفع جزعها
يرتعد , وأفلتت من فمها صرخة كادت توقظ جدتها .. لكن الأدهى من ذلك كله هو
فشل مها فى مدافعة البول الذى إندفع بقوة يغرق السرير وينسال على سجادة
الحجرة .. كان مشهدا مضحكا ونحن نرى مها نعمان تمد يدها محاولة غلق فتحة
بولها لمنع البول من الإنهمار , ولكن هيهات لأن الأعصاب قد إنشغلت فى
الإحساس باللذة العارمة وفقدت فى هذه اللحظات وظيفتها فى التحكم فى عضلات
تلك المنطقة , لذا لم يكن هناك عصب واحد يمكنه أن يغلق مثانتها الآن , فما بالنا
إذا كان ذلك الأورجازم نتاج إثارة تراكمية بدأت منذ أن كانت جالسة جوار
سامى فى السينما وظل يتوهج على مدار ساعات , حتى إنفتح القمقم وجائت
لحظة الإنطلاق .

تماما كمن يحيا فى حلم ممتع جميل ثم يتحول إلى كابوس مزعج فى نهايته
فيسنابق كالممسوس .. كان هذا هو حال مها نعمان وهى تقوم وركبتيها تصطك
ببعضهما لا تقدر على الوقوف بسبب جسدها الذى تخدل بعد الأورجازم العنيف
.. تتلقت حولها وهى ترى بولها قد لوث السرير والسجادة ولا تزال بضع قطرات

تتقاطر مناسبة على باطن فخذها المرتعشة .. تقلصت عضلات وجهها ودمعت
عينها وهي تلمم وجهها خفيفا .. تضع يدها على فمها حتى لا يرتفع صوت
بكائها .. الحلم الجميل تحول إلى كابوس مروع .. إحتاجت مها لدقيقة واحدة من
الزمن لتتمكن من الوقوف منتصبه على قدميها التي خف إرتعاشها .. مطأطأة
الرأس واضعة كفيها على وجهها ترنو إلى الباب وقلبها يضرب ضلوعها بعنف
تشعر بأنها طفلة تبولت على نفسها منتظرة أن تدخل جدتها عليها فتكتمل الفاجعة
.. بدأ عقلها يهدأ وخبث دقات قلبها رويدا .. تناولت قميص نومها وجففت
دموعها وسوائل أنفها ثم مسحت باطن فخذها وجففت كسها وبالكاد هداها عقلها
إلى التصرف المنطقي , حيث نزعته ملاءة السرير وجمعت ملابسها وتسللت
على أطراف أصابعها عارية إلى الحمام .. نظفت أثر البول بالماء والصابون ثم
وضعتهم فى الغسالة .. إغتسلت وعادت لغرفتها لتدرك أن مرتبة السرير
والسجادة تفضح أمرها .. كابدت لتدارك الأمر بالماء والصابون , وقلبت المرتبة
بمعاناة على الجانب الآخر ليختفى الأثر الملوث تحتها .. ولا تدري لماذا أسرع
تتصل بسامى فى الثالثة فجرا , لربما كان مستيقظا ؟

بعدها أدارت مها نعمان قرص التليفون بجوارها على السرير , وبمجرد أن أتاها صوت الجرس حتى وضعت السماعة خشية أن يتسبب ذلك فى إيقاظ وإزعاج والدي سامى , وعادت تتمدد على سريرها متجهمة تفكر فيما حدث .. تأكدت من أن عدم قدرتها على التحكم فى مثانتها ومدافعة البول مرتبطة إرتباطا وثيقا بوصولها للأورجازم , وكان من المنطقى أن يسوقها خيالها إلى ما سيحدث عندما تتزوج سامى .. نفضت رأسها تزيح الهواجس جانبا وهدأ بالها وهى تحادث نفسها بأن ذلك إنما لأنها تحظى بالأورجازم فى مراته الأولى ولن يستمر بالقطع , وربما يحدث ذلك مع كل أنثى فى مراتها الأولى , لكن فطرتها أبت أن تتقبل ذلك حيث كانت تشعر أنها تعاني من خلل ما .. أفأقت من شرودها على صوت جرس التليفون , وأسرعت برفع السماعة لتلتقط أذنها صوت سامى يقول

- إنتى اللى رنيتى دلوقتى
- آه

- قلبى دليلى .. كنت صاحى ولما سمعت رنة التليفون قلبى قال لى إن إنتى اللى بتتصلى
تنهدت مها تقول

- وإنت إيه اللى مصحك لحد دلوقتى ؟
- من ساعة ما قفلت معاكى وأخذتك فى حضنى ننام سوا مش عارف أنام ..
عاوز أغمض وأفتح ألقاى معايا بجد
صوت ضحكة مها جعل سامى يسأل
- مش ضحكك دى .. مالك ؟
- أبدا .. لقيت مش جايلى نوم فقلت أشوفك صاحى ولا لأ .. وبعدين خفت
أعملكم إزعاج
سحب سامى نفسا عميقا وقال
- مmmmmmmmm .. أراهن إنك كنت عاوزه تقوللى حاجة ورجعتى فى
كلامك

لم تجد مها شيئا لتقوله
- لا أبدا

- ع العموم براحتك .. مع الأيام لما تقربى منى أكثر هتقوللى على كل اللى
بيشغل بالك

- اصل فى حاجات ما بتتقالش

- دا لما يكونوا إثنين مش واحد زينا

لحظات من الصمت قطعتها مها تقول

- أصلها حاجة مضايقانى أوى .. ومش عارفه أحكيك إزاي .. لدرجة إنى
فكرت أروح لدكتورة بس مش عارفة أقول لها إيه ؟

إنتظرت كلمات سامى ولم تتلقى منه شيئا , ومرت لحظات أخرى من الصمت
قطعتها مها تقول

- بعد ما قفلت معاك .. أخذتك فى حضنى ننام سوا وبعدين حسيت كده
بحاجة

صمتت لحظات ثم قررت المتابعة

- أصل النهاردة من ساعة ما خرجنا مع بعض
صمتت مجددا ثم تابعت

- عملت بإيدى ولما وصلت للبتاعة دى اللى إنت قلت لى عليها .. اسمها إيه
؟

جائها صوت سامى يقول

- الأورجازم

- آه .. مع الأورجازم ده .. جسمى كله اتخدل و

لحظات من الصمت من جديد , لكن هذه المرة قطعها سامى يقول

- عملتيها على نفسك

- إم

كان ذلك جواب مها تصديقا لسامى الذى تنهد بصوت مسموع وقال

- فعلا حاجة ما تتقالش .. مش عارف أقولك إيه .. وبعدين كمان أنا كده

هاراجع نفسى .. ماهو مش معقول لما نتجوز تعمليها عليا وتغرقينى وتغرقى

السريير وتبهدى الدنيا

رغم إدراك مها للنبرة المازحة فى صوت سامى , إلا أن وقع كلماته عليها كان

قاسيا ودمعت عيناها دون أن تثبت بكلمة , ويواصل سامى

- إيه رحتى فين ؟

جائه صوتها مخنوقا باديا أنها على وشك البكاء

- معاك

فما كان منه سوى الضحك عاليا يقول وسط ضحكاته

- فعلا إنتى طفلة بجد

تعلو ضحكاته ثم يتابع

- أنا بحبك يا مها .. ومش عاوز حاجة تضايقك أبدا

ليت سامى كان يرى مها فى تلك اللحظة بعدما قال لها لأول مرة أنه يحبها ,

فالإبتسامة العريضة التى أشرق بها وجهها مع سبابتها تمسح دمعة كانت تنهادى

على خدها جعلها تبدو كطفلة أعطوا لها قطعة كبيرة من الشيكولاتة , وقالت

- إنت ما تعرفش الموضوع ده مضايقتى قد إيه يا سامى

- أنا شايف إنه عادى فى الأول وبعد كده خلاص .. ولو مش خلاص أنا

ماعنديش مانع .. لما نتجوز إبقى طرطرى عليا براحتك

ضحكت مها ثم قالت

- طب والسريير اللى هايتبهدل

- مش مهم أو نبقى نعمل فى الحمام على طول

- علت أصوات ضحكاتهما وقالت مها
- أكيد الموضوع دا فى الأول , ولو استمر هاروح لدكتورة
ضحك سامى من جملة مها الأخيرة لأنه فهم أنها تقصد أن تلك المشكلة لن تكون
عائق وسيتم تداركها , لذا قال مازحا
- وإذا أنا ما كنتش عاوزك تعالجها وتفضلى كده ؟
قاطعته مها على الفور
- لأ طبعا .. دى حاجة مقرفة
- بس أنا مش قرفان
- أكيد لما تكون متكررة هتضايقك
- المهم سيبك من الموضوع ده .. واحكيلى بالتفصيل كنتى بتعملى فى نفسك
إيه عشان الأورجازم يبقى عنيف كده وما تلحقيش تروحي الحمام
ضحكت مها بدلال وأجابت
- كنت واخداك فى حضنى
- ياااااااااااه .. دى حضنى جامد أوى وأنا ما اعرفش
تبادل مها سامى الضحكات وقالت
- كنت قالعة قدام المروحة
- قالعة خالص
- ام
- تاخدى برد كده
- برد إيه .. إنت مش حاسس بالحر ؟!
- والمروحة بتعمل إيه فى الموضوع بتاعك ؟
- ماهو الهوا لما كان بيحى على
صممت ليكمل سامى الجملة
- على كسك
- ضحكت مها وقالت مسرعة
- إنت مش بتتكسف من الألفاظ دى
- لأ
- قالها بنبرة قاطعة وردت مها
- أصل أنا لما كنت باقرا فى الكتاب الألفاظ دى .. كنت باجرى بعينى
مكسوفة
- عشان أول مرة تقريها
- وإنت قريت فين قبل كده ؟
- لأ ما قررتهاش .. باسمعها فى الشارع والمدرسة ليل ونهار .. المهم
وبعدين
- ولا قبلين
- إحكيلى بالتفصيل
- أنا كنت باتخيلك فى حضنى وإحنا بنعمل

قاطعها سامى

- بنعمل إيه ؟
- بس بأه وبعدين لما كده يعنى حصل اللي قلتك عليه
- طيب بعد كده .. بدل ما تتخيليني هابقى آجى عشان يبقى واقع بدل الخيال
- لما نتجوز
- ما احنا متجوزين
- لأ

قلتها بنيرة دلالة مثير وقال سامى

- ياللا عشان تنامى .. دا الفجر بيدن .. خدينى فى حضنك ونامى
- إنت إنسان جميل يا سامى .. أنا بحبك خالص

إنتهت المكالمة وهدأ بال مها نعمان تماما وراحت فى عالم الأحلام .

- فى اليوم التالى جاء سامى ليستعير بعض الكتب وأعاد الأجنحة الخضراء لمها , وأثناء إنهماك الجدة مع الخادمة سعدية فى تنظيف الشقة , كانت مها بصحبة سامى داخل حجرة المكتب والباب مفتوح .. ينتقى سامى الكتب الفلسفية والتاريخية , وحين رآته مها يتناول الكتاب المقدس سألته مها
- أنت هتقرا الإنجيل ليه ؟
- أنا أحب أقرأ أى حاجة .. كنت سمعت شيخ بيتكلم عن التوراة والإنجيل وتحريفهم وإنهم مش ممكن يكونوا كلام ربنا .. وقال إن فى قصص إباحية للأنبياء , ودا دليل على تحريفهم لكلام الله .. عايز أقرأ وأشوف بنفسى

إنت دماغك دى غريبة

- قالتها وعيناها تقع على كتاب نواضر الإيك فى معرفة النيك , ومدت يدها تأخذ الكتاب من على الرف ورآها سامى وضحك , فأسرعت تعيد الكتاب وسمعته يقول

- قرنيه كله ولا لسه ؟
- من ساعة ما حكيتك ما قرئتش حاجة
- صممت وترددت وهى تسأل
- إنت مش تضايق لو أنا قرئت الحاجات دى
- قالتها بصوت خفيض أقرب للهمس , وأجابها سامى دون أن ينظر إليها حيث كان منهما فى مطالعة عناوين الكتب على أرفف المكتبة
- وأتضايق ليه ؟
- تشاغلته مها بتصفح كتاب وهى تتابع الحديث
- أصل أى حد يتضايق لما يعرف إن خطيبته قربت حاجة زى دى
- ليه يعنى ؟

قالها وهو يهز كتفيه بلا مبالاة دون أن يلتفت لمها التي شعرت بغرابة رد فعله
كشاب شرقي .. وخطر لها أن عقلية سامى المختلفة عن أقرانه يجعلها تتقبل منه
أمورا غير مألوفة , وأرادت أن تستوثق من الأمر فقالت

- إنت باين عليك ما تعرفش الكلام المكتوب
- لأ عارف

قالها وهو يصل لنهاية الرف عند باب الحجرة وأصبح ملاصقا لمها , فنظر بعينيه
سريعا عبر الباب ثم واربه قليلا وجذب مها خلف الباب يقول

- وحشتينى من إمبراح

قالها وهو يجذب جلبابها لأعلى فصاحت

- بتعمل إيه يا مجنون ؟

وضع سامى كفه على فمها وهمس بأذنها

- بس ليسمعونا .. عايز بوسة

تتمنع مها محاولة التملص بشكل أجح سامى وهو يطبق على شفيتها الملساء يقبلها
بشبق ويديه تتهدى على فلقتي مؤخرتها وتعصرها .. تملصت مها وهى تقول

بصوت خفيض مبوح لاهث وعينين زائغتين

- كفاية كده

إبتعد عنها سامى قليلا ونظر سامى عبر الباب ليتأكد أنهما فى أمان ثم عاد يدفع
بجسده على صدر مها يغرق وجهها وعينيها وخديها وشفيتها بالقبلات .. تشعر

مها بحرارة أنفاسه تلهبها ويديه تمسك بثدييها تعصرهما , لكنها تدغدغت وسرت
بجسدها قشعريرة لاسعة وشعرت بأن مائها المناسب من بين شفرتها يحرق

كسها عندما أحست بشيئا صلبا ينغرز فى عانتها وأدركت أنه قضيب سامى ..

تحت وطأة الغريزة يفعل الإنسان ما لم يكن ليفعله أبدا حيث وجدت مها نفسها تمد
يدها وتقبض على قضيب سامى من فوق البنطلون لينتفض جسدها وتشعر أنها لا

تقدر على الوقوف .. أحس بها سامى فأحاطها بزراعيه يسندها ثم مد يده مسرعا
وفتح سوستة البنطلون وأخرج قضيبه وهو يمتص شفاه مها الغارقة التى تتأرجح

بين سماء اللذة وأرض المتعة , ولم تكن قد رأت ما فعله سامى , لذا شهقت

وجحظت عيناها حين مدت يدها تمسك قضيبه من فوق البنطلون لتحس بشئ

صلب أملس ناعم فى كفها .. ابتلعت ريقها تبتعد ونظرت إليه لثراه , لكن ضباب
الشهوة جعلها لا ترى تفاصيله , واندفع سامى يرفع جلبابها لينحسر حول وسطها

.. قاومت مها محاولات سامى لإنزال كيلوتها .. لكن هيهات أن يمنع شئ القطار
المندفع عبر القضبان , ولم تجد الفتاة التى ساخت على روحها بدا سوى

الإستسلام .. أمسك سامى بقضيبه يمرره بلطف بين شفرات مها ولم يحتمل

ليقذف منييه الساخن بينما إنتفض جسد مها بعنف وانتابته رعدة وشهقت وهى
تضع يديها على كسها وتميل بجذعها للأمام والبول ينسال على يديها القابضتين

على كسها ويتقاطر من بين أصابعها على بلاط الحجرة .. كان وجهها محتقنا

وعينيها دامعة وهى تحاول كبج جماح البول بكل ما أوتيت من قوة حيث تقبض

عضلات الحوض التى تشنجت تماما .. أسرع سامى يسندها لتعتدل , لكنها لا

تقدر على الوقوف على قدميها المرتعشة .. وكادت تفقد الوعي وهى تسمع صوت
جدتها يأتيتها صائحا
- يا مها .. يا مها شوفى أختك صحيت وبتعيط

نجحت مها فى منع إنسيال المزيد من قطرات البول وتمكنت من الوقوف ,
وأسرعت تحت الخطا المترنحة للحمام لتتدارك الأمر .. أدخل سامى قضيبه فى
ملابسه وفرك بحدائه قطرات البول القليلة على البلاط .. فى اللحظة التى كانت
الجدة تظهر قادمة تسأل سامى

- مها فىن ؟

- فى الحمام

قالها سامى ووجهه المربرد والعرق المتصبيب على جبينه ولهائه جعل الجددة
تستشعر شيئا غريبا .. خرجت مها من الحمام بعدما نظفت نفسها وغسلت منى
سامى من بين فخذيه ويديها , وإتجهت تحمل أختها أمانى تهدهدها وتعود بها إلى
حجرة المكتب ليلقاها سامى بضحكات مجنونة وتقول هى وأنفاسها لم تهدأ بعد
- بتضحك على إيه .. عاجبك اللى حصل

- جميل جدا

- يا سلام

دخلت سعدية الخادمة لتأخذ أمانى من مها لتطعمها .. يقترب سامى من مها
يحتضنها فتبتعد مسرعة تقول

- إنت مش همك حاجة ؟ .. لو أنا شافتنا كان وقعتنا بقت سودا

- قولى لأنا تروح تجيب حاجة هى وسعدية عشان نبقى على راحتنا

- روح قول لها أنت

ضحك سامى وقال وهو يمسح على شعر مها الحريري بحنان

- أنا ما بقتش اقدر أعيش من غيرك

تهلل وجه مها مشرقا وقالت

- بس أنا متضايقة ؟

- ليه ؟ .. إنتى بالنسبالى مراتى وزى ما قلتك فاضل لما نخلص دراسة

ونبقى مع بعض فى بيت واحد

اتسعت إبتسامة مها وردت

- أنا متضايقة عشان موضوع البول ده

- بالعكس دى حاجة مثيرة

- بس بتضايقنى

- هابقى أشوف حل واقولك عليه

قالها سامى ومال يطبع قبلة رقيقة حانية على فم مها الصغير وقال

- أنا هاخذ شوية الكتب دول , ولما أوصل البيت هاتصل بيكى

أومأت مها برأسها وهي ترنو لوجه سامى بنظرات محبة حانية ناعسة دفعته يهمس لها

- عينيكي فيها سحر بيخلينى عاوز أفضل باصص فيهم علطول
- قالها وهو يمسك برأسها ويقبل عينيها التي برقت وفتحت زراعيها تحتضن سامى وتهمس بصوت رقيق أسر
- أنا بحبك أوى يا سامى
- مش أكثر منى

بعدها غادر سامى كانت مها مثل الفراشة تنتقل فى الشقة , واستشعرت الجدة بحنكتها أن هناك شئ ما فقالت

- تعالى يا مها جنبى .. عاوزه أقولك كلمتين
- جلست مها إلى جوار جدتها على الأريكة فى الصالة وأنصتت لها
- أنا عارفة إن إنتى وسامى بتحبوا بعض .. وأنا بادعى ربنا ليل ونهار إنى أشوف يوم فرحكم .. بس عاوزه أقولك نصيحة تحطيتها حلقة فى ودانك .. البنت اللي ما تخليش الراجل يطول منها حاجة قبل الجواز , تخليه يفضل يحترمها ويحبها
- تلعثمت مها وهي تقول بصوت متهدج وتجهج وجهها
- وبتقولى ليه كده يا أنّا
- ردت الجدة بنظرات خبيرة تصوبها فى عيني مها
- أنا باوعيكى وأفطمك

بالطبع أدى كلام الجدة إلى تبدل حال مها وباتت شاردة الذهن فيما قالته جدتها .. ووجدت نفسها تحكى ما قالته الجدة لسامى حين اتصل بها , وسعد سامى لأن مها أصبحت تخبره بكل ما يحدث فى يومها ويشغل بالها وقال لها

- جدتك قالت كده لأنها ما تعرفش إن تفكيرى مش زى أى راجل شرقى ..

وكم ان ما تعرفش إنى باخاف عليكى أكثر منها وأكثر من أى إنسان فى الدنيا دى كانت كلمات سامى تكفى لتصبح كلمات الجدة لمها هى والعدم سواء .

عندما حل المساء , تمددت مها على سريرها ترتدى قميص نوم قصير والغريب أنها لا ترتدى تحته كيلوت , فبعدها حظيت بحماما دافئا وتحرر جسدها منتشيا

بعدها حدث اليوم بينها وبين سامى .. ارتدت قميص نومها ولما بدأت فى إرتداء كيلوتها وجدت نفسها تبتسم وتنزعه عن سيقانها , لتتعم بمتعة تحرر موطن عفتها واستشعرت مشيتها بدون الكيلوت بشعور لذىذ منطلق , وأحضرت الكتاب لإستكمال قراءته .

تستقيم مها لغريزتها المثارة بفعل النصوص التي تقرأها في الكتاب , وبللها مع حركة فخذها وهي راقدة على السرير بأجج جسدها المتوهج , وبعدها إنتهت مها من الكتاب وجدت إستشهادات كثيرة من كتاب آخر اسمه رجوع الشيخ إلى صباح في القوة والباه .. تسللت مها الى حجرة مكتب أبيها وعكفت منتصف الليل تبحث عن الكتاب , وتمكنت من جمع مجموعة من الكتب حملت عناوين " رجوع الشيخ إلى صباح في القوة على الباه لابن كمال باشا .. الروض العاطر في نزهة الخاطر , وتنوير الوقاع في أسرار الجماع لمحمد النفراوى .. حكايا محرمة في التوراة لجوناثان كيرتش .. تحفة العروس ومتعة النفوس للتيجانى .. رشف الزلال من السحر الحلال , وشقائق الأترج في رقائق الغنج للإمام جلال الدين السيوطى .. نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشى .. الإيضاح في أسرار النكاح , و جامع اللذة لابن السمسمانى .. القيان لابن حاجب النعمان .. المناكحة والمفاتحة في أصناف الجماع وآلاته لعز الدين المسيحي .. المرأة والجنس لنوال السعداوى .

وضعت مها نعمان تلك المجموعة من الكتب بعناية وكأنها كنز ثمين في ركن من أركان المكتبة بعد الحملة التي شنتها لجمع هذه الكتب عازمة على البحث عن غيرها بعد إنتهائها من قراءة تلك المجموعة .. تأبطت مها كتاب رجوع الشيخ إلى صباح تدلف إلى غرفتها مع أذان الفجر .. وتنبهت حواسها وهي تقرأ مقدمة الكتاب التي نصت " بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذى خلق الأشياء بقدرته وأتقنها بلطيف صنعته ودبرها بحكمته , أحمده على نعمته وأصلى على محمد خير خليفته وعلى آله وصحبه وعترته , قال المؤلف لهذا الكتاب : إننى لما رأيت الشهوات كلها منوطة بأسماء الباه وداعية إلى الجماع ورأيت أهل الأقدار وأرباب الأموال ورؤساء أهل كل بلد في عصرنا هذا , وما تقدمه من عصور وأزمان , همهم مصروفة إلى معاشره النسوان وأحوالهم متفرقة في بيوت القيان , ولم أرى أحدا منهم يخلو من عشق مغنية و استهتار بجارية وغرام بفاحشة عملت على معرفتهم بما انصرفت إليه شهواتهم وتتبعته نفوسهم مما يجعل نفعه وتعظم فائدته " .. فتيقظت مها تماما وعكفت تنهل من معين لا ينضب .. كيف لمها نعمان ألا تدخل في عالم شبق محمون وهي تقرأ نصوصا تأجج غريزتها ((" تستلقى المرأة على ظهرها وتمد رجليها ويديها وينام الرجل عليها وقد فرقت رجليها حتى يتمكن من إدخال إيره فيها , فإذا أولجه فيها شخر ونخر ويهيج ويغتم وهي تحته تنن أنين العاشق المهجور , وتتأوه تأوه المدنف المسحور , وتضطرب اضطراب التلف الحيران الذى أضرم الهوى فى قلبه النيران فساعة يسكن وساعة يرهز حتى يعلم أنه قارب الإنزال , فيوافقها وينزلان جميعا , فيجد لذة ما مثلها لذة وإسمه نيك السادة .. أما طى المصرى فهو أن تستلقى المرأة على ظهرها وقد شبكت يديها على رأسها وألصقت فخذها بصدرها , ثم يعانقها الرجل ويلمها إلى صدره ويولج فيها بتأنى وسكون ثم يرفع وهو يحتد ويرهز ويلطم على سقف كسها , ويعتمد على سقف فرجها فإنها تتلذذ بذلك لذة عظيمة .. أما

مزاج العافية فهو أن تنبطح المرأة على وجهها وتضم ركبتيها إلى صدرها وكأنها ركعت أو سجدت ثم ينزل الرجل من خلفها ويدخل إيره في حجرها وكلما وقع عليها ودفعه , ترفع رأسها وتنخر وتنخر بهيجان وغلمة وشهيق وأنين وبكاء واحتراق وهما قد غابا من شدة الشهوة وطيب النكاح , إلى أن يقارب الإنزال فيسله من حجرها ويولجه في كسها .. أما نيك الوداع أن تقوم المرأة والرجل على أن يودعها عند الخروج فيضم كل واحد منهما الآخر إلى صدره ضما شديدا ثم تتعلق به المرأة وتمد يدها فتأخذ إيره وتريقه بريقها وتولجه في كسها إيلاجا حسنا بلطف ورياضة وهو مع ذلك يمرت في أعكانها ونهودها وتقبله فيقوم إيره وترفع إحدى رجليها لتمكنه من نفسها "") .

مع آذان الفجر كان جسد مها محتقنا متورما بشهوة بالغة وإثارة عارمة حيث أصبح كل ما يحدث لها منشطا للجنس وباعثا للشهوة .. كلما قرأت قصة من قصص الكتاب إلا وعاشت فيها , فهي بطلتها وسامى بطلها والتجربة الأولى التي مرت بها اليوم تدفعها إلى عالم مسحور بالشهوة والمجون .. أرادت أن تتصل بسامى لكن ما وقع عليه عيناها من سطور الربع الأخير من الكتاب جعلها ترجئ الأمر وتابعت القراءة : (" يحكى أن ابن قطب الدين الوزير جمع أصدقائه في ليلة سامرة إجتمع فيها عشر جوارى لم يكن فى بغداد وقتها أحسن منهن .. وعمرت الليلة بكل ما لذ وطاب وساق الحديث الجمع السامر إلى الحديث عن الباه وأن شهوة المرأة تغلب شهوة الرجل .. فقالوا أن الرجل يفتر من كثرة الباه بينما لا تشبع المرأة من النيك ليل نهار لسنوات وحكى البعض ليبرهن على ذلك بحكاية الملك الذى ((كان عنده ثلاثمائة وستون حظية , وكانت نوبة كل واحدة منهن يوما فى السنة , فحضرن عنده ذات يوم بأجمعهن وكان يوم العيد فصف الجميع بين يديه وإستدعى بالشراب فشرب وسكر , فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس بالملك , فقال لجواريه - ويحك .. تتمنى على كل واحدة منكن ما فى نفسها حتى أبلغها إياه فتمنت كل واحدة منهن ما فى نفسها حتى ما خلا إلا واحدة فإنها قالت - تمنيت عليك أن أشبع نيكاً

غضب الملك غضبا شديدا وأمر كل من فى قصره من الغلمان والمماليك أن يجامعوها حتى وصل العدد " ألف رجل ولم تشبع " .. فاستدعى الملك أحد الحكماء وقص عليه , فقال - أيها الملك إقتل هذه الجارية وإلا أفسدت عليك أهل مدينتك فإن هذه قد إنعكست أحشاؤها ولو جومت مدة حياتها ماشبعت ولارويت)) ..

بعدها إستمع الوزير وسط الجمع السامر لتلك الحكاية ضحك وقال - والله ذكرتمونى بما كنت عنه غافلا ثم إلتفت الوزير إلى الجوارى وقال

- أريد منكن أن تخبراني عن أمر الجماع وما شاهدت كل واحدة منكن فيه ..
فمن كان حديثها أحسن من غيرها نالت الجائزة .. فتقدمت إليه عشر جوارى لم
يكن في بغداد أحسن منهن وحكين له عشر حكايات كل واحدة حكّت حكاية
الحكاية الأولى :

لم تدري مها نعمان من فرط إندماجها وتلفها وترقيها للعشر حكايات , وأية
جارية من العشر ستحظى بالجائزة , ويا ترى ماذا ستكون تلكم الجائزة ؟ .. لتفاجأ
بباب الغرفة يفتح وتدخل جدتها متثابرة والتي كانت قد استيقظت للذهاب للحمام
ورأت غرفة مها مضاءة وقالت
- إيه دا .. إنتى لسه صاحية ؟
- مش جايلي نوم .. باقرا كتاب
قالتها مها وهى تسرع بجذب طرف قميص نومها المنحسر فوق عانتها ليصبح
على منتصف فخذيه , وتنهض جالسة على طرف السرير وتضع الكتاب خلف
ظهرها وتفاجأ بسؤال الجدة التي رأتها قبلما تعدل من وضع قميص نومها
- إيه ده ؟ .. إنتى مش لابسة لباس ليه ؟
ردت مها بصوت مضطرب
- حسيت بتسلخات وكان مضايقتى
- طب إستنى
قالتها الجدة وذهبت لتعود بعلبة بودرة التلك الخاصة بأمانى الصغيرة ومدت يدها
تجاه مها تقول
- خدى حطى من البودرة دى .. وإبقى علطول تتشطفى من تحتيكى كويس
- ما أنا علطول باعمل كده .. بس العرق والحر اليومين دول

غادرت الجدة عائدة إلى النوم , وشلحت مها قميص نومها لترش البودرة ,
وتدغدغ باطن فخذيه وشفريها من جراء حركة يديها المنزلة بنعوبة وإنسيابية
بفعل البودرة وابتسمت وهى تستعذب ذلك الإحساس الممتع ثم قلبت نفسها على
بطنها ترش البودرة على مؤخرتها وتملاً المجرى بين الفلقتين فتتصاعد الدغدة
وتجد مها نفسها تضحك كالأطفال .. عادت على ظهرها وأمسكت بالكتاب تقرأ
الحكايات العشر .

أجبت حكايات الجوارى تباعا جسد مها نعمان , ورغم لامنتظية بعض تفاصيل
الحكايات إلا أن معرفة مها بأن الكتاب تم تأليفه عام 903 هـ أى منذ أكثر من
خمسمائة وعشرين عام , يجعل تخيل الحكايا وفقا لعام 1982 م أمرا عسيرا ..
إستمعت مها بحكايا الجوارى , وفجأة جحظت عينها تكاد تلتهم الكلمات من على
صفحة الكتاب وتدونو برأسها وهى تقرأ الحكاية العاشرة حيث (("" إقتربت
الجارية العاشرة وقبلت الأرض بين يدي الوزير ثم قالت
- أما أنا يامولاي , فلم أكن جارية منذ مولدى .. حين كنت صغيرة ذات ليلة
جافانى النوم , وسمعت أختى التى تشاركنى الفراش تنن أنينا خافتا وتتأوه ..

خشيت أن يكون قد أمت بها علة , ولما كشفت عنها الغطاء , أدركتها وهى تحك أشفارها .. قلت لها : ويحك ماذا تفعلين ؟ .. قالت لى : لا يطوئى النوم إلا بعدما استحلب فرجى .. قلت لها : النوم يجافينى الليلة , فقالت : دعى نفسك لى , ونزعت عنى ثوبى تحك أشفارى وملكتنى غلمة شديدة ولم أدرى وأنا أبول على نفسى .. نسيت الأمر بعد ذلك , لكنى ذات ليلة جافانى النوم , فمددت يدي أحك كسى ولما تملكتنى الغلمة وجدت بولتى تغرقنى .. كنت كلما استحلب كسى أبول على نفسى .. ثم تقدم لى شاب من خيرة رجال المدينة , وقلت لنفسى أن ولوج الإير ماهو بحك الفرج ولن يجعلنى أبول على نفسى , فتنزجت منه ولما جاءت ليلة العرس وخلا كل منا بالآخر .. جعل يبوسنى ويعض شفتى ويمرغ رأسه على أعكائى ويقبض على كتفى , لم أدرى وأنا أشخر وأنخر وصارت بى الغلمة بعدما ريق إيريه وحك به أشفارى , وطرق إيريه بابى , فطلبت نفسى النيك , وقبل أن يأخذ بكارتى تبولت على نفسى وأغرقتة بولتى .. وقلت له : هذا أنا .. كلما اشتدت بى الغلمة , أبول على نفسى , فكرهنى لساعته وطلقتنى .. عدت إلى أهلى وفضح الشاب أمرى , فعلمت المدينة كلها بشأنى ولم يتقدم لى خاطب بعدها أبدا .. ومرت بى سنوات كلما طلبت نفسى النيك أحك أشفارى وأبول على نفسى .. مات أبواى وتفرق أهلى من حولى ولم أجد من يطعمنى .. هجرت المدينة وذهبت إلى نخاس باعنى إلى أحد الأعيان جارية .. وهناك كان عبدا حبشيا أسود , لما رآنى أنشد فى شعرا وروادنى عن نفسى .. قلت لنفسى : دعيه يفعل وبعدها يكتشف أمرى سيكرهنى .. فذهبت له ذات ليلة وقلت له : هيت لك .. كانت نفسى تطلب النيك .. إحتضننى بجسده الضخم القوى ومص شفتاى ثم نزع عنى الثوب وخلع سرواله فرأيت إيريه عمود كإير بغل وخشيت من غلظة إيريه , لكنه أحس بذلك فقال : لا تخافى .. لن أولجه كله .. وضع رأس إيريه يحك بين أشفارى , وجدت نفسى أغنج وأتأوه , ورقدت له وقلت : خذ بكارتى .. قال : وهل لازلت بكر إلى اليوم .. قلت له : ستعرف لماذا ؟ .. أمسكت إيريه فلم تحتويه يدي , وريقته إيريه بغمى ووضعته على بابى .. صرخت من شدة إيريه وهو يأخذ بكارتى وغطى الدم كسى وأراد أن ينهض عنى , لكنى شعرت بالألم يزول وقبضت على وسطته برجلي فغاص إيريه فى حرى ولم أدرى وأنا أبول على نفسى وأغرق البول بطنه وصدرة .. لكنه لما رأى ذلك لم يكرهنى بل نهض يمسح بكفه على بطنه وصدرة يفرك بولى .. ثم رفع رأسه وأنشد شعرا وناكنى فى هذه الليلة ثلاثة عشر مرة بكافة أنواع النيك وجف جسدى من الماء ونضب فكان البول يجرى أنهارا .. ومرت أيامنا على ذلك كلما ناكنى حبيبى أبول وأغرقه ويشرب بولى .. كان يجيئنى فى العصر ويظل ينيكنى ويرهنى رهزا متداركا ولا نفرغ قبل العشاء .. حتى جاء يوم نعق على رأسه الغراب وباعنى سيدي لأصير جارية هنا ولم ينيكنى رجل من بعد حبيبى الحبشى .. فوا أسفاه على يوم من أيامه وساعة من ساعاته .

أنهت الجارية حكايتها بعيون دامعة .. جعلت الوزير على الجارية مشفقا , فتلقت إلى صحبته السامرة وأجمعوا على حكاية الجارية العاشرة هي الأفضل .. وقال لها الوزير

- لكى منى الجائزة أيتها الجارية .. أطلبى ما تشائين تجديه تحت قدميك
تبدل وجه الجارية من الحزن إلى التهلل وضحكت بميوعة تقول
- منذ زمن ولم ينكحني رجل .. أريد أن أشبع نيكا كما الجارية التي سمعت
حكايتها منذ قليل

ضحك الجميع وأمر الوزير كل من هو موجود من خدم وعبيد وسادة وحتى الجوارى أمرهن بالمشاركة .

لم تجد مها نعمان بدا من أن تضحك بعدما قرأت تلك الحكاية , فقد إكتسب الكتاب فى أواخر صفحاته طابع الطرافة .. وأدركت مها أنها ليست فريدة من نوعها ,
فها هي جارية من بغداد منذ أكثر من خمسمائة سنة كانت مثلها , وجعلت حكاية الجارية مها تتسائل : هل يوجد علاج لهذا الأمر ؟ .. إن كانت الجارية البغدادية فشلت فى إيجاد حل , إنما ذلك لمقتضيات عصرها , والآن الوضع إختلف حيث يمكن أن تذهب إلى طبيب وحتما سيتم تدارك الأمر .

نهضت مسرعة تحضر التليفون لتتصل بسامى وتغلق الخط , فإن كان مستيقظا سيتصل بها .. وحين استقر الهاتف على السرير بجوارها , رن الجرس وهى ترفع السماعة وما أن سمعت صوت سامى حتى قالت

- عمرك أطول من عمري
- مش جايلك نوم زيي أكيد .. من ساعة اللي حصل فى أوضة المكتب عندكم , وأنا مش عارف أتلايم على روى
ضحكت مها وقالت بصوت يملؤه الشيق
- وأنا كمان كنت قاعدة أقرأ فى الكتاب
قاطعها سامى

- نواضر الإيك فى معرفة النيك
- لأ .. ده خلاص أنا خلصته .. أنا بقرا فى كتاب رجوع الشيخ إلى صباه
- دا أنتى بقيتى خبييرة
ردت مها بضحكة خافتة
- بس الكتاب دا لقيت فيه حاجة زى عندى
- حاجة إيه ؟
- أحكيلك من الأول ولا الحكاية بتاعتى لو نعسان
- أنا معاكى للصبح

شرعت مها نعمان تحكى وتستفيض فى ما أعجبها من قصص الكتاب , وتعجب سامى من تطور شخصيتها السريع والجرأة والطلاقة التى كانت تقص بها الحكايات .. صحيح أنها لا تنطق المسميات الجنسية بألفاظها الإباحية , إلا أنها كانت تسهب فى وصف الحدث وملابسات القصة .. ولما لا ؟ .. بعد أن أكسبتها قراءتها بامعان للنصوص الإباحية وكذلك معايشة التجربة الحية مع سامى جرأة التعبير عما أعجبها , إلى جانب إحساسها بتوحد مشاعرهما مع سامى , فبالقطع لا يمكن لها أن تحكى ما تحكى لو لم تكن تحادث سامى الذى استلذ الحكايات وكان يقاطعهما بين الفينة والأخرى معلقا ومستفسرا

- طب وإنتى بتحبى الوضع ده ؟
- إمممممم .. مش عارفة .. هو عاجبنى لما قريته .. بس لما نجريه أقول لك رأيي
- خلاص أجيلك نجريه
- لما نتجوز
- قالتها بنبرة متدللة مثيرة متقطعة جعلت سامى يضحك بخفوت ويقول
- ما أنا قلتك إحنا خلاص متجوزين

واصلت مها الحكايات حتى وصلت لحكاية الجارية , وأنصت سامى لها بشغف ثم قال

- خسارة .. ما طلعتيش الأولى من نوعك
- يتجاذبا الحديث والضحكات حتى سمعا أذان الفجر يعقب الأجواء , وقال سامى هاتنامى ؟
- لأ هاكمل الكتاب
- ما تكلميه بكره
- اصل عنوان الفصل الجاى شاددى
- وعنوانه إيه ؟

تضحك مها بمنتهى الميوعة وقالت بصوت خافت مائع متهدج يدفع على الشهوة فى ذكر من وطئ النساء فى أدبارهن

- صاح سامى
- أووووووووووو .. إنتى وصلتى خلاص
- مش فاضل فى الكتاب كتير
- والفصل دا فى قصص
- لسه ما قرتش بس أكيد
- إقرى وإحكيلى قصص النيك فى الطيز دى
- لأول مرة تشعر مها بأنها استعذبت سماع الألفاظ الإباحية بعدما أسكرتها خمر الشهوة وتخدرت بمخدر اللذة لتقول
- ما هو كان فى قصة من اللى حكيتهم ليك فيها كده بس أنا مش قلت لك

يضحك سامى وهو يقول

- فيها إيه ؟

بهمس لا يكاد يسمع

- واحدة كانت بتتناك فى طيزها

صاح سامى فجأة

- أنا زبى خلاص هاينفجر وعايز أجيلك دلوقتى

- كل دا من القصص اللي حكيتها لك

- قصص إيه ؟ .. صوتك إنتى ونبرتك وإنتى بتكلمينى دلوقتى ولا مليون

قصة

تضحك مها تماما كالمخمورة لا تدرى من عالمها سوى الشبق المحنون , ولم

تعى أن يدها اليسرة فى هذه اللحظة تداعب شفراتها وبظرها المشرب بينما يدها

اليمنى ممسكة بالسماعة تهمس

- مش هاينفع تيجى كل يوم .. لما يعدى ثلاث أربع أيام إبقى تعالى وأنا

أريحك

- هاستنى كل ده ؟

- أمال عاوز إيه ؟

- عاوز أدخله فى كسك

وصلت مها لقمة الهياج وحين وضعت أصبعها الأوسط ليدها اليسرى تقضمه

بشفتيها , ذاق طعما مالحا فأدركت أنها ماء شهوتها وبهمس خفييييييييى ,

والكلمات تخرج منها ببطء شدييييييييييى

- خلاص أنا دخلته .. حاسس بإيه

تأوه سامى وقال بصوت متهدج

- نزلوا فى إيدي

علا صوت مها وهى تقول هازئة

- يا حرام .. دا إنت خلصان لوحذك يا حبيبي

لا تتلقى ردا سوى تأوهات سامى وتابعت

- كل ده ؟

قال سامى ضاحكا بعدما إنتهى

- إنت مثيرة بشكل

إعتبرتها مها إطراءا رغم كونها كانت تأمل لو خرجت منه بشكل لا ينم عن

غريزية بحتة , وكان سامى لم يشأ إعطاؤها الفرصة .. تابع بعدما هدأت أصوات

أنفاسه

- كل ساعة بحبك أكثر من الأول

استكانت مها تماما , وانتهت المكالمة بآثير مشحون بالحب والمتعة .

عادت مها تتابع قراءة ما تبقى من صفحات الكتاب , وحين قرأت : (" الباب الحادى والعشرون فى ذكر من وطئ النساء فى أدبارهن ") .. وضعت طرف أصبعها السبابة تعض عليه بشفتيها شاعرة بلهفة فى قراءة ذلك الباب بصحبة كوب شاي بالنعناع .

دقائق وكانت مها ترشف من كوب الشاي وتعيده على الأرض بجوار السرير وتتابع القراءة ممددة بعدما رفعت ظهرها على مخذة عالية وتيقظت حواسها , وقرأت عن زهير بن دغيوش الذى كان مارا بأحد قصور الرشيد , وصادف جارية فائقة الجمال لها ردف كبير , وتفوح منها رائحة المسك والعنبر وسمعها تقول طالبة

- أولجه فى النار .. فإن فيه النار

إقترب منها لتسأله

- هل نكت امرأة فى إستها قط ؟

قال لها - مائة مرة .. فقالت له - صف لى أبوابه ؟

أجابها زهير قائلا

- كنت أنيك كيف إشتهيت ولا أسأل عن أبوابه

- إن له ستة عشر باب

- وكيف لى بمعرفتها ؟

- المعرفة بالفعل

تفنتت الجارية فى ممارسة النيك فى الإست مع زهير بن دغيوش على ستة عشر باب على مدار الأيام التالية .. وأكثر ما لفت نظر مها نعمان وهى تقرأ تلكم الأبواب هو باب (ماء الورد) .. ذلك فى النص الذى يقول (("" قالت لى أكثر الريق وبالغ فى الإيلاج وانظر إلى ماتعمل و عليك بالرهز الصلب والدفع الشديد ثم بركت وتفجعت , وريقته , وأولجته فى إستها , فكأنه وقع فى حريق وخرج مخضوبا إلى أصله , (وفاح ريح الزعفران) فلم أزل أولجه وأخرجه حتى خضبت مابين إلتها وعانتى ومراقى وأنا فى زعفران خالص , فلم أزل كذلك حتى صببته , فقلت : ما هذا ؟ قالت : ماء الورد .. فقلت : صفيه لى .. فقلت : تعجن الزعفران بدهن البنفسج ودهن الورد حتى يصيرا مثل المرهم , ثم تأخذ قالباً وتجعل رأسه فى باب الشرج ثم تحشو ذلك حشوا بليغا حتى يحصل كله فى الإست , كان مارأيت .. فقلت : أن الزعفران يحرق .. فقلت : إنما تخضله بدهن الورد لتكسر حدته "") .

لم تتمالك مها نعمان نفسها من كثرة الضحك من طرافة و غرابة الفكرة التى تدفع امرأة لتصنع عجينا من الزعفران والبنفسج والورد وتحشو به شرجها لى يفوح منه رائحة الزعفران وتتخضب إلتيتها وإير الرجل بلون الزعفران عندما يطؤها

فى دبرها , وتملك الشوق من مها نعمان للإستزادة , وقرأت نصيحة جارية لسيدها عن ألد النيك (أكثر الريق وبالغ فى الإيلاج وقبل الإليتين) , وابتسمت مها وهى تقرأ حكاية (بنان بن عمر يقول : سمعت أحدا بالبصرة يقول حلفت بالطلاق وأنا سكران أنى أنيك إمرأتى نيكاً من دبر .. قال فجئت إلى فقيه فى حلقة فى المسجد , فقلت أصلحك الله إنى حلفت بيمين الطلاق إنى لابد لى أن أنيك إمرأتى نيكاً من دبر , فتبسم الفقيه ثم قال : إنى أنيك إمرأتى كل ليلة نيكاً من دبر .. إذهب عافاك الله فأقم أمرأتك على أربع وقف من خلفها , وبل كمرتك بشئ من البصاق , ثم أدخل إيرك فى إستها وأخرجه وأدخله فى حرها كذلك للفراغ هذا نيك الدبر لمن عقله) .. ثم اختتمت مها الكتاب مما ورد عن القدماء عن وصية عجوز لابنتها وزوج ابنتها .. فنصحت العجوز ابنتها قائلة (("" إنى أوصيك يا بنية بوصية , إن أنت قبلتها , سعدت وطاب عيشك وعشقتك بعلك , إن مد يده إليك فإنخرى وإزفرى وتكسرى وأظهرى له إسترخاء وفتور , فإن قبض على شئ من بدنك فإرفعى صوتك بالنخير , فإن أولج فيك فإبكي وأظهرى اللفظ الفاحش فإنه مهيج للباه ويدعو إلى قوة الإنعاط , فإذا رأته قد قرب إنزاله فإنخرى له وقولى له صبه فى القبة وغيبه فى الركبة (إعتقاد قديم بأن سائل الرجل المنوى يأتى من الركبة) , فإذا هو صبه فطاطئى له قليلاً وضميه وإصبرى عليه وقبليه وقولى يامولاي ما أطيب نيكك .. وإن دخل عليك يوماً مهموم , فتلقيه فى غلاله مطيبة , لا يغيب بها عنه جارحة من جسدك .. ثم أعتقيه وإلتزميه وقبلى عينيه وعارضيه وخديه , فإن أراد المعاودة فأظهرى له المساعدة , فبهذا تبلغين إلى قلبه وتملكيه ويحبك وتحببه هذا ما أوصيك به "")) .. ثم ذهبت العجوز إلى زوج ابنتها تنصحه قائلة (("" إعلم إنى قد ذلت لك المركب وسهلت لك المطلب فاقبل وصيتى ولا تخالف كلمتى , فقال لها الزوج قولى ما بدا لك فلست بخالفك فى ذلك .. قالت إذا خلوت بزوجتك فخذ ما أردت من النيك الصلب والرهز القوى وثاورها مثاورة الأسد لفريسته واجعل رجليها على عاتقك , وادخل يدك من تحت إبطها حتى تجمعها تحتك وتقبض على منكيها بأطراف أصابعك , ثم ضع إيرك بين شفريها واعركهما به وهو خارج ولا تولجه .. وقبلها وادلك شفريها دلماً رقيقاً فإن رأيتها تغيب , فأولجه حينئذ كله .. فإذا دخل كله وحكت شعرتها شعرتك وإيرك داخل حرها , فهرص زواياه وقتش خباياه ثم أخرجه إخراجاً رقيقاً وابدأ بالرهز , فإنها سوف تغربل من تحتك وترهز وتلتذ بها وتريك غلمتها وتظهر شبقها وصنعتها حتى تصبه , واحرص كل الحرص واجتهد أن يكون صبكما جميعاً فى موضع فذلك ألد ما يكون عندها .. فإذا فرغتما فقوماً حينئذ فاغتسلا بالماء غسلأ نظيفاً , وقد أهديتها لك وأوصيتها كيف تعمل وتغتسل .. ثم عودا إلى فراشكما فلاعبها ساعة وقبلها وخمشها , ثم نومها على وجهها واجلس على فخذيها , وريق إيرك تريبها محكماً , وضعه بين إليتيها وحك باب شرحها قليلاً قليلاً , فإنها تطمئن وتجذ لذلك الحك برأس الإير لذة ودغدغة , فأولجه قليلاً قليلاً برفق حتى تستوفيه كله .. وارهرز

وابدأ فإنها من تحتك سوف تعينك فلا تزال كذلك حتى تصبه , فإذا صب
فضمها ضما شديدا , وألصق بطنك بظهرها وأسألها : أين هو ؟ .. فإنها
تخاطبك خطاب مدهول .. ولا تزال هكذا تفعل إن أحببت في الحر أو في
الإست وإعلم أن النيك في الإست أذ ما يكون في النهار لأنك تشاهد
خروجه ودخوله من عينه إلى بيضته ""))

تمطعت مها نعمان متنهدة مستلذة بعدما قرأت نصيحة العجوز وإنتهت من قراءة
الكتاب وهي في حالة يرثى لها , فمن يطفئ لهيبها , وشعرت بأنها تحتاج إلى
حمام بارد يحرر جسدها المحتقن .

تقف مها نعمان عارية بداخل البانيو أسفل الماء المنساب .. كانت تشعر بإحساس
غريب تجاه جسدها يختلجها لأول مرة في حياتها .. لقد بدأت مها في ذلك اليوم
علاقة حميمية مع جسدها والسبب هو الغلطة (شدة الشهوة) التي ملكتها منذ فعل
بها سامى ما فعل , وقرأت ما قرأت .. كانت تمرر الليفة الناعمة الغارقة في
الرغاوى الملساء على جسدها بنعومة ورفق , فيعطيه ذلك إحساسا بالتححرر
جعلها تتعامل مع جسدها وكأنه قطعة فنية تتلمسها بأناملها .. تنتهد منتشية
يدغدغها رذاذ الماء وتمعن في الضغط على ثدييها وكأنها تختبر مدى طراوتها
وتفرك حلماتها الطويلة المنتصبة فتشعر بأنها تنادى فما دافئا رطبا يمتصهما ..
تتمنى ليت سامى معها الآن .. جسدها كله مريد يحتاج إلى التحرر من الغلطة التي
جرت في مجرى دمه .. ابتسمت مها وضحكت بخفوت لما لامست أصابعها
وربقات زهرة فرجها ووجدته منتفخا محتقنا عن آخره بسبب الإثارة العاتية .. لم
يكن هناك بدا سوى من تحرير السجين من الأسر .. دلكت أشفارها وبظرها
تدرجيا تتخيل سامى يطؤها .. يرتعش جسدها وتهيم في ملكوت الشبق تسبح .. ما
كل هذه المتعة واللذة ؟ .. ولكن شاب متعتها تسأولها مجددا حين أحست بفتحة
بولها تنز قطراته , لكنها أسلمت نفسها لمارد الشبق يمتعها .. وصلت إلى سدره
المنتهى فإنطبق فحذاها على يدها القابضة على كسها , واستندت بيدها الأخرى
على الحائط كي لا تسقط بفعل إرتعاده جسدها , والبول ينهمر من بين فخذيه
ومن حوله الرغاوى تظله .. تحرر جسد مها وإنثنى ودب فيها حالة من
الإسترخاء اللذيذ ..

عادت إلى غرفتها ترقد على سريرها عارية لا تعبا بشئ .. تتسلل أشعة الشمس
من نافذة الغرفة ولكن النوم خاصم عينيها التي إمتلأت بمشاهد القصص التي
قرأتها الليلة .. أدركت مها أنها تحبو في عالم جديد لذيذ وممتع .. كانت تتحسس
بيديها على جسدها العارى وتستشعر ملمس كفيها الحانيتين .. تتحسس ثدييها
بحنان , فجال بخاطرها أنها كلما قرأت كلمة حلمة في الكتاب إلا وكانت غالبا
مصحوبة بكلمة مص , فلما لا تجرب ؟ .. قبضت على ثدييها وقربت
الحلمتين من شفثيها وما إن مدت طرف لسانها تلعقهما حتى أحست بتيارا باردا

يعترى الحلمتين التى انتصبتا وإحمرتا على الفور وسكر اللذة وخذر المتعة قد أودى بها إلى عالم سحيق .. التقت مها الحلمة تمتصها برفق وهى تضحك مستلذة وكأنها تمتص حلوى شهية , وشعرت بأنها أعطت تلك الحلمة أكثر من أختها , فأرادت تعويض الأخرى وانهاالت عليها إمتصاصا تعضعضها بأسنانها , لتشعر بالبلل بين فخذيها .. علت صوت ضحكاتها لأنها فهمت الرسالة حيث غضب كسها من تجاهلها وإنشغالها بالحلمتين , فزرف دموعه يستجديها لتلتفت إليه .. كانت تهمس فى سرها وهى تمد يدها تربت عليه (أدينى جيتلك أهو ما تعيطش) .. ضحكت بهيستريا لما يجول بخاطرها تريد أن تحكى لسامى الآن .. تشعر فى هذه النوبة بشئ مختلف عما شعرت به مع سامى .. رفعت مها نصفها الأعلى لترى كسها خلف شعر عانتها وهى تدلكه , فزادها ذلك شعورا بالحميمية تجاهه , فى صحبته متعة ومع رففته جنة .. لم تكن تريد أن تصل إلى نشوتها سريعا .. تريد أن تظل بصحبته زمنا , لذا كانت بالكاد تتلمسه مداعبة بأناملها وتشعر بحك ظفرها لبطرها فتشعر باسامة .. إلتقطت بعضا من إفرازاتها تتلمسها بأصابعها وتشم عبقها فتهتاج أكثر .. ثم قلبت نفسها على بطنها ويدها من أسفلها قابضة على كسها تعتصر أشفاره .. جعلها ذلك الوضع تتذكر ما جاء فى الكتاب بشأن الإست , فطلعت لتستكشف شرجها , مدت كفيها تتحسس إيتيها تختبر حجمها , تريد أن تعرف هل تملك واحدة كبيرة رجرجاة مثلما جاء فى الكتاب أم لا ؟ .. تشعر أنها كبيرة ومستديرة ولاشك أنها طرية متموجة فى يديها , حين لامست أصابعها باطن الإليتين إنتابها إحساس بالإسترخاء , إحساس مختلف عن كافة الإحاسيس التى أعطتها لها باقى أنحاء جسدها .. تمرر أناملها بلمسات حانية على تعرجات فتحة شرجها وكلها لهفة لأن تراه مثلما ترى كسها , كان ذلك يعطيها إحساسا بالبعد بينها وبين شرجها , لأنه بعيد عن العين فبات بعيدا عن القلب , لكن إحساس المتعة المفعمة بالإسترخاء الذى يلجها من شرجها , جعل روابط الحميمية تبدأ بينها وبينه , وتذكرت هنا الكلمة التى ما فتأت تتكرر فى نصوص الكتاب (ريفت إستها) .. فعلى الفور مدت يدها تبصق بعضا من لعابها وتدهن به شرجها الذى لم يلبث إلا وقد بدأ يتسع , وشعرت هى بذلك وزاد شبقها لتدفع بظرف أصبعها بداخلة لتتنقبض عضلة شرجها عليه بحركة لا إرادية , دفعت مها إلى لذة جديدة عن اللذات السابقة .. ظلت تداعب شرجها بأصابعها لتدخل فى حالة هدوء وسكينة تحت مظلة من المتعة واللذة , لكنها فجأة بدأت تشعر برغبة فى التغوط .. جعلها ذلك تضحك عاليا , تتسائل ماذا لو يحدث لها مع دبرها مثلما يحدث مع حرها .. توقفت عن عبثها تماما وإتجهت إلى الحمام تلبى النداء ثم إغتسلت مرة أخرى وارتدت قميص نومها , ومنذ ذلك اليوم لم تعد مها نعمان ترتدى كيلوت .

عزمت مها على قراءة كتاب يوميا من الكتب التى جمعتها من مكتبة أبيها وعندما تفرغ منها ستواصل البحث فى المكتبة لتعثر على المزيد وهجم عليها النوم بسطو مسلح بإسترخاء ما بعد اللذة , فراحت فى عالم الأحلام .

ربما نشعر أن ما يحدث لمها نعمان يبدو غير منطقيًا ولا واقعيًا ، لكننا إذا أمعنا النظر في أحوال حياتها قبل شخصيتها ، سندرك أن الفتاة التي تجد نفسها بعيدا عن أحضان الوالدين بمأساة إنسانية كالتى مرت بها مها .. بالإضافة إلى تربيته التي لم تزرع فيها هدفا واضحا من حياتها ، جعلها ذلك بعد وفاة أبويها أشبه بفأر ألقوه في متاهة ، وبدلا من أن يسعى ويتقافز ليعبر المتاهة .. وقف مكانه منكمشا يرتعش مستسلما للمصير منتظرا للأقدار .. كان هذا هو حال مها نعمان تماما حين ساق الأقدار إليها سامى ، أو بالأحرى حين ساقتها الأقدار قطة رضية مغمضة العينين إلى سامى ، فيصبح هو بالنسبة لها شمسا وتحولت هي إلى كوكب تدور حوله ، فارتبط وجودها بوجوده .. ولم يكن تدلها بالجنس مع بداية استكشافه أمرا شادا ، بل كان منفذا طبيعيا لطاقتها البشرية التي ضلت طريقها بالتوحد الأنثوى المبكر مع ذكر ، فبات حبوها وراء اللذة وصبوها إلى المتعة هو الهدف والغاية .. وبدأت روحها تتحرر لتتحول إلى أنثى فريدة من نوعها ، ولا ننسى أن ضعف صمامات عنق مئانتها وما ترتب عليه من أمور نفسية ، زالت لمجرد وجود سامى فى حياتها وقبوله لها بحالتها، قد دفع روحها إلى مزيد من التحرر .. على الأقل فى هذه المرحلة التى أحكم الجنس فيها على خيوط شخصيتها وسلوكياتها كالإخبطوط .. فلا عجب أن تنمو شخصية مها نعمان نحو منحنى جديد وأيامها تمضى مع سامى يسترقان المداعبات والممارسات العذرية والحوارات وأدمنت قراءة النصوص الإيروتيكية التى باتت بمثابة خمر تدفعها إلى اللذة ومخدر يغوص بها فى المتعة .. ليس ذلك فحسب وإنما يعبق الأثير بينها وبين سامى بأريج الشهوة حين تحكى له ما تقرأه ، وحين التحقت بالجامعة وبدأت دراستها الجامعية وهى وسامى لا يفترقان إلا عندما يتجه هو إلى قسم الفلسفة وتتجه هى إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب .. إكتشفت مها من إخلال إدمانها للقراءة عن الجنس ، أن ما قرأته فى كتب الباه من عديد الأوضاع فى الجماع إنما هى أوضاع كرتونية تتنافى مع التطبيق العملى الممتع ، وفهمت الجنس من خلال كتاب الجنس ومعناه الإنسانى ، وكان لكتاب المرأة والجنس لنوال السعداوى الأثر الأكبر فى توضيح الجنس بشكله العلمى ، وتعرفت مها على أعضائها التناسلية بشكل تشريحى .. جعلها تفهم سر تبولها عندما تصل لقمة المتعة لحظة الأورجازم وكيف لا تتمكن أعصابها من التحكم فى عنق مئانتها لضعف وظيفى فى عضلات مئانتها تعانى منه .. كانت تستمتع بالمبادرة والإتيان بالجديد كلما إتقى جسدها بجسد سامى ، لكن كافة الممارسات كانت عذرية ولا تزال مها بكرا .

هناك نقطة هامة تحتاج إلى توضيح حيث صارت مها نعمان أنثى لا تقاوم ، والمدهش أنها لا تعى ذلك ، بل على النقيض فهى لم تسعى يوما لممارسة الأنوثة كفعل لجذب الشباب طالما تمتلك سامى الذى كان بالنسبة لها كل شئ .. لكن

طبيعتها المتحررة إلى جانب جمالها الطبيعي , هو من صنع أسلحتها الأنثوية الفتاكة دون تكلف ولا تصنع منها على الإطلاق , فتحررها الجسدى بعدم إرتداء أية ملابس داخلية تحت ثوبها الذى عادة ما يكون فستانا أو دريل يصل لمنتصف فخذيهـا , والفتحة المتسعة على الصدر تبرز أعلى نهديها وورثت عن أمها إدمان النظر إلى مؤخرتها فى المرأة لتعاين مدى طراوتها وتناسقها مع جسدها الممتلئ بلا إفراط .. ونظرات عينيها الجميلة الناعسة قد إكتسبت جراً متناهية , فإذا أمعنت النظر إليها وأنت تحدثها لن تجد عينيها تطرف ودوما ترى حاجبها الأيسر المزجج بطبيعته يعلو الحاجب الأيمن , فلن تتحمل نظراتها الفاتنة القاتلة , ستجعلك تشعر بالضعف أمامها .. ومنذ أن بدأ سامى التدخين مع بداية دراسته الجامعية إلا ولحقت به مها ولم يمانع .. لا تستحى من التدخين كيفما شئت وأينما كانت , ويعرف القاصى والدانى أن سامى ومها مخطوبان , وتتعجب زميلاتها من قبول سامى لوضعها على هذه الشاكلة , فلا أحد يعلم أن مها هى الوجه الآخر والصورة الأنثوية لسامى .. بات هدفهما المشترك هو الإستمتاع بالحياة .. يفعلان ما يريدان .. وبلا حساب .

وإذا كان ذلك منطقيا مع سامى بحكم كونه رجل يفعل ما يشاء , فما بال مها ؟ .. الجدة تكبر عاما بعد عام وإنتابتها فى الآونة الأخيرة حالات من الزهايمر جعلتها تائهة شاردة لا تعي كثيرا مما يحدث حولها , وتقضى معظم ساعات يومها بالفراش .. أما الطفلة أمانى التى وصلت لعامها الخامس تكفلت بها مربية لا تتركها سوى فى المساء وتستلمها مها .. صار معاش الأب والعائد من الوديعة البنكية ملكا لمها كل شهر تنصرف فيه كيف تشاء , وحين لا يكون هناك أب أو أم أو أخ يستوقفها على الباب ويعنفها طالبا أن تستبدل ثوبها بملابس محتشمة , أو أن يلحظ أن الحز الذى يتركه البانتي إذا ألتصق قماش ثوبها بمؤخرتها غير ظاهر , فيدرك أنها لا ترتدى بانتي , لينهال عليها صغعا كى لا تكرر ذلك .. طالما لم يتوفر ذلك الرادع , إذن ما الغريب فى أن تنطلق مها نعمان لا هدف لها سوى الإستمتاع بالحياة فى كنف سامى الذى آمن بذات المبدأ , بل هو من زرعه فيها .

فى السنة الأخيرة للدراسة الجامعية كانت مها وسامى أشهر طالبين فى الكلية بأسرها .. مها وسلوكياتها وخطيبها , وقد مرت السنوات سريعة متعاقبة ولم تتوحد علاقة أى منهما بصداقات لأن سامى ومها إكتفيا ببعضهما دون سواهما .. ذات يوم قانظ إحتست فيه مها الكثير من المشروبات والمرطبات للتخفيف من وطأة الحر رغم فستانها الخفيف القصير الملتصق على لحمها بالعرق , وأدى ذلك إلى أن تلبى مها نداء الطبيعة وتتجه للحمام فور إنتهاء المحاضرة .. تسير بخطوات مسرعة تدافع رغبة التبول , وحين دخلت الحمام فوجئت بكافة المراحيض شاغرة وهناك ثلاثة فتيات ينتظرن دورهن .. وقفت مها مستندة بظهرها على الحائط وقد شبكت ساعديها على صدرها وثنت ركبتيها اليمنى

لتصبح قدمها على الحائط .. ووصلت للمرحلة التي عليها أحد أمرين : إما أن تتبول على نفسها , وإما أن تجد حلا , وكان لا بد أن تجد حلا .. سارت بضعة خطوات بتودة تجاه أحد الأركان وشلحت فستانها القصير لتحقق الفتيات الثلاثة من الدهشة وهن ينظرن إلى كس مها المغطى بالشعر بلا كيلوت وهي تجلس القرفصاء ويندفع بولها الذهبي بعنف كخيوط من شلال هادر , وأدارت إحدى الفتيات مشيخة بوجهها بعيدا , فى حين كانت مها تغمض عينيها وتسحب نفسا عميقا شاعرة بالراحة .. إنتهت وقامت تنظر لوجوه الفتيات مبتسمة وخرجت وهي تشير إليهن بيدها مودعة .

أما سامى فقد إتخذت شخصيته المفكرة أبعادا أكثر فلسفية بحكم دراسته للفلسفة من جهة , ولطبيعته المفكرة من جهة أخرى .. هو حر يفعل ما يريد ومها حياته لكنها هى الأخرى حرة تفعل ما تريد , ويتقبل منها كل ماتقلعه ويحثها على أن تمارس حياتها كما تحب وتشتهى .. دوما يقول لها - متعة الحياة إنك ما يكونش عندك فصام بين اللى حاسة بيه ونفسك تعمليه وبين سلوكياتك اللى بتعملها فعلا .

قرأ كثيرا وتفكر كثيرا فى فلسفة الخلق والوجود ويؤمن بأنه نحو عالم أفضل لا بد من كسر تابو القداسة وتحطيم فكرة الحقيقة المطلقة .. أن نتعلم أن نضع الأفكار وكل الأفكار على مذبح النقد .. يؤمن أن سبب تخلف الشعوب المتخلفة إنما لأنها إتخذت الدين مرجعا للحياة دون أن تدرك أن الدين نص , وأننا نملك مخزونا هائلا من تقديس النص , فسواء كان النص إلهيا أو بشريا يجب أن يوضع على مذبح النقد .. كثيرا ما يفكر سامى فى نهاية الحياة : الموت , فالإنسان لم ولن يستطع أن يقهر الموت .. لأنه حقيقة الوجود .. فلا حياة تكون بلا موت ولا موت ممكن ألا ينتج حياة , فلو إنعدم الموت فرضا فمن أين تنتج جزيئات الحياة .

كثيرا ما كان سامى يحادث مها فى فلسفته ودوما يردد على مسامعها - عارفة يا مها .. المشكلة مش فى الإيمان .. المشكلة إن المؤمن بيحول الإيمان لفكرة التسليم الإيماني .. وده بيخليه إنسان عاجز مشلول مستسلم لشقاء حياته وراضى بظلم الطغاة على إنهم قدر .. وما بيسعأش إنه يغير واقع حياته ولا يناهض الظلم , ودا لأنه منتظر التعويض الإلهي فى الحياة الآخرة بعد الموت .. وأسهل حاجة الإيمان عشان الواحد يسلم ويمشى فى منهج القطيع

كانت مها نعمان تنصت إلى سامى بإمعان , وتخلص دائما من كلماته وخواطره أن ما عليها سوى الإستمتاع بالحياة , وحاولت أن تجادله يوم قال لها - إذا كان قتل الآخر تشريع إلهي فماذا تبقى للشيطان المسكين ؟

وردت مها تقول
- أحيانا لازم تقتل وإلا هانتقتل

وجدت مها نفسها فى جدال لن ينتهى واضطرت للتسليم ..

كان سامى يتأمل كثيرا حياة الخلود بعد الموت ويتسائل ما قيمة المتعة فى عالم الجنة اللانهائى , وما قيمة الألم فى عالم الجحيم الخالد ؟ .. سؤال يحتاج لجواب .. كذلك فكرة تعذيب الله للإنسان إلى الأبد هل تدل على أن مصالحه تضررت بشدة فمارس هذا الفعل الإنتقامى .. أم أن العذاب والنعيم كما حكته النصوص الدينية ما هى إلا صور رمزية يفهمها العقل البشرى , أما الحقيقة فهى شئ آخر لن نتمكن من إدراك كنهه بعقولنا المحدودة .. يعتقد سامى أنه لا يوجد شئ اسمه شر .. يوجد فقط ألم محاط بجهل معرفى .. عندما نعرف ونرصد سبب الألم ونتمكن من تجاوزه فلن يوجد شئ اسمه شر .

إذا كان شكل سامى منذ صغره يعطيه عمرا أكبر , فإن إزدیاد جمود ملامح وجهه بتقاطعيه التى تبدو منحوتة فى قطعة من الصخر , لا يمكن أن يظهر على وجهه ما يعتمل بداخله , فكان يبدو فى منتصف الثلاثينات بينما بالكاد تجاوز عمره الحادية والعشرين .. صارت تعبيرات وجهه آلية تماما نفس النظرات لا تتغير مهما طرأ من أحداث , ونفس الإبتسامة والتجهم وحين يفكر يضيق عينيه بنفس النظرة , ولكن الأهم هو عزوفه عن الكلام وميله أكثر للصمت , وهذا ما دفع مها فى أن تشتكى له ذات مرة قلة كلامه .

فى هذه الأثناء كان سامى جالسا يدخن كعادته فى الكافتيريا ينتظر مها ليعودا للبيت , وراها قادمة بابتسامتها المشرقة , وبادرها قائلا وهو ينظر فى ساعته

- إيه إتأخرتى ليه النهاردة ؟

ردت وهى تفتح علبة سجائر سامى وتسحب سيجارة

- ما أتأخرتش ولا حاجة

صمتت تشعل سيجارتها وتابعت والدخان ينبعث من بين شفتيها الملساء المطلية بلون بمبى مثل لون فستانها

- يدوبك كنت عديت ع الحمام ولقيته كومبليت .. وما كنتش قادرة امسك نفسى وروحت جنب الحيطه وعملتها

قالتها وهى تشيح بيديها للأمام ولما وجدت سامى يضحك .. سحبت شهقة عميقة بصوت عالى وأتبعته بأخرى أعلى وهى تحرك يديها فى حركة استعراضية والسيجارة بين أصبعيها تقول

- أنا مش مصدقة اللى أنا شايفاه .. إنت بتضحك ؟ .. يا خراشى معقول ؟ ..

لأ مش ممكن

صمتت ترنو إلى وجهه الضاحك وتابعت

- إن كان على كده يا حبيبي وحياتك عندى أعملها كل شوية عشان أشوفك بتضحك .. تحب أعملها هنا ؟

قالتها وهى مندمجة تماما لدرجة أنها سحبت بالفعل طرف فستانها البمبى ,
وقالت وهى تصوب نظراتها الساحقة رغم عيونها الناعسة , بصوت خفيض
تسكب الكلمات بسرعة

- إنت عارف طبعا إنى من غير بانتى .. والناس حوالينا بتبص مستنين
أسحب الفستان لفوق عشان يشوفوا كسى
ضحك سامى عاليا وبالفعل كانت مها صادقة فيما قالته حيث كانت العيون
تتابعهما , إلا أن سامى كان يضحك من نبرتها الممطوطة فى نطق كلمتها
الأخيرة وقال مبتسما

- إنتى إتغيرتى كتير فى الأربع سنين الأخيرة يا مها
بنبرة دلال ردت مها

- ياختى كميلة .. خلاص مابقتش طفلة (دائما تبرز مها نبرة الإستفهام مع
نطق آخر حرف فى الكلمة الأخيرة من كل جملة)

رد سامى بنبرة جادة

- لأ .. لسه طفلة .. بس طفلة كبيرة شوية

- إخس عليك .. طب إمتى هاكبر بقى يا عمو .. إنت مش شايف ؟

قالتها بعدما أعادت طرف فستانها إلى منتصف فخذها , ووضعت يديها على
ثديها , وسألت وهى ترفع حاجبها الأيسر ليبدو وجهها فى هذه اللحظة كالإلهة
للجمال والفتنة , وقبضت السجارة بشفتيها , قبل أن تعود وتمسكها بين أصابعها
وتتابع بنبرة حاكتها خيوط الميوعة والدلال
- كل دول ولسة طفلة ؟

رد سامى مبتسما ولكن بنبرة بدت حيادية

- معاكى حق .. مافيش طفلة عندها بزاز زى دول

رسمت مها على وجهها شكلا لمن على وشك الإلقاء بخبر قنبلة وقالت بهمس
ونبرة ممطوطة

- ما أنت ما شفتش طيزى

ضحك سامى ليس إلا , لأنها نطقت حرفى الطاء والزين فى الكلمة الأخيرة
مشوبا بالناء والسين .. قبل أن تردف

- ما أنت بقالك أسبوعين ماشفتهاش .. دى كبرت وإدورت وربربت خالص
لم تتلقى من سامى سوى إبتسامة عريضة .. وأطفأت سيجارتها , وبلا
مقدمات تحولت ملامح وجهها إلى ملامح جادة , وكأنها إرتدت قناعا يشبه
ملامحها وتحول سحرها إلى جمال من نوع آخر .. تنهدت ببطء وقالت
بصوت حانى

- سامى .. إنت مش عاجبنى بقالك فترة .. كلامك بقى قليل وبتضحك كل
فين وفين .. إنت زهقت من علاقتنا ببعض ومليت منى ؟

كمن تلقى خبرا بوفاة عزيز تجهم سامى وهو يقول مقطب الحاجبين وبنبرة
تحذيرية

- أوعى تقولى كده تانى .. إنتى مش ممكن هاتعرفى إنتى بالنسبالى إيه يا
مها
صمت ثم تابع مسرعا
- فاهمة ؟

قالها بطريقة لأول مرة تراها مها فى سامى , وحدقت فى أصبعه السبابة الذى
ظل لثوانى مشيرا إليها .. إبتسمت مها تستعيد طبيعتها المرححة المنطلقة
- إنت ليه شاغل نفسك بالكون والوجود .. ما تسيبه موجود .. ماتخافش
ماحدش هياخده .. عيش سنك .. إنت بقيت عامل زى واحد عجوز .. ليه
عامل فى نفسك كده ؟

لم تتلقى ردا وتابعت
- تقديرك ومجموعك وإختيارك تبقى معيد بعد ما تخلص السنة دى , مخلىنى
خايفة عليك لأن حياتك هاتفضل فى الفلسفة دى
- وإيه يعنى ؟
- ولا حاجة

قالتها وهى ترسم على وجهها إبتسامة ضاحكة وحاجبها الأيسر يعلو
- أنا حاسة إن حياتنا بقت روتينية .. عشان كده قررت أغير حياتنا
قالتها مها وهى تعيد ظهرها للخلف وتضيق عينيها تقول بنبرة متحدية
- أنا راهنت نفسى إنى أخليك ترجع تضحك زى أول ما عرفتك
- وهاتعملى إيه ؟

- هاقطعك حتت وبعدين أعجنك وبعدين أخلقك من جديد وأنفخ فيك من
روحي وأحطك فى الجنة

ضحك سامى عاليا وصاحت مها بنبرة طفولية تبربش برموشها الهدباء وهى
ترفع كفيها بحركة إستعراضية وتقول
- أنا عارفة إنها عجبتك .. إيه أنفع فيلسوفة زيك ؟

أوما سامى برأسه وقال

- إنتى غيرتى تسريحة شعرك

شهقت مها وهى تقول

- معقول خدت بالك .. دى تسريحة سعاد حسنى فى فيلم غريب فى بيتى ..

البنات زمايلى قالوا لى لما شافو التسريحة إنى شبه سعاد حسنى

- إنتى أحلى بكتير

قالها سامى بنبرة جادة للغاية , وسبلت مها عينيها وهى تقول بهمس متصنعة
الخلج الشديد

- ميرسى

ضحك سامى وقال

- ياللا بينا

قاما سويا وبمجرد خروجهما حتى أسرع مجموعة من الشباب يتسابقون , ووصل الأول ليختطف السيجارة من الطفاية وينزع العقب الملوث بطلاء شفاهها البمبي قائلا

- تذكرا لا يقدر بثمن

وأثناء إتجاهها وسامى تجاه باب الجامعة , لمحت مها رجلا يركب بسكليتة قادما من بعيد , فصاحت كطفلة تعلقت بلعبة وأشارت تجاه البسكليتة

- عاوزة دى

ابنسم سامى وقال

- مش أجرت لك بسكليتة وكل ما تسوقها تقعى

- لأ مش هاقع

قالتها وهى تعترض الرجل مشيرة له بالوقوف فتوقف ليسمعها

- ممكن أخذ لفة

ضحك الرجل مندهشا لتلح مها بدلال طفولى

- لفة صغيرة بس .. من هنا لهننا

قالتها وهى تشير لمسافة لا تتعدى خمسة أمتار .. وتنازل الرجل لها عن البسكليتة

ضحكا وهو يرنو لسامى الذى يتابع ولا يبدو على وجهه أية تعبيرات .. ركبت

مها البسكليتة وانطلقت

كلما تسرع مها وتترنح بها الدراجة توشك على السقوط , كانت تزداد سعادتها

وتعلو ضحكاتها , فتضغط بقدميها على البدال وتسرع وتسرع , ولم تدرى بنفسها

وهى ترفع نفسها من على كرسى البسكليتة لتمنح قدميها قوة وسرعة فى لف

البدال لتنتطلق أكثر وأكثر , وكلما رفعت نفسها , إنحسر فستانها ليظهر ثلثى

طيها جليا لعدم إرتدائها بانتي , لتنتطلق على إثر ذلك صافرات وصيحات من

كل صوب وإتجاه , حتى وصلت حيث بدأت الإنطلاقة المجنونة .. وأخذ منها

الرجل الدراجة وهو يبتسم بإبتسامة بلهاء .. سارت مها إلى جوار سامى عائدا

للبيت بينما إختفى الرجل بالدراجة بعيدا عن الأعين ومال على المقعد يتشمم

الرائحة بتلذذ .

عندما خرج عربى عطا من الأحداث .. كان الفرق الوحيد الذى يشعر به هو إحساسه بالحرية .. أدرك أن حياته داخل الأحداث أفضل كثيرا من حياته خارجها .. هو الآن تحت المراقبة والمتابعة حيث يحضر إلى البيت بين الحين والآخر مندوبان لمتابعة أحواله ليس إلا من أجل إستيفاء أوراق وإجراءات روتينية .. لكن عربى عطا يستفيد من مبلغ ضئيل للغاية يعطونه شهريا , بالإضافة لكسوة صيفية وأخرى شتوية وكذلك فى الأعياد , وخلال تلك الفترة كان عربى يعمل خراطا فى ورشة فى السيدة زينب حيث تعلم حرفة الخراطة فى الأحداث , واعتاد الحياة على هذا الوضع .. لكن طبيعته التى تربت منذ صغرها على الحرية والإنطلاق وفعل كل ما يريد دون وازع ولا رادع , أبت مع الأيام أن تسير حياته على هذا المنوال .. وساعد على ذلك إنقضاء العامين اللذين كان فيهما تحت المتابعة ففقد الجنيهات القليلة التى كانوا يعطونها إياه , وكذلك فقد رادعا كان يعوق طبيعته المتمردة لتتمرد على الحياة .

ثلاثة أمور لا بد أن نعرفها جيدا كلما ورد ذكر عربى عطا : الأمر الأول هو كراهيته الشديدة للمسيحيين , منذ أن فقد حريته صغيرا بعد سلب ونهب محلاتهم أثناء المشاجرة بين عائلة جرجس وعائلة رضوان , ويعلم عربى كما يعلم جميع أهالى المنطقة أن المعلم أبانوب أبو هانى كبير المسيحيين بالمنطقة هو من أرشد عن عربى وثلته ليتم القبض عليهم , لذا حظى أبو هانى تحديدا بالنصيب الأكبر من كراهية عربى .. تجلى ذلك حين كان عربى لا يحيى ولا يسلم على مسيحي حتى ولو كان من جيرانه أو ممن مشهود لهم بالجدعنة , وإذا حياه أحد منهم أشاح بوجهه ممتعضا وكثيرا ما كان يبصق على الأرض مشمئزا كلما رأى واحدا منهم .

والأمر الثانى هو إرتباط عربى بالصحة التى تقلصت من شلة الطفولة لتصبح مكونة من عربى وثلاثة أصدقاء هم وحيد الذى يعمل عربجيا فى الظاهر بينما مصدر دخله الأساسى هو عمله فى بيع الحشيش والبانجو مع أبيه .. أما بربرى صاحب البشرة السوداء والأنف الأفطس والجبهة العريضة , فقد كان خفيف الظل مرحا على الدوام ويعمل بالعطارة فى محل عمه .. أما ماهر فهو الحاضر الغائب , فهو حاضر بجسده وغائب بعقله من جراء شراسته فى تدخين الحشيش والبانجو , وفى الآونة الأخيرة يتعاطى المورفين بالحقن فى الوريد .. لم يكن عربى شرها فى تعاطى المخدرات مثل ماهر والسبب ليس حرص عربى على صحته وإنما كان لأنه لا يملك مالا كثيرا كالذى يملكه ماهر بحكم عمله فى المقاولات , فلم يتمكن من الإنفاق على مزاجه ببذخ مثل ماهر , وخصوصا عندما ترك عربى ورشة الخراطة بعدما لم يتحمل توبيخ صاحب الورشة وتشاجر معه بسبب توهان

عربي فى ذلك اليوم وجرح يده فى المخرطة متسببا فى كسر أحد تروسها , بعدما لم يعى ضبط المقاسات أثناء خراطة قطعة حديدية تائها .. يتنقل عربى بين أكثر من عمل غالبية فى أعمال البناء كمساعد , ولا يستقر فى عمل حيث يتذمر على الدوام من أية توجيهات أو تعليمات .

أما الأمر الثالث فهو شراهة عربى للجنس .. زبون دائم عند فجر الشرموطة التى تقطن بالقرب من منطقة الحلايف يعطيها الكثير من المال , ولا يحتمل عربى عدم ممارسة الجنس لأكثر من ثلاثة أيام , وكانت فجر تحتمله حين يكون عاطلا عن العمل ولا تتقاضى منه أية نقود , فيعوضها عربى على جدعتها بمجرد أن يحظى ببعض المال .

ومضت أيام عربى على نفس المنوال , حتى جاء اليوم الذى وصله نبأ القبض على وحيد وأبيه ومعهما كمية كبيرة من الحشيش والأفيون لتوصيلها من تاجر إلى تاجر .. وقف عربى ومعه بربرى وماهر يؤازرون أم وحيد وبناتها الثلاث , وانتهى الأمر بالحكم المؤبد عليهما بعدما أنفقت أم وحيد ما معها من مال على المحامين , ولم تعد تأبه بالإستئناف , وعملت أم وحيد ومعها بناتها الثلاث فى السوق يبيعن الخضار والفاكهة ليتكسبن رزقهن .

ذات ليلة لمعت الفكرة فى رأس عربى واستشار ماهر وبربرى وهما يتبادلون أنفاس الحشيش

- أنا عاوز اتجوز واحدة من بنات أم وحيد .. هما محتاجين راجل يحميهم .. ثلاث بنات وأمهم متبهدين بين الناس أشاد بربرى بجدعنة عربى وشهامته ووفائه لصديقهم وحيد .. أما ماهر فكان يشعر أن عربى أراد ذلك لأغراض أخرى .. وبالفعل كان عربى يجد أنها زيجة مجانية لن تكلفه شئ على الإطلاق وبالأخص عندما وجد ما يمنحه من مال لفجر العاهرة , يوازي نفقات أسرة من أسر حوش العجر الفقيرة , فأراد عربى أن يتزوج ليشبع جنسيا أولا وليحظى بمحل إقامة ثانيا بعدما ضاق من الحياة فى بيت أهله .. وحين تقدم عربى لأم وحيد طالبا الزواج ممن تختارها له من بناتها , واختارت هى الإبنة الكبرى فتحية التى تكبر عربى بثلاثة أعوام , وقد إختارتها الأم دون البنات الوسطى والصغرى لمجرد أنها الكبرى التى يجب أن تتزوج أولا .. وذهبوا جميعا لزيارة أبو وحيد ووحيد فى السجن واللذان وافقا على زواج عربى من فتحية .. رغم أن أم وحيد بالطبع كانت تتمنى رجلا آخر غير عربى إلا أن البنات التى تفتقد إلى مايجذب الرجال من جمال أو مال , جعلها توافق على عربى .. ولما لا ؟ .. فمن ذا الذى يتقدم للزواج من بنات أم وحيد اللاتى يقضى أبوهن وأخوهن المؤبد فى السجن , وأيضا لم تحظى واحدة منهم بقدر من الجمال يجذب رجلا للزواج بها .. وتم

الإتفاق على أن يقيم عربى معهم فى البيت الصغير المدقع المكون من دور واحد عبارة عن شقة من غرفة وصالة وستمكث أم وحيد فى البيت هى وبناتها بينما سيتكفل عربى بالإتفاق عليهم .

بضعة زغاريد هى أبرز ما كان فى العرس الذى حضره عائلة عربى وكأنهم ضيوف , وبات عربى زوجا لفتحية وولى أمر أمها وأختيها .

فى الأيام الأولى بعد الزواج لم يكن عربى يشتري حشيش أو بانجو , مكتفيا بالسجائر ويحرص على السعى على رزقه من أجل تدبير نفقات البيت إثباتا لرجولته , وكانت أم وحيد وابنتيها الوسطى زينب والصغرى وفاء يتعمدن الغياب عن البيت عند المعارف والجيران ليختلى عربى بعروسه فتحية التى اشتكت ذات مرة لأمها
- دا ولا الحمار .. مش عاتقنى ليل ونهار ولا اللى شارى جاموسة بينيها

ومع مرور الأيام إعتادت أم وحيد وابنتاها زينب ووفاء على أن يدخل عربى عليهن آخر النهار ويعطى لأم وحيد ما تحتاجه من نفقات وبعدهما يغتسل ويخرج إلى الغرفة ينادى فتحية التى تلبى على الفور وتغلق باب الغرفة ويمضى الوقت .. ثم يخرج عربى ليسهر مع أصدقائه ولا يعود إلا قرب الفجر مترنحا وعيناه حمراوان من تدخين المخدرات لدرجة أنه ذات مرة من فرط توهانه , داس بقدمه على بطن زينب النائمة على الفرشة بالصالة إلى جانب أمها وأختها وفاء وسط الظلام , واستيقظت زينب تشهق فزعا ويصحو الجميع فى حين سقط عربى بجسده عليهن وتمدد يلهث بأنفاس تفوح منها رائحة الدخان , وعانت الأم والبنتين لإبعاد جسد عربى عنهن والذى ظل ممددا كالذبيحة على الفرشة فوق الأرض , ووقفت زوجته فتحية التى استيقظت على أصوات ما يحدث بالخارج تجذبه من زراعه لينهض إلى الغرفة لكنه لم يكن يعى بشئ من حوله وكان يتمم بصوت متحشرج متخدر

- أوعى يا بت يلعن دين أمك

قالها وهو يغمض عينيه ينام وصوت شخيريه بدأ يخرج .. أسرعت فتحية تحضر شفشق من الماء وترش به وجه عربى الذى صاح مزجرا
- يا بنت دين الكلب

قالها وهو يطيح بيديه كل ما تطوله يده , فطاح الشفشق على الأرض وابتعدن جميعا عنه وفتحية تصيح

- قوم يا منيل .. إنت شارب إيه .. قوم خش الأوضة واتخدم جوا

بالكاد بدأ عربى يدرك بعضا مما يحدث من حوله , فنهض متثاقلا يترنح حتى وصل إلى السرير بداخل الغرفة ورمى بجسده بكامل ملابسه وحذائه وراح فى غيبوبة النوم .

كان عربي كلما سحب زوجته فتحية إلى الغرفة وأغلق الباب طالبا النيكة التي أصبحت يومية غير عابئا بحمل فتحية في شهرها الثالث , إلا وتشرد زينب ووفاء أثناء جلوسهما في الصلاة مع أمهم يتابعن التلفزيون من طراز تليمصر القديم ذو الأربعة عشر بوصة , ولم يكن هناك سوى القنوات التلفزيونية الأولى والثانية والثالثة ويتم التنقل بينهما عبر لف البكرة الموجودة أعلى يمين الشاشة وهوائى الإستقبال عبارة عن قطعة من الصفيح يمتد منها سلكا مشبكا بمدخل الهوائى خلف التلفزيون .. ترسخ لدى زينب ووفاء إعتقادا بأنهما لن تتزوجا رغم أنهما تجاوزا العشرين عاما من العمر بخمس وأربع سنوات , والسبب في ذلك هو إفتقارهما للجمال , لكن بالطبع لا يكفى ذلك ليترسخ لدى البنيتين إعتقادا بأنهما لن يتزوجا , فقد كانت زينب البنت الوسطى تعاني من حول ظاهر بعينها اليمنى وإعتادت على الحياة بنظر ضعيف دون إرتداء نظارة .. أما وفاء الصغرى فقد تشوه وجهها بأثر جرح قطعى غائر يمتد من الأنف بعرض خدها الأيمن أسفل العين , وسببه أن وحيد عرف من أحد اصدقائه أن أخته وفاء التي كانت في السادسة عشر من عمرها يومئذ , ترافق شابا من المنطقة وتمكن وحيد الذى أخذته العزة لصغر سنه فى تدارك الأمر بمراقبتها ومداهمتها على الكورنيش وهى تسير إلى جوار الشاب بجلبابها الرث المتسخ وتشبك يدها فى يده .. وقام وحيد بالتصرف الحتمى حسبما يعتقد هو دفاعا عن كرامته وشرفه ففتك بالشاب وانهال عليها ضربا قبلما يفر هاربا , أما وفاء فقد نجت من الموت من بين برائته بعدما عاد بها للبيت وألقاها أرضا ينهال عليها بالصفعات والركلات , وجرى يحضر السكين لذبحها تحت قدميه , ولولا صرخات الأم وتدخل الأب لذبحها بالفعل , وإنتهى الأمر بعدما فشلت محاولاته الطائشة فى الوصول إلى رقبتها بالسكين , بينما أبوه وأمه متشبثان به , وينتج عن ذلك جرحا عميقا فى وجه وفاء بعرض خدها الأيمن بكامله , واحتاج الجرح لعشرين غرزة فى مستشفى المبرة عند نفق صلاح سالم .

ورغم ذلك تنعم كل من زينب ووفاء بجسد أنثوى ورثا تقاسيمه عن أمهما .. وفى هذه الأثناء إحمر وجه كلا البنيتين بعدما شردتا فيما يحدث لأختهما فتحية بداخل الغرفة مع عربي , وتصبو نفس كلا البنيتين إلى الجنس , وتتخيل كل واحدة منهما أنها يمكن أن تحظى برجل فى يوم من الأيام .. لكنهما سرعان ما يتجهمان مدركان أن ذلك لن يحدث , وإذا حدث فلن يكون سوى مثيلا لعربى المسطول , وإن كان عربي قد إتخذ من بيتهم مقاما , فعلى القادم أن يجد له مسكنا يتزوج فيه .. ذلك إن حدث وجاء أحد طالبا من الأساس .

لاحظت الأم همسات البنيتين وتضاحكهما , وشعرت بما يجول فى صدريهما ولم تكن تقدر على فعل شئ سوى الإشفاق عليهما .. مع تعالى أصوات تزييق السرير القادمة من الغرفة , همست زينب ضاحكة فى أذن وفاء
- ما لهم مطولين النهاردة كده ليه .. دا بقالهم يجى ساعة

- إنتى ماسكالهم الساعة ولا إيه ؟
- تضحك زينب بخفوت وتتابع
- التزييق على أوى النهاردة .. ابقى فكرينى أقول لفتحية تشوف نجار
- وإحنا مالنا
- وكان زينب لم تسمع جملة أختها وفاء الأخيرة تابعت
- البت فتحية كل يوم بعد ما تطلع من الأوضة تقعد تشتكى من عربى وإنه
- هاريهها ومش عاتقها حتى وهى حامل .. مع إن وشها بيبقى مورد ومنور
- .. زى ما تكون فاكرانا غيرانين منها وخايفة نحسدها وبشتكى عشان
- تخزى عنينا
- ردت وفاء تقول
- وهو عربى دا راجل واحدة تتحسد عليه .. دا مدهول وماورا هوش غير
- السطل .. إنتى لو جالك واحد زيه كده تتجوزيه
- أسرعت زينب تقول بتلقائية
- لو هاينيكنى كل يوم كده أتجوزه على طول
- ضحكت وفاء على ماقالته أختها وعقبت من بين ضحكاتها
- دا أنتى كسك بياكلك بأه
- بتقولى فيها
- قالتها زينب لأنها بالفعل كانت مثارة من إمعانها فى تخيل ما يحدث الآن بداخل
- الغرفة بين أختها فتحية وعربى .. وتابعت
- دا أنا حتى كنت عايزة أطلب من عربى يشوف لى عريس من اصحابه
- ياختى بلا نبيلة .. إحنا ناقصين
- لم تدرى الفتاتان المندمجتان فى الحوار أن أصواتهما تعالت ووصلت بعض
- الكلمات لأمهاتى التى أسرعت تقول
- ياللا إنتى وهى روحوا هاتوا الجبنة وكام بيضة للعشا
- قالتها الأم فى محاولة لإبعاد الفتاتين عن البيت حتى ينتهى عربى وفتحية ورددت
- زينب محتدة
- إحنا فين والعشا فين ؟
- حاولت الأم أن تلهى الفتاتين فقالت
- مش كفاية الضلالى ده سرق فلوس أخوه فى الحلقة بتاعة إمبراح .. أحسن
- خليها تطرده
- قالتها الأم معقبة على مشهد فى مسلسل الشهد والدموع يجمع بين عفاف شعيب
- ويوسف شعبان والذى لم تكن الفتاتان تتبعانه منشغلتان بمتابعة مسلسل آخر
- بداخل الغرفة بين عربى وفتحية .
- صوت صرخة وآهة عالية لفتحية جاءت فجأة من الغرفة , فضحكت الفتاتان
- وغضبت الأم تقول

- بتضحكوا على إيه يا عِلقة إنتى وهى
وقالت وفاء

- قولى لبنتك اللبوة دى , اللى ناقص تفتح عليهم الباب وتتفرج
صاحت زينب محتدة وهى تضع أصبعها السبابة بين شفيتها تشهق بميوعة تقول
- أنا اللى لبوة يا منيوكة يا بتاعة الواد اللى كنتى بتتمشى معاه ع الكورنيش
, ولا نسيتى

أسرعت وفاء ترد بوجه ممتعض
- بس ياللى كسك بياكلك

فما كان من الأم سوى أن تنهض تصفع الفتاتين على رأسيهما وهى تقول بصوت
حاولت ألا يصل إلى الغرفة المغلقة
- قومی يا شرموطة منك لها .. غوروا من هنا وتعالوا بعد شوية

كانت الفتاتان تضحكان عاليا تحت صفعات الأم وجذبها لهما من شعرهما
وسقطت الإشارات التى إكلح لون رسومتها الزاهية إلى اللون الترابى ..
وتوقفت الأم وسكنت الضحكات على إثر إنفتاح باب الغرفة وخروج عربى
مغادرا ليسهر مع بربرى وماهر كالعادة .. وسرعان ما خرجت فتحية تمشى
متناقلة وبدا للفتاتين أنها تخطو مباحدة بين رجليها تضع يدها اليمنى على أعلى
مؤخرتها , ونظرت زينب لوجه فتحية بشعرها المبعثر وقد بدا على ملامحها
بعض الألم لم يخفى تورد وجنتيها وإحمرار وجهها وهى تتجه للحمام .. وصاحت
زينب

- نعيما يا فتحية

نهزت الأم زينب صائحة

- بس يا لبوة

بينما مضت فتحية فى طريقها إلى الحمام مباحدة بين فخذيهما , وكأنها لم تسمع
أختها , وبعدها خلعت ثوبها نادت

- حد يناولنى كوز

أسرعت زينب تحضر الكوز وتناولته لأختها تقول

- أيفالك ضهرك

- لأ أنا هاشطف جسمى بس بشوية مائة

صفعت زينب أختها فتحية العارية الواقفة على قاعدة الكابينيه على مؤخرتها ,
وصرخت فتحية بعدما لسعتها الصفعة وهى تصب كوز الماء على جسدها وقالت
- أما إنتى عِلقة صحيح
عادت زينب للصالة ضاحكة

خرجت فتحية بعدما اغتسلت ولمت شعرها المبلل تتقاطر قطرات الماء على
وجهها الممتعض , وجلست إلى جوار أختيها لتبادرها زينب قائلة

- مالك مكلضمة كده ليه ؟
- ردت فتحية وهى تميل فى جلستها وتتململ وكأنها جالسة على صفيح ساخن
- المتتيل مش عارفة واخذ إيه النهاردة ونازل حرت فيا
- ضحكت وفاء بميوعة وهى تقول
- إنتى بتخزى عنينا ولا إيه .. ما إنتى وشك مورد أهو
- زمت فتحية شفيتها وهى ترد
- ياختى بلا نبيلة .. أنا خلاص مابقتش قادرة دا ما بيشبغش
- بضحكات ممحونة عقب زينب
- كنتى إندهيلى أخش أساعدك
- تدخلت الأم المنهمكة فى تنقية الأرز تقول بنظرة زاغرة لزينب
- يوه .. إيه يا بت المُحن اللى إنتى بقيتى فيه ده
- ردت زينب
- اسكتى إنتى مالكيش دعوى .. أنا وأختى بنتكلم مع بعض
- نهضت الأم تقول
- أنا رايحة أجيب حاجات العشا , وهاجيب عدس عشان نعمل بكرة فته
- عدس
- قالتها وخرجت من البيت مغادرة , بينما سألت وفاء أختها فتحية
- إنتى كنتى بتصرخى ليه جوا
- تزم فتحية شفيتها وهى تحرك كفيها معلنة وكستها
- المسطول مش مكفية قدام وكان عاوز يدخله من ورا
- ضحكت زينب ووفاء وقالت زينب بعدما تملكته الشهوة وشعرت بالبلبل بين
- أشفارها
- ما إنتى لازم تتعودى على كده .. أمال هاتعملى إيه أما تولدى .. هو عربى
- هايسيبك لحد ما تربعنى
- شهقت فتحية لما سمعت تلك الخاطرة التى جعلتها تصيح
- لاهو كمان مش هايقتنى وأنا والدة .. لأ يبقى ينيك فى الحيطه
- قالتها لتعلو أصوات الضحكات الماجنة ولاحظت زينب أن فتحية لا تفنأ تعدل من
- جلستها المتربعة متململة وكأن شئ من أسفلها ينخرها وقالت لها
- مالك مش قاعدة على بعضك ليه ؟ .. هو كان عايز يدخله من ورا ولا
- دخله وفَـتَـئِكْ
- صاحت فتحية محتدة
- إيه يا بت .. على رأى أمك إنتى بقيتى لبوة كده ليه يا حولة ؟
- تضحك زينب بميوعة وتقول
- أنا عايزاكي تقولى لعربى يشوفلى عريس من اصحابه
- قاطعتها فتحية قائلة
- إيه كسك خلاص مش قادر .. بلا وكسة دا إنتى قعادك كده أحسن من الهم

شعرت زينب أن أختها تقول ذلك لأنها أدركت أنها تحسدها فقالت
- أنا مش باحسدك والله .. أنا باقول ضل راجل ولا ضل حيطه

إعتادت زينب ووفاء فى الإنصات لما يحدث بداخل الغرفة عندما ينغلق الباب
على فتحية وعربى , ولاحظت الأم إقترابهما وجلسهما إلى جوار الباب ,
وفشلت فى إبعاد البننتين ولم يكن لها بدا سوى من تركهما عسى أن تتزوج كلتاهما
وترحلان عن البيت .. وحين تخرج فتحية ويغادر عربى , تجلس إلى جوار
أختيها يتشدقان بالحديث الذى بات محوره دائما شكوى فتحية من نهم عربى
للجنس , ويظهر جليا لأختيها أنها تشكو ومع ذلك تبدوا راغبة , وبدأ الحديث
يتطور لتحكى فتحية بعض تفاصيل العلاقة الحميمة بينها وبين عربى .. كانت
زينب ووفاء تستعذب الحديث مع فتحية بهذا الشكل , ويقتصر الأمر بالنسبة لوفاء
على هذا الحد .. لكن زينب التى تتميز بطبيعة شهوانية أكثر من أختيها , كانت
تشلح جلبابها وتسحب كيلوتها لأسفل عندما ترقد فى الظلام على الفرشة فوق
الأرض لتنام وتستحلب كسها مدلكة شفراتها وبظرها حتى تنتشى وهى تتخيل
رجلا بين فخذيه .. وذات ليلة ومن شدة إندماجها شهقت من الفزع وكادت تتبول
على نفسها حين سمعت أختها وفاء تقول لها
- مش هاتبطلى اللى بتعمليه فى نفسك دا يا لبوة

- يخرّب عقلك خضتيني

قالتها وعادت لتواصل ما كانت تفعله دون أن تعبأ بأختها .. وانعكس ذلك الحال
على زينب حيث تتقصع فى مشيتها ولا تغادر فمها اللبانة بالإضافة إلى ضحكاتهما
المنفلتة وإستخدامها الدائم للكلمات الأبيحة فى حديثها مع القاصى والدانى , مما
جعل أمها تناديها فى أغلب الأحيان (يا لبوة) .

ضاق عربى بشظف العيش على هذا النحو , فما يتكسبه لا يكفى مزاجه ونفقات
البيت وخصوصا عندما زاد الصرف على مزاجه وأصبح مسطولا يترنح على
الدوام , ولسانه متناقل يتلعثم فى الكلام , وكثيرا ما يتشاجر مع حماته وزوجته
التي صارت على وشك الولادة بسبب قلة ما يعطيه لهم من مال وصرف معظم ما
يكسبه على المخدرات وتطور الأمر إلى إحتسائه البيرة كل ليلة .. وكل ما ينال
فتحية إذا تحدثت معه فى ذلك وعكرت مزاجه سوى أن يهوى عليها صفعا
وضربا وركلا غير مبالى بحملها وهو يسب ويلعن بما إنتقاه لسانه من ألفاظ
وتتدخل الأم لتهدئة الوضع .. ذات مرة كان عربى مخمورا مسطولا كعادته
وصاحت فيه زوجته وهو عائد من عمله بعدما رأت مبلغا من المال فى جيب
بنطلونه وأخذتها تقول

- دى فلوس الشغلانة اللى إنت فيها الأسبوع ده

- آه

- طب أنا هاخدها عشان أمى مستلفة فلوس
- ما إن سمع عربى جملتها حتى إتجه إليها مترنحا يقول ورائحة البيرة تفوح من فمه
- تاخذى إيه يا بنت الوسخة
- إحنا بقالنا شهر لا بناخد منك لا أبيض ولا أسود وأمى مستلفة من الناس كلها , وإنت قاعد تاكل وخلص .. إحنا مش عاوزين غير تمن لقمتهك .. دا أمى رجعت تشتغل تانى فى السوق ولا أنت عايز تعيش على عرق نسوان
- كانت كلمات فتحية كفيفة بأن يهتاج عربى كثور , رغم ما فيه من توهان وسطل لينهال عليها ضربا وركلا دون أن يعبأ بحملها وهو يتلثم ناطقا بلسان ثقيل
- أنا عايش على عرق النسوان يا بنت الكلب .. هى فين النسوان دى .. إنتى مش شايفة أوشاشكم اللي تقطع الخميرة م البيت .. بتسمى نفسكوا نسوان .. دا أنتى وشك ولا وش القرذ
- إندفعت الأم تقتمح الغرفة ممسكة بسكين تصرخ محاولة تخليص ابنتها فتحية وتساعدها زينب ووفاء , وتصرخ الأم
- إبعد إيدك عنها لأجيب بطنك يابن الـ
- قبل أن تتم الأم جملتها , كان عربى يهوى عليها مختطفا السكين
- طب والنعمة الشريفة لأجيب أجلك
- قالها وهو يدفع أم وحيد لتسقط أرضا , وحال بينه وبينها أجساد بناتها الثلاث يصرخن ويولولن , ليندفع بداخل البيت على إثر الصرخات الملتاعة المستغيثة الشاب مصطفى ويتمكن بعد تدافع الجيران من سحب عربى للخارج لتهدئته .

مصطفى شاب نرح قادما من الريف بحثا عن عمل فى القاهرة , شأنه فى ذلك شأن العديد من الشباب بعدما كان طريق الوصول إلى العاصمة صعبا واعرا فى أيام الرئيس عبد الناصر بحملات التفتيش المداهمة للقطارات فى محطة مصر وترحيل الوافدين من القرى والمحافظات من حيث أتوا , وتم تقنين الأمر نسبيا فى أيام السادات وتلاشت القيود فى الأعوام الأخيرة لحكمه ثم إنفتح الأمر تماما الآن مع السنوات الأولى لحكم مبارك .. الحكايات التى تروى عن العاصمة فى القرى والنجوع جعلتهم يتخيلون (عمار يا مصر أم الدنيا) بصورة فانتازية , فهربوا من الفقر والشقاء وافدين للعاصمة ليجدوا الوضع ليس بأفضل حالا .. لكن شكل الحياة فى العاصمة المختلف كليا عن حياتهم فى القرى والنجوع يجعل مقولة (قروى ساذج بهرته أضواء المدينة) تبدو حقيقة , فيصبح أغلب الوافدين ممن هم على شاكلة مصطفى الذى لم يحضر ملتحقا بجامعة أو عملا جيدا يعلى شأنه فى العاصمة , متشبسون يدورون مع عجلة الحياة .. عمل مصطفى أول ما قدم للعاصمة وحيدا بلا قريب على السعى بعربة آيس كريم , يستأجرها من أحد التجار فى السيدة

زينب ويدور بها يسترزق قوت يومه أولا بأول , ثم عمل فى الفاعل يحمل مواد البناء .. كان يجلس إلى جوار أقرانه تحت الشمس الحارقة ممسكون بالفؤوس والقضعات , وتمكن من جمع بعض المال لأنه لم يكن له فى البلد من يحتاج منه إلى معونة .. اشترى عربة يبيع عليها الكسكى الذى كان يعيشه مصطفى ويرى والدته فى البلد وهى تتفنن فى صنعه , واستقر به المقام بعدما إستأجر شقة بمصر القديمة فى حوش العجر مجاورا لبيت أم وحيد ويبدو أن ذلك هو المكان الذى ساق الله فيه الرزق لمصطفى حيث عربة الكسكى المستقرة على ناصية الشارع لا تخلو من الزبائن , والسبب فى ذلك أن أهالى المنطقة قد إعتادوا على عربات الكشرى وعربات الكبدة , أما الكسكى الذى كان بالأصل أكلة مغربية ويصنع بإضافات عديدة من خضار ولحوم وفاكهة , ثم انتشر فى الشمال الأفريقى , على شكله البسيط من الدقيق والسكر والسمن .. أعجب أهالى حوش العجر بالكسكى الذى يصنعه مصطفى لأنه يحرص على استخدام السمن البلدى رغم إرتفاع التكلفة .. لكن مصطفى لم يكن يأبه بالمكسب القليل وهو يرى العوض عن ذلك بتزايد زبائنه وإعجابهم بالكسكى الذى يصنعه وأصبح بالنسبة لهم طعام وحلوى فى نفس الوقت .

كانت أم وحيد تشتري الكسكى من مصطفى معجبة بهدوء طباعه .. لم تراه يدخل سيجارة ويقف على عربة الكسكى يعمل بمنتهى الهمة والنشاط بلا مساعد وعلامة الصلاة تتوسط جبهته , كانت تتمنى لو تزوج إحدى إبنتيها .. لكن هيهات فبالقطع علم من حكاوى أهل المنطقة بحكاية زوجها وابنها السجينين .. ثم هل من يكون فى بيتهم رجلا على شاكلة عربى عطا , يمكن أن يدخله رجل مثل مصطفى طالبا الزواج .. ولماذا إذا أراد الزواج ينظر لبناتها التى لا تحظى بمال ولا جمال , ويمكن أن يختار لنفسه من بين بنات المنطقة الكثيرات .. لكن لعبة القدر لا تخضع لأية قوانين , وأن الزواج فعلا مسألة قسمة ونصيب .

منذ ذلك اليوم الذى هرع فيه مصطفى على الصرخات المستغيثة , أصبح قريبا من أم وحيد وبناتها وكثيرا ما يتدخل لفض نزاع بينهن وبين عربى بتهدئته , ومع تزايد الرزق على مصطفى , كان عليه أن يجد من يساعده فى صناعة كميات كبيرة من الكسكى , وطلب من أم وحيد أن تعمل معه وفاء لتساعده على عربة الكسكى وسيعطيها ما فيه القسمة .. كان دافع مصطفى فى طلب وفاء للعمل معه دون أن يجد صبيا , هو الشفقة على أم وحيد وبناتها فدوما كان مصطفى يتسائل حين يسمع أحاديث الناس عن عربى وأم وحيد وزوجها وابنها السجينين , ما ذنبهن إذ ألقن بهن الأقدار فى هذه الحياة , لكنه كان يعتب على موافقة أم وحيد من تزويج ابنتها فتحية من عربى وفى نفس الوقت يلتمس لها العذر فى كونها قبلته من باب الإحتياج لظل رجل يحميها ولم تكن تدرى أنه سيذيقهن العذاب .. واختار مصطفى وفاء دون أختها زينب لأنه إلتمس فيها هدوء طباعها ونظراتها

المسكينة البائسة التي كانت تدفعه للشفقة على حالها , عكس أختها زينب
بضحكاتها المنفلتة واللبانة التي لا تفارق فمها ومشيتها المتقصعة , فكان يرى أنها
(بت وشها مكشوف) .

مع الوقت تحولت شفقة مصطفى على وفاء إلى إعتياد على وجودها بجواره ..
تغسل الأطباق والملاعق بهمة ونشاط , وتبعثر الزبيب وجوز الهند فوق أطباق
الكسكسى قبل مناولتها للزبائن , وتحضر له حامله أجولة السكر والدقيق وصفائح
السمن على رأسها وتصعد بها إلى شفته حيث يصنع الكسكسى .. ووجد مصطفى
وجهها صار محببا , والبشلة الغائرة التي تشوه وجهها بعرض خدها الأيمن أسفل
عينها باتت مألوفة ..

ذات يوم تغيبت وفاء عن العمل على غير عاداتها ومن الطبيعي أن يدخل مصطفى
بيت أم وحيد ليطمئن على وفاء , ولكن الغير طبيعى هو اللفظة التي غطت وجهه
وأم وحيد تقول له

- أصل عندها مغص شديد ما قدرتش تخرج للشغل النهارده
كانت زينب واقفة واضعة يدها فى وسطها تلوك العلكة وملاحم الخيرة بادية على
وجهها وهى تسمع مصطفى يقول
- يبقى نروح نوديه المبرّة

ردت الأم

- لأ .. هى مش تعبانة أوى
- طب أروح أشوف لها دكتور
إعتدلت وفاء من رقدتها قائلة
- لأ أنا كويسة .. بس عاوزة أريح النهارده

أمام إصرار مصطفى ولهفته على وفاء وهو يكرر سؤاله

- يعنى إنتى كويسة

صاحت زينب تقول

- أصل هى نزلت عليها الدورة الصبح ولقت نفسها مش قادرة تصلب
طولها .. الإكزا جايلها جامدة شوية الشهر ده

قالتها زينب وهى تنظر إلى مصطفى تمضغ علكتها بغضب بينما أشاح هو بوجهه
خجلا من وقاحتها وسمعها تسأل
- ها إطمنت عليها يا أخويا ؟

قالتها وهى تضع يدها اليمنى على اليسرى فوق موضع عانتها ووجهها ممتعض
.. أصبحت زينب خشنة فى معاملتها مع أختها الصغرى وفاء , بسبب غيرتها
لمجرد أن وفاء حظت بمن يهتم بأمرها ويتألف عليها .. وكان مصطفى يرى
نظرات الحب فى عينى وفاء حين تقول له فى نهاية يوم طويل من العمل , عندما
يجلس مصطفى وتظهر الدوالى التي ملأت قدميه طول ساعات وقوفه

- نفسى تاخذ إن شاء الله يوم واحد أجازة من الشغل كل أسبوع .. إنت شقيان
وتعبان طول اليوم من الوقفة

صعد مصطفى بعد إنتهاء يوم عمله ومعه وفاء تحمل الصوانى الفارغة , وخفق
قلب مصطفى وهو يرى وفاء تحضر طبقا بلاستيكيًا كبيرًا مملوءًا بالماء تقول
- حظ رجلك فى شوية المية بالملح دول عشان وجع الدوالى دى يخف عليك
قالتها وهى تتحنى تحت قدميه لتضع رجله فى الماء .. وقال مصطفى
- لا يا بنت الناس كتر خيرك .. أنا هاحطها فى المية
أصرت وفاء على القيام بتدليك قدمى مصطفى فى الماء بالملح وخف ألم الدوالى
فى قدميه , وودعته وفاء قائلة
- عايز حاجة منى قبل ما أمشى
- عاوز سلامتك يا وفاء
- تسلم يا مصطفى

فى هذه الليلة تمدد مصطفى على سريريه يفكر , واتخذ قراره .

فى الغد طلب مصطفى وفاء للزواج من أمها وسأل إن كان هناك قريب لهم
يطلبها منه وأجابت أم وحيد
- ما لناش حد فى الدنيا يا ابنى بعد أبو وحيد ووحيد ومعدناش بنزورهم فى
السجن .. ما فيش غير المتدهول إلهى ياخده عربى
رد مصطفى
- هابقى أكلمه ماهو الراجل فى البيت هنا برضه .. بس على الله يكون فايق
ودريان
- أصيل يا ابنى .. ربنا يبارك لك

بدأ مصطفى فى تجهيز شقته بما إدخره من مال , وتكفل بكل تكاليف الزواج قدر
ما استطاع حيث لم يكن فى مقدرة أم وحيد أو عربى بالقطع المساهمة بأى شئ ,
وكلما بلغ أحد معارفه فى المنطقة بأنه عازم على الزواج من وفاء بنت أم وحيد ,
إمتعض وهو ينصحه قائلاً
- يا راجل طيب .. حد يعمل كده ؟ .. تخلى واحد زى عربى المسطول يبقى
عديلك .. وكمان دى عالم لبش هاتضيع فى وسطهم وما حيلتهمش اللضا
يجيبوا قشاية فى الجهاز .. سيبك من الجوازة دى وتعالى أوديك بيت ناس
أمرا ونسب يشرفك
ويرد مصطفى بهدوء

- البت غلبانة ومنكسرة وطالبة الستر , وإن كان على جوز أختها هو فى حالة وإحنا فى حالنا .. وأمها ست طيبة ومالهاش ذنب فى موضوع جوزها وابنها .. وأنا استخرت ربنا وقلبي مستريح

وبعد تأنيث الشقة بالأثاث المتواضع البسيط .. وقف مصطفى ينظر إلى الأثاث وإلى جواره وفاء وقال

- الحمد لله .. كنت خايف التحويشة اللي معايا ما تكفيش .. بس ربنا بارك فى القليل وهى قضيت .. بس مش معايا نعمل فرح .. يدوبك نعمل حاجة على القد
لم تستطع وفاء من مكابدة البكاء , وبكت , وعلا صوت بكاؤها , ليسرع مصطفى بسؤالها متلهفا

- بتعطى ليه ؟ .. عشان مش هانعمل فرح
- لأ .. أصل كان نفسى يبقى ليا أهل يجيزونى زى كل البنات ومنتحملش إنت كل حاجة لوحدك

ابتسم مصطفى وإقترب منها يرنو إليها حانيا ومد يده يمسك برأسها ويمسح دموعها بإبهاميه يقول
- ولا تزعلى .. أنا أهلك يا ستى

أمسكت وفاء بيدي مصطفى تقبلهما ممتنة بينما هو ينظر إلى أثر الجرح أسفل عينها بعرض خدها الأيمن وقد بدا له فى هذه اللحظة أنه علامة تزين وجهها , فنحن نرى الجمال إذا رغبتنا فى رؤيته .. وتم الزواج الذى حضره عدد قليل من المعارف .

حب وفاء لمصطفى والذى كان نابعا من إمتنانها له وشعورها بفضلها عليها بزواجه منها لينجيه من حياة بائسة ويمنحها السعادة , جعلها ذلك تعيش تحت قدميه محبة راضية .. لا تجعله يغمض له جفنا بعد العمل إلا بعدما تدلك قدميه فى الماء الدافئ بالملح , فيتخلص من ألم الدوالي , ثم تعريه وترقه على السرير تدلك ظهره وجسده حتى يسترخى تماما ويزول التعب

- عارفة يا وفاء .. أحلى حاجة عندى فى الدنيا .. التكبيسة بتاعة كل ليلة دى ..
- باحس بعديها إن جسمى مرتاح
- دا لو أطول أديك عمرى كله أديهولك
- ربنا يخليكى ليا ويديم علينا نعمته

قالها مصطفى وهو يستدير على ظهره يمسك بيد زوجته يقبلها , لتبرق عينها وهى تنظر له بحنان

- إنت اللي بتبوس إيدى .. دا أنا اللي أبوس رجلك
قالتها وهى تميل بالفعل لتقبل قدم مصطفى الممدد عاريا على السرير ليسحبها على الفور يقول

- العفو يا بنت الناس .. وهو أنا كنت هلاقي واحدة تحطني في عينيها زيك
كده .. كفاية تعبك معايا ع العربية وفي البيت

دمعت عينا وفاء , فبادرها مصطفى ضاحكا يقول

- إنتى دمعتك قريبة كده ليه ؟

ردت وفاء

- والختمة الشريفة ربنا وحده اللي يعلم أنا بحبك قد إيه

ضحك مصطفى وقال

- طب تعالى جنبى عشان عاوزك

قالها وهو يتزحزح مفسحا لها لترقد جانبه , لكنها تدللت وهى ترنو بطرف عيناها

إلى قضيبه الذى تمدد , وقالت بدلال تتصنع عدم الفهم

- إيه عاوز إيه ؟

- عاوزك تعالى جنبى

- طب استنى هاروح استحمى عشان ريحة السمنة على جسمى

إستحمت وفاء وأمعنت فى تنظيف جسدها بالليفة وخرجت عارية تفتح الدولاب ,

وتتناول زجاجة عطر سيكريه الشبر اويشى من تحت طيات ملابسها وترش حول

رقبتها وعلى صدرها , لتفوح الرائحة الجميلة يتطاير أريجها فى الغرفة ويتنسمه

مصطفى قائلا وهو يتابع جسدها الأنثوى المتناسق المثير

- إيه الروايح الحلوة دى

تضحك وفاء بميوعة وهى تقترب وترقد على السرير تحتضن مصطفى الذى قال

- وحشتينى

- إيه يا راجل .. مش لسه كنا عاملين عمول

تنهد مصطفى بعمق ينهل من العطر الفواح وهو يهمس لها

- وهو حد يشبع من الكسكى ده

قالها مصطفى وهو يقبض بيده يعتصر كس وفاء التى تأوهت وضحكت بصوت

منغم عالى ثم قالت

- طب مش عاوز مع الكسكى زبيب

- آه يا ريت

رفعت وفاء صدرها فوق صدر مصطفى وأمسكت بثديها تضع حلمتها فى فم

مصطفى تهمس

- طب خد الزبيبة دى

إلتقم مصطفى حلمتها بفمه يمتصها ثم قال

- هو الزبيب بقى كبير كده ليه ؟

تلو ضحكات وفاء المثيرة وتقول

- طب استنى أديك شوية جوز هند

قالتها وهى تقبل شفاه زوجها وتلثمها وتمرر طرف لسانها على فمه , ليقول بصوت تغمره المتعة

- دا أحلى جوز هند شوفته فى حياتى
- يتبادلا الضحكات ويتشاركوا المتعة , وقال مصطفى
- أدبنى خدت الزبيب وجوز الهند .. هاتى بأه الكسكى
- قالها وهو يرقدها ليعتليها فقالت مسرعة
- لأ إستنى
- إيه
- عاوزة أعملك النهارده شمعة البحر

قالتها واعتلت زوجها تجلس عليه ممسكة بقضيبه وتدخله فى مهبلها , وتتماوج من فوقه ثم تميل بصدرها على صدره تقبله حتى إنتشيا وناما متعانقان .

كالعادة يستيقظ مصطفى فى الفجر .. اغتسل وصلى ثم بدأ مع وفاء فى وضع الدقيق فى الأروانة الكبيرة .. أشعلت وفاء وابور الجاز لإذابة السمن ثم إضافتها على الدقيق فى الأروانة , وتمسك بالغرزال بينما مصطفى يفرك العجين خلاله ليصنع الكسكى .. تلف وفاء الإيشارب المزركش على شعرها وتحكم ربط عقده على مؤخرة عنقها , وتحمل صينية الكسكى الكبيرة فوق رأسها وتنزل بها مع مصطفى الذى يحمل الزبيب وجوز الهند .

يدفع مصطفى العربة الخشبية من مدخل البيت متجها إلى الناصية تعاونه وفاء , وينظفها جيدا ويمسح الزجاج ثم يضع صينية الكسكى الكبيرة , ويستفتح يومه متمتا

- استفتحنا واستفتح الملك الله
- وكان أول زبون قادما نحوه فى الصباح هو عربى الذى ما إن تراه وفاء حتى يقبض صدرها وتشيح بوجهها عنه هامسة
- أعوذ بالله .. ع الصبح كده
- إقترب عربى محييا
- إيه يا أبو نسب .. عاوز أفطر وهو لسه سخن كده
- أكل عربى طبقين من الكسكى دون أن يدفع ثمنهما بالطبع والتقطت أذنيه كلمات وفاء
- بالسم الهارى
- فقال غاضبا
- هاتسمينى ليه ع الصبح .. دا أنا جوز أختك الكبيرة , وفى حكم أخوكى الكبير
- ردت وفاء مندفعة صائحة
- لا أخويا الكبير ولا أخويا الصغير .. إنت فى حالك وإحنا فى حالنا

- لم يرد عربى وجذب مصطفى جانبا يقول له بصوت خفيض
- شوفلى معاك خمسة جنيه سلف يا درش
 - منين .. ما أنت عارف أنا لسه مخلص اللى معايا ع الجواز وعليا أقساط ..
- وأدينى باستفتح
- غادر عربى لعمله فى المحارة فى عمارات الضباط التى يتم بناؤها على الكورنيش , وأسرت وفاء تسأل زوجها
- كان عاوز منك إيه ؟
 - عاوز خمسة جنيه سلف
 - كويس إنك ما إديتهوش .. ولازم بعد كده ما تدهوش ريق حلو , وإلا هاتلقيه كل شوية ينط لك هنا

تساعد وفاء زوجها ثم تصعد إلى الشقة وتنظفها وتعد الطعام حتى يحضر ...

الوقت الوحيد الذى يجب على وفاء أن تتبعد فيه عن مصطفى هو حين يكون متابعاً لمباراة للأهلى , حيث يتحول لشخص آخر تماما .. إعتاد مصطفى منذ كان فى البلاد قبل النزوح للقاهرة على ألا يفوت مباراة للأهلى أبدا , حتى أثناء عمله , فقد حرص على تثبيت تليفزيون صغير بداخل عربة الكسكى لمتابعة مباريات الأهلى , ويتقافز الدم فى عروقه وتتسارع قرعات قلبه ويقفز ضغط دمه من فرط الإثارة والحماسة التى يتابع بها المباراة , فلا عجب أن تسمعه يصيح

- يا جدد إنت دى عاوزه تلعبها من أول مرة .. إنت لسه هاتوقف الكورة وتارة يستبد به الإندماج أثناء مباراة للأهلى متعثرة بسبب دفاعات الخصم فتراه يشيح بيديه وتتقلص ملامح وجهه
- يلعن دى فرقة .. دول مترصصين قدام الجون .. بس احنا لازم نشد شوية وفجأة يطيح بالكبشة ويصيح مصطفى بصوت كهزيم الرعد
- جوووووووووووووووووون .. أخيرا أخيرا أهو كده .. دا ولا اللى بتولد فى الملعب .. أيوه كده خلى النحس الذكر دا يتفك

مضت أيام مصطفى ووفاء فى سعادة وقناعة , وخوفا من الحسد إشترت وفاء كفا بخرزة زرقاء وقامت بتعليقها على باب الشقة بعدما حملت من الشهر الأول بعد الزواج .

عزمت مها نعمان على تغيير حياتها مع سامى التى باتت روتينية , وأرادت منح حياتهما معا شيئاً جديداً يبعث على السعادة , فدعت سامى للمبيت معها فى الشقة ورفض سامى متعللاً بوجود جدتها لتضحك مها ساخرة وتقول
- أناً خلاص مابقتش دريانة بالدنيا من حواليتها .. قول لهم عندك فى البيت إنك هاتذاكر عند واحد صاحبك وهاتبات معاه وتعالى ياللا

أنهت مها المكالمة دون إنتظار تعقيب من سامى الذى حضر وبعدها فتحت له مها مرتدية قميص نوم أحمر قصير وقد صفت شعرها وتأنقت لتبدو فى أبهى صورة , وتنامى لمسامعها صوت الجدة تصيح من غرفة نومها

- مين يا مها ؟ .. أبوكى جه ؟

لم تتلقى الجدة جواباً وتابعت

- طب جهزى له العشا فى المطبخ

- حاضر يا أناً

هكذا ردت مها وهى تسحب سامى إلى غرفتها وتخرج متجهة إلى جدتها الراقدة على السرير تقول

- أنا خلاص نيمت أمانى .. وسعدية روحت .. نامى إنتى بقى

قاطعتها الجدة

- أمانى مين ؟

- نامى إنتى يا أناً

قالتها وأغلقت باب الحجرة على جدتها وأسرت إلى سامى فى غرفتها وأغلقت الباب .. أوقفت سامى واحتضنته ليستنشق عطرها المثير ويقول

- وحشتينى

- إنت أكثر

قالتها وهى تقبض على مابين فخذيه ليتأوه ويسمعها تهمس

- بقالى أسبو عين ماشفتوش .. كيكى بتعيط كل شوية عشان واحشها

قالتها وهى تفك أزرار بنطلون سامى ثم تنزع قميصه ليصير عارياً , ولما رأت قضيبه منتصباً ضحكت بميوعة وقالت

- يا حرام دا باين عليه مش قادر يستحمل خلاص

قالتها وهى ترفع قميص نومها وتضم وسطها على وسط سامى ليلا مس قضيبه كسها وهى تتماوج بجسدها قائلة

- أهو يا كيكى .. كوكو جه يزورك .. ياللا العبوا مع بعض وماتنخانقوش

قالتها وهى تمد يدها تمسك زب سامى وتدللك به شفراتها وبظرها .. تأجج سامى وهوى على شفثيها يأكلها بنهم وهمس فى أذنها

- كل مرة أكل الروج ده .. إنتى شفائفك أحلى من غير روج

ضحكت مها وقالت

- طيب طعم الروح ولا طعم شفايفي
- إنتى كلك على بعضك حنة مارون جلاسيه عايزة تتاكل أكل قالها وهو يرفع قميص نومها ليعريها , فابتعدت هى تقول
- إستنى .. النهارده عاوزة أرقص لك ضحك سامى لاهثا من فرط إثارته وقال
- إشمعنى
- عشان تقول لى إيه رأيك

حزمت مها وسطها بقميص سامى , وقامت بتشغيل الكاسيت من طراز فيليبس ترانزستور ذو السماعة الواحدة وبدأت الرقص على اللحن الإيقاعى وسامى يجلس على طرف السرير يتابعها مبتسما وعبد الحليم يتغنى

- عدينا يا شوق عدينا .. على بر الهوا رسينا

تتماوج مها بجسدها الممتلئ وترج ثدييها وتتفنن فى إثارة سامى وهى تدور حول نفسها وتقترب منه تتراقص بمؤخرتها الكبيرة أمامه وتحنى جزعا للأمام وترفع طرف قميصها ليرى مؤخرتها العارية وقد رسمت على فلقها اليمنى قلبا باللون الأحمر .. فيضحك سامى عاليا ويقول

- فعلا طيزك كبرت وربربت فى الأسبوعين دول

جذبتة مها ليرقص معها بعدما خلعت قميصها ترقص عارية على أغنية عبد الحليم

- دا العمر معاه وهوايا هواه .. عدينا يا شوق عدينا

لم يعد سامى يحتمل فدفعها على السرير واعتلاها وهى تصيح

- إستنى أنا النهاردة مجهز لك مفاجأة
- قالتها وهى تزيحه جانبا وتنهض خارجة من الغرفة إلى الحمام .. قامت مها بوضع منقوع الورد والزعفران الذى نفعته منذ يومين فى الحقنة الشرجية , ودفعت بالمبسم بداخل شرجها , وظلت تسحب الشهيق وراء الشهيق حتى إمتلأت أمعائها بمنقوع الورد والبنفسج ولم تعد تحتمل , وأسرعت تجلس على التواليت تفرغ ما بأمعائها تضحك من الأصوات الصادرة من شرجها , ثم كررت ذلك لتنظف أمعائها جيدا .. وقامت بحشو شرجها بعجين الزعفران الممزوج بالورد والبنفسج ثم عادت لسامى فى الغرفة ليباررها سائلا
- كنتى بتعملى إيه دا كله ؟
 - باجهز لك المفاجأة

قالتها وهى تتمدد بجسدها فوق سامى وتهوى على شفثيه إمتصاصا ثم تنهذى على رقبته وتمتص حلمتيه وتعلق سرته , ولما أمسكت الصخرة المنتصبه بين فخذيها وقضمت الرأس بفمها , تأوه سامى وقال بصوت تخنقه اللذة

- إنتى النهاردة متألقة ليه كده ؟

سامى وتدلكه بيدها حتى قذف , وإستلقيا على ظهريهما يلهثان .. نظر سامى فى عينيها بحب وهو يداعب خصلات شعرها الحريري وقال بنبرة هادئة
- إنتى بتعملى كده عشان تبسطيني أنا , ولا أنتى عاوزه كده
بنظرات محبة ناعسة ردت لها
- اللى يبسطك يبقى هو اللى أنا عاوزاه .. أنا عاوزاك تكون دايمًا سعيد
معايا

إحتضن سامى لها يتبادلان الشهيق والزفير وتتلاقى نظراتهما المحبة لتخلق
بينهما حوار صامت بلا كلمات تقطعه لها وهى تقول
- واحدة صاحبتى فى الكلية إديتتى مجلة بلاى بوى من كام يوم .. أول مرة
أشوف الأوضاع الجنسية اللى كنت باقراها فى الكتب .. بس الصور ليها تأثير
مختلف , وطلبت من صاحبتى تجيب لى فيلم
بترت جملتها فجأة ثم قالت متداركة
- إيه رأيك نشوف فيلم فى الفيديو .. أنا بقالى سنين من ساعة بابا وماما وأنا
مافتحتش الفيديو
- ماشى

قالها سامى بينما تنهض لها قائلة
- هاشوف فيلم من شرائط الفيديو اللى عندنا
قالتها وهى تخرج عارية حاملة الطبق البلاستيكي , وأفرغته فى الحمام ودلفت
لحجرة المكتب تبحث فى شرائط الفيديو لتعود ومعها فيلم سيدة الأقمار السوداء ,
وقالت لسامى
- الفيلم ده ماما ماخلتنيش أشوفه .. أكيد فيه مناظر لا تصلح للأطفال
- يبقى بلاش تشوفيه لإنك طفلة
ضحكت لها وقالت بغضب
- برضه مش عايز تصدق إنى كبرت خلاص
قالتها ودارت لتجعل مؤخرتها أمام وجه سامى ومالت للأمام وهى تباعد بيديها
فلقتيها ليرى سامى شرجه المتعرج لايزال متسعًا محمرا وقالت وسط ضحكاتهما
- شوف كبرت إزاي ومش لسه طفلة

تعاونوا فى جلب التليفزيون من الصالة وأحضرت لها الفيديو من الدولاب وإتجه
سامى للحمام متسللا لينظف جسده .. عاد ليجد لها واضعة يديها على خديها
تشهق وهى تقول له
- شوف لقيت إيه كان فى الفيديو
نظر سامى ليرى على الشاشة فيلما إباحيا وقال
- باباكي كان مروق نفسه ع الآخر
شهقت لها كمن تذكر أمرا منذ أمد بعيد
- بس بس .. أنا أفكرت

حكمت مها لسامى يوم عادت مع أمها وسمعت أصوات تتأوه متألمة تنبعث من التليفزيون وكيف أسرعت أمها تحجب عنها الصورة وتطفى الجهاز .. سامى يضحك ويقول

- وعملت إيه مامتك مع باباكي ؟

- مش عارفة

قالتها ثم أردفت ضاحكة

- أكيد شافوه مع بعض وأنا نايمة

تبادلوا الضحكات وتمددا على السرير مشدوهان يتابعان الفيلم .. وكانت مها تعقب

على ما تراه وحين قالت لسامى

- لأ الكتب دى حاجة والأفلام حاجة تانية

رد سامى

- إنتى عشان شفتى فيلم هتتبطرى ع الكتب

وكأنها لم تسمعه قالت مها وهى تضع طرف سبابتها بين شفتيها

- حلو الوضع دا .. ما تيجى نعمله

قالتها أثناء متابعتها بإمعان للمرأة الراقدة على بطنها بينما نصفها العلوى ملتفا فى

مواجهة الرجل فى حين نصفها السفلى ومؤخرتها بارزة وقضيب الرجل يطعنها

بقوة فى كسها المختفى خلف الشعر الكثيف .. إتخذت مها الوضع وفعل سامى

وهو يدلك قضيبه بين باطن فخذيها وتحك رأسه ببظرها مما أورثها نار شهوة

تحتاج لإطفائها فمدت يدها وأمسكت قضيب سامى ووضعته على أول مهبلها

فسألها سامى

- عاوزة تعملى إيه ؟

صوبت مها نظراتها الناعسة إلى وجه سامى وهمست

- إفتحنى

- لأ .. لما نتجوز

- ما إحنا متجوزين

قالتها وهى تعندل فى رقبتها لتصبح على ظهرها مباحة بين فخذيها تجذب سامى

صائحة

- ياللا إفتحنى

نام سامى فوقها وهمس فى أذنها

- إفرضى حصل لى حاجة ومت .. هاتبقى مشكلة إنك تبدتى حياتك مع

واحد تانى فى مجتمع شرقى زى مجتمعنا

تجهمت مها وقالت

- ليه بتقول كده ؟

قالتها وسرعان ما ابتسمت وهى تتابع كلماتها

- إنت لو جرالك حاجة ومت .. أنا هاموت نفسى وراك ومش هاحتاج

لرجال غيرك فى حياتى

قالتها وهي تمسك رأس سامى بكفيها تنظر فى عينيه , ومدت يدها تقبض على
قضيبه تضعه على فتحة مهبلها تهمس
- ياللا بقى .. أنا عاوزة نعمل من غير ما يكون فى حاجة نقصانا
نهض سامى عنها يقول بلهجة أمره
- قلت لأ
النبرة التى نطق بها جملته الأخيرة , جعلت مها تدرك أن الموضوع إنتهى ..
فنهضت غاضبة وارتدت قميص نومها الأحمر وعادت تتمدد على السرير ..
كانت بالفعل أشبه بطفلة غاضبة بعدما منعوها من اللهو بدميتها ولم ترد على
سامى وهو يقول
- الساعة بقت خمسة والنهار هايشقشق .. أنا هامشى دلوقتى وأشوفك فى
الكلية
إرتدى سامى ملابسه وغادر .

فى الغد لم يرى سامى مها فى الكلية , ومر عليها وهو عائد لتفتح له الجدة الباب
وتصيح
- هاتى يا مها كيس الزبالة من المطبخ عشان الزبال جه
ضحك سامى وأشفق على الجدة وهو يمسك يدها ويقبلها ويقول
- أنا سامى يا أمى
قطبت الجدة حاجبيها مندهشة تقول
- سامى !!؟
ثم فجأة إتسعت إبتسامة عريضة على وجهها وهى تردف
- لامواخذة ياسامى .. السن وحكمه يا بنى مابقتش أفكر حاجة .. إنت عامل
إيه ؟
- الحمد لله يا أمى
- وولادك عاملين إيه ؟
ضحك سامى وإضطر لإجابتها
- كويسين ببسملوا عليكى

وصلت مها حيث الحوار الدائر , وقالت
- خشى إنتى يا أننا
إنصرفت الجدة بينما لفت مها ساعديها على صدرها فى مواجهة سامى على باب
الشقة تقول
- نعم .. أفندم
- أم أنتى عيلة صحيح

- لو سمحت ما تكلمنيش بالطريقة دي .. ايه عيلة دي .. مش لابسة حفاضة
أهو
- قالتها بنبرة غاضبة وهي ترفع جلبابها ليظهر نصفها السفلى العارى فيحرق سامى
بغضب فى وجهها ويتابع كلماته
- قلقت عليكى لما ما جيتيش الكلية
- آجى إزاي وأنا نائمة وش الصبح
- غادر سامى دون أن ينطق بشئ مما زاد من غضبها وأشعل غيظها لتصفق الباب
بعنف .. سرعان ما هدأت مها ووجدت نفسها تضحك بشدة كرضيعة تزغرها
أمها .. وأدركت مدى تفاهتها وأسرت تتصل بسامى وتقول وسط ضحكاتهما
- أنا آسفة
- آسفة على إيه ؟ .. ليس على الأطفال حرج
قالها سامى لنتعالى ضحكات مها أكثر وأكثر وتسمع سامى يقول
- فى حد جنبك بيزغزك
- نسيت أقولك إني حجزت ليينا فى الرحلة اللى عملاها الكلية لسيدى جابر
قالتها بعدما توقفت عن الضحك , ورد سامى
- مش تسألينى الأول
- أنا قلت إنك مش هاتمانع .. هانقعد يومين نغير جو وننزل البحر
صمتت تلتقط أنفاتها اللاهثة من جراء ضحكاتهما وتابعت تقول
- ما قولتلنيش رأيك إيه فى مفاجأة إمبراح ؟
- كلها سنة أو اتنين بالكثير ونتجوز
قاطعته مها تقول متدلة
- ياااااااااااااه .. لسه هاقعد سنتين مقفولة كده
ضحك سامى وقال
- ما أنتى إنفتحتى من حنة .. خلى الثانية لبعد الجواز
شهقت مها تقول بميوعة
- أسكت يا سامى إنت ما تعرفش بتوكعنى من ليلة إمبراح وكل شوية أقعد
فى مية دافية
رد سامى مقلدا نبرتها وقال
- بتوكعك ؟ .. يا عينى .. مش إنتى اللى عملتى كده
شهقت مها تقول متصنعة الغضب
- إخس عليك يا وحش .. بقى أنا عاوزه أفرشك وإنت تقولى كده .. دا بدل
ما تقولى ميرسى يا روحى .. إنت مش دارى بالفرق بين حالتك أول إمبراح
وإنت مكلضم ودمك سم , وإمبراح وإنت مبسوط وقاعد تضحك
- لأ دارى
- ما بيتمرش فيك .. إبقى خلى الفلسفة بتاعتك تنفعك
يضحك سامى ويقول
- أنا عارف إني ما أقدرش أعيش من غيرك

قاطعته مها محتدة

- جر ناعم جر .. برضك مش هاديها لك تانى
- هى إيه ؟
- طيزى

ضحك سامى من طريقته فى نطق الكلمة وقال

- عشان مش توكدك

قاطعته مها صائحة

- لأ عشان إنت مش بتستاها

- أهون عليكى

- آه تهون

- دا أنتى قلبك قاسى

- ولسه إنت شفت حاجة

- طب أعمل إيه عشان أصلحك

- إستنى أما أفكر

لحظات من الصمت قطعت الأثير المرح بينهما عبر الهاتف وجاء صوتها من جديد تقول

- تعالى عاوزاك

- آجى فين ؟ .. أنا ما نمتش من إمبراح , وكمان عندى مذاكرة

- مش مهم .. ياللا تعالى

- إنتى عايزانى ما أحافظش على تقديرى وما أتعينش معيد

صاحت مها تهلل

- يا ريت .. ده يوم المنى يوم ما تبعد عن الفلسفة اللى أكلت دماغك دى

صمتت ثم تابعت كلماتها

- بص أنا هاسيبك النهاردة تنام وتذاكر بس بكرة أعمل حسابك تبات معايا

- وإنتى بتعملى إيه دلوقتى ؟

- هاتقرج ع الفيلم اللى شفناه إمبراح

ضحك سامى وعقب

- إنتى مش شفتيه خلاص

- فى تفاصيل عاوزة أشوفها تانى

إنتهت المكالمة وسمعت مها جدتها الجالسة فى الصالة وعلى حجرها أمانى تقول

- ماما قالت لك فى التليفون هتتاخر بره ؟

ردت مها وهى تضحك

- لأ زمانها جاية

فى الغد حسب الموعد كان سامى ومها ينهالان من المتعة , ويحتسيان من اللذة .. يعبث بهما الشبق وتتملك منهما الشهوة .. يطربهما صوت العنديل يدح

وتسكرها النسوة .. تتفنن مها فى إمتاع سامى ويرد لها هو الجميل فيسقيها من المتعة كؤوسا .. وبعدها خمد الجسدان تحت تأثير خدر ما بعد اللذة , كانا يستمعان إلى العندليب

- بأمر الحب إفتح للهوى وسلم .. بأمر الحب إفتح قلبك إتكلم قامت مها وأحضرت برطمان عسل وتناولت مندبلا وقالت لسامى
- أنا هاغى عينيك بالمندبل .. وأحط نقطة عسل على حنة من جسمى , وإنت تقعد تدور عليها بلسانك لحد ما تلقاها .. وأول ما توصلها من أول مرة تبقى كسبت ونبدل مع بعض

كان سامى سعيدا فرحا مغتبطا وهو معصوب العينين يتشمم ويلبس جسد مها الراقدة على السرير عارية باحثا عن العسل .. عثر عليها تحت إبطها أول مرة .. وفى المرة الثانية عثر عليها على باطن فخذا الأيمن حين كانت مها تضحك بدغدغة لسانه على باطن فخذا .. وظل سامى يلبس جسد مها باحثا عن العسل الذى تنتقى مها مناطق نائية وحساسة لتضعه عليها .. وحين قلبت مها نفسها على بطنها , راهن سامى نفسه وإتجه مباشرة وباعد بين فلقتيها ليلتقط العسل بلسانه من على فتحة شرجها وهى تتمحن ضاحكة وهو يصيح
- كسبت .. تعالى إنتى

صاحت مها بنبرة متوسلة

- طب إلحسلى شوية هنا

قالتها وهى تملأ المجرى بين فلقتى طيزها بالعسل الذى لحسه سامى لآخر قطرة .. وعصبت مها عينيه ورقد لها سامى عاريا يسكب العسل على جسده وتبحث مها عنه وهى تردد مع العندليب

- وهات شوقك على شوقى وهات حبك على حبى .. وأنا وعيونك الحلوة

نعيش قصة غرام حلوة .. حرام نسكت على قلوبنا .. حرام الشوق يدوبنا

مرت واحدة من أسعد ليالى سامى ومها .. وبعد أسبوع كانا سويا على شاطئ سيدى جابر بالإسكندرية حيث ترتدى مها مايوها مثيرة من قطعتين , وبالطبع جعلها ذلك محط أنظار جميع الرجال بينما سامى يجلس تحت الشمسية بالشورت يتابعها وهى تتفافز كفاشة على الأزهار وتلهو بين صاحباتها , واقتربت مها من سامى تقول

- مالك قاعد زى الكبة كده .. ما تقوم تلعب معايا .. تعالى ننزل المية

قالتها وهى تجذب سامى من زراع ليقوم ويذهب معها لنزول البحر .. ما إن صار نصف مها السفلى تحت الماء حتى تشببت بزراع سامى تضحك وهى تقول

- يحدححدح

عقب سامى متعجبا

- الماية دافية مش ساقعة

ردت مها من بين ضحكاتهما

- أخيرا هانتجوز
- قالتها وهي تعتصر سامى بزراعيها ولما لم ترى على وجهه أية تعبيرات , نظرت فى عينيه وقالت
- إيه .. مش مبسوط ؟
- مش فارقة .. إحنا متجوزين من زمان
- خبطت مها على كتف سامى بيدها وقالت بنبرة خافتة
- يا وحش .. كده برضك .. بقى لما نبقى عايشين فى مكان واحد وننام كل يوم فى حضن بعض على سرير واحد تبقى مش فارقة عندك
- ابتسم سامى وهو يمسح على وجهها
- كبرتى يا مها
- ضحكت مها وقالت
- كان بودى أفضل طفلة
- قالتها وتنهدت وهي ترنو للفراغ وتابعت
- بس دا حال الدنيا .. هانعمل إيه ؟
- مد سامى زراعيه حول خصرها يتحسس بيديه مؤخرتها فضحكت مها تقول
- سيبك من دى .. كلها يومين ونعمل إفتتاح اليمّة الثانية

عادت مها تنهمك مع قريباتها فى فرش الشقة .. وممر اليومان وجاءت الليلة المنتظرة منذ سنوات وارتدت الثوب الأبيض تحمل الورود وهي تجلس إلى جوار سامى فى الكوشة بداخل قاعة الأفراح بنادى الصحفيين , ومن حولها الأقارب والمعارف والأصدقاء .. لكن أبرز ما كان فى حفل الزفاف الميمون هو الجدة التى كانت تجلس فى صدارة الحاضرين ترنو إلى مها وسامى وضافت عينيهما ليكتسى وجهها بتجايد القاطرة الأخيرة من قطار العمر .. كانت عينيهما خلف النظارة ذات العدسات الكبيرة تلمع ببريق لمحّة من ذاكرة العمر الذى مضى , وبدأت الدموع تلمع ثم تترقرق فى عينيهما وتذكرت .. تذكرت ما عاشت تنتظره منذ سنوات , بل هى من زرعت البذرة وأخيرا جاء اليوم الذى ترى فيه النبتة نضجت وأثمرت .. تهلل وجهها وهي ترى حفيدتها مها سعيدة إلى جوار سامى .. نهضت واقفة تنكئ على عكازها متجهة إلى العروسين , وقبلت مها على وجنتيهما وكذلك فعلت مع سامى وقالت بصوت متهدج

- الحمد لله إنى عشت وشفيت اليوم ده .. ربنا يسعد حياتكم

لم تستطع مها منع نفسها من البكاء وهي تقبل رأس جدتها التى رعتها بعد رحيل أبويها .. وبعد إنتهاء الزفاف , أصر خال مها على إصطحاب الجدة مع أمانى لتمكث عنده هذا الشهر ليختلى العروسان ببعضهما ..

ترشف مها من العسل وتسقى سامى وتسعى معه للإستمتاع بالحياة والنهل من المتعة .. كانت حياة سامى ومها خلال شهر العسل أشبه بسيمفونية رائعة .. فى

النهار يلهوان ينثران الضحكات وفى المساء يتنزهان فى السينمات والمسارح والنوادرى الليلية .. تحرص مها على بث روح السعادة بإستمرار بالإتيان بالجديد .

ذات ليلة كان سامى بصحبة مها ساهرين فى أحد النوادرى الليلية .. ولم تكتفى مها بكميات البيرة التى ظلت تعبها طوال السهرة , فاحتست كأسين من الويسكى , ولعبت الخمر برأسها لتنهض وتصعد المسرح ترقص وسط الشباب الخليجى والمصرى بفستانها السيلستى السماوى القصير ذو الحمالتين الرقيقتين والذى يكشف عن ثلثى ثدييها المتحررة بلا سوتيان .. إعتياد مها نعمان على عدم إرتداء كيلوات مطلقا إلى جانب سكر الخمر جعلها لا تدرك ما كانت تفعله وهى تتراقص على المسرح بداخل النادى الليلى حيث كانت تمسك طرف الفستان وترفعه فى حركات إستعراضية راقصة ليظهر لجميع من حولها كسها يعلوه مثلث من الشعر مشذب بعناية وكذلك مؤخرتها الطرية فى لمحات عابرة كلما رفعت طرف فستانها وأنزلته , ويكفى ذلك ليتضاعف العدد من حولها , ويسرع سامى لإنتشالها من براثن الجمع حين مد أحدهم يده تحت فستانها .. جذبها سامى بعنف بينما هى لا تتوقف عن إطلاق الضحكات المائعة المثيرة , وخرج بها من النادى الليلى عائداً بالسيارة للبيت .. لم يصل شئ مما قاله سامى معنفاً مها بسبب حالتها فصوت ضحكاتها المائعة أعلى من صوته هو .. تلفتت مها حول نفسها بداخل السيارة ثم صاحت

- إستنى يا سامى

بترت كلماتها على إثر زغطة جعلتها تضحك عاليا ثم تابعت

- شربت بيرة كثير أوى ومش قادرة أمسك نفسى .. إركن هنا

رد سامى محتداً

- مافيش ركنة إحنا على الكوبرى

- باقولك إركن لابهدل العربية

توقف سامى بالسيارة على بعد متر واحد من سور الكوبرى الحديدى , وهدوء الفجر يغطى المكان , ونزلت مها مسرعة لتجلس القرفصاء مختفية فى المتر الفاصل بين السور والسيارة , ورفعت فستانها ولفته حول وسطها .. إحتاجت مها لنصف دقيقة لتتمكن من التبول رغم أن مثانتها تكاد تنفجر وذلك لأن الهواء الطلق الذى إخترق ما بين فخذيها دغدغ أعصاب المثانة , فكابدت مها ليندفع بولها منهراً له خرير عالى يمتزج مع صوت ضحكاتها التى لا تتوقف ويسيل على الأسفلت ليعقب سامى على المنظر وهو واقف إلى جوارها

- إيه دا كله ؟ ... بيجى منين ؟

- لسه بدرى

بعد كمية فائقة تبولتها مها .. إنتهت وقامت ولا تزال تمسك بفستانها حول وسطها

ونصفها السفلى عارياً وقالت

- ناولنى مناديل يا سامى

جفت مها شفراتها وفتحة بولها وماعلق بباطن فخذها ورجليها , ولما رأت
سامى يعود ليركب السيارة قالت بصوت متهدج متقطع بالفواق
- هواء الفجر هنا على الكوبرى جميل .. ما تيجى شوية
قالتها وهى تستدير وتمسك سور الكوبرى وتتنظر لمنظر البيوت من أسفل ,
واقترب منها سامى ينظر إلى جوارها , فمدت زراعها تحتضنه ثم لفت بوجهها
تجاهه وقبلت فمه .. مع صوت آلات تنبيه السيارات أدركت مها أنها فى وضع
مخل بالآداب العامة .. أسرعت تركب السيارة وقبلما يدير سامى المحرك قالت
- ما تيجى نعمل فى الهوا الجميل ده
تنهد سامى باسماء ورد عليها قائلاً
- الظاهر إنك لما بتسكرى بنتجنى
وكأنها لم تسمعه ظلت مها تقترب ببطء بفمها من وجه سامى لتخرج طرف
لسانها وتلحس شفثيه سريعاً وهى تفتح سوستة بنظونه .. خشى سامى من أضواء
السيارات المارة التى ستفضح أمرهما , فأدار السيارة وسار فى طريقه عائداً
للبيت بينما مها تداعب قضيبه بلسانها وتمتصه .. لم يكن سامى فى حالة تسمح له
بالقيادة بسرعة أكبر من 40 كيلومتر فى الساعة وساعدهما خلو الطريق بعدما
تجاوزت الساعة الرابعة فجراً , لينعم سامى بإحساس مغامرة لذيفة , والغريب أنه
وصل إلى البيت على الكورنيش بمصر القديمة ولم يقذف بعد مما دفع مها لتقول
وسط ضحكاتهما
- آمال ما بتطولش كده وإحنا فى البيت يعنى
- أصل تركيزى مشنت بسبب السواعة وإن حد يشوفنا
ضحكت مها عالياً وقالت
- خلاص هابقى أجيبك عربية فى الشقة تسوقها وإحنا بنعمل عشان تطول
كده

ما إن دخلا الشقة حتى أسرعت مها تجرر سامى إلى السرير وتترع عنه
ملابسه وتلقى بفتانها على الأرض لتستكمل ما بدأتها فى السيارة , وبمجرد أن
وضعت قضيب زوجها فى فمها وقبضت عليه بشفتيها حتى أسرعت بإخراجه
تباعدهم وجهها تفادياً لمنيه المتدفق وانتابتها ضحكات هيسثيرية تقول
- ياريتنا كنا طلعنا بالعربية الشقة

أخذت مها حماماً دافئاً بصحبة سامى ثم خرجا يلعبان الكوتشينة عاريان على
السرير , ومن يخسر الدور عليه أن ينفذ طلب الفائز , وكسبت مها الدور لتضيق
عينها وتتنظر إلى الفارغ تتفكر تردد
- أقولك إيه .. أقولك إيه
صمتت ثم تدراكت مسرعة
- عاوزة نيكة فى البلكونة

رد سامى متعجبا مندهشا

- والجيران يتفرجوا علينا!!!؟

- جيران مين .. وهو فى حد قصادنا غير النيل .. وما حدش هایشوفنا من اللى فوق أو اللى تحت .. ولو حد شافنا إحنا أحرار .. ما هو لازم نجدد عشان ما نزهقش

قالتها وهى تجذب سامى تتجه به من غرفة النوم إلى البلكونة , وينفذ سامى المطلوب ويجلس على الكرسي ونصفه السفلى عاريا , بينما تجلس مها عليه وظهرها لوجهه ليغوص قضيبه فى كسها .. يغرقان فى عالم مثير ومجنون .. استدارت مها على وضعها ليصبح وجهها فى وجه زوجها وتتلقى الشفاة , ثم نهض سامى واقفا يحمل مها التى رفعت رجليها لتستقر على كتفى سامى بينما لا يزال قضيبه فى مهبلها , وسار بها عائدا لغرفة النوم ووقد بها على السرير ملتحمان , وظلا فى نوبة طويلة أسلمت مها نفسها فيها لمارد اللذة وأغرقت السرير ببولها منتشية .. ساعدها سامى فى تدارك الأمر وخلدا بعدها لنوم طويل استيقظا منه بعد عصر اليوم التالى .

كانت مها خلال شهر العسل حريصة كل الحرص على الغرق فى السعادة والمتعة متشبهة بسامى ليغرق معها .. لكن بالطبع دوام الحال من المحال , فمع الأيام الأخيرة لشهر العسل , يأتى خبر وفاة الجدة ليجهض سعادة العروسين , ومما زاد من وقع ذلك على قلب مها هو أن الأقدار شانت أن يكون آخر ما بينها وبين جدتها هو ليلة الزفاف بعدما تخلى الزهايمر عن الجدة ليأذن لها بتوديع حفيدتها , لكن مها تجاوزت ذلك سريعا واندمجت فى عملها بجريدة الأهرام .. وتمر الشهور

نشاط مها وحبها لعملها البادى للجميع جعلها تحظى بالرد على بعض رسائل القراء : الرسائل العاطفية تحديدا فى حين تفرغ الأستاذ الكبير لاستعراض التجارب الإنسانية الجليلة والتعليق عليها .. وكانت مها دائما ما تستشهد بقصة حياتها وفقدانها المأساوى للأبوين وكذلك كيف صبر القدر على جدتها لتوصلها إلى البر ثم ترحل بعدما رأتها آخر مرة ليلة الزفاف .. وأدى ذلك لنشوء نوع من التقارب بين مها نعمان والقراء , ولم يتضايق الأستاذ حين وجد رسائل عديدة ومتزايدة تصل إلى بريد الأهرام باسم مها نعمان طلبا للرأى والمشورة أو طرح تجربة إنسانية .. دفع ذلك مها سريعا لتحظى بركن خاص ترد فيه على رسائل قرائها وكذلك باتت لها مقالات ثابتة عن العلاقات العاطفية فى مجلتى الشباب ونصف الدنيا .. كان جميع زملاء مها نعمان يتسائلون .. لماذا تزداد شعبيتها بشكل متسارع وعجيب ؟ .. وإذا عرف السبب بطل العجب .. والسبب سهل وبسيط , وهو أن نشأة مها نعمان فى كنف سامى وثقافتها التى ساققتها من القراءة والإطلاع جعلتها إنسانة تلقائية لا تتكلف ولا تتصنع .. فلم تكن تتكلف كتابة مقالات لتدافع عن حقوق المرأة لتتبع القطيع من زميلاتنا بحكم كونها امرأة , ولم تكن تتصنع ردا لا تقتنع به على رسائل أحد قرائها .. ولعل ذلك يفسر لماذا إحتج

عليها زملائها في القسم وكذلك الأستاذ نفسه حين كتبت ردا على رسالة فتاة تقول أنها تحب شابا في مثل سنها وتثق فيه للدرجة التي جعلتها تهيبه نفسها دون أن يكون بينهما رابط الزواج الذي لا يزال عليه سنوات .. وردت مها عليها بأنها إذا كانت تثق فيه وتطمئن إليه , فلتفعل ما تشعر بأنها تريد أن تفعله وألا تضع تصرفاتها في حالة فصام مع رغباتها .. لم تكن المشكلة من أجل ذلك فحسب بل أيضا لأنها كتبت في ردها ("" أنا تزوجت زوجي فعليا بعد الثانوية العامة .. وتزوجته رسميا أمام المجتمع بعد عام من تخرجي من الجامعة .. وصدقيني زواجي الأول كان له من السعادة ومنتعة الحياة ما يفوق زواجي الثاني بمراحل شتى "") .. إذن بدا ذلك أمام الجميع بأنه دعوة للإنحلال , وأن الكاتبة نفسها تعترف أنها عاشت ذلك الإنحلال , وتدعو البنت لكي تكون لقمة سائغة لشاب عله يغرر بها ويخدها تحت وطأة مشاعر المراهقة .. وأغضب ذلك الآباء المحافظين ليرسلوا اعتراضاتهم على مها نعمان في بريد الأهرام .. لكن مها أبت أن تتحنن للريح وتخضع لما يخالف فطرتها .. بصرف النظر عن كونها محقة أم مخطئة , وكانت تتساءل : ما العيب في أن تسقط ثقافتها ونشأتها على كتاباتها ؟ سواء أكان ذلك مقبولا أم مرفوضا لدى البعض ؟ .. فمن أراد أن يقرأ فليفضل , ومن لا يعجبه ما تكتب فلا يقرأ لها .

لم يخفى رئيس التحرير إبتسامته العريضة وهو يوقع بالموافقة على الأجازة الطويلة التي طلبتها مها بعد متاعب شهور حملها الأخيرة .. ولم يكن سبب ذلك سوى أنه سيرتاح من المشادات والمناهدات مع مها نعمان حين يعترض على بعض آرائها خلال عرض كتاباتها قبل النشر .. كان سبب معاناة مها في النصف الثاني من شهور حملها هو أنها ورثت عن أمها ذلك العيب الجيني الذي أدى لتضخم قلبها مع الحمل , لكن إكتشاف ذلك مبكرا ووضعها تحت متابعة طبية مكثفة , أدى إلى السيطرة على الحالة وولدت مها أمجد الذي كانت تشعر أنه ابنها الثاني لا الأول , فقد كانت أختها أمانى بمثابة ابنتها الأولى , فهي التي ربته بمساعدة جدتها ثم أصبحت أمها بعد رحيل الجدة , وغذى ذلك الشعور الفارق الزمني بينهما البالغ خمسة عشر عاما .. ووجدت مها في أمومتها لأمجد وأمانى خير تعويض عن أنها لن تتمكن من الحمل والولادة ثانيا , فلن يحتمل قلبها وستدفع حياتها ثمنا لمحاولة إنجاب طفل آخر .

تغيرت مها كثيرا حتى أن أحد من معارفها وأصدقائها أيام الجامعة لن يتعرف عليها .. ليس لأن ملامحها تغيرت كثيرا .. صحيح أن ملامحها باتت تفيض بأوثة ناضجة بلا بهرجة , ولا تزال على فتنتها ودلالها الأنثوى .. لكنها لم تعد ترتدى الملابس المكشوفة المثيرة بل ترتدى فساتين بأكمام طويلة تغطي الجزء الأكبر من الصدر والساقين , وتصفيقة شعرها تعطي منظرا رزينا هادئا , ولا تدخل السجائر إلا فيما ندر .. لكن الشيء الذي لم تستطع مها نعمان تغييره , هو عدم إرتدائها لملابس داخلية تحت ملابسها .. جربت ذات مرة إرتداء كيلوت

ووجدت نفسها مضطرة للذهاب للحمام ونزعتة ووضعته في حقيبتها ليعاودها إحساس التحرر والإنطلاق .. تمكنت معها مع الوقت الطويل في اكتساب القدرة على التحكم في مثانتها لحظة الأورجازم , فلم تعد تتبول على نفسها عندما تصل لمنتهى اللذة .. ويحدث ذلك فقط حين تحظى بيوم كامل بصحبة سامى ينتزهان معا ويداعبان بعضهما البعض لتؤدي الإثارة التراكمية على مدار ساعات إلى وصولها لأورجازم عنيف عندما تبدأ ممارسة جنسية مع سامى فى نهاية اليوم , عندئذ ينفلت منها بضعة قطرات من البول ولا يتعدى الأمر ذلك .. باتت حياتها مقسمة بانضباط بين أسرتها المكونة من زوجها سامى وابنها أمجد وأختها أمانى وبين عملها الذى توحدت معه تماما .

نالته منها نعمان على مدار سنوات شهرة واسعة النطاق .. المسمى المتعارف عليه أنها كاتبة ومستشارة للعلاقات العاطفية , لكن يرى الكثيرون أن الجملة ينفصها كلمة فهى يجب أن تكون كاتبة ومستشارة العلاقات العاطفية والجنسية .. فالكلمة الأخيرة باتت محور غالبية كتاباتها .. هى لا تدعو للفاحشة والرذيلة كما اتهمها الكثيرون , إنما باتت تعبر عن تابو محرم داخل مجتمعنا الشرقى .. هى تقول أنه لا يجب أن يكون هناك فصام بين سلوكياتنا ورغباتنا بما فيها الجنس .. وأرادت ذات مرة أن تقول أنها ليست الأولى من نوعها فقد سبقها الكثيرون منذ مئات السنين , فقامت بعمل ريبورتاج صحفى كبير عنوانه (الإيروتيكية فى التراث العربى) واستشهدت بنصوص كتبت منذ مئات السنين , ووضعت فيه مها خلاصة قرائنها للكتب الإيروتيكية , وخاضت مشادة حامية الوطيس مع رئيس التحرير الذى أصر على حذف ألفاظ بل فقرات كاملة من الريبورتاج لأنها لا يمكن أن تصلح للنشر .. ورغم ذلك تعرض الريبورتاج لمقابلة النقد والذى كان أشبه بسباب وشتائم وصل لدرجة وصفها بالعاهرة .. لكن مها نعمان التى شبت لا تعبأ بالآخرين وتفعل ما تريد أن تفعله رافضة أن تدخل شرنقة الفصام , أبت أن تستسلم , وواصلت عملها وجاءت المفاجأة التى أسعدتها يوم زف إليها زوجها سامى عرض من مجلة روز اليوسف لتكتب قصص قصيرة بالإضافة لتخصيص ركن لرسائل القراء مع عدم تعرض كتاباتها لأى نوع من الرقابة .. وساعدها سامى بحكم أنه بات يحظى بعمود فى المجلة يعبر فيه عن آراءه الفلسفية بعدما أصبح أستاذا فى قسم الفلسفة بكلية الآداب .. ورغم أن الإيروتيكية التى عجت بها قصص مها نعمان أدت إلى تعاطف شعبيتها وتفردها فى هذه الكتابة .. إلا أن الهجوم الضارى عليها والذى إمتد لزوجها ووصفته بالزندق الملحد لا يتوقف .. وكانت مها تتخذ من ذلك باعثا لمواصلة الطريق .. كانت تقول مرارا أنها لا تخلق كتاباتها وقصصها على الإطلاق .. فقط هى تصوغ معطيات واقعية ومشاهد حية من واقع حياتنا ومن رسائل قرائها لتنسج قصة .. حتى الجنس تكتب عنه بما هو واقع وحادث بالفعل .. وتدافع عن ذلك قائلة (لماذا نضع الجنس خلف جدار من الفصام .. مع أنه شئ كائن وموجود وحادث فى حياتنا .. لماذا نخفيه ونواريه الثرى ونخجل منه .. فأنا أكتب ما يحدث حتى ولو كان جنسا) .

الشيء الوحيد الذي كان يدفعها نعمة لتتجه وتشتعر بالحزن وهي تجلس في
لكونة الشقة تتأمل النيل وتتشمس الهواء , هو علاقتها بزوجها سامى التي أصبحت
حياة روتينية مملة في كثير من الأحيان .. ولا تعلم هي من المخطئ الذي يتحمل
مسؤولية ذلك .. حين تتهم نفسها بالتقصير تتذكر كيف سعت كثيرا لتغيير حياتها
معه ومحاولة العودة من جديد كما الأيام الخوالي , لكنها تدرك أنه لم يساعدها في
ذلك .. لم يعد يتكلم .. صامت على الدوام .. ترك مسؤولية تربية أمجد لها وحدها
.. لا يفعل شيئاً بعدما يعود من الجامعة سوى القراءة وكتابة مقالاته .. ومنذ عام
1997 م حين بدأ إنتشار الإنترنت في مصر , إلا وقد كان سامى من أوائل
مستخدميه , وعلى مدار السنوات التي تلت ذلك حين تشعبت خيوط الشبكة
العنكبوتية .. كان سامى من أوائل مؤسسى ساحة اللادينيين العرب بيت خلالها ما
يعتمل بعقله وسريته بلا قيود وبمنتهى الحرية , وينشر مقالاته وخواتمه
وتأملاته في الحوار المتمدن .. إكتشف سامى أنه ليس وحيدا فهناك ملايين حول
العالم يعتنقون فكره وآراءه .. يتواصل معهم إليكترونيا واستحوذ عليه هذا العالم
حتى الثمالة .. ولما لا ؟ .. فبعدها كانت أفكاره وخواتمه حبيسة بداخله لسنوات
وسنوات .. ثم وجدت أخيرا المنفذ لتنتقل كبخار منبثق بفعل ضغط رهيب .. فلا
عجب أن يمضى سامى يومه بين الجامعة والإنترنت والكتب .

ورغم أن مها لحقت بسامى في استخدام الإنترنت , لكنها كانت منضبطة في
توزيع ساعات يومها , بدليل أنها استقالت من عملها في الأهرام واكتفت بكتابتها
في روز اليوسف وترسل مقالات لعدد من الصحف المستقلة التي ظهرت في
السنوات الأخيرة , وأسست موقع لها على الإنترنت ترد على رسائل القراء
وتواصل معهم وتنشر قصصا جريئة تعبر فيه عما تريد بلا قيود .. لكنها
منضبطة تعطى كل ذى حق حقه .. تعتنى بأختها أمانى التي تخرجت من كلية
التجارة وتعمل موظفة في بنك مصر , وتحرص على شؤون ابنها أمجد الذى
أصبح الآن فى أخطر مراحل العمرية ألا وهي مرحلة المراهقة .. لكن الشيء
الذى لا تستطيع أن تعطيه حقه هو حياتها الزوجية مع سامى .. يتتابها إحساس
بالكآبة حين تتذكر الليلة التي صحبته في سهرة رومانسية خارج المنزل
وصارحته بما يعتمل بداخلها بشأن حياتها الزوجية معه , ووعدتها سامى بأن
يصلح ما فسد معترفا بتقصيره .. لكن لم يحدث شيئاً سوى أنه بات حريصا على
معاشرتها جنسيا كل ليلة وبشكل غريزي ومؤلم أحيانا , مما دفعها لتقول له حين
دخل عليها قبل النوم وخلع ملابسه استعدادا

- أنا حاسه إنك بتعاقبنى

ورغم أن سامى يعلم ما تقصده مها إلا أنه إنساق لمجارتها فى جدال وسأل
مندهشا

- إزاي يعنى ؟ .. وهاعقبك ليه ؟

- إنت حاسس إنى سبب لحرمانك من القعاد قدام الكمبيوتر بالساعات ..
وبتكون قاعد فى البيت معنا وكأنك مش موجود .. وإختزلت علاقتنا وحبنا فى
الجنس اللى بقيت تمارسه معايا من غير روح

تنهد سامى وقال بنبرة مشوبة بالضيق
- هو لا كده عاجب ولا كده عاجب .. أنا مش فاهم إنتى عاوزه إيه يا مها ؟
تجهمت مها ولم ترد , فقد أدركت أنه لا سبيل لإصلاح ما فسد .. فتركت الأمور
تجرى فى أعنتها , وعاد سامى إلى الإنترنت منعزل عما فى المنزل فى وقت
كانت مها تحتاجه بشده حين لاحظت نظرات ابنها أمجد لخالته أمانى .. نظرات
تفهمها مها جيدا وتعزى ذلك لمراهقته , لكن أن تبادلها أختها أمانى النظرات , فإن
الأمر يحتاج إلى التقصى خصوصا حين عثرت على كيلوت أمانى بغرفة أمجد .

أصبحت مها نعمان فريسة لإحساس الوحدة رغم إمتلاء يومها بالعمل وشؤون
المنزل , ووجدت نفسها تدخن بشراهة فى الأونة الاخيرة .. وكانت تسيطر عليها
فكرة , بل حلما تسعى لتحقيقه وهو أن تكتب قصة حياتها وعلاقتها بسامى وما
مرت به معه من تغيرات فى رواية طويلة .. بالقطع ستصبح رواية ممتعة وشيقة
تستعرض الأهواء الإنسانية بين فقدان الهوية والتناقض النفسى , وكانت كلما
سبح لها الوقت تكتب بعض الخطوط العريضة فيما يشبه مسودة لروايتها .. لكن
كتابة الرواية يحتاج إلى حالة وجدانية خاصة أولا وإلى وقت مناسب ثانيا وهو ما
لا تنعم به مها .

ما بال سامى رضا وماذا دهاه ؟ .. إعتد سامى على تأملاته فى النصوص الدينية
وعقائدها الغيبية من أجل هدمها .. صار أكثر جرأة فى التعبير عن فلسفته فى
ماهية الخلق والوجود فى مقالاته بروز اليوسف بعدما عرف عنه لادينيته ..
طبيعى أن يكون من على شاكلة سامى أن يرفض الدين كمرجعية لحياة الناس ,
وأن طريق أية مجتمع نحو الحضرة يبدأ بالتححرر الدينى , لكن ليس من الطبيعى
أن تنبنى دعوة سامى لذلك على إبراز تناقضات وخرافات الأديان التى يعتقد بها
ويهدم المعبد بجز أعمدته .. لكن دعوته فى ساحة الحوار على الإنترنت رغم أنه
يحمل اسم (لادينى بالفطرة) , لم تكن دعوة لادينية بل كانت دعوة إلحادية حيث
يرفض وجود الإله ذاته .. ويكتب خواطره ودلائله على ذلك حين يكتب فى
أجندته ما سينشره فى المجلة وفى الموقع مستغلا الوقت الذى سنبح له قبل موعد
المحاضرة فى مكتبه بالكلية

- ("" لو نزعنا من الأديان ما يقال عنها معجزات بالرغم من عدم وجود أى
شئ يؤكدها أو يثبتها , فماذا سيتبقى من الأديان سوى بعض القصص القديمة
السانجة , فنحن لو لم نكن نعرف الألم لما خلقنا الآلهة .. إذن الآلهة جاءت من
رحم الألم .. وطالما كانت سلسلة المسببات ستأتى بالله فى نهاية السلسلة والذى

هو بلا سبب , فلماذا لا تكون المادة هي السبب بدون مسبب .. على الأقل نحن نراها لا تفنى ولا تُخلق من العدم .. إن طفولية الإنسان هي التي جعلته يخلق عالم آخر بعد الموت .. ليس حبا في البقاء فحسب وإنما ليجعل لحياته مغزى وهدف , لأنه من الصعب أن تدرك أنك ريشة في الهواء ما لم تكن قادر على إستيعاب ذلك , وبالتالي يأتي الإيمان ليقدم للمؤمن تعزية عن الألم في الحياة والظلم الواقع عليه .. يقدم وعدا بميراث هائل من المتعة واللذة للمظلوم والهلاك الغير مبرر للظالم .. ومن هنا تحول الدين إلى أكبر عملية نصب في التاريخ .. ولما لا ؟ .. طالما أطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم هو الهدف الأساسى وحجر الزاوية لكل دين ونظام شمولى .. لا يوجد ما يسمى بالروح بداخل أجسادنا فهي ليست ملكا لنا .. هي ملك خاص للطبيعة .. كل جزيئاتنا جاءت من الطبيعة وإليها ستعود .. نحن نتكون من جزيئات من إنسان أو حيوان أو نبات آخر وسنرجع مرة أخرى لندخل في جزيئات إنسان وحيوان ونبات آخر .. ولو تجمع كل مؤمنى العالم فى صلاة متضرعة أمام الله لكى يحول دون سقوط حجر من أعلى جبل ويبقى فى الهواء معلقا .. فهل يحدث ؟

جربوا .. ولكن الحجر سيسقط .. ويضع الحجر التافه الله ومريديه فى مأزق .

الغريب أن الدكتور سامى رضا أستاذ الفلسفة بعدما ينتهى من كتابة ذلك .. يشعر بأنه شخص آخر غير الذى يكتب هذا الكلام , فبنفس المنطق الذى يكتب به , لابد من الإجابة على سؤال ؟ .. ما الذى يجعل هذا الكلام يقينا ؟ .. أليس جانزا أن يكون مخطئا .. هو يدرك أن رفض الأديان بتناقضاتها وغيبياتها التى لا يعتقد بها لا يقود بالتبعية لرفض الإله الخالق .. كان يدرك أنها دائرة مغلقة .. يدور .. ويدور .. ويدور .. فى النصف الأول للدائرة يضع الأديان على مذبح النقد ومقصلة الحوار فيصطدم بخرافات تسمى معجزات وتناقضات تسمى تشريعات وبالتالي يرفض الدين ويدخل شرنقة اللادينية ثم سرعان ما يرفض وجود الإله بالتبعية ويكمن فى شرنقة الإلحاد .. لكنه ينتقل إلى النصف الثانى من الدائرة ألا وهو تأمل ماهية الخلق والوجود .. بنفس العقل والمنطق والفكر والفلسفة التى رفض بها الإله عليه أن يجد البديل , وإذا أسلم عقله للطبيعة العشوائية العبثية مؤمنا أنها هي التى نسجت الخلق والوجود , فماذا يفرق ذلك عن التسليم الإيمانى .. المؤمن أسلم عقله وحياته لله .. وهو أسلم عقله وحياته للطبيعة .. سلسلة المسببات ستنتهى عند ذريتي الكربون والهيدروجين والذى نشأ من التواليف المعقدة بينهما الكون ومن ثم نشأت الخلية الحية الأولى التى تطورت عبر ملايين وملايين من السنين لتتسج كافة هذه الكائنات والمخلوقات .. يشعر سامى حين يذعن لذلك التفسير أنه لا يعدو كونه سفسطة لن تصل لشيء .. كان كلما تأمل الطبيعة وجد نظاما محكما دقيقا يكاد ينطق بوجود عاقل قدير حكيم يتحكم فيه .. ولكى يتعرف على ذلك القدير عليه أن يبحث عن الصلة بينه وبين البشر ولا يوجد سوى الأديان فيصطدم بخرافات وتناقضاتها فى نصف الدائرة الأول لينتقل إلى نصفها الثانى .. كان سامى يدرك أنه لا يوجد إنسان بلا إله .. حتى الملحد

إتخذ إلهه الطبيعة التي وصفها بالصدفة والعشوائية .. إذن على عكس ما كان سامى يدعو إليه بشأن رفض وجود الإله .. هو نفسه فى مرحلة الشك لا يستقر على قرار ولا يستطيع رفض وجوده أو حتى قبوله .. ليظل سامى فى الدائرة .. يدور .. يدور .. يدور .. يدور .. يدور ..

كان سامى شاردا بداخل سيارته عائدا من الكلية إلى البيت .. يتسائل لماذا لا يمنع الله الحجر من السقوط من فوق الجبل إستجابة لتضرع المؤمنين .. أه لو منع الحجر من السقوط .. سيصل حينها إلى البر ناجيا من بحر الظلمات .. لئنه يمنع الحجر من السقوط .. لئنه يفعل .. فى هذه الأثناء كان سامى يقود سيارته على الكورنيش عائدا من الجامعة إلى مصر القديمة , وإذا بسيارة نقل كبيرة ينفجر إطارها الأمامى لتتحرف عن طريقها وتعبر الرصيف الضيق الفاصل بين الإتجاهين وتزحف بعنف وسرعة فى مواجهة سيارة سامى الذى إذا انحرف يمينا سيخترق السور الحديدى وربما إلى النيل يغرق , وإذا انحرف يسارا سيضطدم بالسيارات المتدافعة فى الإتجاه المعاكس , وكان الصدام الوشيك حتميا .. ضغط سامى فرامل السيارة بكل ما أوتى من قوة لتتوقف تماما , بينما السيارة النقل تزحف فى مواجهته بعنف ليسمح لسامى خمس ثوانى يترقب الموت القادم لا محالة .. خمس ثوانى ينتظر الحقيقة .. هل من عالم آخر سيذهب إليه أم أنها نهاية كل شئ .. والنتيجة كتبها سامى بعد بضعة أيام فى أجدنته الخاصة ولم يبح بها فى كتاباته حيث كتب

- ("" أنا أستشعر وجود الله أثناء التأمل فى ماهية الوجود .. وإذا كنت أعتقد بتناقض النصوص الدينية وعدم منطقية غيبياتها , فإن ذلك ليس بالضرورة يقودنا لرفض الإله .. حتى إذا كانت النصوص الدينية هى محض نصوص بشرية تنبع من فكر وثقافة الرسل والأنبياء وفقا لمحدودية زمانهم ومكانهم .. قد تكون الفكرة هى وحى من الإله , وجاء المضمون بذات المعنى حول الحياة بعد الموت والثواب والعقاب , لكن محدودية العقل البشرى بالتأكيد تداخلت مع النصوص لتصنع المزيد من التهويل على الأحداث وإكسابها صفة المعجزات والقدسية والعصمة من الخطأ .. فالنصوص الدينية تقدم صورا رمزية لعالم لا ندري كنهه ولن نستطيع ذلك طالما نحن فى لبستنا الدنيوية .. لكن إذا كانت الصلة بين البشر والإله هى الكتب السماوية , وإذا كانت جميعها قد خضعت لتداخلات تحريفية من البشر , والتي هى فى الأصل فكرة ومغزى إلهى عبر عنه النبى أو الرسول البشرى بما استقاه من واقعه وزمانه .. يجعلنا ذلك نتفكر فى قدرة الله .. هل لا يعلم أن البشر لن يستوعبون غيبياته وسيضلون الطريق القويم , وهل لا يجد الخالق وسيلة مباشرة تطلعنا على الغيبات التى جاء بها الأنبياء ؟ .. فذلك يعنى أنه قد لا يمتلك القدرة المطلقة التى وصفته بها النصوص الدينية .. ولكن ذلك لا يجعلنا نرفض وجوده بالتبعية .. أما إذا كان يعلم ويمتلك القدرة ولكنه أراد الأمر أن يكون كذلك , حتى يظل المؤمنون والملحدون فى جدال إلى أن ينقضى الأمر

وتبرز الحقيقة .. قطعا سيكون ذلك لحكمة , ألا يمكن أن تكون هذه الحكمة هي العقل البشرى .. فأنت بعقلك ترفض الأديان .. لكن كيف تسلم عقلك للطبيعة العشوائية التي نسجت الوجود .. ليس ذلك منطقيًا .. فالنوم والأحلام هي النموذج الذي وضعه لنا الخالق كلمحة متناهية البساطة للتعرف على العالم الآخر , حيث لا زمان ولا مكان .. وثمة أمور أخرى تدفعك للتأمل ألا وهي تجربة الموت : منذ بضعة أيام نجوت من حادث سيارة .. ليس المشكلة في الحادث ولا كيف خرجت سالما ببضعة كدمات بسيطة للغاية .. المشكلة في هندسة الحادث نفسه .. فلم يكن فجأة وعلى حين غرة .. بل كان أمامي ما يقارب من خمس ثواني كاملة أرى فيها النهاية قادمة لا محالة .. لا يمكن تفادي الصدام المنتظر بعدما توقفت بالسيارة وعلى يميني سور الكوبري ومن أسفله النيل وعلى يساري سيارة أخرى , وفي مواجهتي سيارة نقل كبيرة أسمع صرير فراملها وهي تزحف نحوي في مدة قاربت الخمس ثواني .. وصف ما دار في خلدي سيبدو أمرا ساذجا .. خمس ثواني كاملة كنت أنتظر فيها الحقيقة هل هو موجود أم لا ؟ .. هل سأذهب إلى العالم الآخر .. أم أنه لا عوالم أخرى .. لا أدري لماذا شعرت بوجوده لحظة الإصطدام في إنتظار السيارة النقل تعطلت سيارتي ليتم سحقى تماما .. لم أفقد الوعي بل كنت متيقظا تماما وأنا أشعر بالسيارة تتزحزح بضعة أمتار إلى الخلف .. فقط أغمضت عيني لأرى الحقيقة .. لاشئ سوى تكالب الناس يكابدون لإخراجي من السيارة ولا يصدق أحد أنني خرجت سالما من السيارة المنفصصة على بعضها .. استقرت في تلك التجربة التي عايشتها لأول مرة في حياتي غرورى الإنسانى لأتأمل الحدث وأدرك مدى ضعف الإنسان وقلة حيلته أمام أمور لا دخل له فيها , فما ذنبى أنا لتنتهى حياتى لسبب لا دخل لى فيه , وكيف يكون مثواى التراب بلا جنة ولا نار .. ألن أحصل على ثواب مقابل حسناتى .. ألن أعذب على خطايى وسيئاتى .. حاولت الربط بين مصادفة ذلك الحادث أثناء عودتى من الجامعة وأنا أتمنى ألا يسقط الحجر من فوق الجبل ويظل معلقا فى الهواء .. جعلنى ذلك أشعر أن ذلك الحادث وملابسائه والخمس ثواني التى سنحت لطرح السؤال : أين الحقيقة وأنا أترقب الموت القادم لا محالة .. جعلنى ذلك أستشعر أنها رسالة يجب تأملها .. ومع مرور بضعة أيام أجد أنها قد تكون مصادفة وقد تكون رسالة .. لكن الثابت أن وجود السؤال نفسه هو أزلية سنظل باقية .. وأخشى ألا أصل إلى الإجابة وفحوى الرسالة الذى وصلنى

" أنا الله تأمل كيف تشاء واعمل عقلك كيفما تريد .. أرفض وجودى أو أمن بى .. لكن أرنى ماذا يمكنك فعله الآن .. لاشئ ... ها أنت قد استسلمت لمصيرك المحتوم .. ورأيت أنه أنت الموت أيها العاجز .. أيها الضعيف .. يا من ليس لك حيلة ... أين عقلك المتدبر المتأمل .. فلنتأمل الموقف مليا ... وتفكر جيدا كيف ستخرج نفسك الآن ؟ .. الآن فقط تصبو نفسك إليّ .. تخاف إذا كنت أنا موجود أن أعاقبك على شكك فى وجودى وألوهيتى .. تتردد أنتطق بالشهادة أم لا ؟ لكن إنتظر

.. فلتنظر لما يمكننى أنا فعله ها أنت خرجت سالما .. انظر إلى سيارتك ..
لا يصدق أحد أنك لم تنسحق بداخلها بل خرجت دون أن تنزف قطرة دم ما
رأيك ؟ تدبر جيدا مثلما تتدبر الغيبيات وترفضها ها أنت الآن بعد
بضعة أيام تعيد صياغة الحدث وتشعر أنه مصادفة لا أكثر وترى أن توقفك
بالسيارة أولا قد قلل من حدة الصدام فنجوت .. ومتانة حديد السيارة المنفصصة
منحك بعض المساحة لتبقى داخلها سالما لكن أذكرك كان يمكن للسيارة
الكبيرة أن تقفز فوقك وتعنلك نعم أنت تشعر أنها مصادفة ... هكذا أنا قد
حبكت الحدث ونسجت خيوطه ليبدو كذلك كل الإحتمالات ممكنة تقبلنى
أو ترفضنى هكذا الوضع أردته فأنا سيارتك وأنا السيارة التى صدمتك
وأنا من أخرجك ... أنا كل شئ حولك ... و عليك الإختيار " " .

ولكن يعود سامى إلى الدائرة المغلقة .. يدور ويدور ويدور ... ويستمر
الجدال بينه وبين نفسه ولا يقدر على الإختيار .

إذا كانت حياة سامى ومها قد إنتقلت بنا على إيقاع سيمفونى دراماتيكى متسارع
على مدار سنوات وسنوات , فما بال عربى عطا وما حوله هناك بعد بضعة
شوارع من سامى ومها .. هناك فى حوش العجر .. لم يكن ما حدث لعربى وما
حوله بأقل مما حدث هنا , فقد شهدت السنوات على تغيرات متلاحقة بدأت بما
غير من حال عربى عطا المسطول , فيا ترى ماذا حدث ؟

منطقة مصر القديمة وبالأخص منطقة حوش العجر وما شابهها من مناطق تتساوى فيها أعداد القاطنين من مسلمين ومسيحيين , تحتاج دوما لمتابعة أمنية مستمرة لوأد أية شجار أو مشادة بين مسلم ومسيحي ودفنه تحت التراب قبلما يتحول لفتنة طائفية .. ومن هنا كان لابد للجهات الأمنية أن تكون على صلات وثيقة بكبرى العائلات من هنا وهناك , والحراسات الأمنية على الكنائس والمعبد اليهودى والأديرة مكثفة متيقظة .. وبيزغ دور عربى عطا المسجل خطر بحكم كونه ربيب الأحداث , نظرا لتوغله بداخل ذلك المجتمع بكافة طبقاته , فلا عجب حين يقوم أبو هانى كبير المسيحيين فى المنطقة بتقديم بلاغ بسرقة أحد محلاته ويكون عربى عطا أول المشتبه فيهم ويتم القبض عليه .. لكن عربى عطا قد برع فى الإدلاء بما يعرفه عن من يكون السارق وأرشد الشرطة إلى الكثير مما لا تعلمه فى المنطقة ودهاليزها وأسرارها , ليدرك رئيس المباحث والذى يتم إختياره بعناية لمنطقة على صفيح ساخن مثل تلك المنطقة المعرضة للفتن الطائفية , أن عربى عطا وسيلة ممتازة للتوغل داخل الحوارى والأزقة ومعرفة أدق التفاصيل , وقال رئيس المباحث مراد الدوغرى بملامحه الغليظة وشاربه الكثيف وصوته العميق محدقا فى عربى

- شوف يا ض .. إنت باين عليك لاف المنطقة وعارف حكاويها .. أنا هافر ج عنك وأسبيك 48 ساعة وعاوزك تجيب لى قرار الموضوع ده صمت يرنو بخبث فى عيني عربى وتابع

- وليك عندى مكافأة

تهلل وجه عربى الذى لا يجد ما ينفقه على زوجته التى ستلد خلال هذا الشهر وقال بحماس

- هو يوم واحد وهاتشوف عربى هايعمل إيه ؟

بالفعل لم يمضى سوى يوما واحدا حتى كان عربى فى مكتب رئيس المباحث يقول

- الواد شنمبر ابن على بتاع الكاوتش هو اللى عملها وسرق المحل

قاد عربى قوة من الشرطة فجرا إلى مقابر الأزهر على ضوء الكلوبات , وتمكنوا من القبض على شنمبر المختبئ داخل قبر أمه ومن حوله المسروقات , ولم يكن الأمر يحتاج إلى توضيب شنمبر الذى أفاض فى إترافاته .. حينها أدرك رئيس المباحث مراد الدوغرى أن عربى أداة قوية يجب إستغلالها بل تقويتها من أجل السيطرة على المنطقة .. ومنح عربى مكافأة سخية أمام أبو هانى الذى كان حاضرا وقال لعربى

- مع إنك واد لبط وبتاع مشاكل .. بس أنا عاوز أشغلك عندي .. هاوقفك
أمن على الفرع الرئيسي بتاعى وشوف ناس تبعك لبقية المحلات .. إنت
بتحصل على كام فى الشهر من تنطيطك فى شغلانة شكل كل شوية ؟
أجاب عربى ليرد أبو هانى
- أنا هاديك أكثر من اللى بيخش لك .. بش مش عايز أى مشاكل .. تقعد
طول الليل قدام المحل وأول ما يفتح الصبح تروح بينكم على طول

رغم كراهية عربى الشديدة للمسيحيين وعلى رأسهم أبو هانى الذى كان سببا فى إيداعه الأحداث صغيرا , إلا أن عربى كان عليه أن يقبل ذلك العمل بدلا من جلوسه عاطلا فى إنتظار عمل مؤقت يتحصل منه على بعض المال ينفقه على مزاجه .. وأعجب ذلك رئيس المباحث حتى يتسنى له استخدام عربى المسجل خطر كأداة بدون مشاكل .. ما إن حصل عربى على المكافأة إلى جانب مكافأة ثانية من أبو هانى الذى استرد بضاعته المسروقة , حتى أسرع عربى بشراء حشيش ليقتضى ليلته الأولى فى العمل قابعا أمام محل أبو هانى .. ظل عربى يفكر وهو يدخل الحشيش سعيدا بالعمل الجديد , لكن طموحه يأمل فيما هو أبعد من ذلك .. وعندما أشرق الصباح , عاد إلى البيت وألقى لحماته أم وحيد ببعض المال مزهوا ودخل الغرفة الوحيدة التى ينام فيها مع فتحية ونادى على زوجته طالبا

- بت يا فتحية
لم ترد فتحية التى كانت تساعد أمها فى حمل الأقفاص لتذهب لعملها فى السوق , لأنها تعلم بما يريده عربى وإتجهت إلى الغرفة متناقلة وبتنهم المتكورة فى شهرها التاسع تسبقها , لتتدخل الغرفة وتغلق الباب وتخلع جلبابها المتسخ وما تحته ووجهها منتفخ لم يفارقه أثر النوم بعد , وصعدت متأوهة بتعب حملها على السرير عارية فى حين يتعرى عربى متأهبا وهو ينفث الدخان الأخير من سيجارة الحشيش .. فى الوقت الذى كانت أم وحيد تنادى على ابنتها زينب النائمة على الفرشة فى الصالة وترغدها بقدمها صائحة
- إنت يا بت .. قومي قامت عليكى حيطة .. ياللا عشان نلحق صباحية السوق

- ردت زينب بصوت خافت
- إنتى مش عربى إداكى فلوس .. هاتروحي السوق ليه .. ريحى النهارده زمت الأم شفتيها تقول
- شوفى البت الكهينة .. لما أنتى صاحية وسامعة ياختى ما قومتيش عشان نروح الشغل ليه ؟
- تعبانة يا أما .. مش راحة النهاردة
- وإيه اللى تعبك اسم الله ؟
- قالتها أم وحيد وهى تزيج بقدمها الغطاء من على ابنتها زينب , ولما رأت جلبابها منحسرا على بطنها ونصفها السفلى عاريا عدا اللباس الدمور , ويدها قابعة على باطن فخذها , صاحت الأم

- صحيح ما انتى لبوة .. يا اللى تنشكى فى قلبك فزى قومى خلىنا نتسهل
على أكل عيشنا ع الصبح
لولا الأقفاص المستقرة على رأس أم وحيد لمالت تجذب زينب من شعرها لتنهض
.. لكن زينب إعتدلت جالسة على الفرشة تصيح وتنهر أمها
- باقولك إيه .. إصطبحى إنتى وقولى يا صبح .. مش راحة السوق النهارده
قولتلك

لم يكن بدا لأم وحيد سوى أن تذهب للسوق وحيدة .. بينما نهضت زينب تلم
شعرها المبعثر وذهبت تغسل وجهها وتعد كوبا من الشاى وتعود لتفتح التليفزيون
وتجلس أمامه .. تنظر بين الحين والآخر إلى باب الغرفة المغلق ويأتيها أصوات
تزييق السرير ليأجج كراهيتها وحقدما الذى طال جميع من حولها بعد زواج
أختها الصغرى وفاء التى تكبر بطنها شهرا بعد شهر وترى على وجهها السعادة
ولا تفتأ وفاء تذكر الرقم خمسة كلما حادثتها .. كانت زينب لا تعرف على من
تلقى باللوم , فبعدما كانت وفاء ونيسا لها فى البيت أصبحت وحيدة ضالة .. كذلك
تتساءل لماذا تتزوج أختها الصغرى بوجهها الذى تشووه الندبة الغائرة الكبيرة ,
بينما هى أجمل منها عدا الحول الظاهر فى عينها تجلس دون رجل , ولا أمل فى
أن تجد رجلا .. مشيتها المنقصة والعلكة التى لا تفارق فمها وميوعتها فى
التعامل مع من حولها , لم تخفى من الكره والحقد الدفين بصدرها .. غريزتها
الجنسية المتوهجة البادية لجميع من حولها من خلال إيمائاتها وتقصعها وعلكتها
ونظرات الشهوة فى عينيها واستخدامها للألفاظ الإباحية فى كلماتها بداعى وبدون
داعى , أدى ذلك إلى أن تعناد زينب على وصفها (باللبوة) من النسوة من
المعارف والجيران وحتى أمها لا تخاطبها سوى بهذه الكلمة فى أغلب الأحيان ..
وجدت زينب نفسها تنهض وتقترب من باب الغرفة تنصت لتسمع صوت عربى
يقول

- يا بت إدبرى على جنبك كده
وتسمع أختها فتحية ترد
- بس ما تدخلوش كله وتعمل جامد عشان المرة اللى فاتت نزل منى نقطتين
دم
- يا بت دا كويس فى شهرك ده .. عشان كسك يوسع وتولدى طبيعى
- بس كفاية كده أنا حاسة إنى هاولد
إهتاجت زينب ونظرت بعينها السليمة لترى خلال ثقب الباب أختها فتحية راقدة
على جنبها الأيسر وعربى ملتصق بها من خلفها عاريين .. وسمعت فتحية تشهق
صائحة

- آه .. دا أنا هاستريح منك لما أولد وتعتقنى لحد ما أربعن
- تربعنى إيه ؟ .. دا كيف عندى كل يوم
- يوه .. هو أنت عايز تنيكنى وأنا نفثا كمان
- وماله ؟

سألها عربى وهو يمد يده بين موضع عانته وفلقتى مؤخرة فتحية وتابع كلماته
أمرا

- وسعى طيزك يا بت
- نهنت فتحية وكأنها على وشك البكاء تردد
- أه يانى يا أما .. مش كفاية فتننتنى .. دا كده هتنزلى البواسير
- لأ هادخله بالراحة

وصلت زينب لمرحلة جعلت عقلها يدفع لها بفكرة لم تتدبرها , حيث فتحت الباب
وإندفعت تتصنع أنها استيقظت للتو ولم ترى عربى عائداً من الخارج تنادى على
أختها

- إصحى يا فتحية .. إنتى لسه نايمة ؟
- فزعت فتحية واحتاجت لبضعة ثوانى لتجذب طرف ملاءة السرير تغطى جسدها
وهى تقول
- إيه يا بت .. إيه اللى دخلك علينا كده ؟ .. فى إيه ؟

صاحت زينب تتصنع المفاجأة وتقول
- يقطعنى .. باحسبك لوحدك .. ما أعرفش إن عربى جه من بره
قالتها زينب وهى تستدير ببطء تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها .. بينما
عربى الذى إعتدل على ظهره حين دخلت زينب ورآها تنتظر إلى قضيبه لم يقنع
بأنها لم تكن تعلم بوجوده .. فقد سمعها تصيح فى أمها وسمع صوت التليفزيون ..
صحيح أن ذلك حدث بعدما دخل هو الغرفة ومن الممكن أن تكون الفتاة استيقظت
بعد حضوره دون أن تراه .. لكنه إختار العكس لحاجة يشعر بها فى صدره .

بعدما ولدت فتحية .. تحامل عربى على نفسه ثلاثة أيام بدون جنس , وفى اليوم
الرابع أراد استغلال فرصة ميبت حماته أم وحيد عند أختها بالسيدة زينب ليومين
من أجل مساعدتها فى التجهيز والإعداد لزفاف ابنها .. وحضر بربرى وماهر
صديقى عربى لمؤانسته فى سهرته الليلية أثناء حراسته لمحل أبو هانى .. الشارع
خالى تماما من المارة وسط ظلام الليل مما سنج لعربى وصديقيه تبادل الأنفاس ,
ولم يتوقف الأمر على ذلك بل كان عربى يضع زجاجات البيرة فى كيس أسود
بجواره , ويخرج زجاجة ويجرع منها جرعة كبيرة ثم يخفيها تحت الجاكيت إذا
ترائى له أحدا يمر من الشارع , وكذلك يفعل بربرى وماهر قبلما يودعوه بعد
أذان الفجر .. سهر عربى فى عمله الليلية على مدار الأيام إلى جانب الحشيش
والبيرة فى هذه الليلة وخلو البيت من أم وحيد , ولا يوجد سوى زوجته النفثاء
وأختها زينب .. كان حتميا أن تبرزغ الفكرة فى رأسه كما يبرزغ النور من الظلمات
.. وبمجرد أن حضر أحد عمال المحل مبكرا حتى أسرع عربى يترنح عائداً

للبيت .. فتح الباب بهدوء وتسلل متناقلا ليرى زينب على فرشتها نائمة وزوجته
فى الغرفة على السرير وإلى جوارها الرضيع .. أسرع عربى يوارب باب
الغرفة المفتوح ثم ألقى بجسده إلى جوار زينب ينزع عنها البطانية المهلهلة ,
لتستيقظ فرعة فيضع عربى يده على فمها ويهمس لها
- ما تخافيش يا بت

زينب نفسها ربما لا تدرى بما فيه الكفاية لماذا استسلمت لعربى .. لم يكن الموقف
يسمح بأن يكون مبتغاها هو أن تشبع شهوتها المستعرة , فهو ليس رجلا عاديا
بالنسبة لها , بل هو زوج أختها .. ربما كراهيتها لحياتها وفقدانها الأمل فى أن
تحظى برجل جعلها تخنع لرجل جاء يطلبها كأنثى يلجها .. ربما كان الموقف
برمته يحمل جديدا بيدد ملل وكآبة حياتها المدقعة , ثم ماذا كان عليها أن تفعل ؟ ..
تصرخ وتستنجد بأختها ثم ينهال عربى عليهما ضربا وسبابا وينكر ما ستقوله
زينب .. هذا ما كانت تفكر فيه زينب وقضيب عربى يمرق مهبلها ينهى بكارتها
.. بينما الحقيقة أنها تريد الإنتقام من حياتها بأن تفعل ما يخالف ما هو متعارف
عليه فى الحياة السوية .. فحياتها بالكامل غير سوية فلتفعل إذن ما يعتبره الناس
غير سويا .. لذلك حين تكرر ذلك فى صبيحة اليوم التالى .. كانت زينب مستيقظة
تنتظر عربى بعدما أغلقت باب الغرفة على أختها , وكانت مستمتعة تتمحن
بخفوت أسفل عربى وبعدها انتھيا .. همست له
- بعد فتحية ما تربعن هاتسيبنى ؟

سؤال غريب لكنه يعكس مدى حرص زينب على توطيد علاقتها بعربى ,
وأرادت أن تعلم هل سيكتفى بفتحية بعد ذلك أم أنها ستشاركها فيه .. وأجابها
عربى

- يا ريت أختك كانت لبوة تحب النيك زيك كده .. مش كنت إتجوزتك إنتى
من الأول .. ماكنتيش هاتبقى زهقانة من النيك يوماتى زى أختك كده
كان رد زينب هو أنها إعتلت عربى وفعلت به ما لم تفعله فتحية ولا حتى فجر
الشموطة التى كان عربى يرافقها قبل زواجه ..

ومنذ ذلك الحين إعتادت زينب على تحين أية فرصة تسنح للإختلاء بعربى إما
وحدما أو فى وجود فتحية نائمة صباحا .. تشعر زينب أنه بات لها رجل ..
صحيح أنه نصف رجل وتشاركها أختها فيه , لكن ذلك أفضل من لاشئ .. كانت
تشعر بأنها زوجته ملزمة منه وهو يعطيها بعض المال بين الحين والآخر ,
وصارت مشاعرها تجاه أختها فتحية بأنها ضررتها تقاسمها عربى .. ومرت الأيام
على هذا المنوال حتى جاء اليوم الذى لم تخرج فيه زينب مع أمها للسوق ,
واستيقظت على صوت فتحية تقول

- بت يا زينب .. إنتى يا خم النوم .. أنا راحة الوحدة الصحية أطعم الواد
قالتها فتحية وغادرت بينما تيقظت حواس زينب وقامت مسرعة تغسل وجهها
وتمشط شعرها ثم تتجه وتدخل الغرفة لتجد عربى يغط فى النوم وصوت شخير

يملاً الغرفة .. تعرت ورقدت فوقه ليستيقظ على قبالتها ومداعباتها , فأسلم نفسه لها .. شبق زينب نتيجة إنقطاع دام فترة جعلها لا تدرك كم مر من الوقت , لتداهمها فتحية عائدة تحمل الرضيع وتصرخ لما رأت زوجها ينيك أختها

- يالهُوى يالهُوى يالهُوى

لاتزال تردد ذلك وهى تضع الرضيع على الأرض بأحد أركان الغرفة , ثم تلطم وجهها بيديها وصوتها يعلو

- يا فضيحتى .. يالهُوى .. جوزى وأختى

نهض عربى عاريا مسرعا قبلما يصل صوتها لخارج البيت يصرخ فيها وهو يجذبها من شعرها ويسقط الإيشارب على الأرض

- بس يا بنت دين الكلب لاطلع أيمان اللى جابوكى

غريب أن زينب كانت لاتزال عارية واقفة متقصعة وتضع يدها فى وسطها تلوك اللبانة وتنظر إلى أختها بعيون متنمرة متحدية مما دفع فتحية لتقول لها وهى تخلص شعرها من يد عربى

- بتبصى لى ولا همك يا حولة .. يا شرموطة مالقتيش غير جوزى ينيك يا لبوة

قالتها فتحية وهى تهوى على وجه أختها لتصفعها , وردت زينب وهى تشتبك مع فتحية دفاعا عن نفسها

- مش عربى ده اللى بتقولى عليه عيرة الرجال وجوازة الغبرا .. حلى فى عينيكى دلوقتى يا اختى

حال بينهما عربى مدافعا عن زينب التى سحبت جلبابها وخرجت من الغرفة بينما فتحية تلطم وجهها تردد

- يا فضيحتى يا فضيحتى .. إنت خلاص مالكش قعاد فى بيتنا .. لما تيجى أمى هانعرف شغلنا معاك

قالتها لعربى الذى اندفع يضربها بكل ما أوتى من قوة

- مين ده اللى تعرفوا شغلوكوا معاه يا بنت ميتين الكلب .. ده أنا أدفنكم هنا يا اللى خلقتكم تقطع الخميرة من البيت

صوت الضربات التى أنهكت فتحية تمتزج مع صوت صرخات الرضيع المفزوع مما جعل عربى يكف عن الضرب ويشخط فى فتحية

- خدى الواد اللى بيصرخ ده بره يا بنت الوسخة .. غورى من وشى

خشيت فتحية على الرضيع لنلا يفتك به عربى وسط جام غضبه , وأسرعت تحمله إلى الصالة وتضعه على الأرض ثم تشتبك مع أختها فى ضرب وشتائم بينما أغلق عربى باب الغرفة وتمدد لينام .

وعيد وتهديد فتحية بوخيم العواقب عند حضور الأم , جعل لحظة وصول أم وحيد عائدة من السوق فى العصر نقطة فارقة .. وما حدث هو لاشئ .. لاشئ مطلقا .. كانت زينب وفتحية جالسان تنظر كل واحدة للأخرى بتحدى لم يسفر عن شئ ..

ما الذى تقوله فتحية لأمها ؟ .. وإذا حكمت ما حدث ؟ .. هل سيغادر عربى بلا رجعة .. إنه القدر القابع بينهم .. لا فكاك منه ولا خلاص .. فما من شئ يمكن فعله .. سوى الصمت .. الصمت هنا أبلغ الكلمات .. لكن الأم ترى ابنتيها على هذه الحالة وتسأل

- إنتو إتخانقتو يا مقطوعة منك لها ؟
- لا جواب .. ترفع الأم كفيها إلى السماء متضرعة
- إلهى ياخذنى عشان استريح من الهم ده

تمر الأيام وأصبحت فتحية وأختها زينب ضرتين فى بيت واحد .. وتحرص فتحية كل الحرص على عدم إعطاء أية فرصة لتختلى زينب بعربى ,
وتمر أيام وأيام

تسأل فتحية نفسها لماذا هى حريصة على من لا يستحق أن يوصف برجل ؟ .. لماذا تظل حبيسة فى البيت طالما هو موجود نائما طوال النهار , ولماذا تشعر بالشك والغيرة كلما كان عربى وزينب خارج البيت وتتخيل أنهما مع بعضهما فى مكان ما .. لتجد فتحية نفسها فى النهاية مع الوقت لا تلقى بالآ ولا تعبأ .. فلنيسافحا كيفما شاءا وسيحترقان فى نار جهنم جزاء لهما .. بدأت فتحية تخرج لزيارة معارفها وجلب أغراضها دون أن تعبأ بوجود زينب فى البيت وعربى نائما , وكادت تحكى لأختها وفاء فى أحد زيارتها للبيت لكنها لظمت الصمت .. وعادت فتحية من عند أختها وفاء ظهيرة أحد الأيام تحمل طفلها لتجد زينب فى الصلاة تتابع التليفزيون ولما رأت زينب أختها فتحية تنظر تجاه باب الغرفة المغلق .. سحبت شهقة عميقة وقالت بوجهه ممتعض وهى تمضغ علكتها
- ولما أنتى خايفة كده .. خرجتى ليه ياختى وأنا فى البيت
قاطعتها فتحية محتدة

- اشبعى بيه يا حبيبتى وهو دا راجل واحدة تخاف عليه .. خليه ينيك
ويطفى نار كسك القايدة .. ماهو أصلك يا عيني هاتعملى إيه ؟ .. ما لقتيش راجل يعبرك ويبص فى خلقتك
قالتها فتحية وهى تضع طفلها على الكنبه وتقف تضع يديها فوق بعضها على عانتها وتلتهم أختها بنظراتها , وترد زينب
- طب إيه رأيك بأه إن عربى كان عاوز يطلقك ويتجوزنى أنا .. بس أنا اللى
مارضيتش

بالفعل كان ذلك إقتراحا .. لكنه كان من زينب تقترحه على عربى وترك المنطقة وبدء حياة جديدة فى أرض الله الواسعة , لكن عربى أبى أن يترك منطقتة التى عاش فيها , وترد فتحية تشهق
- وعلى أية يا لبوة طب ما أنتى متجوزاه .. وهو أنتى هاتخدى إيه لما تتجوزيه غير إنه ينيك .. إن كان ع الفلوس لا بنشوف منه لا أبيض ولا أسود غير كل فىن وفىن .. وهو عايش غير للسلط والنيك ؟ .. ولا أنتى عاوزه تحبلى وتخفى

لم ترد زينب وانهمكت تلوك علكتها بغیظ , لترد فتحية
- إيه ياختى سكتى ليه .. ما تقومى تخشى له خليه ينيكك
بترت فتحية كلماتها إثر صوت عربى من داخل الغرفة يزمجر
- بطلى وش يا بنت الوسخة منك لها .. عايز أنام

لم تمضى دقائق حتى جاء صوت عربى مجددا ينادى
- فتحية

لبت فتحية النداء ودخلت إليه تقول بغضب

- عاوز إيه من زفته

- إقفلى باب الأوضة تعالى عاوزك

شهقت فتحية تقول بنبرة ساخرة

- واقفل الباب ليه .. وهو حد غريب قاعد بره

صمتت ثم أردفت

- ودا إيه اللى فكرك ؟ .. مش بقالك أسبوع شوف كنت بنتيك اللبوة دى ولا

مين

نهض عربى والشر يطل من عينيه وهوى بقبضة يده على صدر فتحية وهو

يصيح بعلو صوته

- يحرق دين اللى جاب أهلك

كان ذلك كافيا لتتعري فتحية وتترك نفسها لعربى تاركة باب الغرفة مفتوح ,

وأرادت إغاظة زينب , فكانت تتعمد التأوه بصوت عالى وتشخر وتنخر وهى

تقول

- بالراحة شوية بزوبرك اللى ولا زوبر الحمار ده

بالفعل عضت زينب لسانها مرتين وهى تلوك اللبانة بمنتهى الغيظ لدرجة أنها

تركت الرضيع يصرخ غير عابئة بهدهته , مما دفع فتحية لتصبح من تحت

عربى الجاثم فوقها

- ما تشوفى الواد بيعيط ليه يا لبوة انتى

لم ترد زينب وظل الطفل يصرخ , فسحبت فتحية نفسها من تحت عربى وخرجت

مسرعة وهى عارية لتفتك بزيب التى قالت

- وهو أنا اللى هارضعه .. بزى مافيهوش لبن ياختى

لم تبالى فتحية بمنطقية رد زينب واشتبكت معها , مما جعل عربى ينهض عاريا

ويخرج من الغرفة لينهال عليهما ضربا .. وهذا الموقف بعدما ارتدت زينب

ملابسها وجلست على السرير لإرضاع الطفل .. أدى ذلك كله لعكننة مزاج السيد

عربى عطا وهو يعود من الحمام عاريا وزينب تتابعه بنظراتها وتسمعه يصيح

فى فتحية

- كل ده بترضى الواد .. ما تبالا

صمت ثم تابع

- يلعن أبو سدة النفس والعكننة بتاعة أهلك

قالها ووقف على الباب مناديا زينب التي لبث على الفور مسرعة , وتعقب فتحية
بغیظ

- كده عینی عینک .. ده ایہ البجاجة دى

وكانها لم تقل شيئا .. تعرت زينب وأرقدتها عربى ليحشر قضيبه فى كسها بلا
مقدمات .. بينما احتقن وجه فتحية وهى تتابع إرضاع طفلها .

تمر الأيام والأيام وبات الأمر عاديا بين ثلاثتهم وحرصت زينب على استخدام
حبوب منع الحمل ليقف الأمر عند هذا الحد , لكن الأم كانت تحس بشئ يحدث
من وراء ظهرها , وما كان منها سوى التجاهل .. فماذا تفعل ؟ .. وعلى ما يبدو
أن ذلك أورثها حزنا وشحوبا سقطت على إثره فاقدة الوعي فى أحد الأيام , وفى
مستشفى المبرة .. قبعت أم وحيد لأسبوعين بداخل الرعاية المركزة و تم إذابة
الجلطة التى حدثت بمخها لتفريق من الغيبوبة بشلل رباعى جعلها تمكث فى البيت
عاجزة عن أية حركة .. ثم مع الأدوية بدأت تقدر على حركة بسيطة للغاية .. كان
عربى دائم الشكوى من طلبات زوجته للمال لشراء أدوية أمها , ولولا وفاء
وزوجها مصطفى الذى كان يحملها إلى الحمام لتقضى حاجتها ويعود بها لتطعمها
وفاء وتعطيها أدويتها , لما مكثت الأم فى الحياة .. تمكث جالسة أو ممددة شبه
مغيبية عن الدنيا .. ولم يعد عربى وزينب وبالتالي فتحية يعبأون بوجودها ,
فصارت حياتهم بداخل البيت كما وكانها غير موجودة .. كانت الأم تدرك لكنها
عاجزة وسط الظلام عدا بصيص من نور فى وفاء ومصطفى , ولما ولدت وفاء
وأصبحت نفاء لا تفارق شقتها ولم تعد تأتى لرعاية الأم .. كان من المتوقع أن
تسوء حالتها وترحل عن الدنيا تاركة الظلام وبصيص النور .

وتمر شهور وشهور

وكلما تكبر بطن فتحية فى حملها الثانى , كلما تتأجج النار فى صدر زينب التى
خططت بدافع رغبتها فى الأمومة لما لا يمكن أن تتقبله النفس السوية .. حيث
عقدت العزم وبيتت النية لأن تحمل من زوج أختها , فتوقفت عن تعاطى حبوب
منع الحمل , وأكثرت من ممارساتها الجنسية مع عربى دون أن تعبأ بسخرية
أختها فتحية

- كسك واكلك أوى يابيت اليومين دول يعنى

وبالفعل حدث ما عزمته عليه زينب , وكانت فتحية تصيح لما رأت بطنها

- إيه يا لبوة بطنك عاملة كده ليه

قالتها فتحية تنظر فى وجه أختها زينب ورأت الإجابة فى عينيها فقالت محدقة لا
تصدق

- إنتى حبلى يا بت من عربى

صممت تخبط بيدها على صدرها وتتابع
- يادى الجرس والفضيحة يا عالم
جذبت فتحية أختها من شعرها تواصل
- إيه يا بت المصيبة دى .. هاتنزلى الداھية دى إزاي
كانت صدمة لفتحية وهى تسمع زينب تجيب
- مش هانزله
حدقت فتحية وأربد وجهها وهى تتعجب قائلة
- مش هاتنزليه؟! يعنى إيه
بهدهوء شديد قالت زينب
- أنا هاسيب المنطقة واطفش

بالفعل صدقت زينب , فقد اختفت ولم يعد أحد يعلم أين ذهبت ؟ .. حتى عربى
كف عن ضرب فتحية حيث كان يعتقد أن إختفاء زينب بعلم فتحية , وفشل فى
الوصول لطريق إليها .. لذا تناسى مع الوقت إنكسار هيمنته الذكورية بفقدان ذكر
لأنثى كانت تحته .. ومضت أيامه وضاق بعمله حارسا عند أبو هانى المسيحى ,
وتفتق ذهنه عن خطة سيساعده فى تنفيذها بربرى وماهر .. تسلل عربيه من عمله
بصحة بربرى وماهر يرتدون القفازات الجلدية وسط سكون الليل .. يقصون
بالمقص الحديدى الكبير أقفال محلات المسلمين والمسيحيين وإن كان أغلبها
للمسيحيين , ويدفع عربى بمية النار (حمض كبريتيك 90 %) بداخل الكوالين
الجانبية لأبواب المحلات , ليهرع بربرى بوجهه الزنجى المختفى خلف لثام من
قماش أسود ويدفع بمفتاح فى الكالون الذى ذاب لسانه بداخله فينفتح , ويضحك
ماهر معقبا

- إنت شكلك أسود مش باين فى سواد الليل ده .. كمان مخبى وشك

تكرر ذلك كل بضعة أيام مع عدد من المحلات .. فقط يجد أصحاب المحلات
الأقفال مقصوصة والكوالين مفتوحة دون أية سرقات , مما أثار دهشة الجميع ,
طالما السارق لا يسرق فماذا يهدف من بث الخوف فى صدور أصحاب المحلات
.. وكان عربى متعجبا من عدم إستدعاء مراد بك رئيس المباحث له , ولم يدم
إندهاشه كثيرا حيث استدعاه مراد الدوغرى وأجلسه بشكل ودى فى مكتبه يقول
وهو يشعل سيجارته

- إنت عاوز إيه يا عربى من اللى بتعمله ده ؟

حاول عربى إخفاء دهشته ظنا أن مراد بك يجرجره فى الكلام

- مش فاهم ساعتك يا باشا .. وهو أنا عملت إيه ؟

لحظات من الصمت رأى فيها عربى نظرات مراد تنفذ إلى أعماقه وتقرأ ما

بداخله , ونفث مراد دخان سيجارته فى وجه عربى وقال

- البت أخت مراتك عرفت هى فين ؟

- لأ يا باشا

ثمرة مجهوده .. إستغل مراد عربى فى الإلمام بتفاصيل تجار المخدرات بالمنطقة , وداهم الجميع لينظف المنطقة ظاهريا وليحصل على ترقية تدعم استقرار وضعه باطنيا .. فمن الطبيعى أن يحظى مراد بثقة قياداته اللذين يرون أنه لولا وجود مراد الدوغرى رئيسا لمباحث المنطقة , لكانت الفتن الطائفية بين المسلمين والمسيحيين لا تنقطع .

لم يكن يهدف مراد الدوغرى إلى جنى المال وإلا لأمتلك عملا خاصا فى الخفاء يستخدم فيه نفوذه وسلطته , لكنه يهدف إلى إرضاء شعوره بحب الزعامة والسيطرة .. كلما أحس أنه مسيطر كلما زادت سعادته ونشوته , لذا كان يحرص من باب إشباع ذلك الإحساس على تجنيد عربى عطا لجمع معلومات ومساعدة المخبرين فى التحريات , لعمل ملفات كاملة بكل خبايا وأسرار كبار المنطقة من المعلمين والتجار والأثرياء , فلربما يحتاج لتلك الملفات يوم ما .

تقفز بنا السنون والسنوات , ليصبح عربى عطا بلطجيا مرخصا .. بلطجى من نوع خاص .. يذعن الجميع لدفع الإتاوة رغم أنه لم يعد أحد يسهر أساسا على حراسة المحلات , فقد كان يكفى أن يعلم القاصى والدانى أن هذا المحل يدفع شهرية لعربى عطا .. إذن هو تحت حمايته فالويل لمن تسول له نفسه الإقتراب بأذى , وقد ثبت ذلك حين قاد عربى الشرطة للقبض على سارق أحد محلات الحماية الأمنية لعربى عطا , وتم استرداد المسروقات .. هكذا فرض عربى سطوته مدعوما بنفوذه لدى الأمن .. وقفزت حياة عربى عطا قفزة هائلة خلال أيام إنتخابات مجلس الشعب .. عندما أشار رئيس المباحث مراد الدوغرى على عبد الرحمن الوحش مرشح الحزب الوطنى الحاكم بأن يستعين هذه المرة بعربى عطا فى حملته الإنتخابية للحفاظ على مقعده فى البرلمان لدورة جديدة , لأن المرشح المنافس هو أبانوب أبو هانى الذى سيضمن أصوات المسيحيين التى قد تضمن وحدها له النجاح .. ووجدها عربى فرصة لإفراغ كراهيته الشديدة للمسيحيين وأبو هانى , فكان يدور فى الشوارع والطرق مع عبد الرحمن الوحش فى رسالة مفهومة للجميع .. رسالة من المرشح الوحش بأن عربى (الراجل بتاعى) , ومن ليس معى فسأسلطة ضده .. ورسالة من عربى أن من لن يساند الوحش فويل له منى .. وبالطبع لم يسكت أبو هانى ودفع مبلغا كبيرا لعربى لاستقطابه من أجل مساندته , فأمسك عربى العصا من المنتصف وبات مع الأعراف لا هو من أهل اليمين ولا هو من أهل اليسار .. بالطبع كان عربى هو أكبر المستفيدين حيث أصبح بالونة نفخ فيها الجميع حتى تعاضمت وحلقت عاليا ولم يعد بإمكان أحد أن يثقب تلك البالونة ليفرغها من الهواء ويعيدها إلى سيرتها الأولى .. ولما لا ؟ .. إذا كان أهالى المنطقة يرون الوحش وأبو هانى أكبر رأسين فى المنطقة يتسابقان للفوز بعربى عطا .. أليس ذلك كافيا لدعم سطوة عربى عطا المسجل خطر البلطجى ليسارع جميع الناس بتلبية رغباته إتقاءا لشره .. وإذا كان الناس يعلمون أنه مسنود من رئيس المباحث نفسه فماذا ينقص عربى ليتولى

زعامة المنطقة فعليا .. كان لا يمكن أن يسمح عربى عطا لأبو هانى بأن يكسب الانتخابات حيث تمكن عربى وعدد كبير من البلطجية تحت إمرته , من إحداث أعمال شغب خلال يوم الإدلاء بالأصوات ليتم تزوير الانتخابات ويحافظ الوحش على مقعده البرلمانى , فى حين يطعن أبو هانى بالتزوير فى إنتظار أن يحصل على حكم بعد سنوات أمد الرب فى عمره .. ولن يعيد ذلك الحكم الانتخابات مرة أخرى .. فالانتخابات تحظى بقدسية متناهية لا يجوز شرعا المساس بها وإعادتها ..

تغيرت حياة عربى عطا على مدار سنوات وظلت البلونة تنتفخ وتكبر , وانتقل عربى لشقة واسعة من ثلاث غرف وصالة بعدما صار له ثلاثة أبناء : ولدان و بنت , ومع حمل زوجته فتحية الرابع وعدم قدرتها على الإيفاء بمتطلباته الجنسية رغم أنها قلت نوعا ما مع تزايد سنوات عمره .. تزوج عربى من فتاة صغيرة تشبع شهوته ورغباته , ولا تفتأ زوجته فتحية تردد كلما جاءت سيرة زوجها وهى فى حظوة بعض النسوة

- الكلب الناقص اللى مالوش أصل .. أول ما القرش جرى فى إيده راح إتجوز عليا .. داهية تاخده

تمكن عربى من استغلال البيت القديم لأم وحيد , وفتح الغرفة الوحيدة على الصالة ليفتح صالة حديد ببضعة أجهزة قديمة , ويجنى عربى المال ليس من إشتراكات الشباب فحسب , وإنما من حقن الديكادورابولين والسوستانون والجبى إتش وبودرة الكرياتينين وبودرة زيادة الوزن والتى ما هى إلا علف للمواشى أساسا , وارتبط عربى بالصيدلى رمزى صاحب صيدلية العذراء ليجلب ما يحتاجه للصالة من بودرة وحقن ومنشطات إرضاء لهوس الشباب ضئيل الحجم الراغب فى العملاقة , وتزداد مكاسب عربى ليشتري سيارة لادا مستعملة رمادية اللون مميزة بشكلها فى المنطقة كلها .. ويدخل عربى عالم جديد فى التوهان ومن حوله ماهر وبربرى يقدمان له فروض الثناء والمديح وتأكيد زعامته , ليغدق عليهم عربى من حبوب الهلوسة الباركينول (الصراصير) والريهبانول (أبو صليبية) والكودافين .. ولا يمكن أن يخرج عربى من بيته سواء عند فتحية أو عند زوجته الجديدة إلا بعدما يرفع الطاسة بجرعات مناسبة من الحبوب وسيجارة حشيش ولا بأس بكوبيين من البيرة .

وتمر سنوات وعربى يجوب المنطقة بسيارته اللادا للإشراف على صالة الحديد ومتابعة المحلات وجمع الإتاوات .. ولم يندعش الأهالى وهم يرون عربى يتباهى بطبنجة حية كان قد اشتراها من أمين شرطة متقاعد لبث الرعب فى قلوب الجميع معلنا أنه لا يهمه أحد .. لم يعد هناك رادع لعربى على الإطلاق .. لكن الغريب أنه لم يفعل ما يستوجب كل هذا الخوف الذى يمتلك الأهالى عندما يروه , فما يتردد عن عربى عطا أصبح موروثا شديدا المبالغة بشأن علاقته بالأمن ونفوذه

لدى الكبار , وكيف كان يسرق المحلات ويحرقها قبلما يدفع له أصحابها ليأمنوا شره .. إذن سطوة عربى عطا مستمدة من الصيت لا من الفعل , فهو لم يقتل قتيلا ولم يمارس أعمال عنف على أحد باستثناء بلطجته هو وأقرانه أثناء الإنتخابات , ولعل ذلك ما جعل الشرطة تترك عربى طالما لم يرتكب ما يخل بسلامة الوطن .. ومع ظهور التليفون المحمول , كان عربى من أوائل حامليه .. يتصل عربى يطلب من الجميع لينفذوا .. عدا واحد هو من يجب على عربى أن ينفذ ما يقوله : مراد الدوغرى رئيس المباحث الذى اتصل يطلب عربى للحضور وقال - فى قسيس اسمه عادل برسوم كل يوم والتانى بيروح عند واحدة عايشة لوحدها فى مصر الجديدة .. عايزين نشوف القصة دى إيه صمت مراد الدوغرى وتابع - طبعا أنا ممكن أعمل تحرياتي من غيرك .. بس أنا قلت مافيش غير عربى هو اللى هايقدر يوصل للأوضة بتاعته فى السكن اللى جنب الكنيسة .. عايزك تحفظ فيها إيه وتقولى

شعبية القس عادل برسوم المتزايدة فى وقت زمنى قصير رغم أنه تجاوز الأربعين بقليل , جعلته محط إهتمام الأمن وعلى رأسهم مراد الدوغرى ليس بحكم كونه رئيسا للمباحث فقط , ولكن إرضاء لحب سيطرته , فأمر كهذا غير مألوف ويحتاج إلى تفسير .. قد ينتمى ذلك القسيس لفكر متطرف يزرع به التعصب فى عقول المسيحيين ممن يتزايد أعدادهم من حوله , وذلك بالقطع سيزرع من استقرار الوطن وسيؤدى إلى فتن طائفية .. لا بد من عمل ملف متكامل لذلك القسيس للوقوف على حقيقة أمره .. لكن الملف الخاص الذى يريده مراد الدوغرى يستحيل عمله بالطرق القانونية المشروعة , فلا يملك مراد ما يتمكن به من الحصول على تصاريح من النيابة بالتفتيش أو المراقبة .. إذن عليه أن يسلك الطرق الغير شرعية ويتسلق الأبواب .. وكيف يفعل ذلك ؟ .. هنا يأتى دور أدواته عربى عطا .

تتعاضم ثروة المعلم أبو هانى كبير المسيحيين فى المنطقة منذ بداية عصر الإنفتاح وحتى الآن , وصارت فروع محلات أبو هانى للأجهزة الكهربائية , تمتد منتشرة فى كافة أحياء ومناطق مصر القديمة , بل وصلت إلى السيدة زينب وهرمل والقصر العينى .. ترك أبو هانى سيارته البيجو 504 لابنه هانى واشترى هو سيارة مرسيدس فخمة .. يمضى أبو هانى وابناه ساعات يومهم فى المرور على فروع المحلات وجمع الحصيلة ومتابعة مدراء الفروع .. لم يكن أبو هانى مسيحيا متدينا , فنادرا ما يحضر مع أسرته قداسا , ولا يظهر فى الكنيسة سوى فى الأعياد , لكنه كان من المقربين للأساقفة وقساوسة الكنيسة يحرصون على زيارته باستمرار , والسبب فى ذلك هو إغداق أبو هانى على الكنائس بالكثير من أمواله لمساعدة فقراء المسيحيين .. وكان الدافع فى ذلك هو إيمانه بأن الرزق الذى ساقه الله إليه من العدم يوم كان يملك دكانا صغيرا يبيع فيه الأجهزة والأدوات المنزلية بالتقسيط , ومنّ الرب عليه بهذه الأموال الطائلة .. لذا كان أبو هانى يؤمن أن عليه حقا للرب ويوفيه بمساعدة كل من يلجأ إليه من المسيحيين طلبا للعون و المساعدة , ويغدق المال على الكنائس بنفس محبة راضية تماما كالمسلم الذى يخرج زكاة ماله وصدقاته .

فى هذا اليوم ظهر أبو هانى نازلا من سيارته المرسيدس بصحبة ابنه الأوسط عاطف أمام كنيسة الشهيد فلوباتير مرقوريوس (أبو سيفين) والتى شيدت قبل القرن السادس الميلادى وكرست علي اسم القديس الذى كان ينتسب إلي عائلة عريقة ثرية وكان ضابطا فى الجيش الرومانى واستشهد فى عهد الإمبراطور يوليانيوس الوثنى بسبب اعتناقه للمسيحية وجهاده فى سبيل نشرها .. لم يكن أبو هانى ساعيا لأداء الصلاة فى قداس بالكنيسة مع ابنه عاطف , وإنما جاء تلبية لدعوة أسقف الكنيسة الأنبا كيرلس لهما كى يحضرا .. دخل أبو هانى مرتديا بدلة أنيقة مقلمة رمادية ومن تحتها قميص أبيض بلا رابطة عنق , ورأى الأنبا كيرلس مرتديا الإستخارة البيضاء المطرزة عند الأكمام وعليها صورة العذراء تحمل المسيح الرضيع , وغطاء رأسه البلىن مطرزا بصليب من خيوط ذهبية اللون , وإلى جواره يجلس القس عادل برسوم مرتديا التونيه الأسود وعلى رأسه الشملة السوداء المستديرة ويتدلى من حول رقبته صليبا معلقا فوق سرته , يجلسان فى بهو الكنيسة ذو النوافذ العديدة وزجاجها المعشق المزين برسومات العذراء والمسيح وصور الشهداء القديسين .. حياهما أبو هانى وابنه وجلسا إلى جوارهما بالقرب من الصورة الكبيرة المعلقة على جدار الكنيسة ويظهر فيها القديس فلوباتير مرقوريوس فى زي الجندي ممتطيا جوادا وهو يشهر سيفين فوق رأسه ويدوس يوليانيوس الإمبراطور الرومانى الوثنى بجواده.. ويُروى أن الملاك ميخائيل ظهر له فى رؤية وقلده السيف الثانى رمزا لجهاده فى سبيل نشر الدين .

- بادر أبو هانى متسائلا
- خير يا أبونا
- تنهد الأنبا كيرلس وقال
- أكيد إنت عارف أنا طلبتك إنت وعاطف ليه ؟
- صمت وتابع غير منتظرا لتعقيب من أبو هانى
- قضية الطلاق اللي مرات ابنك إيفون رفعاها من خمس سنين فى الكنيسة قاطعه أبو هانى متحمسا
- طب والمسيح الحى .. عاطف ماقصرش معاها فى أى حاجة .. إحنا إتخدعنا فيها هى وعيلتها وإكتشفنا إنهم داخلين على طمع .. ومن بعد شهر وهى عاملة خناقات ومشاكل وسايبة البيت وقاعدة عند أهلها المدة دى كلها
- صمت أبو هانى يلتقط نفسا ويواصل
- ما على يدك يا ابونا .. شوف كل مرة كنت بتيجى تصالح بينها وبين عاطف , وأديك شفت طباعها .. هما مافيش بينهم وفاق ومش هايقدروا يكملوا مع بعض
- رد الأنبا كيرلس يقول
- اصل فى جديد فى القضية
- صاح أبو هانى مبتسما بشاربه الأنيق الأشيب
- ما أنا عارف .. الأنبا بيشوى كان كلمنى وقالى إن هایتحكم لصالح عاطف وهياخد تصريح بالجواز .. ما هو كفاية خمس سنين وعاطف قاعد زى البيت الوقف .. لازم يتجوز عشان أفرح بأولاده زى أخوه هانى
- رنا الأنبا كيرلس بوجهه الممتعض الوقور بلحيته البيضاء الكثيفة إلى الأرض وقال بصوت هادئ
- لأ مش دا الجديد فى القضية اللي طلبتك عشانه
- إيه اللي حصل
- إيفون بعنت ورق جديد للقضية بتقول فيها إن سبب طلبها للطلاق هو إنها إكتشفت إن عاطف
- صمت الأنبا كيرلس لحظات ينظر لعاطف يزم شفنيه وقال
- بتقول إنها إكتشفت إن عاطف شاذ جنسيا وبيجيب أصحابه فى البيت , وإنها ما كانتش عاوزة تفضحه .. بس دلوقتى هى مضطرة لكده عشان يتحكم فى القضية
- حرق أبو هانى فى وجه الأنبا كيرلس , بينما احتقن وجه عاطف وهو يصيح
- بنت الخنازير عاوزة تطلعنى خول
- ألقي عاطف جملته من فرط غضبه لينهره أبوه معنفا بصوت كالرعد
- عيب .. إنت قاعد قدام ابونا

تدخل القس عادل برسوم بشاربه الأسود المحفوف ووجهه اللامع ولحيته المهندمة وقال

- عادى إنها تقول كده .. لأنها عارفة إن مافيش طلاق إلا لعة الزنا ولازم تقول عليك الكلام ده .. ع العموم الموضوع مش محتاج أكثر من طلب عاطف للرد على إدعاء زوجته وخلص
- إلتقط الأنبا كيرلس طرف الحوار ليقول
- المشكلة فى الموضوع إنها بعنت تهديد للكنيسة
- صاح أبو هانى
- كمان .. بتهدد الكنيسة البجحة دى !

تنهد الأنبا كيرلس وقال

- بتقول إن لو الكنيسة ما حكمتش فى القضية هاتشهر إسلامها وتطلب الطلاق فى المحاكم المدنية
- لأ كده الموضوع كبير

تدخل القس عادل برسوم

- فى حاجة أهم .. البابا شنودة جاى الشهر ده يزور دير الراهبات , أكيد ممكن يعدى ع البطريركية , وإذا بلغه حاجة زى كده هايكون فيه مشاكل

نهض الأنبا كيرلس وتنحى جانبا بأبو هانى يهمس له

- شنودة ماسك الباباوية بقاله سنين طويلة ومن بعد موت السادات اللى كان عامل مشاكل معاه .. مبارك ساب شنودة يكون رئيس للأقباط .. هو الأمر الناهى .. ولو حاجة زى دى بلغته ممكن يشلحنا كلنا لو إيفون وصلت له وهددت بإشهار إسلامها
- طب والعمل ؟
- لازم عاطف وإيفون يصطلحوا
- مستحيل .. طب ما الكنيسة تحكم فى القضية وتطلقهم وتدى تصريح لكل واحد منهم بالجواز والمشكلة تنتهى

- مافيش عندنا طلاق إلا لعة الزنا .. الكنيسة مش هاتحكم بالطلاق

- طب سيب الموضوع دا عليا .. أنا هاعرف أستغل زيارة البابا وهاخلص الموضوع ده خلال الأيام الجاية

بالفعل نجح أبو هانى من إستخدام نفوذه لدى الأساقفة مستغلا زيارة البابا شنودة الثالث الوشيكة لدير الراهبات , وتم الحكم فى القضية برفض الطلاق ومنح

عاطف أبانوب تصريح بالزواج , فكما قال المسيح (إن من طلق امرأته إلا لعله الزنى يجعلها تزنى .. ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى) .. إذن كان لا يمكن أن تصبح إيفون مطلقة , فى حين بدأ أبو هانى خطوات إنتقاء زوجة لابنه الذى تجاوز السابعة والعشرين .

أما إيفون فقد إنهارت تماما بعدما علمت بالحكم , وصارت تصرخ وتسب وتلعن , ووصل الأمر لسب دينها نفسه .. مما إستدعى أمها لتذهب بها إلى دير الراهبات عسى أن تجد أختا راهبة يمكن أن تواسى ابنتها وتخفف عنها .. وبدخل دير الراهبات إلتقت إيفون بمارتيريا الراهبة التى تقطن الدير منذ خمس سنوات , وإرتاحت لها مارتيريا ليس بسبب أنها فى نفس سنها حيث تبلغ الخامسة والعشرين من العمر , ولكن أيضا لأنها فتاة رقيقة حاملة تشعر بالراحة عندما تنظر فى وجهها .. وإعتادت إيفون على التردد كثيرا على الدير والجلوس إلى مارتيريا ومحادثتها والفضفضة إليها .. حكى لها كيف فشل زواجها بإكتشافها بخل عاطف وأنانيته المفرطة , ولم تكن تراه يجلس معها فى المنزل حيث يستيقظ من النوم بعد الظهر ويخرج للعمل ولا يعود إلا مع إشراقة الصباح تفوح منه رائحة الخمر ولا يعى شيئا مما حوله إلى جانب شكوكها فى شذوذه دونما تصل لدليل .. ولما ضاق بها العيش بهذا الشكل وإشتكت مرارا ولم يكن جزاءها سوى الضرب والإهانة لتفر إلى بيت أهلها ثم يأتى الأنبا كيرلس ويصلح بينها وبين عاطف الذى يعد بأنه سيرعاها وسيغير حاله .. لكن ما من جديد , وإنتهى بها الأمر لطلب الطلاق الذى رفضته الكنيسة بعد خمس سنوات .. الدموع تملأ عينيها وبصوت متحشرج قالت إيفون

- ده دين ده ؟ .. أنهى دين اللى يكافئ الظالم ويعاقب المظلوم .. أنا عارفة إن أبو هانى إشتراهم بالفلوس وخذ تصريح بالجواز لابنه

قاطعتها مارتيريا بإبتسامة قبل أن تتماذى إيفون , وقالت

- الرب قال لنا .. (تشددوا وتشجعوا .. لا تخافوا ولا ترهبوا وجوهكم .. لأن الرب سائر معك لا يهملك ولا يتركك) .. إنسى اللى حصل وتأكدى أن الرب له حكمة .. صحيح يسوع قال أن الرب (منعم على غير الشاكرين والأشرار) .. بس فى نفس الوقت علمنا الحكمة من ده لما قال (ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه) .. إذا كنتى حاسة بالظلم لإن حماكى بفلوسه عمل اللى هو عاوزه .. فكرى فى كلام المسيح (محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم .. ضلوا عن الإيمان و طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة) .. خليكى مع الله .. الله محبة .. هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك أحد)

قالتها مارتيريا ووجها الجميل مضاء بهالة روحانية جعلت إيفون ترنو إليها مشدوهة بسحر كلماتها التى تبعث على الراحة والطمأنينة وقالت بإمتنان

- ما تعرفيش كلامك معايا بيرىحنى قد إيه يا مارتيريا
- إتسعت إبتسامة مارتيريا وهى تعقب
- إنتى عشان مالكىش إخوات بنات , بتكونى محتاجة لصديقة تكون زى أختك .. إعتبرينى أختك
- من غير ما تقولى .. إنتى عارفة إن أنا ببقى عاوزة أقعد معاكى علطول
- أديكى بتيجى تزورينى كل يومين تلاتة
- بس ابونا بيشوى سكرتير مدير الدير بقيت أحس إنه متضايق لما كل يوم والثانى أطلب إذن عشان أدخل وأقابلك
- ولا يهملك .. هو بيكون خايف إن إختلاط الراهبات بالزوار كثير يخليهم ينشغلوا عن التعبد
- أنا أوقات كثير كنت باتمنى لو ماكنتش إتجوزت عشان أترهين وأبقى فى المكان الهادى ده وأكون جنبك
- ضحكت مارتيريا ضحكة خافتة وقالت
- ولية لأ ؟ .. مش يمكن حكمة الرب فى اللى حصل فى حياتك لأنه إختارك له ..
- الراهبة هى الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد (الله) وهى درجة الملائكة
- حدقت إيفون مندهشة وهى تسأل
- وهو ينفع أترهين وأنا مش عذراء
- ابتسمت مارتيريا وقالت
- ممكن تكونى فى الخدمة هنا فى الدير
- بس دى حاجة مش سهلة
- عقب مارتيريا
- مع مشيئة الرب مافيش حاجة صعبة
- تنهدت إيفون قائلة
- أنا بدأت أحس إن الرب بيوجهنى لطريق ها يكون فيه سعادتى
- ضمت مارتيريا يديها مشبكة أصابعها أمام صدرها تدعو لإيفون
- الله يعطيكى القلب القوى والعقل ذو اللسان المتكلم والروح التى لا تهزم ولا تخاف

راهبة البنات ارتبط تاريخها فى مصر بالآنسة لطيفة عبد الملك من أخميم سوهاج التى ترهنت وغيرت اسمها إلى كاترين ولحقت بها إستر باسيلي سبع الليل وإنضم إليهما عدد من الفتيات لتتشكل نواة أول جماعة راهبية قبطية فى مصر باسم القلبين الأقدسين عام 1895م .. الراهبة ليست بالأمر الهين على الإطلاق , فالراهب أو الراهبة هو إنسان ترك الدنيا وإمتلأ وجدانه بالحب الإلهى وعشق المسيح الذى قال (من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى) .. لا يستريح إلا بالتسبيح والصلاة للرب , هى حالة توحد مع الإله .. إختار فيها الإنسان بإرادته

حياة الفقر والتقشف ونبذ ما دون الله ليصعد المعراج إلى الله .. لكن إيفون لن تتمكن من أن تصبح راهبة لأنها ليست عذراء فقد سبق لها الزواج .. بدأت إيفون بمساعدة ماريتيريا في توسيع علاقاتها بالأخوات فى الدير , وكان عليها أن تمر بمراحل عديدة لتتمكن من الإقامة فى الدير من أجل الخدمة وليس الرهينة , لكنها يجب أن تستوفى نفس شروط الرهينة وأولها التحقق من دوافعها والتأكد من خلوها من أية أمراض نفسية قبل العضوية , والتمعن فى أنها لا تعاني من سطوة روح شريرة .. وتم بعد فترة ليست بالقصيرة قبولها لتقيم بداخل الدير وتقوم بأعمال الخدمة .

غيرت إيفون اسمها لتصبح دميانة تبركا باسم الشهيذة دميانة التى وهبت نفسها للمسيح وجعلت أباهها يبنى لها ديرا صغيرا إعتكفت فيه ومعها أربعون عذراء , وأغضب ذلك الإمبراطور الرومانى ديقليديانوس الذى حاول إستمالة دميانة والعذروات الأربعين إلى التخلّى عن المسيحية والعودة إلى عبادة الأوثان , ولما رفضن قتلهن جميعا , ليأخذ اسم الشهيذة دميانة وديرها الواقع فى مدينة الزعفرانة التى كانت بمثابة عاصمة لمنطقة البرلس بمحافظة الدقهلية .

كان جميع من فى الدير معجبون بدميانة التى حفظت عن ظهر قلب عشرين مزمور من مزامير داود بالإضافة إلى رسالتين من رسائل العهد الجديد .. وعكفت تنهل من القراءة لتتعرف على جوهر المسيحية وتتنقرب إلى المسيح بالصلوات , وتدنو بخطوات مسرعة إلى الرب بالصوم والتسابيح لتصعد إلى الملكوت وتنال الخلاص .. أما عمل اليدين (المصطلح الذى يطلق على مزاولة العمل بداخل الدير) فقد برعت دميانة فى الرسم على الزجاج وغزل المنسوجات التى يتم تصديرها إلى الخارج , لكن يبقى عمل الخدمة هو العمل الأساسى لدميانة , ورغم إنتفاء شرط البنولية لدى دميانة إلا أن المراقبة الروحانية أعجبت بتدرج حياة دميانة الروحانية داخل الدير , وأرادت ترقيتها من الخدمة إلى التعبد .. إلا أنها كانت تتوجس خيفة من أن يكون نشاطها الفائق فى التعبد مجرد هوس دينى أصابها بعد فشل زواجها , وسرعان ما سينقلب ذلك رأسا على عقب .. مما استدعى إلى الإبقاء عليها فى عمل الخدمة بداخل الدير .. وقررت دميانة أن تولد من جديد .. أن تلقى بروحها الدنيوية وتسمو بروحها الربانية وذلك بأن تحظى بمعمودية تغسل بها خطاياها كما قال المسيح (قم واعتمد وأغسل خطياك داعيا باسم الرب) .

فى عشية يوم دافئ كانت دميانة تقترب بخطوات متندة ترتدى ملابس الراهبات حيث الثوب الأسود الذى يصل لمنتصف ساقها المغطاه بجورب طويل أسود من الشيفون , وعلى رأسها ما يشبه حجابا صغيرا يغطى شعرها متدلّيا خلف رأسها , وتبدو منابت شعرها الفاحم من عند الجبهة ممشطة على الجنب , وقد أكسبتها نظارتها الطبية ذات العدسات الصغيرة منظرا خلابا هادئا والصليب على

صدرها معلقا فى سلسلة بلون فضى وأسود .. وبصحبته عدد من الراهبات
حضرن ليشهدن التعميد .. وعلى باب الكنيسة كان القس عادل برسوم فى
إنتظارها واستقبلها مباركا إياها واصطحبها إلى الداخل حيث الأنبا كيرلس ..

خلعت دميانة ملابسها الخارجية ووقفت حافية القدمين مرتدية ثوبا داخليا
بحملات على كتفيها يصل لمنتصف فخذيها أثناء دحض الشيطان الذى يفر هاربا
من أمام الجسد العارى , وتبدأ مراسم المعمودية بصلاة البدء ثم مزمو 50
وصلاة الحساي ثم لحن الترتيلة وتتردد الآيات الإنجيلية (إذهبوا وتلمذوا جميع
الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس .. وعلوهم أن يحفظوا جميع ما
أوصيتكم به , فهذا أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر) .. (فقبلوا كلامه بفرح
واعتمدوا) .. تفاجأ الأنبا كيرلس والقمص عادل برسوم بدميانة تخلع ثوبها
الداخلى وسوتيانها وكيلوتها بهدوء لتصبح عارية تماما وتنزع نظارتها وتضعها
فوق ملابسها .. فى الوقت الذى أخفض الأنبا كيرلس رأسه وغض بصره بينما
يختلس عادل النظر وهما يتجهان حول دميانة إلى المذبح ذو الأربعة جدران
المنعزلة عن أية حوائط ليكون قائما بذاته رمزا لموت وقيامه المسيح .

فلسفة التعرى فى حد ذاته التى تعنى ممارسة الحياة بدون ملابس والتوحد مع
الطبيعة وخلق المساواة , لم تكن مرتبطة بأية شعور بالخجل لدى الإنسان البدائى
الذى كان يمارس حياته عاريا فى الطبيعة , ولا يضع على جسده شئ إذا لم
يستلزم الطقس ذلك .. ثم إستخدم أوراق الشجر وجلود الحيوانات ليتدفأ من البرد ,
ومع نشوء النظام الاجتماعى البدائى وتسلب الذكر على الأنثى , ليتبع ذلك فرض
تغطية الأنثى لما بين فخذيها إرضاء لغيرة الذكر وليس بسبب الشعور بالحياء ,
ولم يكن عرى الجسد يؤدى إلى إثارة غريزة الجنس لأن الأجساد العارية أمر
معتاد ومألوف لدى الجميع حيث كانت ممارسة الجنس تبدأ من العقل حين يفكر
الذكر أو الأنثى فى ممارسة الجنس تنشأ الإثارة التى لا تبدأ لمجرد رؤية الجسد
العارى دون التفكير والرغبة فى ممارسة الجنس .. ومع تطور النظام الاجتماعى
الإنسانى وتزايد أعداد البشر تم تحريم العرى الكامل .. ولم تخلو المجتمعات
الأشورية والبابلية والإغريقية والرومانية من العرى وممارسة الحياة بدون
ملابس وفقا للتماثيل والآثار الواردة .. ومع إنتشار الأديان الغيبية تعمق الإحساس
بالخجل مع التعرى وذلك لأنه أصبح من الفحش والمجون .. إلا أن التعرى
وفلسفته أصبحت الآن مذهباً ينادى به أتباعه وتسمح به الكثير من المجتمعات فى
شواطئ العراة والمنتجات الخاصة القاصرة على أعضاء محددتين .

لذا بات التعرى أثناء التعميد فى المعمودية الأرثوذكسية جدلية كبيرة بين
المسيحيين والمسلمين اللذين هاجموا ذلك متسائلين كيف تتعرى المرأة أمام الكهنة
أثناء التعميد , ورأى المسلمون ذلك إنحطاطا أخلاقيا ودلالة على فساد المسيحية

.. بينما دافع المسيحيون بأن المسلمين أورتتهم عقيدتهم وتعدد الزوجات وهوس
الهور العين شبقا جنسيا جعلهم لا يرون فى عرى الجسد سوى الغريزة الحيوانية
.. ويستمر الجدل المحموم .. لكن الخجل المتوارث المرتبط بالتعري لدى
الإنسان حتى المسيحيون أنفسهم جعل الكنيسة الكاثوليكية تكتفى بالتعميد برش
الماء على الرأس دون تغطيس الجسد عاريا .. وفى مصر تحديدا هرب
المسيحيون الأرثوذكس من ذلك الأمر بالتعميد فى سن صغيرة حتى لا يكون
التعري يسبب خجلا للطفل المعتمد .. لكن ما بال المتنصرين من ديانات أخرى أو
من درسوا العلوم الكهنوتية واللاهوتية حيث يجب عليهم التعميد .. هنا أباحت
الكنيسة التعميد بالملابس مع البالغين .. لكن فى حال عدم ممانعة المعتمد فى
التعري يكون ذلك هو الأمثل كما قال القديس كيرلس الأورشليمى هو عودة إلى
البراءة الأولى .. أنتم عرايا أمام بصر الكل دون أن يعترىكم أى خجل.. وهذا
بسبب أنكم ترتدون فوقكم صورة آدم الأول .. الذى كان عاريا فى الفردوس دون
أن يشعر بخجل أو حياء .. ونفس الشئ يقوله الأب ثيودور .. عاريا كان آدم فى
البداية ، ولم يخجل أبدا من نفسه لذلك يجب أن تتجرد من ملابسك التى كانت
البرهان المقنع لقرار الإدانة الذى حقر الإنسان ، وجعله فى احتياج إلى الألبسة
(المصنوعة من ورق التين) ..

الآن نفهم لماذا تعرت دميانة تماما لأنها تريد أن تعتمد وتتطهر وتولد من جديد
بعد غفران خطاياها ملتزمة بطقوس المعمودية كما يجب أن تكون .. تتشبه
بالمسيح المصلوب عاريا على الصليب .. تصعد دميانة عاريا تجاه الحوض
المملوء بماء المعمودية الممزوج بزيت الميرون المقدس وهى تشبك أصابع يديها
مخفية ما بين فخذيها دونما ينتابها أدنى شعور بالخجل .. هائمة غائبة فى عالم
روحانى ملكوتى جميل .. لأنها لحظة التطهر من الخطايا والولادة الجديدة .. كان
عادل يسترق النظر متخلفا نصف خطوة عن دميانة ليرى مؤخرتها التى يغطيها
زغب شعر أصفر خفيف .. بينما يتمم الأنبا كيرلس غاضبا بصره
- عرهم من عتيقهم وجدد حياتهم .. إملأوهم من قوة روحك القدس .. لكى
لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق

بعد تغطيس دميانة فى الماء المقدس والأنبا يردد
- أنتم الذين باليسوع اعتمدتم ، اليسوع قد لبستم ، هللوا

بعد ذلك تم مسح جسد دميانة بستة وثلاثين رشمة بزيت الميرون المقدس تشمل
كافة منافذ الجسد ، ويتم الرشم على شكل صليب .. وذلك حتى لا يقرب الشيطان
من دميانة ولكى يحل جسدها الروح القدس ، وهكذا تم سر التعميد لتبدأ حياة
دميانة الجديدة .

يجلس عادل برسوم الذى تخطى الأربعين من العمر فى غرفته بالمسكن الملاصق للكنيسة وأمام ناظريه خيالات جامحة لجسد دميانة العارى .. يشعر بجسده فائرا كلما استعاد خياله منظر مؤخرة دميانة المستديرة , وزغب الشعر الأشقر الخفيف عليها قد أكسبها إثارة طاغية , وحلماتها النافرة الوردية الطويلة كانت تدفعه إلى التصيب عرقا .. أحكم عادل غلق باب الحجرة وأشعل البخور يرنو إلى أبحرته المتصاعدة فى هواء الغرفة وتتشكل وكأنها جسد امرأة فاتنة .. وبهدوء فتح درج المكتب وأخرج علبة سجائر وأشعل سيجارة ذهب دخانها ورائحتها ضحية دخان ورائحة البخور .. شعر بتثاقل فى رأسه مع الأنفاس الأولى للسيجارة لأنه لم يدخن منذ ثلاثة أيام كان يقيم فيها فى بيته مع زوجته وابنائها .. نظر فى ساعته , لقد إقتررب الموعد .. لم يتبقى سوى ساعة على الموعد مع الشيطان .. فقط ساعة ويكون فى بيتها جالسا على طرف سريرها بينما تتمدد هى عارية حسب الموعد .. ترى ما شكل جسدها الشيطاني .. أياكون فاتنا مثل وجهها ؟ .. أياكون شبقا تماما مثل نظرات عينها ؟ .. لوهلة يشعر أنه يحتاج لمراجعة نفسه قبل الذهاب إليها .. هل هى مجرد امرأة خاطئة إعترفت له لتتوب وتحتاج للمسح بزيت الميرون المقدس ؟ .. حين فكر فى الإجابة بنعم , بدت الإجابة ساذجة جعلته يبتسم ساخرا .. أشعل السيجارة الثانية , وفكر فى الإجابة بلا .. يدرك أنها الحقيقة , لكن وآه من لكن .. أحس أنه يحتاج إلى جلسة إسترخاء والتي لا يحصل عليها إلا بصلاة من نوع خاص .. صلاة إبتدعها هو .. قام مرهضا السمع ليتأكد من خلو المكان فى الخارج وعاد مسرعا يستل الناي الخشبى القديم من درج المكتب , ويخرج كاسيت صغير ويقوم بتشغيل أغنيته الوجدانية المفضلة ليبدأ اللحن العذب الذى جاء فى مقام النهاوند الشجى لنجيب حنكش , وكلمات خليل جبران تقطر عذوبة وشجن , ونسى عادل برسوم العالم من حوله وبدأ يعزف على الناي وصوت فيروز يصدح شاديا

- أعطني الناي وغني فالغنا سر الوجود
وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود
هل إتخذت الغاب مثلي منزلاً دون القصور
فتتبع السواقي وتسلقت الصخور
هل تحممت بعطره وتنشفت بنور
وشربت الفجر خمراً فى كؤوس من أثير

يسبح عادل وهو يعزف مع الأغنية فى عالم الشجن منذكرا حين تخرج من كلية الحقوق وكان عليه أن يصبح قسيسا كامتداد وراثى فى العائلة حيث يتعين عليه أن

يسير على درب أبيه وأجداده .. يشعر أنها مجرد وظيفة أكثر منها رتبة كهنوتية دينية روحانية .. هكذا كان يرى ذلك .. صحيح أنها وظيفة مرموقة , فأين يحصل على بديل لها : هل يعمل محاميا ؟ .. بالطبع لن يحظى براتب مثل ما سيحظى به من الكنيسة .. العقل يقول له أن يفعل .. لكن القلب يقول له لا تفعل ؟ , ووجد نفسه مدعنا لرغبة الأسرة وترتب على ذلك معضلة أكبر ألا وهى وجوب زواجه وإنجابه ليصبح قسيسا

ويواصل عادل العزف على الناي وفيروز تشدو
- أعطني الناي وغني فالغنا سر الوجود
وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود
هل جلست العصر مثلي ... بين جففات العنب
والعناقيد تدلت كثريرات الذهب
هل فرشت العشب ليلاً وتلحفت الفضا
زاهداً فيما سيأتي ناسياً ما قد مضى

يتذكر عادل كيف عانى لإنتقاء شريكه حياته , والتي لا بد من الإختيار المتأنى لأنه لا يوجد طلاق يمكن به تدارك سوء الإختيار , لكنه لم يكن يملك حق الإختيار وتزوج من ابنة عمه التي لم يشعر نحوها سوى بمشاعر الأخوة وأنجب طفله الأول فى حياة زوجية روتينية مملة أشبه بسجن إلزامى فرضه عليه أبوه , والآن سيخرج من هذا السجن إلى معتقل أكبر حيث سيصبح قسيسا .. يتذكر يوم الحفل البهيج بداخل الكنيسة حين قام الأسقف بسيامته حين وضع يده عليه بعد صلاة الصلح , وصام أربعون يوماً فى خلوة روحية لإضرام موهبته وتعلم قوانين وأسرار درجته الكهنوتية , وخرج ليعمل بالكنيسة ويعظ الناس بينما يحتاج هو إلى واعظ .. إعتاد أن يغير من حياته الزوجية الكئيبة المملة بالإقامة يومين أو ثلاثة فى مسكن القساوسة جوار الكنيسة بحجة الخلوة الروحية .. وبالفعل كانت خلوة روحية يخلع فيها عادل رداء الفصام ويفعل ما يرغب فيه .. يدخن .. يستمع لفيروز .. يعزف على الناي .. يقرأ ما يحلوا له

يواصل عادل العزف على الناي وصوت فيروز يحلق به فى سماء اللحن الشجي
البديع

- أعطني الناي وغني فالغنا عدل القلوب
وأنين الناي يبقى بعد أن تفنى الظنون
أعطني الناي وغني وانسى داء ودواء
إنما الناس سطورٌ كتبت لكن بماء

إنتهى عادل من صلاته الخاصة التى ابتدعها لإضرام روحه ونسيان الهم , والإنفصال عن العالم لدقائق , ثم عاد الآن إلى الحياة ونظر فى ساعته وأدرك

حلول الميعاد .. أعاد كل شئ إلى مكانه وخرج القس عادل برسوم مرتديا ملبسه الكهنوتية ويحمل حقيبة جلدية صغيرة بها زجاجة تحوى زيت الميرون المقدس , استقل سيارته الفيات الحمراء متجها إليها ليصل فى الموعد .

أدرك عادل منذ شهوره الأولى أنه يمارس مجرد وظيفة ويتحصل على راتب مقابل ذلك .. ورأى أن النظام الكنسى والرتب الكهنوتية لا تعدو كونها مناصب فى منظومة إدارية , فالقس والقمص والشماس والأسقف والبطريرك والمطران هى درجات وظيفية أكثر منها رتب دينية روحانية .. علاقات رؤساء بمرؤوسين وكمثل أى نظام إدارى على الأرض وبالأخص فى مصر كان لا بد من وجود الصالح والطالح , فعوائد وإيرادات الأديرة تخضع للبطاركة والأساقفة يفعلون بها ما يشاؤون .. سمع حكايات كثيرة عن خفايا وخبايا تحت السرية المطلقة التى فرضها النظام الكنسى على ما يحدث بداخل الكنائس والأديرة , حصنا لهم حتى لا ينال منهم الأعداء المسلمون .. قليلا ما كان عادل يرى رجلا دينيا تغلب روحه الدينية على وظيفته ورتبته الكهنوتية .. وأدرك عادل أن الفصام هو عنوان تلك الحياة , فالوقار والرصانة والقدسية التى تغلف حياته وهو يعظ المسيحيين ويتعامل معهم لا علاقة لها بما يتمنى أن تكون حياته عليه وبما يعتمل بعقله ويموج فى وجدانه .. درس اللاهوت وكلما توغل متعمقا فى فلسفة العقيدة , كلما وجد عقله يرفض ذلك , كان يحس فى قرارة نفسه أن الكتاب المقدس ليس كلام الله ولا يستطيع عقله أن يفهم كيف يحب الله العالم ومن شدة حبه يضحي بابنه الوحيد لكى لا يهلك أحد بخطيئة آدم , ولماذا يرث الإنسان خطيئة لم يرتكبها .. منطق يناقئ أبسط معانى العدل .. وهذه الهرطقة والفسطحة التى لا يفتأ التفوه بها أثناء وعظه للناس فى الكنيسة عن الأب والابن والروح القدس .. واحد ولكنه ثلاثة .. وثلاثة ولكنهم واحد .. كان عادل يشعر أنه بغبغاء يردد كلمات تستعصى على الفهم القويم .. وما كل هذه الأسفار والرسائل , هى مجرد نصوص سردية متوارثة عن سيرة المسيح الذى قد يكون رسولا من الله وأن بنوته لله ما هى إلا رمزا لولادته بلا أب , فقد كان الله بمثابة أبوه .. لذا عكف عادل فترة طويلة على تلخيص القرآن بعد تجميع قصص الأنبياء المبعثرة أجزاءها على السور القرآنية .. ثم قام بتجميع الأحكام والعبادات والفضائل ليجد أن المصحف الكبير قد تحول إلى كراسة صغيرة , وصدق عادل ما كان يسمعه صغيرا أن القرآن مجرد كتاب قصص للأنبياء قام محمد بسرقتها من الكتاب المقدس ونسج بخياله تعديلات على بعض تفاصيلها .. والإسلام هو دعوة للقتل تحت مسمى الجهاد لنهب الغنائم وفرض الجزية كما التتار , بينما المسيحية هى دين السلام .. كان عادل يوما سائرا إلى جوار أخته الكبرى مرتديا ملبسه الكهنوتية السوداء فى شهر رمضان وأثناء مرورهما على مسجد وقت صلاة التراويح واخترق آذانهم صوت إمام المصلين

- لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم , قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وهو على كل شئ قدير
صاحت أخته بغضب تقول

- سامع الكفار أتباع الشيطان يقولوا علينا إحنا الكفار .. دا أنا لما المغرب بتدن وألقى الشوارع فضيت وصوت المعالق والأطباق باحس إنهم مفاجيع ما صدقوا سمعوا الأذان .. محمد بتاع النسوان ده ضحك عليهم هو وإبليس

وأثناء مرورهما على مسجد آخر وسمعا (ويمكرون ويمكر الله .. والله خير الماكرين) .. صاحت أخته

- سامع يا عادل الكفرة دول بيقولوا على ربنا إيه ؟ .. ربنا مكار .. ربنا مكار يا عادل ؟

لم يشأ عادل أن يخبر أخته أنه إذا كان القرآن وصف الله بالماكر فإن الكتاب المقدس وصفه بالمتأمر ووصفه أيضا بالخداع المخادع .. يسير عادل بملابسه الكهنوتية السوداء التى تميز القساوسة ويتردد أنهم يلتزمون باللون الأسود حدادا منذ سقوط مصر القبطية فى يد المسلمين بقيادة عمرو بن العاص , لكن الأقباط ينفون ذلك قائلين أنه اللون الذى يرتديه المحامون فى ساحات المحاكم والخريجين أثناء الحصول على شهاداتهم , وأثناء مرورهما أمام أحد المقاهى سمعا صوتا

يصيح

- إتفوخس .. يلعن أبو شكلك

اعتاد عادل على سماع مثل تلك العبارات بين الحين والآخر , حينما يسير بملابسه الكهنوتية , وعقبت أخته

- سامع المسلم ابن الكلب ده بيقول إيه ؟

لم يقتنع عادل بالإله الإسلامى الذى تخيله جالسا على العرش الذى يحمله أربعة ملائكة , ومن حوله الحشم والخدم من الملائكة الراكعين والساجدين والقائمين والمسبحين والموكلين بالرزق وكتابة الصحف والحافظين , ورقيب الجالس على كتف الإنسان اليمنى يكتب الحسنات , وعتيد الجالس على الكتف اليسرى يكتب السيئات .. وضحك ساخرا من هذه الصورة السلطانية الكاريكاتورية التى كان ينفصها ملكين على جانبى العرش ممسكان بهوايات من ريش النعام للتهوية على العرش , وضحك من الجنة الإسلامية الممتلئة بالهور العين التى تعود بكرا كلما ولجها المؤمن .. وسخر من الجحيم الإسلامى والسلسلة التى لها سبعون زراعا وشجرة الزقوم .. مثلما لم يؤمن بالإله المسيحى الثلاثى المتحد الذى ضحى بابنه الوحيد حبا وعشقا للبشرية .. وكان عادل برسوم يسخر من جدالات المسلمين والمسيحيين .. حين يسخر المسيحيون من الناسخ والمنسوخ , يسوق المسلمون ما تناقض وتناسخ فى الكتاب المقدس وما أكثرها , وحين يسخر المسيحيون من النبى المزواج الذى انتهى امرأة وتزوج منها بتطبيقها من زوجها بتشريع إلهى ..

ويرد المسلمون بأنها حكمة إلهية فى مسألة التبنى ويسوقون من الكتاب المقدس قصص الجنس للنبي لوط وابنتيه وقصة شمشون ونشيد الإنشاد .. وحين يتشدد المسيحيون بزواج الرجل المسن الكبير من البنت عائشة ذات السبع سنوات ودخوله بها فى تسع , يرد المسلمون بالتفسيرات اللازمة ويسوقون من الإنجيل ما يقر بزواج الفتاة وهى بنت تسع سنوات حيث ولدت العذراء المسيح وعمرها إثنى عشر عاما بمعنى أنها حملت فيه وهى بنت إحدى عشر ومن قبله كانت مخطوبة ليوسف النجار وعمرها تسع أو عشر سنوات .. أى أنها كانت تستعد للزواج وهى فى هذه السن وكذلك قصة الصبى الذى أنجب طفلين وهو ابن ثمانى سنوات والموجودة فى الكتاب المقدس .. يرى عادل جدال وجدال وجدال فالمسيحى يريد أن تحيا عقيدته على حساب هدم الإسلام بتناقض آياته وخرافات إنشقاق القمر والإسراء والمعراج .. والمسلم يريد أن تحيا عقيدته على هدم المسيحية بهرطقة الثالوث المقدس وإباحية الكتاب المقدس , ليخلص عادل فى النهاية إلى أن هذه الجدالات تقود فى النهاية إلى أنه على ما يبدو أن الجميع واهمون .

لذا سار عادل برسوم على درب حياته التى لم يختارها كآلة بلا روح .. يعظ الناس بطريقة جديدة لم يعهدها المسيحيون , فلم يكن عادل يتحدث عن العقيدة المسيحية بل يتحدث عن القيم الأخلاقية والاجتماعية والسلوكية : المحبة والتسامح وإحترام حقوق الآخرين , وكان لوسامته بشاربه الأنيق ولحيته المشدبة وأسلوبه الهادئ الفلسفى أبلغ الأثر فى أن يحظى عادل برسوم بجمهور كبير من المسيحيين يحرصون على حضور القداس والصلاة والإستماع إلى وعظه ويحجون إليه من مناطق شتى .. ومع الوقت وجد عادل العديد من النساء يحيطن به طالبات الإعتراف , حصل عادل على إذن من الأسقف كيرلس لأخذ الإعترافات .. وهناك فى آخر الكنيسة فى خورس التائبين بعد العشية , يتلقى القس عادل برسوم الإعترافات , فالتوبة والإعتراف شرط غفران الخطايا والتطهير .. حتى جاء يوم وبعد الإنتهاء من سر الافخاريسا أو التناول حيث يتم تناول قطعة الخبز رمز جسد المسيح وشرب النبيذ (عصير العنب) من الكأس رمز دم المسيح أثناء صقوس الصلوات , وعندما كان القس عادل يردد أثناء التناول قول المسيح

- من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه

لمح امرأة تبدو من ملامحها أنها أجنبية بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوان وبشرتها البيضاء , لكن ما لفت نظر عادل وجعله يرنو إليها هو إبتسامتها الغريبة ونظرتها الغامضة التى تنظر بها إليه .. إبتعد بعينيه وواصل كلماته مستشهدا بقول المسيح

- أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أؤذله من أجل حياة العالم

قالها عادل وبدأ الجميع فى تناول قطع الخبز والشرب من الكأس .. ووجه عادل نظره إلى المرأة ليجد عينيها من حول الكأس المرفوع على فمها تنتظر إليه بذات النظرة الغامضة , وقبل أن يبعد عينيه عنها رآها تقترب منه , فابتسم لها بوقار وهم بالترحيب بها بالإنجليزية لتبادره هى قائلة
- أنا معجبة بو عذك وتعليمك مع إنى دى تانى مرة آجى هنا

إندهش عادل بعدما إكتشف أنها مصرية على النقيض من ملامحها الأجنبية , ودار بينهما حوار قصير , وفاجأته حين مدت له يدها بمظروف كبير , وقالت
- عاوزاك تقرا ده
بمجرد أن تناول عادل المظروف من يدها , إستدارت هى مغادرة دون أن تنتظر منه ردا ولا تعقيبا

بعد منتصف الليل كان عادل فى غرفته بمسكن القساوسة يفتح المظروف ويقرأ

("" اسمى سارا وعندى أربعين سنة .. أنا مصرية أرمنية وأعيش فى مصر الجديدة .. لا يتزوج أحد بيننا من خارج العائلة طبعاً , للحفاظ على الدم الأرمنى .. درست فى المدرسة الأرمنية بهليوبوليس , وعندما تخرجت من الجامعة الأمريكية , عملت فى شركة والدى , وتزوجت من قريب لى من العائلة الأرمنية , كان شاب هادئ الطباع , لكننا انفصلنا بعد عام من الزواج , لأنه هاجر إلى أرمنيا وأراد أن نعيش هناك ولم أجد نفسى قادرة على ذلك لإننى أدركت أنى مصرية ولست أرمنية .. بدأت مشكلتى يوم داهمتنى نوبة إكتئاب شديدة وسرعان ما تطورت إلى أعراض نفسية مزعجة لم أجد لها تفسيراً .. ترددت على عيادات الأطباء وكان التشخيص أننى أعانى من فصام لتبدأ رحلتى مع الأدوية , بل مع المعاناة .. لجأت لجلسات العلاج النفسى , والنتيجة فى النهاية واحدة , تتحسن حالتى قليلاً وتسوء كثيراً .. كنت أستمع إلى الطبيب النفسى فى جلسات العلاج وهو يحادثنى عن ظروف نشأتى فى عائلة أرمنية ترتبط بالجالية الأرمنية فى مصر..... ورغم أن أرمنيا بالنسبة لنا صارت تراثاً فلكلورياً , إلا أن الممارسات الثقافية التى يمارسها الأرمن ويتوارثونها جيلاً بعد جيل للحفاظ على الهوية الأرمنية وتراث الأجداد من خلال الحرص على الدراسة فى المدارس الأرمنية والتحدث باللغة الأرمنية فيما بيننا , وكذلك إنصهارنا بداخل المجتمع المصرى الذى ولدنا فيه , فأصبحت أعيش فى مجتمع داخلى أرمنى منصهر مع مجتمع خارجى مصرى , ولم أكن أفهم مثل ذلك الكلام أو بالأحرى لا يعينى فى شئ , فما يعينى أن تتحسن حالتى لأمارس حياتى بشكل طبيعى .. لكنى كنت أستشعر ذلك حين تسوء حالتى وأشعر أننى أكره كل شئ من حولى .. أحس بأننى بلا هوية لا أعرف لى جنسية ولا ملة ولا هدف من حياتى رغم ثرائى ورفاهية حياتى التى عشتها منذ مولدى .. حاولت كثيراً التخلص من حياتى وإذا بى أكتشف أننى أجب من مما كنت أتوقع , فحياتى الكئيبة المعذبة يصعب على التخلص

منها .. باتت حياتي كلها عبارة عن أدوية وأدوية وأدوية التي أصبحت أعراضها الجانبية تغلب على منافعها العلاجية .. صداع لا يفارق رأسي .. مشوشة على الدوام .. شبه مغيبة عن الوعي .. جفاف حلقى يكاد يخنقني .. ولم تعد تأتيني الدورة الشهرية التي جعلتني أفتقد إحساس الأنثى , وبالتبعية رفضت كافة محاولات الزواج , فأنا لا أريد أن يتعذب إلى جوارى أحد وأدرك الفشل المتوقع كقضاء واقع لا محالة .. وجدت نفسي أكره الإختلاط بالناس حتى عائلتي وأصدقائي ومعارفي , وأصررت على العيش وحيدة منعزلة في شقتي أتهرب من الزيارات وأكتفي بطمأنة عائلتي بالتليفون في مكالمات قصيرة مقتضبة .. وذات يوم في الشهر الأخير حادثتني صديقة لى هاتفيا محاولة إقناعي بالذهاب إلى الكنيسة , وبالطبع لا أرغب في ذلك .. لا أريد أن أجلس أمام كاهن ليخبرني بأنني أعاني من سطوة روح شريرة وأنه سيساعدني في طردها .. لن أستنشق البخور وأسمع الترانيم ليفر الشيطان من جسدي .. لكن فضولي كسر بعضا من كآبتي حين أخبرتني الصديقة أنها تود أن تذهب بصحبتى إلى كنيسة أرثوذكسية في حين أنني كغالبية الأرمن كاثوليكية , والسبب الذي ساقته في ذلك , أنها رأت واعطا يعظ بطريقة مختلفة عن الآخرين , وأنى سأحب ذلك .. رفضت وحين فكرت وجدت نفسي أحضر الكنيسة إليك لأراك وإستمع إليك .. فعلا وجدتك مختلف عن الآخرين .. أنت لا تعظ بل تدعو .. تدعو إلى الحياة والمحبة والتسامح .. أنت تتحدث عن الدنيا وليس عن الآخرة .. تصف الحياة لا الموت .. لم أسمعك تتكلم عن عقيدة غيبية بل تقول ما تراه أعيننا .. وكررت الحضور والإستماع إليك مرة ثانية .. وأخيرا فأنا قررت الإعتراف .. سأعترف لك بما لم أعترف به لأى مخلوق من قبل ولم أتحدث به مع طبيبي النفسى فقد يمكنك منحى الغفران أو ربما تخلص روحى من الشيطان .. فأليك إعرافى :-

منذ قرابة عام كانت حالتي النفسية فى واحدة من أسوأ فتراتها .. ربما ذلك بسبب صقس الشتاء البارد فى مساء يناير وزخات المطر التي تنقر خشب شبابيك شقتي فتورثني إحساسا بالخوف والفرع .. إرتديت معطفا من الصوف وجلست أتابع التليفزيون وأسمع سيمفونيات بيت هوفن وشوبان .. لم يفلح ذلك فى التخفيف من فزعى مع تعالى أصوات الرياح تعوى فى المنور .. أحكمت غلق أبواب الغرف والمطبخ حتى لا تصل إليّ أصوات الرياح فتفزعنى .. وبالفعل بدأت أهدأ قليلا , لكن صوت أذان العشاء فى المسجد القريب الذى كلما سمعته تتملكنى رغبة عارمة فى تناول فأسا أو أقود بلدوزر لأقوم بهدمه .. وحين أسمع القرآن يغتصب أذني ووجدانى , أتمنى لو أمسكت بمصحف ومزقته وسحقته بقدمي .. لم أتمنى الموت من قبل مثلما تمنيته فى تلك الليلة .. كنت أضع يدي على أذني حتى لا أسمع القرآن والرياح تنقل الصوت لى بقوة لم أعهد لها من قبل .. نهضت ورفعت صوت الموسيقى لأعلى درجاتها , لكن الصوت بات وكأنه يصدر من داخلي .. وجدت نفسي أغانر الشقة وأستقل سيارتي كممسوسة تريد الفرار من شيطان يلاحقها .. لا أعرف هل هى الصدفة أم القدر أم الشيطان نفسه ؟ , حين رأيت

وأنا أتجول هائمة فى الشوارع الخالية بسيارتى وسط المطر محلا لملايس المحجبات ورأيت بداخل الفاترينة وسط الإضاءة الخافتة نقاب بجلباب أسود .. فكرة مرت على عقلى وطردت الخوف والفرع من قلبى .. أعلم أنه الشيطان .. نزلت من سيارتى بعدما نزعت الصليب الذهبى الصغير المعلق حول رقبتى واشتريت النقاب الأسود وخرجت من المحل وأنا أرتديه .. كنت أشعر بسعادة طفولية وأنا مختفية خلف ذلك السواد لا يظهر منى شئ حتى عيني .. وكدت أصطدم بسيارتى لإضمحلال رؤيتى خلف النقاب أولا وقطرات المطر التى تزيحها مساحات زجاج السيارة ثانيا .. كانت السيارة تسير ببطء شديد وأنا أتجول بها ضالة فى الشوارع , ولا أعرف كيف أصبحت على الطريق الدائرى , وإذا بى أرى شابا تحت إضاءة الأعمدة يقف على الطريق الدائرى محاولا الإحتماء من المطر برفع الجاكيت الجلدى فوق رأسه , ويبدو أنه ينتظر ميكروباصا فى طريق خالى وطقس لا ينذر بأنه سيتمكن من الذهاب لبيته فى تلك الليلة .. وجدت نفسى أقف أمامه وأفتح زجاج السيارة وأقول له

- تعالى أوصلك

إحتاج الشاب للحظات ليجيب على امرأة منقبة وقفت بسيارتها وتعرض عليه أن توصله حيث يريد الذهاب

- متشكر .. أنا مستنى ميكروباص

- مافيش ميكروباص هايعدى فى الجو ده .. إركب

يبدو أن نبرتى الآمرة فى نهاية الجملة , جعلته يفتح باب السيارة ويركب إلى جوارى .. وسألته

- إنت رايح فين ؟

- حلوان .. بس أنا مش عاوز أتعب حضرتك .. هانزل أى مكان ع

الكورنيش الأقى فيه مواصلة

- إنت ساكن فى حلوان ؟

- أه .. وشغلى فى وسط البلد

- وبتشتغل إيه ؟

- مساعد شيف فى مطعم

- إنت متجوز ؟

أسئلتى التحقيقية المتتابعة وخصوصا السؤال الأخير جعلت وجه الشاب يبدو عليه التعجب والدهشة وهو يتفحص شكلى بالنقاب الأسود , وأجاب بصوت ينم عن إضطرابه

- لأ

بادرته بصوت تعمدت أن يخرج مثيرا

- إنت وراك حاجة الليلادى ؟

لحظات من الصمت قبلما يرد الشاب

- إنتى محتاجة منى حاجة ؟

على الفور أجبتة

- أنا عايشة لوحدى وعاوزاك تسهر معايا الليلادى
لم يرد الشاب وكأنه لم يسمعنى .. وتوقفت بالسيارة بعدما نزلنا من على الطريق
الدائرى وأصبحنا على الكورنيش وسألته وأنا أكشف عن وجهى ليرى مدى
جمالى

- إنت متدين ولا خايف ؟

لم يرد الشاب وهو يرنو لوجهى الفاتن لأوصل أنا كلماتى وأنا أصوب عينى
الزرقاوان إلى عينيه

- لو متدين .. أوكيه .. أوصلك للمكان اللى إنت عاوزه

ملاحم الدهشة والتعجب تكسو وجهه , فتابعت

- لو خايف .. بلاش فى البيت عندى .. ممكن نروح نقضى الليلة فى أى
فندق

تنهدت وقلت لأجعله يطمئن

- واختار إنت الفندق عشان تكون مطمئن .. وكمان ممكن تستخدم عازل
عشان لو خايف من أمراض معدية

لم يرد الشاب وأصابنى ذلك بالحنق والغضب وجعلنى أشعر بأننى أتذلل ..

سحبت نفسا عميقا وغطيت وجهى وقلت بصوت غاضب

- ها هاتنزل هنا .. ولا تحب أوصلك مكان تانى .. المطرة وقفت خلاص

- هانزل هنا

قالها وهو يفتح الباب ويضع قدمه اليمنى على الأرض ثم نظر نحوى وقال
متلعثما

- أصل أنا أول مرة و..

قاطعته وأنا أصيح بغضب

- أصل وما أصلش .. هاتنزل ولا هاتعمل إيه ؟ يلا

زعيقى فيه جعل وجهه يشحب لكنه قال على الفور

- ممكن نروح فندق

إنطلقت بالسيارة وسألته بصوت هادئ

- تحب نروح أنهى فندق

تردد الشاب وقال

- أى حاجة .. بس عايز أعمل تليفون أقول لأهلى إنى بايت فى الشغل

بعد دقائق توقفت بالسيارة أمام فندق حور محب بالهرم , وفاجأنى الشاب بطلبه

- ممكن نروح عندك البيت بدل الفندق

تنهدت بغضب , لكننى لم أنفوه بشئ لأننى أدركت أن تذليلى لكل ما يبعث بداخله

الخوف قد جعله يطمئن ويختار المكان الأنسب .. إتجهت بالسيارة إلى بيتى ..

كنت أشعر بأننى فى مغامرة لذيذة ممتعة جعلتنى لأول مرة منذ سنوات أشعر بشعور مختلف عن الإكتئاب والحزن والحنق .. كنت أشعر بأنى شفيت رغم هواجسى من الشاب المجهول .. صحيح أن حوارى معه بالسيارة جعلنى أطمئن إليه إلا أنه قد يفعل بى شرا يسرقنى ... يقتلنى .. وجدت نفسى أتخيل ذلك الخطر وأشعر بسعادة , فتركت نفسى لما أرغب دون أن أعابأ بشئ .. حين صعدنا إلى شقتى ودخلنا .. كان يتألف حوله متوجسا ولما إطمأن بخلو المكان عدا سوانا , بادر بالإتصال بأهله بينما أسرعت أنا إلى المطبخ وأخذت سكيننا حادة النصل , ودسستها تحت المخدة على السرير بداخل غرفة النوم , ربما هى غريزة البقاء فى محاولة للدفاع عن حياتى التى لم يعد يهمنى الحفاظ عليها .. ظللت بكامل النقاب فقط كشفت عن وجهى وأنا أناوله كأسا من الويسكى وأرشف من كأسى وسمعته يقول

- ما بأشربش

- عمرك ما شربت

- فى المطعم عندنا فى أكالات بنحتاج فيها للنيبذ .. أوقات شربت نبيذ

تناولت منه كأس الويسكى وأحضرت له كأسا من النبيذ وجلست ملاصقة له على الأريكة .. أخرج علبة سجائره وقدم لى واحدة , فقبلتها رغم عدم إعتيادى على التدخين , وسعلت مع أنفاسها الأولى وسألنى وهو ينفث الدخان من أنفه

- إنتى إسمك إيه ؟

- مش مهم

قلتها لأنه لا يعنينى التعارف فى شئ فقد كان الشاب يبدو كادحا على مشارف الثلاثين , وملابسه تعلن بساطة حاله وجرع ما تبقى فى الكأس من النبيذ وقال

- إنتى غريبة أوى .. أول مر....

إنقطعت كلماته على إثر فواق (زغطة) جعلت الشاب يتحرج وهو يتابع

- أول مرة فى حياتى أصادف موقف زى ده .. إنتى حكايتك إيه ؟

قالها وهو يدير بصره على الجدران ويسأل

- إنتى مسلمة ولا مسيحية ؟

- هاتفرق معاك فى إيه ؟

أوما الشاب برأسه فى حركة تنم عن دهشته وعدم فهمه وقال

- لابسة نقاب وشقتك فيها صليب متعلق ع الحيطه

قالها وهو يطفى سيجارته فى الكأس وفعلت مثله .. إلتصقت به ودنوت بشفتاى

من شفتيه .. إحمر وجه الشاب وأربد وهو يشعر بلمس شفتى على فمه , ومد يده

ينزع عن رأسى النقاب فمنعته وأنا أقول

- لأ .. عاوزه بالنقاب

دهشة الفتى التى تكسو وجهه لم تخفى الشهوة المطللة من عينيه ونظرت حيث

موضع قضيبه فوجدته منتصبا .. مددت يدي أقبض عليه من فوق بنظونه , فتأوه

الشاب من شدة قبضتى .. هويت على فمه أقبه بقوة .. لا أخفى عطشى للجنس

الذى لم أمارسه منذ سنوات عدا مرات قليلة عبثت فيها بنفسى .. نزع عن

الشاب قميصه وسحبته من يده إلى غرفة نومي , وعاريا أرقدته على سريري
بينما ظللت أنا بكامل نقابي حتى الجوانتي الأسود لم أنزعه عن يدي .. نزعت
كيلوتي ورفعت طرف الجلباب الأسود لأجعله يشعر بحرارة أفخاذي وأن أضع
رجلي على عانته وأمسك بكفى قضيبه أدلكه والذي إنتفض بقوة وقذف .. ضحكت
على عدم إتماله وشعر هو بالخذلان .. إعتدلت لأوجه رأسى نحو قضيبه
ومسحت منيه فى نقابى وألنقتم قضيبه أمتصه .. كنت كلما نظرت فى مرآة
التسريحة أمام السرير لأرى منظرى بالنقاب وأنا أمتص قضيب الشاب المرتخى
وأمضغه , كلما شعرت بنشوة مما دفعنى لأخفى وجهى بإسقاط قماشة النقاب
المرفوعة على رأسى .. وأواصل المجون وأنا أرقب منظرى فى المرآة .. كنت
أتمنى فى هذه اللحظة أن يأتينى الصوت من المسجد القريب لأسمع القرآن .. كم
سيكون محببا وجميلا فى هذه اللحظة .. عندما عاود قضيب الشاب إنتصابه نهض
يعتلينى بين فخذيني ووجهته أنا لأتمكن من رؤية المنظر الخلاب فى المرآة ..
كنت أحاول أن أدارى ما استطعت من جسدى بالنقاب ومنظر يدي بالجوانتي
الأسود وهى تمر على مؤخرته تدفعنى إلى نشوة وسعادة لا توصف .. وجدت
نفسى أستعيد الصوت القادم من المسجد والذى جعلنى أفر مذعورة خائفة أرتعد
منذ ساعات .. الآن كلمات القرآن تملأ مسامعى تطربنى .. وددت لو كنت الآن
بهذا الوضع بداخل المسجد .. هناك حيث يصلى الإمام أو على المنبر نفسه
والخطيب يخطب الجمعة .. تقلص جسد الشاب وانتهى وألقى بنفسه إلى جوارى
يلهث .. قبلته وأنا أهمس له
- تحب تاكل إيه ؟

نهضت وأحضرت الطعام وتناولناه على السرير .. كنت أمضغ قطعة خبز
وأشرب من الكأس النبيذ وأنا أتخيل أننى أكل من جسد وأشرب من دم المسيح
لأنال الخلاص .. وبعدها فرغنا من الطعام وقفت بكامل نقابى أدور حولى فى
الغرفة وسألت الشاب

- هى القبلة هنا منين ؟
- حدق الشاب فى وجهى وقال
- مش عارف بس بتسألى ليه
- تنهدت وأجبتته بهدوء
- عاوزة أصلى
- إرتسمت على وجه الشاب علامات الإشمئزاز وهو يقول
- إنتى واحدة مريضة
- قالها وهو ينهض ليرتدى ملابسه وعقبت أنا على جملته
- فعلا أنا مريضة وباخد علاج
- قلتها وأنا أقترب منه بخطوات وثيدة وأحتضنه من الخلف وأهمس فى أذنه
بصوت مبجوح مثير
- عاوزاك تنيكنى وأنا باصلى

فجأة إستدار الشاب ودفعني بقوة لأسقط على الأرض بينما هو يصيح
- إنتى مش ممكن تكونى بنى آدمة .. إنتى شيطانة
قالها وأكمل إرتداء ملابسه وكأنه يصارعها وأنا أرقبه ملقاة على الأرض .. ولم
يكتفى بإسقاطى أرضا بل ضربنى بقدمه فى بطنى وهو يبصق على وجهى ,
ويغادر مسرعاً .

ظللت أنا على الأرض أشعر بألم ضربته فى بطنى ولعابه على وجهى .. وجدت
نفسى سعيدة ومنتشية وضحكت كطفلة وأنا أنهض وألقى بجسدى على السرير
لأنعم بنوم هادئ لأول مرة منذ فترة طويلة .

فى الغد عزمت على تكرار ما فعلت لكنى أريد من يمارس الجنس معى وأنا
أصلى وأسمع القرآن , أو وأنا أحتضن الإنجيل بين فخذى , وظللت أجوب
الشوارع بسيارتى مرتدية النقاب لساعات ولم أعثر على مبتغى .. عدت حزينة
مكتئبة وجرعت الخمر كؤوساً رغم تحذيرات الطبيب , وتناولت جرعات أدوية
المسائية التى لم أتناولها بالأمس لأننى كنت لا أحتاج إليها وأصابنى ذلك بمغص
شديد ورأيت هلاوس من حولى .. كنت أرى المسيح يقتادونه إلى الصليب
وخطرت فى بالى الفكرة .. أسرعت مترنحة أحضر الصليب الكبير المعلق على
الحائط وعليه تمثالاً صغيراً للمسيح مصلوب فوقه .. واستلقيت على سريرى
مرتدية النقاب لا يظهر منى شئ .. نزعته كيلوتى ورفعت الجلباب لينحسر فوق
عانتى أنظر إلى منظرى فى مرآة الترسريحة لأرى يدي ممسكة بالصليب تمرره
على باطن فخذي .. أشعر بأن الكأبة تودعنى وأنا أفرك الصليب بين أشفارى
وعلى بطرى وأردد بينى وبين نفسى قول المسيح (من لا يحمل صليبه ويتبعنى
فلا يستحقنى) .. كم جميل ذلك الإحساس .. دفعت بطرف الصليب فى مهبلى
فغمرنى إحساس عارم باللذة .. إنتشيت واسترخى جسدى ونمت نوما هادئاً ..
وفى مساء الغد عزمت على الذهاب إلى بار قريب لأنتقى من يحقق لى رغبتى ..
وأثناء إستعدادى للخروج دق جرس الباب , وفتحت لأجد ما لم أتوقعه .. وجدت
الشاب أمامى .. دخل وجلس على الأريكة دون أن يتكلم فى شئ .. كنت أرتدى
ملابسى الداخلية حين دق الجرس , فجلست بها إلى جواره على الأريكة ولما
رأى المكياج على وجهى , قال وفى عينيه نظرات التدله بجمالى
- شكلك كنتى خارجة

أومأت برأسى إيجاباً وألقيت برأسى على كتفه أهمس وأصابعى تداعب وجهه
- كنت خارجة أدور على حد ينيكنى وأنا باصلى
قلتها بصوت تعمدت أن أصبغه بكل ما أملك من أنوثة ودلال .. وحرك هو رأسه
متنهدا يقول

- إنتى بتعملى ليه كده ؟
- ما أنا قلنك .. أنا مريضة وده علاجى
- أنا أعملك أى حاجة بس بلاش الموضوع ده

ضحكت بميوعة ومجون وأنا أرد عليه سائلة
- أى حاجة أى حاجة ما عدا الصلاة ؟
أوما برأسه إيجابا , وفكرت وأنا أصدر صفيرا منغما وقلت
- إيه رأيك نعمل وإحنا بنسمع القرآن ؟
تململ الشاب دون أن يرد , وتصنعت الغضب وأنا أنهض من جواره أقول
- خلاص أنا نازلة أشوف حد تانى
قلتها وأنا أتجه لإستكمال إرتداء ملابسى وأتبع
- وأكيد هلاقى

أكملت إرتداء ملابسى ورششت أفضل عطورى من بارفان أندرا وخرجت
للصلاة أقول
- يلا .. قاعد ليه ؟
بدا لى واضحا أن الشاب يستنشق عطرى وعيونه تتفحص جسدى الذى ينبض
بالشهوة ويرنو لوجهى بالمكياج المثير ثم قال
- إستنى
ضحكت بميوعة وتمحنت وأنا أقول
- إستنى انت هنا .. دقائق ورجعالك

دون أن أنتظر ردا من الشاب , خرجت مسرعة واشترت مصحف وسجادة
صلاة وشرائط قرآن وعدت إلى الشقة لأجده جالسا كما تركته , لكن أعقاب
السجائر تملأ الطفاية أمامه , ولما رانى أخرج ما اشتريته من الكيس , إمتعض
متنهدا وضحكت أنا مستمتعه بحالته بين الشهوة والنار .. الجنة والجحيم .. وعليه
الإختيار .. ولكى أسهل عليه الإختيار خلعت ملابسى قطعة قطعة أمامه .. وتأنيت
فى فك سوتيانى وسحب كيلوتى .. رأيت عينيه تومض وهى ترنو لكسى ..
إتنصبت أمامه عارية تماما وأشرت إلى جسدى قائلة
- دى النار

ثم أشرت إلى باب الشقة قائلة
- ودى الجنة

إقتربت منه أنظر لعينيه بعيني الزرقاوان بنظرات شبقة وأهمس
- إختار النار ولا الجنة .. قدامك خمس دقائق على ما أخذ حمام
قلتها ومشيت أتماوج بمؤخرتى تجاه الحمام .

كما كنت أتوقع سمعت باب الحمام يفتح واستدرت أنظر إليه وهو يخلع ملابسيه
بسرعه فصحت فيه

- مش دا إتفاقنا .. إطلع بره واستناني

وكأنه لم يسمعنى تعرى من ملابسيه وهجم عليّ كحيوان جائع على قطعة من
اللحم .. نهزته وحاولت المقاومة وفشلت وهو يطرحنى أرضا على بلاط الحمام ,

وألقى بثقل جسده فوقى .. كان الأمر مؤلماً لكنه أمتعنى وساعدته رغاوى
الصابون على جسدى ليولج قضيبه فى مهبلى , ولم يدم ذلك سوى للحظات
وإنتهى ينهض عنى .. نهضت أتصنع الغضب العارم وأطرده من الشقة لكنه أبى
أن يخرج .. أخذت حاجياتى التى اشتريتها واتجهت لغرفة نومى عارية .. فرشت
سجادة الصلاة وقمت بتشغيل القرآن وارتديت النقاب الأسود وقلت له هيت لك .
كم هى سعادة وراحة لا توصف ومتعة لا تقاوم وأنا أركع بنقابى على السجادة
أنظر إلى صورة الكعبة , بينما يرفع هو جلبابى الأسود ويولج قضيبه يطعننى من
الخلف .. وصوت القرآن يملأ مسامعى فتغمرنى سعادة ما بعدها سعادة .. وحين
سجدت ولاصقت جبتهى الأرض شعرت بألم رهيب وهو يدفع بقضيبه فى
شرجى فتأوهت متألمة وأنا أصيح بعلو صوتى
- سبحان ربى الأعلى .. سبحان ربى الأعلى

بعدما إنتهينا وتركنى مغادرا .. أدركت أنها كانت أفضل ليلة عشتها بعمرى كله ,
وظللنا على ذلك الحال عام كامل تحسنت فيه حالتى النفسية تماما لدرجة أننى
توقفت عن تعاطى الأدوية , وكنا نتفنن فى النهل من المتع والملذات وممارسة
المجون والفجور .. لا أنسى يوم أن صلبنى عارية على الصليب الذى صنعناه
سويا فى الشقة وتفنن فى العيب بجسدى وهو يمزق الكتاب المقدس ويحشو مهبلى
وشرجى بأوراق الكتاب المقدس بعد غمسها فى الخمر , ونحن نستمع إلى
المزامير والتراتيل ونشيد الإنشاد .

انقطع فجأة عن المجئ إلى منذ شهر , ولم أعد أعرف له طريقا ولا حتى اسما ..
لك أن تتخيل كيف سائت حالتى النفسية , وفشل الأطباء فى تحسين حالتى
بالأدوية ولا حتى بالجلسات النفسية .

أيها القسيس الآن قد إترفتم إليكم بما لم أخبر به إنسيا من قبل .. لكن هل
تدرى لماذا إخترتك أنت لأقدم لك إترافى ؟ .. ليس لأننى أعجبت بوعظك
وإرشادك فقد يكون ذلك هو مافتح الباب لى كى أستشعر روحك وأتلمس وجدانك
.. هل تعلم ما الذى أدركته فىك ؟ .. أدركت أنك مرآة أرى فيها نفسى وإن كانت
الصورة مشوشة مطموسة .. ربما كنت أنت أنا .. لذا بعد إترافى سأطلب منك ,
إذا كنت تعتقد أننى امرأة خاطئة فأدى وظيفتك وامنحنى الغفران بعدما إترفتم
لك .. وإن كنت تعتقد أن الروح الشريرة تملكنى , فتعالى وامسح جسدى بزيت
الميرور المقدس لتحمى جسدى من الشيطان .. أما إذا كنت تعتقد أنك لا تملك
منحى الغفران وحمائتى من الشيطان فتعالى لأصعد أنا بك إلى الجنة .

أنتظرك بعد غد فى التاسعة مساء فى العنوان المدون عندك على المظروف. ("")

طوى القس عادل برسوم الرسالة وأعادها إلى المظروف ودسها بداخل درج مكتبه , وظل على مدار اليومين يفكر , فى البداية رفض الذهاب إليها ثم عاد وقرر مساعدتها كرجل دين يسعى لإنقاذ نفس خاطئة من براثن الشيطان , لكنه يدرك أنه ذاهب إلى الشيطان نفسه .

ركن القس عادل برسوم سيارته أمام العمارة فى مصر الجديدة , ونزل بملابسه الكهنوتية السوداء حاملا حقيبته الجلدية .. يسير تجاه باب العمارة والصليب المعلق حول رقبته يترنح يمينا ويسارا مع خطواته .. بداخل المصعد كان يحدق فى الأزرار يفكر فى أن يوقف الصعود ويعود إلى الدنيا .. لكنه وجد نفسه منساقا ليستكشف الجحيم , وأمام باب شقتها لم تطاوعه يده فى دق الجرس .. نظر فى ساعته .. إنها التاسعة مساء .. إستدار معطيا الباب ظهره وسار تجاه المصعد عائدا بضع خطوات , فما لبث أن توقف محدقا فى الفراغ حين إلتقطت مسامعه صوت فيروز تغنى قادمًا من الشقة .. إستدار محدقا فى باب الشقة يرهص السمع لصوت فيروز .. وعليه الإختيار .

ينطلق قطار السنوات دونما توقف .. يعرف طريقه تماما .. لا ينحرف عن القضبان .. الحاج مصطفى لا يزال قابعا أمام عربة الكسكى على ناصية نفس الشارع فى حوش العجر منذ أكثر من خمس وعشرون عاما تركت ملامحها على خشب العربة المتهالك , وعلى جسد مصطفى الواهن , وعلى الندبة العريضة فى وجهه وفاء حيث إندملت بفعل الزمن وغاصت وسط تجاعيد الشيخوخة المبكرة .. على نفس المنوال تستيقظ وفاء وتصلى الفجر مع زوجها ويصنعان الكسكى وتحمل الصينية الكبيرة ومن أمامها مصطفى يحمل الأطباق .. تساعده نهارا وترعى المنزل من بعد الظهر .. لا يزال مصطفى ينعم بتدليك وفاء لقدميه وساقيه التى غطتها الدوالى من جراء وقوفه لتلك الساعات الطويلة لسنوات عديدة .. ويسترخى جسده تحت أيادى زوجته الحانية .. كان الحاج مصطفى راضيا قانعا بما آل إليه حاله .. يفخر بابنائيه الثلاثة .. البكرية التى حصلت على دبلوم التجارة وتزوجت وأنجبت , وكذلك ابنه سيد الذى تخرج من كلية التجارة , وسيلحق به الابن الأصغر الذى يدرس الهندسة .. لا يتوقف الحاج مصطفى عن حمد الله وشكره على ما وهبه من سعادة .. ويخص ابنه سيد بالدعاء الوفير , والسبب فى ذلك هو أن سيد مختلف عن أخته وأخيه .. يرى الأب فى عينيه نظرات القنوط ولا يواظب على الصلاة مثل أخيه الأصغر , ويرفض كعادته مثلما كان يفعل فى أجازاته الدراسية أن يقف ليساعد أبيه على عربة الكسكى متحرجا من أقرانه , بينما الابن الأصغر لا يخجل من أن يقف إلى جوار أبيه يبيع الكسكى فى مشهد طريف حين يخاطبه الزبائن

- والنبي طبق كسكى يا باشمهندس
فيسرع الباشمهندس بتلبية الطلب .

وفى هذا الصباح يظهر عربى الذى بدأ الشيب يغزو شعر رأسه المنحول على جانبي جبهته , ويقف بسيارته اللادا ومعها ماهر وبربرى كعادته كلما مر من أمام عربة الكسكى ليؤدى طقسا ثابتا يمعن فى التلذذ بممارسته , ويصيح من داخل السيارة

- إزيك يا أم سيد ؟

كالعادة لا ترد وفاء وتكتفى بإشارة من يدها , ليواصل عربى تحياته العطرة

- صباح الفل يا أبو نسب .. عاوزين نفطر

يتعمد عربى البقاء مع صديقيه بداخل سيارته , ويشعر بالزهو وهو يرى مصطفى يتجه ناحيتهم بخطوات متناقلة أنهكها الزمن , ويناولهم أطباق الكسكى , ليمعن عربى فى إرضاء إحساسه بعلو شأنه الآن على شأن مصطفى الذى كان يرفض إقراضه جنيها واحدا حين كان عربى يتسول الإستدانة منذ خمس وعشرون عاما فيواصل صياحه أمرا بنيرة متشفية

- هات شوية زبيب يا حاج مصطفى

وبعدما ينتهى عربى يتعمد إخراج ورقة نقدية تعادل ضعف ثمن الكسكى ,
ويناولها لبربرى الجالس بالسيارة لإعطائها لمصطفى , ويضغط عربى على
دواسة وقود السيارة ليغادر غير عابئ بالباقى , فيصيح مصطفى ليستوقفه

- استنى خد الباقى
- واحد مش فارقة .. خليه المرة الجاية

يسرع الحاج مصطفى يناول بربرى الباقى بعدما يأخذ ثمن الكسكى رافضا
البقتيش الذى يعرضه عربى .. وفى هذه الأثناء كان سيد عائدا من عمله الليلية
ويمتعص وجهه وهو يرى ذلك ويسمع عربى يقول

- إزيك يا سيد
يرد سيد الذى ورث كراهية عربى عن أبويه , ودون أن ينظر لوجه زوج خالته

- الحمد لله
يصعد سيد إلى الشقة شاعرا بالحنق , بينما تعبر وفاء عن غيظها مما لا يمل
عربى من فعله بالتباهى والتشفى أمامهم وتقول

- صحيح يدي الحلق للى بلا ودان .. بأه عربى الصايح البلطجى اللى ماكانش
لاقى ياكل ببقى كده , واحنا نفضل ع العربية دى بعد ما شعرنا شاب

يسرع مصطفى لبتتر كلماتها محتدا يقول

- وفاااااااااااااااااااااا قولى الحمد لله .. عشنا طول عمرنا مستورين
وماخذناش مليم سلف من حد .. وأهو ربنا مبارك فى رزقنا الحلال ..
وشوفى ولادنا بقم إيه وولاد عربى اللى طالعين بلطجية زيه
تملمت وفاء وهى تسمع زوجها أثناء قيامها بغسيل الأطباق وقالت

- سبحان الله .. له فى ذلك حكم
بنبرة أمره يقول مصطفى

- قولى الحمد لله
تتنهد وفاء تقول

- الحمد لله
لكن طريقة نطقها لم تعجب مصطفى .

بلغ سيد مصطفى الخامسة والعشرين وعلى مدار الثلاث سنوات التى تلت تخرجه
من كلية التجارة , عانى كثيرا فى الحصول على عمل , شأنه فى ذلك شأن أقرانه
من الشباب .. لكن ما زاد من معاناة سيد مصطفى هو إحساسه بوضاعة شأنه لأنه
ابن بائع الكسكى .. فطالما ولد فقيرا لأسرة متواضعة الحال تقطن شقة رثة
قديمة تعج بأثاث متهاالك بأحد منازل حوش العجر بمصر القديمة .. مشكلة سيد
بدأت تحديدا وهو تلميذ فى الابتدائية يوم تشاجر مع على ابن عربى وشبت عداوة
طفولية بينهما , نتج على إثرها تلقحات كلامية بذينة من على كلما رأى سيد ,

وتربط إسقاطاته الكلامية بين كلمة كس وكلمة كسكسى , مما أغضب سيد الذى اشتبك مع على ومزق مريسته واصفا أبيه بعربى البلطجى المسطول , وبمجرد أن انتهى اليوم الدراسى وأسرع على يشكو لأبيه , حتى كان عربى قادما والشر فى عينيه ووجهه محتقن متوهج بالدم .. ودخل المنزل دون أن يجيب على سؤال مصطفى

- على فين يا عربى ؟

صعد عربى وخطب باب شقة مصطفى بعنف لتفتح وفاء وينتابها الذعر لما رأت عربى فى هذه الحالة التى تنذر بعواقب الأمور , وأزاح وفاء جانبا ودخل إلى الصلاة يصيح

- واد يا سيد

قبض عربى بيده الغليظة على مؤخرة عنق سيد وجذبه بعنف ينزل به إلى الشارع بينما أمه وفاء تصرخ

- عاوز إيه من الواد يا عربى ؟ .. عملك إيه ؟

تعالى صرخات وفاء خوفا على ابنها وهى تنزل تتبعه مسرعة , وتجمع على صرخاتها الجيران وعيال الشارع يشاهدون عربى يصيح فى وجه الطفل سيد بعلو صوته هائجا

- بنقول لعلى يا ابن البلطجى

قالها وصمت يكابد غضبه وتابع

- أنا بلطجى يا ض ؟

ملامح الذعر تكسو وجه سيد وجسده يرتعش , بينما أبوه مصطفى يقف مشدوها خائفا من الإحتكاك بعربى فى هذه اللحظة , لكنه أسرع يتدخل حين أطاح عربى بوفاء عندما حاولت تخليص ابنها من براثن عربى , وقال مصطفى

- عمل لك إيه الواد بس يا عربى ؟

لم يجيب عربى على مصطفى وسط إنشغاله بالطفل سيد وقال وهو ينظر فى عينيه بنظرات جعلت قلب سيد يكاد يقفز من صدره

- إنت عارف لو ما كنتش جوز خالتك .. يعنى فى مقام خالك , والخال والد .. أنا كنت قصفت رقبتك

كلمات عربى التى تدل على أنه منح الطفل الغفران , جعلت المحيطين يسرعون فى تدارك الموقف بتهدة عربى , وأسرع مصطفى يجذب ابنه من يد عربى الذى قال

- عليا الطلاق لو على اشتكى منك تانى يا سيد ليكون آخر يوم فى عمرك .. أنا باقولك قدام أبوك أهو

قالها عربى وأشاح بيديه وانصرف مغادرا .. وفجأة أجهد سيد فى بكاء مرير . عانى سيد بعد ذلك بسبب ما حدث , فقد تحطمت نفسية الولد المسكين للمهانة التى تعرض لها أمام أقرانه والجيران , وكذلك شعوره بالضعف وقلة الحيلة الذى توطد لديه بعد رد فعل أبيه السلبي .. ولم ينم سيد حين تمدد على سريره إلى جوار أخيه , وانطلق خياله الطفولى ينسج أمنياته لتعديل الموقف الذى حدث , عندما

يتخيل أباه قد أمسك بعربي وطرحه أرضاً وداس على وجهه بقدمه إنتقاماً له ..
لكن سيد حين يعود إلى الواقع يدرك أنه خيال , فيواصل البكاء .. كان سيد يتحامل
على نفسه ويكظم غيظه وهو يسمع على ابن عربي يسخر منه فى المدرسة أمام
التلاميذ ويهزأ بالكسكى الذى يصنعه ويبيعه أبوه .. وتحول التلقيح إلى التصريح
, واشتهر سيد فى المدرسة بسيد كسكى , وكثيراً ما كان التلاميذ ينطقون نصفها
الأول فقط .. فرح سيد كثيراً حين رسب على عربى للمرة الثانية وترك المدرسة
, وقل إنعزاله بعدما لم يعد التلاميذ يسخرون منه ومن مهنة أبيه .. لكن سيد ظل
ناقماً على حياته غير راضياً , وكان يحتاج لهدف وغاية تجعله ينسى بؤس حياته
, ووجدها سيد مع بداية دراسته فى المرحلة الإعدادية حين كان يسمع زملائه
يتحدثون

- إيه اللى حصل فى الأهلى ؟

يرد ثانى

- الأهلى خلاص راح

عقب ثالث

- يا عم الإسماعيلى كده كده بيكسب الأهلى

- بس كده الأهلى بقى السادس

كان سيد يحاول التمدخل فى الحوار لكنه لا يفهم فى الكرة , وتذكر محادثات أبيه
عن الأهلى وأنه لا بد من إعادة بناء الفريق .. وأعجب سيد برد أحد زملائه على
معايرة زملاؤى بما آل إليه حال الأهلى عندما قال الزملاؤى
- سيبك م الأهلى وشجع الزمالك مدرسة الكورة والهندسة
فرد الأهلاؤى بحماس منقطع النظير

- أنا أهلاؤى صميم حتى لو الأهلى بقى الأخير

ربما ذلك هو ما جعل سيد يجيب حين داهمه أحد زملائه بسؤال

- صحيح .. أنت أهلاؤى ولا زملاؤى يا سيد ؟

تردد سيد ثم قال

- أهلاؤى

كان سيد على وشك الإجابة بزملاؤى لأن أباه يعشق الأهلى وهو لا يريد شيئاً
يكون إمتداداً لوالده , لكنه شعر فى قرارة نفسه بأن الأهلى الذى فى حاجة إلى
إصلاح للعودة إلى مكانته , والأهلاؤية هم الطرف المهزوم أمام الزمالكوية ,
ولأن سيد يشعر دائماً بإحساس الهزيمة والضعف فقد وجد أن عليه أن ينضم
للجانب المستضعف .

إندمج سيد مع زملائه فى حوارات وجدالات كروية , وكان الجميع يتعجب من
تلك الطاقة التى هبطت عليه فجأة وهو يدافع عن الأهلى بعد هزيمته أمام الزمالك
بالأمس بهدف للاشئ , وقضى سيد ليلته يبكى .. وأمام شماتة الزمالكوية , كان
سيد لا يتوقف عن تذكيرهم بتفوق عدد بطولات الأهلى على الزمالك بفارق
شاسع , وانطلق سيد فرحاً يثار من شماتة الزمالكوية يشمت هو مغتبطاً بعدما

فاز الأهلي بكأس مصر بعد فوزه على الزمالك بهدفين لهدف في الوقت الضائع ,
ولا يفنأ الزمالكاوية يدافعون بأن فريقهم كان الأفضل طوال المباراة .

على مدار سنوات سيد التالية , وجد فى عشقه للأهلى منفاذا يفرغ فيه طاقته
المكبوتة من جراء نغمته على حياته .. وتطور ذلك من مرحلة التشجيع التلفزيونى
إلى الذهاب للإستاد وهو فى الثانوية العامة , كان يدخر كل مصروفه من أجل
الأهلى وارتبط بمشجعين من مناطق شتى يجتمعون فى الإستاد أثناء المباريات ..
كلما مضى العمر بسيد مصطفى كلما توحد مع هذا العالم , حتى أنه نفسه لم يكن
يعرف إجابة حين يباغته أحدهم بسؤال أثناء إنفعاله العارم وحماسه الطاغى فى
جدالاته فى الكورة

- اللى يشوفك وإنت عامل فى نفسك كده , يقول إنهم هايدوك كاس زيهم ولا
هتاخذ منهم فلوس .. إنت بتستفيد إيه ؟

لم يجد سيد إجابة على السؤال .. لكن ما يستفيده سيد من ذلك هو الهروب من
واقع مرير إلى واقع زائف يفرغ فيه طاقة لا تجد لها طريقا فى حياته .

عندما إلتحق سيد بكلية التجارة تعرف على أمجد سامى , بعدما قابله صدفة على
محطة مترو مارجرس واتجه إليه يقول
- إنت فى تجارة القاهرة .. صح ؟ ... أنا شفتك فى الكلية .. إنت ساكن هنا ؟

منذ ذلك اليوم إرتبط سيد وأمجد بصداقة حيث كانا يذهبان للكلية سويا , وما أن
عرف سيد أن أمجد زملكاوى حتى قال
- حلو أوى .. زبون جديد .. ألا قولى هتاخدوا الدورى إمتى
رد أمجد

- الحاجات المحلية دى ما بتهمناش .. مع إنكم بتاخذوها بقدرى عبد العظيم
والحكم الأسبانى .. إحنا بنركز فى أفريقيا وبس , ألا صحيح هو أنتم
واخدين إفريقيا كام مرة ؟
إندفع سيد بغضب متحمسا يقول

- هو أنتم بتعملوا حاجة غير الإنسحاب .. جون حسام حسن مش أوفسايد ..
عايزين تلقوها فى الحكم قدرى عبد العظيم وخلاص .. وماله الحكم
الأسبانى .. ضربتين جزاء مية فى المية واضحين زى الشمس
يضحك أمجد من حماسة سيد الذى يتابع دفاعه بكل حاسة من حواسه
- وبعدين أفريقيا إيه ؟ .. إحنا البطل وإنتم تخشوا وصيف وتكسبوا البطولة
أونطة فى أونطة
قاطعه أمجد محتدا

- ماهو إنتو إنسحبتم من إفريقيا عشان موضوع إبراهيم حسن .. وفاكرين
الإتحاد الإفريقي هيطبطب عليكم .. راح مديكم بالجزمة ووقفكم عن
المشاركة فى البطولات الأفريقية

توطدت صداقة سيد بأمجد يستمتعان بجدالهما حول الأهلى والزمالك , يحرصان
دوما على شراء الصحف والمجلات الرياضية وتبادل قراءتها , واعتادا على
الجلوس على مقهى الطيبين الكائن جوار محطة مترو مارجرس حيث يجتمع
الصحة لمشاهدة المباريات ويتبادلون الجدل والتراشق بالألفاظ , وفى المباريات
الهامة يكون سيد فى طليعة المشجعين فى الإستاد , وكذلك أمجد .

بعدما تخرج سيد وجد نفسه لا يريد أن يظل صديقا لأمجد عندما رأى أمجد ابن
الأستاذ الجامعى والصحفية المشهورة , يلتحق بالعمل محاسبا فى بنك , بينما
يدور سيد بحثا عن عمل .. ساعتها عاودت سيد أحاسيس الضعف والهوان
والبؤس والشقاء .. ووجد ظهور أمجد أمامه باعثا على الإحساس بالنقص , فبدأ
يتجنب لقاءاته ومحادثاته , وشعر أمجد بذلك وحاول إشعار سيد بالقرب
والحميمية فذهب لزيارة سيد فى بيته , ولما نزل سيد لإستقباله ورآه واقفا يأكل
طبقا من الكسكسى .. تخرج سيد متجهما يسأل

- إيه يا ابنى عاوز إيه ؟

- بقالى كتير ما شفتكش جيت أزورك

وتدخل الحاج مصطفى قائلا

- خد صاحبك يا سيد وإطلع فوق .. هاتقفوا فى الشارع كده ؟

لم يشأ سيد أن يصعد بأمجد ليرى شفته البالية الفقيرة متواضعة الحال , وسارا معا

ليجلسا فى مقهى قريب يتبادلان الحديث , وسأل أمجد

- إنت مختفى ليه ؟ .. لقيت شغل ولا لسه ؟

لم يقصد أمجد أى شئ سوى الإطمئنان على أحوال سيد الذى جعله إحساسه

بالنقص تجاه أمجد يرد قائلا

- هو أنت عشان بابا شغلك فى بنك هاتتأرنن علينا

حزن أمجد من كلمات سيد وقال بنبرة أسفة

- ليه الكلام ده ؟ .. إحنا أصحاب

لم يرد سيد ليشعر أمجد أن علاقته بسيد لن تعود لحميميتها مجددا , لكنهما ظلا

يلتقيان كل فترة مع باقى الصحة فى مقهى الطيبين لمشاهدة المباريات وتبادل

الشماتة والجدالات التى لا تنقطع حول الأهلى والزمالك .

لا ينسى سيد مصطفى يوم كان عائدا من إستاد القاهرة حزينا مهموما دامع
العينين بعدما تعادل الأهلى مع الصفاقسى التونسى واحد واحد فى ذهاب الدور
النهائى لدورى أبطال أفريقيا وتأزم موقف الأهلى فى الحفاظ على بطولته , لم

الجميع .. وتكتمل النشوة والسعادة بحصول الأهل على المركز الثالث والميدالية البرونزية فى كأس العالم للأندية فى اليابان , وبالطبع كان سيد فى طليعة الحشود التى تجرى خلف الحافلة المكشوفة التى تجوب بلاعبى الأهل شوارع القاهرة إحتفالا وإحتفاء بالنصر العالمى وتصدح كلمات الأغانى الوطنية

- ما شابش الرجال .. السمر الشداد .. فوق كل المحن
- والله وعملوها الرجالة ورفعوا راس مصر بلدنا .. ووقفوا وقفة رجالة الله على مصر بلدنا

وانطلقت الأغانى والأنشيد والأهازيج تمجد فى إنجاز الأهل ويردد الجميع

- الأهل فى كل حنة عمال يجيب إخوان زى ماراح أفريقيا أهو راح اليابان وسيد يخلق فى السماء .

كانت متعة سيد وسعادته تزداد مع لقاء الزملاوية .. ليستمتع بالمقارنة بين الأهل العالمى والزمالك الضائع الذى يمر بأسوأ فترات تاريخه ويضعف مستواه وتتدهور نتائجه .

يجلس سيد قبل ذهابه لعمله الليلى فى مقهى الطيبين , ومن حوله مجموعة من الجيران والأصحاب بينهم زيزو وأمجد سامى الزملاويين ويصرخ سيد بحماسة شديدة قائلا

- شفتوا برنامج من سيربح المليون أول إمبراح .. كان فى سؤال بيقول : من هو النادى الوحيد فى العالم الذى حصل على كل البطولات التى شارك فيها فى موسم واحد ؟ .. مانشستر يونايتد الإنجليزى ولا برشلونة الأسباني ولا يوفينتوس الإيطالى ولا الأهل المصرى .. وطبعا الإجابة هى الأهل المصرى .

قالها سيد مصطفى وضحك متلذذا قبل أن يردف وهو يمد يده يتحسس خد أمجد ويواصل

- عشان تعرفوا إن الأهل عدى خلاص وبقي نادى عالمى وترتيبه فى تصنيف الفيفا الأول على العالم للمرة الثانية هنا يقاطعه أمجد معترضا صائحا
- مش دى اللى الزمالك خدها فى فبراير 2002 وكان أول نادى مصرى وعربى وإفريقى يبقى الأول ع العالم .. وأول كاس عالم اللى كانت هانتلعب فى أسبانيا وبعدين اتلغت مش احنا اللى كنا هانتلعب فيها ويتدخل زيزو مسرعا وبمنتهى الغيظ يصيح
- بس يا أمجد .. دى عالم مناخيرها خشب ما بتشمش .. هما الجهلاوية القروء كده .. بطولاتهم كلها كذب فى كذب وحظ عوالم .. وتعريس الحكام ما الناس كلها شايقة إن الصفاقسى ليه جول إتحسب أوفسايد .. مظبطين الحكم يا عم وفى الآخر يقولك هههههههه الأهل بطل أفريقيا .. إنما

الزمالك بطولاته كلها بشرف فإكر كوتوكو فى مجده لما كسبناه ولا شوتنج ستارز بتاع نيجيريا فى عزه .. دول جايين بعد الفرق الأفريقية ما بقت كحيانة ويقولك إحنا البطل وكمان بالحكام والحظ يتملك الغضب من سيد الذى يصيح معترضا

- بس يا زبلكاوى إنت وهو .. الأهلئ يدىكو على قفاكوا وياخذ الدورى وانتوا تخشوا أفريقيا وصيف للأهلئ وتكسبوا فى النهائئ بضربات الجزاء .. لو إحنا كنا بنشترك ما كنتوش انتوا شمتوها أساسا

على الفور يشخر زيزو ويشير بأصبعه الأوسط فى وجه سيد ويقول صارخا

- يا عم ما تخلناش نتكلم .. انت ناسئ لما شطة ومصطفى فهمئ فى الإتحاد الإفريقئ طبخوا الطبخة عشان لقب نادئ القرن يروح للأهلئ بالظلم والتعريس .. أما انتوا صحیح نادئ القرون , والله انتوا آخرتكم هتترموا فى البحر زئ اسرائيل

يستمر الجدل المحموم هنا وهناك مدعما بالألفاظ النابية والشتائم المتبادلة حتى يدرك سيد أنه تأخر على العمل , فيهرع على الفور إلى محطة مترو مارجرس ومنها إلى محطة سعد زغلول , ويسرع الخطا حتى يصل إلى مول الجناح الأخضر ويستلم فترة عمله الليلية حيث يستبدل ملابسه ويرتدى القميص السماوى على البنطلون الأسود ومن حوله حزام جلدئ أسود لامع مثبت به عصا غليظة تشبه مضرب البيسبول , ومن الجهة الأخرئ مسدس صوت , ويبدأ فى الدوران حول المحلات بالدور الذى تم توزيعه عليه .. وتمضى الساعات وسيد مصطفى يسير بخطا متئدة متهادية مشبكا يديه خلف ظهره لا يراقب المحلات بل شاردا فى الأهلئ ومبارياته ونجومه وإنجازاته , ويحدث نفسه هائما فى عالم الخيال وكأنه يحيا فى جدال بينه وبين زملكاوى حول أحقية أى منهما فى لقب نادئ القرن ؟ .. ويعتصر سيد عقله ليستخلص الأدلة الدامغة والبراهين المفحمة ليدلل على أحقية الأهلئ بلقب نادئ القرن بلا مجاملة ولا محاباة ؟ .. لدرجة أنه يتوحد تماما مع دنيا الخيال , فنتتم شفتاه ببعض كلمات بصوت خافت وهو يحدث نفسه , وتشيح زراعه وكأنه يحدث شخصا أمامه , ويلحظ ذلك بعض المارة بجواره فينظرون إليه بدهشة وإستغراب .. يفيق سيد من شروده على الظلام الذى غطئ ما حوله عدا ثنايا بعض الإضاءة النيونية الخافتة المنبعثة من الطرقات بين المحلات الزجاجية , فيدرك سيد أن المحلات أغلقت أبوابها وانتهئ يوم عملها وقد خلا المكان من حوله عدا بعض المتجولين هنا وهناك .. ينظر سيد فى ساعته فيجدها الثانية بعد منتصف الليل ويتجه ليجلس على أحد درجات السلم الكهربائئ المتوقف , ويخرج من تحت قميصه مجلة أخبار الرياضة ويقرأها كاملة مستمتعا ومتلذذا بالإشادة بالأهلئ وإنجازاته العالمية .. مضت ساعة كاملة من الزمن لم يشعر بها سيد فوقف منتصبا خشية أن يفاجئه مشرف الأمن ويجده جالسا يقرأ , فيمضى فى جولة ميدانية يتابع المحلات ويتأكد أنها فى أمان .. وقف أمام مرآة

كبيرة مثبتة على واجهة أحد المحلات ونظر إلى صورته المنعكسة في المرآة ..
كان سيد مصطفى من النوع الذى لا يهتم بمظهره كثيرا ولكن ذلك لا يعنى أنه
رث وقبيح المنظر .. بل كان فقط مختلفا عن أقرانه فهو لم يشتري يوما كريم
مصفف للشعر ولم يثبت خصلات شعره بالجل ولم يدهن وجهه بدهان مرطب ,
فقط يستحم ويمشط شعره بالفرشة البلاستيكية ويرتدى قميصا وبنطلونا من
القماش يضيف إليهما جاكيت أو بلوفر صوف فى الشتاء .. لذا كلما كان سيد
مصطفى يقف أمام المرآة إلا ويشعر أنه يرى شخص آخر .. شخص غريب عنه
.. يعنى النظر إلى الشعر المجعد المصفف للخلف بلا عناية , ويتفرد ملامح
وجهه الناتئة البارزة من فرط نحافة وجهه .. العينان غائرتان زائغتان على الدوام
, والهالات السوداء من حولهما لا تختفيان وقد ازدادت فى الآونة الأخيرة من
جاء عمله الليلي فى النايث شيفت .. الأنف حاد ومدبب والذقن عريضة مستديرة
.. طويل القامة ونحيف .. يتنهد سيد بعدما يدرك أن تلك الصورة المنعكسة فى
المرآة هى صورته هو .. يتسائل لماذا يعيش فى هذه الحياة , بل لماذا جاء إليها
أساسا .. ينتابه شعور باليأس والضيق والإحباط والكآبة .. فسرعان ما يهرب إلى
عالم الخيال وتسطع شاشة كبيرة براقعة أمام عينيه يرى فيها لقطات سريعة متعاقبة
للاعبى الأهلى يتناقلون الكرة باتقان ويسجلون الأهداف بمهارة , وتختتم المشاهد
بتسلم الميداليات ورفع الكؤوس .. الغريب أنه ليس واحد بينهم لا يستلم ميدالية
ولا يرفع كأسا , ولا حتى يتقاضى مليما واحدا , بل على العكس ينفق مرتبه على
تذاكر المباريات وشراء المجلات والصحف الرياضية .. ومع ذلك تتبدل الكآبة
بالبهجة والتعاسة بالفرحة ويشعر بنشوة ليجر جر قدماه ويتجول متابعيا المحلات
المغلقة فى أمان .. يتوقف سيد أمام أحد المحلات المغلقة وقد بقيت لمبة نيونية
واحدة مضاءة بداخل الفاترينة لدواعى الأمان .. فىرى سيد على ضوءها
الموديلات الخشبية المطلية بالأبيض ومعروض عليها ملابس داخلية نسائية ..
يتجول سيد بعينيه الزائغة لتنتثبت عينيه على صقم مثير من قطعتين : سوتيان
أسود شفاف يبرز المجرى بين النهدين وكيلوت يبعث على الشهوة عبارة عن
قطعة قماشية مثلثة تدارى ما بين الفخذين وباقى الكيلوت سير رفيع من القماش
يدور حول الوسط .. تحرك سيد مصطفى قليلا ومال بجزعه ويدها مشبكة خلف
ظهره ليتسنى له رؤية الكيلوت من الخلف , فرأى مجرد قطعة طولية تغطى
الفاصل بين الفلقتين بينما باقى المؤخرة يبرز بوضوح .. تبسم سيد حين شعر
بديبب الإثارة وسريان الشهوة .. على الفور يقوم خياله بتحويل الموديل الخشبي
لأنثى فاتنة من لحم ودم ليغرق سيد فى عالم لذيق ممتع حين يرى سيد نفسه
يحتضن حسناء بأسقة غاية فى الجمال يقوم خياله بتركيبها بذوق راقى , حيث
يضع وجه ليلي علوى بشفتيها المكتنزة على جسد غادة عبد الرازق مع استبدال
الصدر بثديي دوللى شاهين , وتركيب مؤخرة دلال عبد العزيز .. هكذا يحصل
سيد مصطفى على مبتغاه من الجنس الآخر .. يدور سيد وقد بدأت خطواته
تتسارع فى الطرقات بين المحلات فنسمع صوت حذائه يطرق بلاط الأرضية
الأملس الناعم , لكنه لا يسمع ذلك الصوت , فهو الآن مع الفاتنة بين زراعيه يلثم

ويقبل الشفاه المكتنزة , تتسارع أنفاسه وتعلو دقات قلبه .. يقبض بكفيه على ثدييها
العامرة الطرية فيبدأ قضيبه فى الإنتصاب .. يغلى جسده ويفور وهو يعرى الفاتنة
ويتمعن فى تحسس تفاصيل جسدها , جمح خياله فأرقدتها وأعتلاها بين فخذيهما ,
تملكته الغريزة وعبث به الشبق ولم يكن بدا سوى من أن يفعلها .. أسرع سيد
الخطا إلى الحمام وابتسم حين وجد عمال النظافة المعتادين على ترك حماما
واحدا مفتوحا كل طابقين من أجل أفراد الأمن .. لكنهم أحيانا كانوا يتركون حمام
النساء .. دخل سيد مسرعا وكما العادة نظر بداخل السلة البلاستيكية الموجودة
خلف باب المراوض ليجد ما اعتاد على رؤيته مرار .. الحفاضات النسائية
المدماة تملأ السلة .. جلس على التواليت فتنغدغ جلده لمجرد تخيله أن أنثى قد
جلست على ذلك الموضع من قبله ربما بساعتين أو أكثر , وقد استبدلت حفاضتها
وغسلت ما بين فخذيهما .. مد يده يمسك بحفاضة نسائية ومنظر دم الحيض عليها
يثيره .. لم يكن سيد يشعر بأية تقزز لأن تخيله للمنطقة بجسد الأنثى التى خرج
منها ذلك الدم كان ينخره بشهوة تتطغى على أى شئ آخر .. إلى جانب أن اللون
الأحمر الذى بات يملأ حياته أصبح مبعثا للبهجة .. أغمض عينيه وأمسك قضيبه
يدلكه بقوة متخيلا رفيقته الفاتنة أسفله تمتعه وقذف مهتاجا لتهدأ أنفاسه وينفثع
ضباب الشهوة .. خرج يتجول مجددا وشعر برغبة النعاس , فتنحى جانبا وتمدد
ملاصقا لأحد الجدران وقهره النوم بعد نشوة ما بعد اللذة , فاسترخى تماما ونام ..
ثم استيقظ مذعورا على صوت مشرف الأمن يصيح وهو يلكره فى كتفه
- إنت يا ابنى .. إنت جاي تشتغل ولا تنام .. دى تانى مرة ألقاك نايم .. ينفع
واحد بتاع أمن يسيب شغله وينام

يحاول سيد أن يستفيق لكن الصوت الهادر يخترق أذنيه وقد علت نبرته
- يعنى لو حرامى جه يسرق محل دلوقتى ولقاك نايم كده ودبحك بسكينة ..
هاتندرا بحاجة ؟ .. هاتجيبنا مصيبة وخلص

قالها مشرف الأمن وانصرف غاضبا .. بينما نهض سيد واتجه للحمام يغسل
وجهه ونظر فى ساعته التى جاوزت عقاربها الرابعة والنصف فجرا .. داهمه
الإحباط مجددا , وأمضى باقى ساعات العمل متيقظا حتى جاء زميله يستلم منه
الوردية فى السابعة صباحا .. وفى الغرفة المخصصة للأمن وبعدما استبدل سيد
ملابسه تلقفه مشرف الأمن قبل مغادرته يقول بصوت هادئ
- بص يا سيد .. انا عارف إنك شاب طيب وفى حالك .. بس أنا حذرتك قبل
كده إن شغلنا دا ما ينفعش تسهى فيه ولا تنام .. إنت كده يا ابنى ممكن
تجيب لنا مصيبة .. دا بقيت حسابك الشهر دا وربنا يكرمك فى شغلانة
تانية

حاول سيد الاعتذار لكن لا جدوى فقد سبق السيف العزل , وخرج من المول
منكس الرأس حزينا .. وحين عاد لمنزله , تمدد على السرير وأخرج الموبايل
يتصفح الرسائل الواردة من أصدقائه الأهلاوية على شاكلة
- الأهلى فى اليابان والزمالك فى التوهان .. الأهلى فى اليابان والزمالك
لابس الفستان .. الزمالك فى كل حتة عمال يشيل إخوان زى ما راح ميت

غمرة هيروح ميدان لبنان .. مع الأهل مش هاتقدر تغمض عينيك ومع
الزمالك نام ومدد رجلك واستغطى كمان

نسى سيد مصطفى فقدانه لعمله اليوم , وظل يتفحص الرسائل مبتسما ويرسل ما
يعجبه منها إلى أمجد ومعارفه الزمالكاوية ثم نام .

عكف سيد على البحث عن عمل خلال الأيام التالية , لكن مجهوده في الحصول
على عمل , لم يكن يضاهي مجهوده في تشجيع الأهل في المدرجات وترديد
التهنئات وحمل الأعلام ومرافقة الصحاب من روابط المشجعين , ولما قاربت
نقوده المتبقية من مدخرات عمله في الأمن على النفاذ كان عليه أن يذهب خلف
إعلان في أهرام الجمعة نصه (بمرتب مغرى 1000 ج شهريا مطلوب مندوبين
مبيعات) .. اتضح لسيد أن عليه أن يحمل حقيبة ممتلئة بالعبور والخردوات
والمستلزمات ويدور بها في الشوارع وعلى المقاهى والمحلات وأمام المارة في
الطرق ليقف أمام أحدهم قائلاً يدفق بالكلمات تباعاً

- ممكن دقيقة لو سمحت .. أنا مندوب شركة سيف جروب .. الشركة عاملة
عرض على برفان بوس الأصلي المستورد .. سعر الإزارة الواحدة عشرة
جنية بس الشركة منزلها بخمسة جنية بس , وكمان حضرتك لو أخذت
إزارتين تاخذ فوقهم واحدة هدية .. وكمان معايا طقم أقلام لو حضرتك
خدت إزارتين .. هاتأخذ واحدة هدية ومعاهم الأقلام بعشرة جنية بس
كان سيد كما دربوه في المكتب , يمد يده بالبضاعة بشكل يتوافق مع الكلمات ,
مما كان يجعل من يستمع إليه يبتسم ساخراً , وكثيراً ما كان سيد يقابل بجفاء من
قبل الجهلة وغالباً ما ينال بعض التريقة بسبب الطريقة التي جعلوه يحفظها ليتكلم
بها , ونادراً ما يجد من يستمع له ويشترى منه .. مرتبه الأساسى ثلاثمائة جنية
بالإضافة لنسبة من المبيعات .. وبعد مجهود خارق واللف والدوران في الشوارع
ليلاً ونهاراً في البرد والحر يتحصل سيد مصطفى على سبعمائة جنية .. صحيح
أنها أكثر مما كان يتقاضاه في عمله كفرد أمن .. إلا أنه يبذل مجهوداً خارقاً لا
يتحمله الكثيرون .. إعتاد سيد على الأمر وسبب ذلك أن عمله هذا لا يلزمه
بمواعيد محددة .. حيث يمكنه الذهاب إلى تدريبات الأهل بملعب مختار التيتش
أيما شاء ومتابعة المباريات والتشجيع في المدرجات وقتما يريد .. وحين يسنح
وقته يحمل حقيبته الكبيرة التي تنقل كتفه ويتجول في الشوارع ويرتاد المقاهى
والمحلات يبيع ويتكسب رزقه وقد إعتاد الصد والرفض والتريقة , فلم يعد يعبأ .

كان سيد متحرجاً في البداية من مزاوله عمله وسط أقرانه من المشجعين , لكنه
ذات مرة حمل حقيبته واتجه لمكتب الشركة ليملؤها بالعبور والأقلام وماكينات
الحلاقة وبعض الأدوات المنزلية الصغيرة .. ثم اتجه للإستاد لتشجيع الأهل في
المباراة على أن يذهب للتجول بعدما تنتهى , لكنه أثناء خروجه شاهد شاباً واقفاً
أمام باب الإستاد يبيع مثله , فتجراً ووقف بالقرب منه وفتح حقيبته وتمكن من بيع

الكثير .. شعر سيد بالحرص حين رآه زملائه المشجعون وهو يدلل على بضاعته ويعرضها أمام الجمهور ومنهم من لا يلتفت إليه أساسا وكأنه لا يسمعه .. وزاد حرصه وشعر بغصّة في حلقه حين وجدهم يقتربون منه وأحدهم يقول - إيه يا ابني إنت شغال مندوب مبيعات اليومين دول
إلتفوا حوله واشتروا كل ما معه .. فهذا يشتري عطور وذاك يشتري أقلام وهاك يبتاع ماكينات الحلاقة ومستلزماتها حتى تم إفراغ الحقيبة وتحصل سيد على الكثير من المال .. فى تلك الليلة لم ينم سيد مصطفى شاعرا بالذل والمهانة , لأنه أدرك أن أصحابه قد اشتروا بضاعته من باب الشفقة على حاله .. بكى سيد يتسائل , ماذا يفعل أكثر من ذلك ؟ .. وجد نفسه معدما فقيرا فتعلم ونال بكالوريوس التجارة .. فشل فى الحصول على وظيفة تناسب مؤهله لأنه لا يملك من يساعده فى ذلك .. ولماذا يشعر بالمهانة وأبوه قابع منذ سنوات عديدة أمام عربة الكسكى على ناصية الشارع بحوش العجر , ألم يشتهر فى المنطقة بسيد كسكى .. إذن لماذا يشعر بالمهانة , فليذهب البكالوريوس الذى حصل عليه إلى صحيفة الزبالة وليواصل حياته .

إزداد توحد سيد مصطفى مع عالمه الكروى بعدما أصبح مجال عمله مرتبطا أيضا بذلك .. يستيقظ مبكرا يتجه لمكتب الشركة يملأ الحقيبة ويتجه لملاعب مختار التيتش , يتابع تدريبات الأهلى ويتجول بين المشجعين فى المدرج يدلل على بضاعته ويبيع قدر ما يستطيع .. تطور أداء سيد كثيرا على مدار الأيام التالية حيث يبيع فى الإستاد وخارج الإستاد وقبل المباريات وبعد المباريات , وأضاف إلى مبيعاته ما يتعلق بالتشجيع من أعلام وقبعات فى مباريات الأهلى وحتى المنتخب .

تعلم سيد كيف يكون له عمله الخاص فقد تمكن من معرفة من يموله بالبضاعة بأسعار أرخص من الشركة فتركها , وتضاعف دخله كثيرا وأصبح يتحصل على ما يقارب الألفين من الجنيهات شهريا .. وتعلم آليات البيع والشراء ودهاليز السوق السوداء , فكان يبيع تذاكر المباريات الهامة بأضعاف أسعارها , فيحظى بوفير المال وإعتاد على إدخاره .. إرتبط عشق سيد مصطفى للكرة والأهلى بجنى المال , ولم يعد يشعر بكبت ولا إحباط .. لكن هدف حياته وغايته ومصدر سعادته ألا وهو الأهلى , قد شابه بعض التغير , لم يعد سيد مصطفى يدخل فى جدالات محمومة مع أصدقائه الزمالكاوية , بل لم يعد يشعر بمرارة ويبكى إذا خسر الأهلى بطولة .. لم يصدق أحد من أصدقاء سيد بل اندهش سيد نفسه حين أحس بمجرد حزن وضيق عندما خسر الأهلى دورى أبطال أفريقيا فى نهائى دراماتيكى أمام النجم الساحلى التونسى بالهزيمة بثلاثة أهداف مقابل هدف فى استاد القاهرة .. ولم يغلق موبايله وظل يتلقى الرسائل والمكالمات والرنات الشامتة من الزمالكاوية .. ويجلس على مقهى الطيبين مع أمجد وزيزو وجميع زمالكاوية المنطقة يتلقى معاييرهم وشماتتهم سعداء منتشين .. بينما لا يشعر سيد

سوى بحزن وضيق لا يضاهى ما كان يمكن أن يشعر به لو خسر الأهلي البطولة فى العام الماضى أمام الصفاقسى .. كذلك نتائج الزمالك المتدهورة التى حرمت جماهيره من الفرحة جعلتهم يفرحون لهزيمة الأهلي أكثر من فرحتهم لفوز الزمالك بمباراة .. فلا عجب أن يرى سيد مشجعى الزمالك فى المنطقة يخرجون سعداء فرحين مهللين يحمل بعضهم أعلام تونس , بل قام الحاج حلمى كبير الزمالكاوية فى منطقة مصر القديمة وصاحب محلات الألبان المعروفة بالمنطقة بتوزيع علب الأرز باللبن والمهلبية إبتهاجا بخسارة الأهلي للبطولة الأفريقية .. وفى هذه الليلة تمدد سيد مصطفى على سريره وتخيل ميتسما ماذا كان يمكن أن يحدث لو حدث ما حدث الليلة ولكن فى العام الماضى .. حتما لكان الآن يبكى مقهورا حزينا يعتصر الألم قلبه , وتنتزع المرارة حلقه , وكان يهيم فى عالم الأحلام متخيلا لو لم يظلم الأهلي فى مباراة الذهاب ويحرم من ضربة جزاء تحولت لإنذار لمحمد بركات حرمته من اللعب فى مباراة العودة ليخسر الأهلي جهوده الفائقة , وسيتخيل لو احتسب الحكم المغربى الظالم العرجون واحدة من ضربتى جزاء للأهلى , ولو لم يخطئ مساعد الحكم فى إحتساب إنفراد للأهلى على أنه تسلل , وكل ذلك والأهلى يلعب بعشرة لاعبين ويمنى مرماه بهدفين فى نهاية المباراة .. لكن سيد لم يتخيل ذلك وحاول هو البحث عن السبب فوجده حين نظر إلى الحقيبة على طرف السرير .. نهض وفتحها وعد ما بها من نقود أيجدها خمسة آلاف من الجنيهات هى حصيلة البيزنس الذى قام به على مدار الأيام التى سبقت المباراة وكذلك يوم المباراة من حصيلة بيع التذاكر فى السوق السوداء , وبيع الأعلام ومستلزمات التشجيع .

وتمر الأيام ولم يعد سيد مصطفى يحمل حقيبة كبيرة ويدل على بضاعته , بل تحول إلى بيزنس مان .. رجل أعمال من نوع آخر .. لم يعد هدفه هو التشجيع والتوحد فى عالم الكورة والأهلى , بل بات هدفه جمع المال .. صار له مجموعة من الأعوان يعملون لديه , وأصبح على صلات وثيقة بتجار الشماريخ والأقمشة .. وأصبح هو دينامو روابط التشجيع والألتراس , ليس فى الأهلى فقط بل تمكن من صنع صلات برابطة الوايت نايتس الألتراس الزملاوى حيث يقوم بتزويدهم بالأقمشة لصنع اللافتات والدخلات الخاصة بالمباريات , وبأسعار أقل مما يمكن أن يحصلوا عليه بعيدا عنه .. كذلك يزودهم بالشماريخ التى يشعلونها إبتهاجا فى المدرجات .. وظل يجنى المزيد والمزيد من المال .. قام سيد بشراء شهادة استثمار بما جمعه من مال بمبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه فى بنك مصر على كورنيش النيل بجوار منطقته مصر القديمة , وعزم على تجميع ما يدخره ليودعه فى البنك .

تبدلت أحوال سيد مصطفى فأصبح يرتدى ملابس أنيقة وساعة ثمينة , يحمل موبايل متطور حديث ولا يدخن سوى سجائر المريت , وبات ذو صلات وعلاقات بيزنس مع من حوله من روابط والمشجعين .. إشتري لاب توب

مستعمل طراز acer TM 4000 بألف وخمسمائة جنيه من أحد أعضاء الوايت نايتس الزملاوى يدعى شريف حافظ ويقطن فى حى الزمالك وهو حلقة الوصل بين سيد ومشجعى الزمالك من أجل الحصول على الشماريخ والأقمشة وارتبط سيد بشريف بعلاقة غلغها الإنتماء للأهلى والزمالك .. يتبادلان النكات والقشات والمعايير والجدالات حول الأهلى والزمالك .. ومن خلال الإنترنت تعلم سيد وأصبح نزيلا دائما لمنتديات الجماهير والمواقع الرياضية ويتواصل مع زملائه من المشجعين بالساعات .. ابتسمت الحياة فى وجه سيد لكن ما كان يؤرقه هو أسرته وعمل أبيه بائع الكسكى , فلم يعد سيد يرضى بالإستمرار فى بيت أبيه .. أوهم أسرته بأنه حصل على عمل فى فندق كبير فى شرم الشيخ وأنه سيسافر للعمل هناك وسيحضر لزيارتهم يوما فى الأسبوع .. هكذا تخلص سيد مصطفى من بيئته القديمة , واستأجر شقة صغيرة من غرفة وصالة بالحي السابع فى مدينة نصر .. يخرج إلى النادى الأهلى ويزاول عمله ويجنى المال ثم يعود ويقبع أمام اللاب توب .. له قائمة المفضلة فى الإكسبلورر .. لا تحوى سوى المواقع والمنتديات الكروية : يلاكورة , فلجول , سوبركورة , الأهلى دوت كوم , أهلى نيوز , أهلى ديفلز , أهلى فور إيفر , ألتراس أهلاوى , زمالك فانز , زمالك تى فى , ياللازمالك , زمالك هوم , إسماعيلى أون لاين , منتديات كورة مصرية .. يتابع سيد الأخبار ويشارك فى المنتديات ويتراشق بالألفاظ وينقل الكليات الأهلاوية الساخرة على الزمالك ردا على كليات الزمالك الساخرة على الأهلى .. فبعد إهانة فاكهة الرياضة المصرية مرتضى منصور لجماهير الأهلى ورموزه خرج كليب مدرسة المشاغبين للتريقة على الزمالك ومرضى , ورد الزملاكووية بكليب الهلال والنجمة للشماتة فى خسارة الأهلى من الهلال السودانى والنجم الساحلى التونسى .. ويتم تبادل الكليات والصور المسيئة هنا وهناك .. لم يكتفى سيد بذلك بل يحرص على متابعة البرامج الرياضية فى القنوات الفضائية التى انتشرت فى الآونة الأخيرة , حيث أصبح الوسط الرياضى ميدانا خصبا لجذب إهتمام الشباب والمهوسين بالكرة والتشجيع لجلب الرعاية والإعلانات حبوا وراء المال .. فيتنقل بين البرامج الرياضية , ويحرص على عمل المداخلات الهاتفية فى البرامج تعليقا على الأحداث الجسيمة والأمور الجلل التى لا تخلو منها الساحة الرياضية , فى فوضى إنتقالات اللاعبين وكنافة اللوائح ومهلبية التحليل الكروى والإنتقادات .. هكذا كانت مركب سيد مصطفى تسبح فى بحر الحياة , لكنه كثيرا ما كان يحتاج إلى تطرية حياته ببعض النشوة .. فيعكف لساعات على تصفح المواقع الجنسية وتحميل مقاطع البورنو ويعيش فى الخيال الذى يقوده فى النهاية لتدليك قضيبه ليقتذف نطفته المكبوتة , وقد يفعل ذلك أكثر من مرة أثناء إندماجه فى مشاهدة صور ومقاطع عديدة , حتى يخبو جسده ويتخلص من كبته .. لكنه ذات مرة لمعت الفكرة فى رأسه : لماذا لا يأتى بمومس ينيكها ؟ بدلا من ضرب العشرات على مقاطع السكس كل بضعة أيام ؟ .. سؤال وجيه يحتاج إلى جواب .. يعيش سيد وحيدا وكافة الظروف مهياً ليفعل ما يشاء ؟ .. فما الذى يجبره على ألا يشبع غريزته بالطريقة الطبيعية ؟ .. صحيح أنه يمكنه الزواج الآن , لكن

فكرة الزواج تحتاج إلى تأجيل , فهو لازال يبحث عن جمع المال وعدم تبديده في تكاليف الزواج من جهة .. كذلك لم يصادف من تستهويه ويجد نفسه مدفوعا للزواج بها من جهة أخرى .. فقرر سيد أن يمارس حياته الجنسية بشكل طبيعي حتى يتزوج , لكن من أين سيأتى بتلك العاهرة لينيكها , لم يعرف فى حياته واحدة منهم .. فقط كان يسمع عن بعضهن فى منطقته التى هجرها ويزور أهله يوما أو اثنين كل شهر .. ولا يعرف صديقا يدلّه على شقة دعارة أو مومس .. يسمع فقط عن أنهن يرتادن أروقة الفنادق والبارات للحصول على الزبائن , لكن أين تلك الأماكن .. ظل سيد يفكر , وتذكر تلك الإعلانات الموجودة على المواقع الجنسية .. ورغم عدم قناعته بأنها وسيلة آمنة إلا أنه قرر التجربة , مجرد إستطلاع .. قرأ سيد إعلان فى أحد المنتديات نصه (شراميط للنيك : دوحة السعر من 100 - 150 جنيه حسب النظام .. أم عمرو حامل 100 جنيه .. بسنت من القاهرة 100 جنيه نيك فى الكس و 150 مص ونيك فى الكس و 200 نيك فى الكس والطيز و 250 مص ونيك كس وطيز) .. لم يكمل سيد باقى الإعلان , فقد أعجبته بسنت من دقتها فى تحديد الأسعار وأمسك الموبايل يتصل بالرقم وتعهد سيد عدم البدء فى الحديث إلا بعدما يسمع المتصل به .. وبالفعل سمع سيد صوتا رجاليا خشنا , فأغلق الخط مرددا

- كده يا بسنت

إتصل ثانية بأم عمرو , وأتاه صوت أنثوى ناعم

- الو

- الو .. ممكن أكلم أم عمرو

- لأ النمرة غلط

- طب أنا متأسف

قبل أن يتم سيد جملته الأخيرة , كان الخط قد أغلق فى وجهه .. كرر المحاولة مع رقم ثالث وأتاه صوت رجالي فأغلق الخط مسرعا .. وفى المكالمة الرابعة أتاه صوت أنثوى مثير وسمع بنبرة مبحوحة

- الو

- الو ممكن أكلم شيرين

- شيرين مين ؟

تلعثم سيد قائلا

- شيرين اللي كانت سيكرتيرة فى ...

قاطعها الصوت الأنثوى

- إنت بتتصل تعاكس وكمان مش عارف تعاكس

أدرك سيد أنه قد وصل لمبتغاه فقال مبتهجا

- أصل شيرين وحشتنى وقلت اتصل أظمن عليها

جاءه الصوت أكثر بحة ودلالا

- أنا مش شيرين .. أنا هدير .. تحب تظمن عليا ؟

- أكيد

- أنا كويسة .. إنت عامل إيه ؟
- تمام
- طب عاوز إيه ؟
- عاوزك
- هيبيبيبيبيببيبي .. يا قليل الأدب .. يعنى إيه عاوزنى دى ؟
- قالتها بنبرة دلالة وصوت متقطع جعل قضيبي سيد يتملكه التتميل
- أصل أنا وحيد .. وكنت عاوزك تيجي تونسيني شوية
- وحيد !! .. يا حرام .. قطعت قلبي خالص .. تعرف إنك صعبت عليا أوى
- هاعمل إيه .. نصيبي فى الدنيا كده
- خلاص لحسن أعيط .. معلىش ما هو لازم الواحد يرضى بنصيبه .. دا قدر ومكتوب
- طب ما تيجي
- آجى فىن ؟
- عندي هنا .. أنا عايش أصلا لوحدي
- وهاعملك إيه يعنى ؟
- المسائل تعبانة وعايزك تريحها
- سمع سيد ضحكة تجمع بين الرقة والمیوعة أضفت على الحوار بعض اللذة ثم قالت
- وعايزنى أريحك إزاي
- تنهد سيد وقال
- أصل عاوز أنيك و....
- قبل أن يكمل جملته قاطعه الصوت محتدا بعنف
- ما تكلمنيش بالطريقة دى .. إنت باين عليك سافل
- قالتها وأغلقت الخط مما أغضب سيد وردد لنفسه
- إيه بنت المتناكة دى .. هو شغل عيال ولا إيه
- وعزم على الإتصال بها وتوبيخها لأنها أغلقت الخط فى وجهه .. اتصل بها فلم ترد .. عاود الإتصال فانفتح الخط وإنطلق صوتها
- لو سمحت ما تتصلش بيا تانى .. أنا غلطانة إنى اتكلمت معاك .. أنا مش واحدة من إياهم
- رد سيد بغضب
- أمال الرقم دا أنا لقيتته على موقع سكس إزاي
- أكيد واحدة صاحبتى قليلة الأدب حطت رقمى عشان تضايقتنى
- خلاص يا ستى ما تزعليش .. إدينى رقم صاحبتك قليلة الأدب اتصل بيها
- تجيني
- ردت هدير بغضب
- وأنا مالى
- تنهد سيد وقال بزهق

- بصى يا هدير .. من الآخر أنا كنت بادور على واحدة أنيكها ولقيت الرقم
دا تحت إعلان فى موقع سكس .. إنت إيه نظامك بالظبط ؟

- لأ أنا مش كده .. أنا بنت متحررة ليا اصحاب كتير , واللى بارتاح معاه
ممكن نمارس الجنس مع بعض .. بس أنا مش مومس .. أنا مش فاهمة إزاي
واحد يقدر يمارس الجنس مع حد ما يعرفوش
قاطعها سيد بضيق وحنق

- خلاص خلاص .. فرصة سعيدة .. سلام
قالها وأغلق الخط ضاحكا .. قارب الوقت على التاسعة مساء .. لم ينجذب سيد
لمتابعة التليفزيون ففكرة جلب عاهرة استحوذت على تفكيره , مما دفعه إلى
الخروج بحثا عن واحدة , وفى الطريق جاءه إتصال من قيادات أحد روابط
المشجعين يقول

- إيه يا ابو السيد .. جهزت الشماريخ ولا لسه ؟ .. ماتش الإسماعيلي
خلاص مش هابتأجل وهايتلعب بعد يومين

رد سيد

- الأمن واخد باله ومشددين على الشماريخ اليومين دول من ساعة شرومبو
الزفت ما حطنا فى دماغه .. جمهور الزمالك يشتمه ولما يطلب منا ندافع
عنه وما نرضاش .. راح محرض علينا الأمن
- طب وبعدين .. هانعمل إيه ؟
- فى ناس هيجيبوا الشماريخ من السويس .. وهابلغك بكره بالوضع

- أدرك سيد بعد هذه المكالمة أن عليه السفر للإسماعيلية الآن لتدبير أمر
الشماريخ حيث لن تتأجل المباراة ولا يوجد أمامه سوى يومان .. فعاد إلى
شقتة مسرعا يجهز حقيبته للسفر .

حشد كبير من الناس يتجمعون يشجبون وينددون ويطالبون بالقصاص للطفل
الصغير الذى ذهب روحه ضحية الإهمال , وذلك بعدما سقط فى بيارة المجارى
الخاصة بالصرف الصحى فى قرية سرايوم التابعة لمدينة فايد بمحافظة

الإسماعيلية , وخرج مسؤول أمن القرية يهدئ من الجماهير الغاضبة واعدا بتقديم المسؤول عن الفاجعة إلى المحاكمة , فكيف تظل بيارة الصرف الصحى مفتوحة بلا غطاء , وعامل الصرف الصحى المسكين الذى تركها هو القاتل المتهم بقتل الطفل الصغير غرقا فى المجارى .

وليس ببعيد عن ذلك المكان .. هناك فى تل المسخوطة التى سميت بهذا الاسم حين عثر عمال الحفر بالمنطقة على تماثيل صغيرة وظنوا أنهم أناس تم سخطهم قديما وباتوا مساخيط , ثم تحول اسم المنطقة إلى قرية أبو صوير .. فى تلك القرية كان هناك حشد كبير من الناس لا يقل عن الحشد الذى كان بالقرب فى قرية سرايوم , ولكن هذا الحشد لم يكن غاضبا بسبب زهاء روح نتيجة الإهمال , وإنما كان الحشد لأمر جلل وعظيم , وهو توقيع لاعب الكرة الإسماعيلوى حسنى عبد ربه ابن قرية أبو صوير للعدو الأهلاوى .. فاجتمع الحشد يحملون نعشا فارغا وعليه صورة لاعب الكرة يريدون أن يثاوه الثرى .. لكن بكاء أهل اللاعب وتدخل أولاد الحلال أدى إلى تهدئة الأمر العظيم , وبدأ الجمع فى التفرق لتهدأ المنطقة .

أثناء ذلك كانت ريم سعيد تسخر فى نفسها مما تراه .. عاشت ترى الناس من حولها مدلهين بكرة القدم وعشق نادى الإسماعيلي , لكنها تشعر أنهم أشبه بمخبولين .. ولدت ريم فى قرية أبو صوير وحين كانت تدرس الإعدادية وتعمل مع أسرتها فى زراعة المانجو .. ضاقت بفقرها وتصادقت مع شيرين أثناء دراستها فى المدرسة الصناعية بعدما فشلت فى الحصول على مجموع يؤهلها للثانوية العامة .. وكانت شيرين تنزعم مجموعة من الفتيات عرف عنهن فى المدرسة أنهن داعرات يتميزن بالشعور المسدلة بلا حجاب , وأزرار القمصان البيضاء العلوية مفتوحة لتبرز الأثداء .. وبدلا من أن يقوم المدرسون بنبذ شيرين وشلتها , دخلوا معهن فى علاقات جنسية بداخل حمامات المدرسة .. لم يكن لريم سعيد هدف من حياتها حيث لم تجد القدوة التى توجهها فى هذه المرحلة , وأسرتها البائسة إنفرط عقدها فلم يعد يدرى أى من أفرادها بحال الآخر .. اندمجت ريم مع شيرين وشلتها , وفى أحد حصص الألعاب كانت ريم وشيرين وباقي الشلة يتمددن على الرمال بحوش المدرسة والأفخاذ منفرجة والجيبات منحسرة لأعلى فى منظر دفع قضبان المدرسون إلى الإنتفاض .. وتسلى كل مدرس بوحدة إلى الحمام .. تمنعت ريم فى البداية حرصا على شرفها حين طلبها أحد المدرسين , لكن تشجيع شيرين من جهة وإعطاء المدرس لها بعض المال من جهة أخرى , جعلها تستسلم , وسرعان ما اندمجت ريم سعيد فى هذا العالم .

بعدها حصلت ريم على الدبلوم , كانت بين الحين والآخر تخرج بصحبة شيرين لاستقطاب الزبائن من على شواطئ فايد المطلة على البحيرات المرة والتي حظت بأهمية كبيرة نظرا لأنها أقرب المصايف للقاهرة , لذا اشتهرت مدينة فايد

بأنها مصيف اليوم الواحد , مما جعل غالبية روادها من الشباب وتندر العائلات عدا موسم الصيف .. جعل ذلك ريم وشيرين يتمكننا من الحصول على الزبائن من الشباب بسهولة وأمان , فبعد إنقضاء اللقاء الذى يكون دوما فى السكن المستأجر بالقرب من الشاطئ .. تنقطع الصلة بينهما وبين الرفقاء , وبالطبع ذلك أفضل من ممارسة الدعارة فى قريتهما ومع من يمكن أن يفشى أمرهما .

تصادقت ريم مع المحامى الشاب مرسى عويس ذو القميص المكرمش والملاح الريفية التى تكسو وجهه النحيف المثلت , بعدما كان مجرد زبون عندها تمارس معه الجنس فى مكتب الحماماه الخاص به , وذات مرة تفاجأت ريم حين سمعت مرسى يقول لها

- البت اللي كانت شغالة عندي سابت المكتب عشان هاتجوز .. أنا هاشغلك عندي لإنك مش معروفة هنا فى المنطقة .. بس مش عاوزك تتناكى من حد غيرى تانى .. وهاروح أكلم أهلك إنك هاتبقى مقيمة هنا فى المكتب وهاعرض على أبوكى إنه هو اللي هايقبض منى مرتبك وده هايخليه يوافق

بالفعل حدث ذلك , وسعدت ريم لأنها ستبدأ حياة جديدة .. الأستاذ مرسى عويس نادرا ما يحظى بقضية تجعله يرتاد أروقة المحاكم , فقد كان دخله كله يعتمد على السمسة وتوثيق عقود الشقق التى يشتريها أو يستأجرها القاهريون فى مصيف فايد , وكان مسكنه هو مكتب الحماماه الخاص به وشاركته ريم الحياة فيه .. تعلمت ريم سعيد على يد مرسى استخدام الكمبيوتر والإنترنت , ومع مرور الوقت وتوطد أواصر العلاقة الحميمة بينهما , اكتشفت ريم أن مرسى يتاجر فى الترامادول واكتسب مرسى الثقة فى أن تحضر ريم إتفاقاته مع من يطلقون على أنفسهم مندوبى المستورد

- بس كده يبقى غالى أوى يا مرسى

يشعل مرسى سيجارته ويرد متحمسا

- وهو فى تراماجاك فى السوق .. كل اللي موجود مضروب .. إنت هاتأخذ العلبة على 75 جنيه وتنزلها للصيدلية بـ 100 .. والصيدلى اللي مش عاجبه يبقى يدور هيلاقى فين .. ما هو الشريط بيتباع للزبون بـ 15 جنيه

- طب والتامول الميتين الأصلي على كام دلوقتى ؟

رد مرسى مضيقا عينيه

- الأصلي الـ 225 المغلف اللي الحباية بتاعته ما بنتفرولش عامل دلوقتى

185 للعلبة , والقديم بس ده مش نضيف أوى بـ 150 .. ولو عايز تيدول

أصلى هاحسيبهولك على 160 بس

عقار الترامادول يعمل كمسكن مركزى , لكن طريقة عمله بداخل الجسم التى تشبه الأفيون حيث يمنع المادة بى (substance p) التى تلعب دورا رئيسيا فى عملية نقل السيال العصبى والإحساس بالألم .. جعلت عقار الترامادول يحظى بتأثير تخديرى فيجعلك لا تشعر بألم ولا إجهاد ولا برد ولا حر , فتحس بالنشاط والقدرة على مواصلة العمل بلا توقف ولا احتياج للنوم .. عندما تم إقرار إستخدام عقار الترامادول دوائيا كان الغرض الأساسى هو حل مشكلة المورفين الذى يستخدم كمسكن للألم الرهيب الذى يعانى منه مرضى السرطان , حين يحدث التعود العصبى على المورفين فيقل تأثيره , فكان يتم اللجوء فى هذه الحالة إلى الترامادول رحمة بالحالات الحرجة .. لكن الإحساس بالنشاط الزائد عند استخدامه , أدى إلى إتساع دائرته مع الوقت .. وبات عقار الترامادول فى مصر يستخدم على نطاق أوسع من واسع كما لو كان أسبرين .. الترامادول ليس منشطا فهو على العكس مخدر , لكن التأثير التخديرى للشعور بالألم أو التعب هو ما يعطى الإحساس بالنشاط .. وبالطبع كان لابد للتأثير التخديرى للترامادول أن ينعكس على العملية الجنسية بتقليل رد الفعل العصبى للمثير الجنسى وبالتالي يؤدى إلى إطالة العملية الجنسية بتأخير القذف .. وأمر كهذا بالنسبة لغالبية المصريين يجعلهم فى أشد الحرص على إقتناء الترامادول , وتبادله بين الأصحاب .. وفشلت كالعادة وزارة الصحة فى إحتواء تنامى إستخدام الترامادول المتزايد بين المصريين , فلجأت إلى تحويله من الجدول الثانى إلى الجدول الأول بغباء متناهى , حيث سيتم معاملته خلال صرفه للصيديات ومن ثم للمرضى كما المورفين والبيثيدين ومثيلاتها .. أى أن صرفه يستلزم روصته مختومة وممهورة وعلى الصيدلية الإحتفاظ بصورة من الروشة فى دفتر خاص يتم منابعته بتفتيشات دورية من وزارة الصحة .. وبتحريك الطعون على القرار , عاد بالطبع الترامادول للجدول الثانى لعدم ثبوت المواصفات العلمية التى تجعل تصنيفه يرقى للجدول الأول .. لكن خلال فترة وجود الترامادول فى الجدول الأول , نشطت بالطبع السوق السوداء وقفزت أسعار الترامادول بشكل جنونى , قبل أن يتفقق العقل المصرى الفولاذى الذى لا يعترض طريقه شئ عن جلب الترامادول من خارج مصر وبالأخص من الهند وباكستان وسرعان ما دلت الصين بدلوها فى الأمر .. فلا عجب أن يمتلأ السوق المصرى بما يسمى الترامادول المستورد الذى يتم تهريبه إلى مصر على شكل أقراص بيضاء وحمراء وكبسولات خضراء ثم يتم إعادة تغليفه فى شقق بمناطق نائية .. حيث يصل إليها الأقراص والكبسولات والأغلفة ويتم إعادة تعبئتها وتغليفها .. والطمع يدفع إلى التلاعب فى المحتوى فيظهر ترامادول مضروب قليل الفاعلية وآخر ليس له علاقة بالترامادول .. فالشباب الراغب فى السطل لن يحصل عليه من الترامادول إلا بجرعات كبيرة , مما دفع المنتجين إلى صنع تقليد للترامادول لكنه يحوى مشتقات عقاقير البنزوديازيبين المهدئة , ويخرج منها الترامادول ليملاً مصر , ولم يقتصر بيعه على الصيدليات فقط .. بل امتد ليشمل مقاهى المناطق الشعبية وحتى العاطلون يبيعون الترامادول من منازلهم .. وبدأ المصريون يتسابقون فى تعلم

الطرق والوسائل الكافية لتمييز الترامادول الأصلي عن المضروب قبل شراؤه ..
وبات إستخدام الترامادول من أجل الجنس والتنشيط الزائف متوغلا فى كافة
طبقات المجتمع .

إعتاد مرسى عويس على التعامل مع مالك المصنع السرى النائى بسر ابيوم فى
جلب كميات كبيرة من الترامادول إلى مكتبه , مستغلا هدوء المنطقة فى الشتاء
لتوزيع الترامادول بأنواعه على مندوبى المستورد اللذين يجوبون صيدليات
الإسماعيلية لبيع الترامادول لها .. إلا أن المكسب الوفير كان يأتى حين ينشط
مرسى وأتباعه فى إستاد الإسماعيلية لبيع الترامادول بسعر الجمهور فى
المدرجات مستغلا ريم فى إخفاء شرائط الترامادول تحت طيات ملابسها التى لا
يطولها التفتيش الأمنى .

كانت ريم تشعر وكأنها زوجة لمرسى تعنى بشؤونه وتساعده فى عمله , ومرت
سنواتها معه على نفس المنوال , وعندما وصلت ريم للثلاثين من عمرها كانت
تصبو إلى أن تصبح أما , وطلبت الزواج من مرسى الذى رفض مفضلا عدم
ربط حياته بها بصفة رسمية , متعللا بعدم قدرته على تحمل مسؤولية أبناء , مما
دفع ريم إلى أن تنازعا رغبة دفينه فى أن تتخلص من حياتها تلك وتبدأ حياة
جديدة , لكن كيف ذلك ؟ .. لا تعرف فى حياتها سوى مرسى وتجارة الترامادول

..

بعدها جنى مرسى المال الكافى ليتزوج , كان عليه أن يتخلص من ريم سعيد بعد
سنوات عاشتها معه وقد بلغت الثلاثين من عمرها , لكنه لم يلقى بها فى الشارع ,
بل ساعدها فى أن تقيم بشقة خالية من الشقق التى يؤجرونها فى موسم المصيف
.. انهارت ريم نفسيا بعض الوقت وشعرت بأنها لا تساوى شيئا , فها هو من
عاشت معه سنوات وأراد أن يحظى بحياة أسرية , ألقى بها زاهدا فيها ليتزوج من
أخرى لم تمنح جسدها لرجل .. وتمضى حياة ريم التى قررت أن تعمل مندوبة
مستورد فى شكل جديد لم يعتاده الصيادلة , حيث تخرج حاملة حقيبة جلدية كبيرة
وتجوب صيدليات مدن الإسماعيلية , وحين تدخل ريم للصيدلية وتقول
- أنا معايا أدوية مستوردة

تقولها ثم تفتح حقيبتها الكبيرة الممتلئة بالمنشطات الجنسية من فياجرا وجاجوار
وكوبرا والبنادول والرديان مساج والمنتجات الصينية مثل شداد القوة وماكسيمان
وغيرها , وجميعها قد تضائل استخدامها بعد ظهور المنشطات الجنسية
المرخصة المعلن عنها فى التلفزيون .. لكن أى مندوب مستورد عليه حين
يتعامل مع صيدلية للمرة الأولى أن يكون ذلك مجاله قبلما يتلقى السؤال المتوقع
كما سمعته ريم

- بنشغلى فى الترامادول

تجيب ريم

- آه .. ممكن أجيبك اللى تحتاجه

- على كام عندك التامول ميتين .. والترامادول رويال الأخضر
- ترد ريم بجدية
- التامول أنزولهولك على 160 , والرويال على 80
- ورغم أن أسعار ريم مميزة إلا أنها حتما ولا بد أن تسمع التعقيب القائل
- ياه .. إنتى أسعارك غالية ليه كده ؟
- أبدا ما حضرتك عارف إن ده أرخص بكثير

وجدت ريم أنها مميزة بحكم كونها بنتا فى هذا المجال الرجالى .. واستغلت ذلك جيدا بتسخير صوتها الناعم المثير ونظراتها الجريئة بالطبع , حينما يتحرش بها أحد العاملين بصيدلية قائلا

- معاكى المنشط الحريمى نقط إسبانيش فلاى
- ترد ريم مسرعة مصوبة سهام عينيها بجدية
- يا ريت .. كل اللى فى السوق مضروب .. بس معايا نقط تانية مفعولها ممتاز وأصلية

قالتها وهى تخرج علبة صغيرة مرسوم عليها صورة لإمرأة عارية عدا جورب أسود يصل لركبتيها , ولها جسد لامع براق وجذعها منحنى للأمام فيندلى ثدياها وعلى وجهها ابتسامة مثيرة مشرقة .. ومن الناحية الأخرى للعلبة توجد صورة إمرأة بجسد ممتلى ووجه ضاحك وشعرها أشقر مبعثر على كتفيها , وقد جلست مابعدة بين فخذيها واضعة كفها على النصف الأعلى من كسها .. وتسمع ريم السؤال

- ودى مفعولها كويس ؟ .. عشان فى زبونة جربت كذا حاجة ومافيش نتيجة
- ترد ريم مسرعة
- لأ خليها تجرب دى على ضمانتى
- على ضمانتك إزاي يعنى
- تسرع ريم تقول بدلال
- أنا جربتها ومفعولها هايل
- إنتى متجوزة ؟
- لأ .. بس أنا لازم أجرب بضاعتى قبل ما أبيعها عشان تكون حاجة مضمونة

علت الضحكات ونهض صاحب الصيدلية يتدخل فى الحوار سائلا

- ودى بكام ؟
- دى بـ 25 وسعر جمهورها 50
- بس دى غالية
- غالية إيه !! .. دى الصور اللى على العلبة لوحدها بخمسين جنيه

الطريقة المرححة التى نطقت بها ريم جملتها الأخيرة .. دفعت الجميع إلى الضحك وصفت ريم بكفها فى كف الصيدلى الذى سألها

- ودى استخدامها إزاي ؟
- ردت ريم على الفور بابتسامة جميلة
- الزبونة تاخذ عشر نقط على كوباية عصير قبل الجماع بساعتين .. وتدهن زيهم تحت منها قبل الجماع بربع ساعة .. بس قولها إنه هایلسها من تحت شوية بس فى الأول
- تعالى الضحكات ويقول الصيدلى
- الستات اللى بتيجى تسأل على منشطات جنسية حريمى قليلين .. الرجالة هى اللى بتطلبها عشان تحطها للستات فى العصير .. موضوع إنها تدهن من تحت مش هاینفع
- قاطعته ريم تشرح
- هو شرب النقط هاجيب نتيجة .. بس لما تكون واحدة هى اللى عايزة إبقى قول لها تدهن عشان يبقى المفعول أحسن
- طب هاتى دسطة

هكذا إعتادت ريم سعيد على تسويق بضاعتها , وكانت تبدو لجميع من حولها تلقائية مرحة ودودة .. ولم تعد ريم تسعى لفتح تعاملات مع صيدليات جديدة , فقد كان الموبايل لا يتوقف عن الرنين من عملائها من الصيادلة يطلبون المنشطات والترامادول والأدوية المستوردة التى تجلبها ريم من مرسى عويس .. ظلت ريم تعيش وحيدة عدا زيارات صديقتها شيرين التى طورت عملها فى الدعارة إلى البحث عن زبائن جدد على الإنترنت , لكنها لم تكن تفقه فيه كثيرا , لذا كانت تجلس إلى ريم أمام الكمبيوتر حيث تتولى ريم وضع إعلانات لشيرين على المنتديات الإباحية , وتتطور الأمر ذات يوم لتطلب شيرين قائلة

- بت يا ريم .. عاوزاكي تصورينى عريانة بالموبايل من غير ما يظهر وشى ونحط الصور دى ع المواقع .. إغراء يعنى .. عشان العيال يهيصوا ويتصلوا بيا

عكفت ريم على تصوير شيرين بكاميرا الموبايل , أولا بقميص النوم ثم بالبانتي والبرا ثم عارية , واندمجت ريم فى إلتقاط الصور كمصور محترف بتوجيه شيرين إلى إتخاذ الأوضاع المثيرة , وقالت

- يا بت فلقسى شوية عشان طيزك كده باينة صغيرة
- تنفذ شيرين التعليمات ويتم إلتقاط الصورة
- ياللا إفتحى طيزك عشان الخرم بيان
- تفعل شيرين , ولكن ريم تصيح مندهشة
- إيه المنظر ده ؟ .. مش تبقى تحلقى الشعر اللى جوا فى طيزك ده !
- ردت شيرين تضحك بميوعة وتقول
- ياخنى دا هو دا اللى عامل جو مع الزباين

نجحت الفكرة بعد رفع الصور على الإنترنت باسم شيرين من الإسماعيلية , مما دفع شيرين لأن تحضر فى زيارة لريم تحمل كيسا بلاستيكيًا أسود واستقبلتها ريم تقبلها مرحبة على خدودها وتقول

- خير اللهم اجعله خير .. أول مرة تيجى من غير إيدك ما تكون فاضية
- أنا جبت لك شوية موز
- قالتها شيرين وهى تدخل تجلس فى الصالة وتابعت
- أصل أنا عاوزاكي تصورىنى مقطع فيديو بالموبايل نرفعه ع النت
- مش كفاية الصور
- أصل أنا بقى ليا جمهور كبير ع النت .. تعرفى فى اتنين جولى من القاهرة مخصوص واتقابلنا على شاطئ الزهور
- إنتى خلاص بقيتى إنترناشونال

لزمتم ريم الصمت التام وهى تصور شيرين تخلع ملابسها قطعة قطعة , ثم ترقد على السرير على ظهرها تضم فخذيها على بعضها مخفية كسها , وبدأت تفتح فخذيها وتضمها مسرعة ليظهر كسها الحليق فى لمحات متتابعة كنوع من تشويق الزبون , قبل أن تفتحهما شيرين ويظهر كسها واضحا وقد تناثرت بعض الحبوب البثورية على شفراتها , وظلت تدلك بأصابعها شفراتها وبظرها وتتأوه بخفوت تتصنع التمحن , وسرعان ما بدأ لمعان يغطى شفراتها الداخلية من جراء إفرازات مهبلها .. كبتت ريم ضحكاتهما وهى تصور شيرين بالموبايل عندما رأتها تمد يدها تمسك بموزة وتمررها بلطف وحنان على كسها وتفرك بها شفراتها ثم تدخل طرفها بأول مهبلها .. لكن ذبابة طائفة يبدو أنها أرادت أن تشارك , فقد ظلت الذبابة تنتقل بين باطن فخذي ريم قبل أن تستقر بين شفراتها حيث التصقت الذبابة بفعل إفرازات شيرين , وهنا لم تكن ريم قادرة على كبت ضحكاتهما وهى ترى الذبابة تصارع للتخلص من التصاقها بكس شيرين وصاحت ريم وسط ضحكاتهما

- إلحقى يا بت فى دبانة بين شفوفك وهاتخش فى كسك

أبدت شيرين إعجابها بفنيات ريم التصويرية بعدما شاهدت المقطع , ثم قالت

- صحيح .. إنتى ما عملتيش حاجة مع حد من اللى بتشتغلى معاهم

- لأ

- ليه ؟

- علاقات شغل وبس

- طب تعالى أعلبك شوية

ضحكت ريم وقالت

- لأ .. ماليش فى الموضوع ده

شهقت شيرين وقالت

- خلاص أركبك شنب وأحط الموزة على كسى هابقى راجل

جوع ريم الجنسى جعلها تتمدد عارية لتمعن شيرين فى إمتاعها بتدليك شفراتها وبظرها , وتمادت لما رأت ريم مستمتعة , لتدفع بموزة فى مهبل ريم التى أسرعت تقبض على يدي شيرين الممسكة بالموزة لتتحكم فى المقدار الذى سيتم إدخاله .. تأججت ريم وملكتها الشهوة الطاغية ليبتلع كسها الموزة تعصرها بعضلات مهبلها .. انتشت ريم .. واسترخت نائمة بعدما غادرت شيرين .

كانت ريم سعيد تعطى وقتها كله للعمل , لا تتوقف عن تلبية طلبيات الصيدليات من الترامادول والأدوية المستوردة , وحاولت وئد أنوثتها برغبة جمع المال الذى يتدفق عليها بتزايد مستمر وبعد عامين اشترت سيارة هيونداي بالتقسيط , وساعدتها السيارة فى سهولة وسرعة التنقل مما أدى لتزايد مبيعاتها وجنى المزيد من المال .. لكن كان يداهما إحساس بالإكتئاب كل حين لما تتذكر أنها باتت فى الثالثة والثلاثين بلا زواج , ويتقلص بداخلها الأمل فى الأمومة .. واستعاضت عن ذلك بتعبئة ساعات يومها بالعمل .. وبحكم كونها أنثى بالإضافة لخفة ظلها ومرحها الدائم حظت ريم بشهرة واسعة ووسعت مجال نشاطها ليشمل الأدوية المستوردة النادرة , وواصلت جنى المال .. لكن المال لا يمكنه تعويضها عن دفاء علاقة إنسانية حميمة , فبدأت تنتقى من أصحاب الصيدليات والعاملين بها من تستريح روحها إليه وتحرص على التقرب منه لتنشأ علاقة حميمة لا تخلو من الجنس , ووجدت ريم حياتها متعددة الرجال .. تخرج معهم وتسهر وتتنزه وتشبع غريزتها الجنسية وإحتياجها العاطفى فى أحضان من تختارهم من الرجال .. وتمضى بها الأيام ويختفى من حياتها رجال ويظهر آخرون .. وتستبدل هى رجال توغل الملل فى علاقاتها بهم بآخرين من باب التجديد .. الشرط الأساسى الذى تعتمد عليه ريم فى إنتقاء أية رجل , هو ألا تشعر معه بأنها مومس .. كانت تحاول إرتداء ثوب الفتاة المتحررة لكنها لم تستطع أن تقنع أحد ممن عرفتهم من الرجال , بل لم تستطع أن تقنع نفسها بذلك .. هى أشبه بمن يوارى سوءته التراب , فهى توارى خواء حياتها بعلاقات ياباها ضميرها , ولكى تتغلب على ذلك توارى الأمر بإحساس زائف بالتححرر والإنطلاق .

احترفت الغوص فى بحور الرجال , وأصبحت تخضع علاقاتها بهم وفقا لتخصصات محددة , فهذا يصلح للتنزه والمحادثه , وهذا بارعا فى الجنس وفنونه فلا تلتقى به إلا على الفراش , لكنه قليل الكلام لا يصلح لأغراض أخرى غير الجنس , وآخر تشعر معه بمشاعر رومانسية حاملة لا تدرى بالزمان والمكان فى صحبته , لكنه لا يصلح لغير ذلك .. هكذا كانت ريم سعيد تنال من كل رجل تعرفه على ما يمكن أن يكون بارعا فيه .. كانت تشعر بأنها ترضى أنوثتها فتواصل ملئ حياتها بالرجال , لربما تستعويض عن ذلك بضياع حلم أن يكون لها زوج وأبناء .

مظهر ريم يكاد يكون ثابتا لا يتغير .. فوجهها دقيق التقاطيع وعينيها العسلتان الجميلتان , إلى جانب ضآلة حجم جسدها رغم تناسقه , يجعلها تبدو أصغر من سنها بأعوام كثيرة , فنادرا ما يمكن تخمين عمرها الحقيقي .. تبدو جذابة للغاية بابتسامتها المرححة دائما بالإضافة إلى تصفيفة شعرها الأسود الطويل المنسدل على ظهرها , وقصة من الشعر مفروقة من المنتصف تزين جبهتها الصغيرة .. وكذلك ساعدت ملابسها على أن تبدو أصغر كثيرا جدا حيث لا ترتدى ريم على نصفها العلوى سوى بادي أو بلوزة تلت كم أو فيست .. أما نصفها السفلى فلا ترتدى سوى بنطلونات جينز ضيقة تبرز إتساع حوضها واستدارة مؤخرتها .. ومن هنا كان هناك خلاف حادث بين من يتعاملون معها فى أمرين :

الأمر الأول وهو طريقتها المثيرة التى تتعامل بها مع أصحاب الصيدليات والعاملين بها , فالبعض يرى أنها فتاة مرحة تجيد عملها وتتميز فيه .. والبعض يجزم أنها مومس لكنها لا تعطى نفسها لأية رجل .

والأمر الثانى هو عمرها , فغالبية من يتعاملون معها يرون أنها فى العشرينات , والقليلون من يعطونها عمرا يتجاوز الثلاثين .

فى الآونة الأخيرة كانت ريم تتعرض لنوبات إكتئابية حادة , ولا تفارقها إلا بعد بكاء مريع .. تظل تبكى وتبكي حتى تهدأ , وقد بدأ ذلك فى المساء الذى كانت عائدة والدموع تملأ عينيها , تشعر بالذل والمهانة , ويغطيها العار .. تحس أنها امرأة رخيصة بل بلا ثمن من الأساس , عندما أسلمت جسدها لرجل وثقت فيه وأثناء التحافها به على الفراش , فزعت تصرخ عندما دخل عليهما رجل طالما حاول الوصول لجسدها وهى تأبى لأنها لم ترتح إليه .. كان الموقف واضحا , لأول مرة تخطئ الإختيار .. كانت ترتدى ملابسها وهى تسمع الكلمات تنهش لحمها

- أنا عارف من الأول إنك شرموطة .. بس عايشة فى الدور حبتين .. ما أنا عندى زب زيه بالظبط , ولا يمكن عشان ما أخذتش منك طلبيات كثير زيه

وفى أحد الأيام استقبلت ريم مكاملة من مرسى يطلب مساعدتها فى إدخال الترامادول إلى إستاد الإسماعيلية لبيعه أثناء مباراة الإسماعيلي والأهلى التى بالطبع لن يكون هناك موضعا لقدم وسيصبح الإستاد مكتظا عن آخره , وبرر مرسى ذلك قائلا

- الكمية اللى معانا المرة دى كثير .. ومالقيتش غير بنتين بس ومحتاجك معانا

جلبة وضجيج وصخب شديد يملأ الأجواء أثناء تدافع الجماهير لدخول استاد الإسماعيلية , وينشط سيد مصطفى بين الحشود حتى انتهى من بيع الشماريخ التي تفنن الشباب فى إخفائها والدخول بها وسط رجال الأمن الغافلين .. كان سيد يرتدى قميصا وبنطلونا ولا يبدو عليه إنتمائه لأحد الفريقين , بينما فى هذه الأثناء كانت ريم تلهث من فرط تسارع دقات قلبها , فهذه المرة هى لا تخفى الترامادول تحت ملابسها بل تحملها فى حقيبة جلدية كبيرة نظرا لكبر حجم الكمية , مما جعلها تتراجع أكثر من مرة , رغم أنها لا ترى تدقيق أمنى فى تفتيش الحقائق , وتفنق ذهنها عن حيلة حيث تصنعت الدوار وجعلت الحقيبة تسقط على الأرض ووضعت يدها على رأسها تترنح على وشك السقوط , ليهرع عدد كبير ليمسك بها وفى صدارتهم سيد الذى كان قريبا منها , وأجلسوها تغسل وجهها ببعض الماء وهى تقول

- الظاهر إن ضغطى وطى تانى

- ساكنة فىن وإحنا نوصلك ؟

قالها سيد لتجيب ريم مسرعة

- لأ .. أنا هاخش الإستاد عشان فى ناس مستنئاني جوا

حمل سيد الحقيبة على يده واستندت ريم عليه وعبرا إلى داخل الإستاد , وتناولت ريم الحقيبة وقالت

- متشكرة أوى

أجابها سيد

- العفو .. ألحق أنا أروح المدرج بتاعنا

شهقت ريم وصاحت

- يا نهارك أسود .. هو أنت جهلاوى تبع جبلاية القروء ؟

ضحك سيد قائلا

- ليه الغلط ده يا منجاوية .. مش عاوز أغلط فى الكتاكيت الصفرا بتو عكم ..

صحيح خير تعمل شر تلقى .. من شوية كان هايعمى عليكى

قاطعته ريم صائحة

- أنا لو أعرف إنك تبع نادى المبادئ الصهيونية ماكنتش دخلت معاك .. هو

انتو عايشين غير على قفا الإسماعيلي وخطف لعيبته .. ده فريقكم كله م

الإسماعيلي يا حُمر

وجد سيد نفسه منساقا مع ريم مدافعا عن الأهلى يقول

- مش ذنبنا إن انتم مش عارفين تحافظوا على اللعيبه بتو عكم

ردت ريم محتدة

- - بأمانة عدلى كوهين بتاعكم اللي بيلعب فى دماغ لعيبه الإسماعيلى زى اليهود
ضحك سيد وقال وسط ضحكاته
- مهندس الصفقات عدلى القيعى ياعينى عامل لكم تربنة فى دماغكم
وجابلكم الهسهس
نجحت ريم بهذا الحوار فى مسعاها بخلق جو من الألفة بينها وبين سيد , جعلته
يستجيب لها حين قالت بنبرة أمره
- هات الشنطة وتعالى وأنا هاستر عليك

نقد سيد وتبع ريم إلى مدرجات الدرجة الثانية الخاصة بجمهور الإسماعيلى , فى
حين تجرى ريم إتصالا بمرسى ليحضر لأخذ الحقيبة .. بينما استقبل سيد مكالمة
من أمجد , ولما وجد صوت الجماهير يهدر فى أذنه عبر سماعة الموبايل سأل
- إيه ده إنت فين ؟

رد أمجد

- أنا فى الإستاد .. جاى اشجع الإسماعيلى .. أنا وابن عمى ع الغريب

بالفعل كان أمجد بصحبة مجموعة كبيرة من مشجعى الزمالك وقد صنعوا لافتة
كبيرة تحمل علم الزمالك مشبكا فى علم الإسماعيلى , ومكتوب عليها (أنا وابن
عمى على الغريب) .. استقر سيد إلى جوار ريم فى مكانهما .

كالعادة وكما هو متوقع تسود حالة شديدة من الإحتقان بين جمهور الناديين .. لكن
هذه المرة الوضع أكثر إشتعالا بحكم مشكلة حسنى عبد ربه من جهة وكذلك
إشتعال المنافسة بين الناديين على صدارة جدول ترتيب فرق الدورى من جهة
أخرى .. إختفت مساحات كبيرة من جماهير الإسماعيلى تحت اللافتات القماشية
المسيئة للأهلى ولاعبيه واتهامهم بتعاطى المنشطات .. والسباب الجماعى يطول
الجميع من هنا وهناك

- هيللا هيللا هيللا هو .. الأهلى كس أمه

وترد على الفور جماهير الأهلى بالمثل , ومع تدخل الأمن لمنع الهتافات إلى
جانب أولاد الناس الطيبين الراضين لذلك السباب تبدأ التشجيعات
- قول الحق خليك جري .. النادى الأهلى أحسن فريق

لكن جماهير الإسماعيلى غاضبة ولا تزال تسب وتلعن الأهلى , وزاد من هياجها
تلك اللافتة المعلقة عند المدرج المخصص لجمهور الأهلى ومكتوب عليها
- يا اللى بطولاتك ستة .. إتكسف وإركن فى حته .. ليه بتقارن نفسك بيا وأنا
بطولاتى أكثر من بطولاتك مية .. بتقول على نفسك برازيلي وهى
البرازيل دى هفية .. إعرف نفسك ومقامك أنا وصلت العالمية

يجوب مرسى عويس منتشرًا هو ورفاقه بين المشجعين يبيعون الترامادول , وبعد دقائق قليلة من إحراز الأهلي لهدفه , إلا وقد تصاعدت الأبخنة المنبعثة من الشماريخ من مدرج مشجعي الأهلي , وألقوا بها على تراك الملعب بينما يهرع العساكر حاملون جرادل مملوءة بالرمال وإلقاءها على الشماريخ المشتعلة التي أتلفت أرضية التراك , وحجب الدخان الكثيف الرؤية , وسرعان ما قام جمهور الإسماعيلي بنزع الكراسي وتطايرت قطع من كراسي الإستاد تحلق في الهواء , وانكب رجال الأمن على الإلتحام بالجماهير التي قذفت بكل ما طالته أياديها تجاه مقاعد بدلاء الأهلي .. ووسط هذه المعركة , كانت ريم تحتفى بسيد يحاولان الفرار من بين الحشد المتدفق المتصارع مع الأمن , ولكن ريم رأت بعضا من رجال الأمن تكالبوا على مرسى وفي مقدمتهم ضابط برتبة عقيد يقومون بتفتيشه ورأتهم يخرجون من حقيبته أكياسا صغيرة بها بودرة بيضاء , وتنامى إلى مسامعها وسط الصخب الشديد

- محامى قبضوا عليه ببيع هيروين

توترت ريم التي لم تكن تعلم أن مرسى لا يكتفى ببيع الترامادول وامتد به الأمر إلى الهيروين , لكن ذلك يعنى فى جميع الأحوال أنها فى مأزق شديد , فماذا إذا إترف مرسى على الجميع بما فيهم هى ؟ .. لم تملك الوقت لتتفكر فى أى شئ , ووجدت نفسها تسرع تزيج الأجساد من حولها بيديها وسيد يتبعها حتى خرجا من الإستاد , ولم يكن سيد بأفضل حالا من ريم حيث تم القبض على عدد كبير من مثيرى الشغب وفى حال تعقب مصدر الشماريخ ستقود السبل إلى سيد مصطفى لم تكن حالة أى منهما تسمح بأن يسأل الآخر عن سبب حالته , لذا ما إن أسرعت ريم تتبعد بسيارتها وإلى جوارها يجلس سيد , حتى وجدت نفسها تتجه لتسلك طريق الإسماعيلية القاهرة تغادر الإسماعيلية .

فى نفس الوقت الذى كان سامى وزوجته مها ومعهما أمانى تجلس فى المقعد الخلفى للسيارة , يسلكون نفس الطريق ولكن من القاهرة إلى الإسماعيلية بعدما تلقى مها مكالمة من ابنها أمجد يخبرها بأنه مقبوض عليه بعد المباراة .

فى صالة شقة سيد بمدينة نصر يجلس سيد وريم وكل منهما منكب على إجراء الإتصالات الهاتفية من الموبايل لمعرفة ما آل إليه الوضع , واستنتجت ريم ضلوع سيد فى بيع الشماريخ , وعرف هو أن لها علاقة بالمحامى بائع الهيروين وأجابته توضح ذلك

- أنا شغالة سكرتيره فى مكتبه بس ماكنتش أعرف إنه بيتاجر فى الهيروين .. أنا بس خايفة إنهم يحققوا معايا .. أنا ماليش دعوى بالموضوع ده .. بس أهلى ناس فلاحين وحاجة زى دى هاتعمل لى مشكلة

لم يكن هناك بدا سوى أن يصدق سيد حتى إشعار آخر , وشعر ببعض الطمأنينة لأن لا أحد يعلم مسكنه , وعزم على عدم الخروج إلا بعدما تستقر الأوضاع , وكذلك كان الحال بالنسبة لريم ... فكرة واحدة كانت مشتركة بين الإثنين ألا وهو وجود رابط يربطهما الآن ريم الخبيرة فى عالم الرجال لم تكن قطعا تشعر بما يشعر به سيد الذى يواصل تدخين السجائر بلا إنقطاع .. لأول مرة يجتمع بأنتى فى مكان واحد .. الفكرة نفسها كانت تبدد بعضا من قلقه وتوتره خشية أن يصلوا إليه ويقبضوا عليه .. بينما ريم حمل لها الموقف برمته إحساسا بالمغامرة بدد توترها وجعلها ذلك تبدأ حوارا مصطنعا تعلم نهايته حيث سألت

- فى فندق قريب من هنا ؟

تردد سيد وهو يجيب

- أنا عايش هنا لوحدى .. هانام أنا فى الصالة ونامى إنتى فى الأوضة قالها سيد ذلك معتقدا أن حياء الفتاة هو دافعها فى مطلبها ذلك , إلا أنه وجدها تبتسم وتقول بجرأة لم يتوقعها

- وتنام فى الصالة ليه ؟ .. أنا ما عنديش مانع ننام مع بعض فى أوضة واحدة تسارعت دقات قلب سيد ولم يعد شئ يسيطر على تفكيره سوى ريم التى أدركت من تعبيرات وجه سيد ونظراته المسترقة لها أنه لا يحمل إية خبرات فى عالم الجنس الآخر , وامتلكت هى المبادرة وقالت

- فى حاجة عندك البسها عشان أقعد على راحتى

قالتها وهى تشعل سيجارة وبدت على وجهها علامات الإستمتاع بمغامرة جديدة مع رجل جديد ... تعمدت ريم ألا تغلق باب الغرفة وهى ترتدى الترينينج سوت الخاص بسيد الذى تعمد الجلوس بالصالة فى وضع يسمح له برؤية ريم وهى تستبدل ملابسها .. نظرت هى إليه وابتسمت مستمتعة بتدله نظراته لجسدها الصغير , ولم يعد الشاب يحتمل حيث نهض متجها إليها ووجهه مربد تكسوه الحمرة يلتها بنظرات شبقية ويزدرد ريقه بصعوبة ... كانت ريم قد أحكمت غلق سوستة الترينينج فى اللحظة التى بات فيها سيد خلفها تماما ومد زراعيه يحتضنها ملصقا صدره بظهرها لتضحك بميوعة وتقول

- عايز إيه ؟

- عايزك

- مش دلوقتى لما ناخذ على بعض شوية

كان غرض ريم من ذلك هو الإستمتاع بتعذيب سيد قبلما تمنحه ما يريد , فى حين امتثل سيد وقد أدرك أن مبتغاه قادم لا محالة .

خرج سيد يحضر العشاء , بينما اتصلت ريم بصديقتها شيرين تخبرها بما حدث
وأنها عازمة على الإقامة فى القاهرة بضعة أيام ثم أغلقت الموبايل .. فردت ريم
الأطعمة على المنضدة فى الوقت الذى كان سيد يستبدل ملابسه ويرتدى بيجامة ,
وأثناء تناول ريم للعشاء مع سيد سألتها

- إنتى عندك كام سنة ؟

- تدينى كام سنة ؟

- سبعة وعشرين

أومأت ريم برأسها تصديقا واستمر الحوار بينهما ليحكى كل منهما ما يريد أن
يعلمه الآخر عنه .. وحانت اللحظة التى كان يترقبها سيد عندما تمددت ريم على
السريـر لتنام , ليهرع سيد ويرقد إلى جوارها وسمعت هى صوت أنفاسه اللاهثة
فابتسمت وهى تستدير لتعطيه وجهها تقول

- إنت مستعجل ليه ؟

لم يرد سيد وهجم يقبل فمها بقوة وعشوائية ضايقتها , فمدت كفيها تمسك برأسه
على الوسادة وتبدأ هى فى تقبيل فمه برفق ليدرك هو أن عليه أن يحاكيها , فبادلها
القبلات الرقيقة بهدوء ومد يده يعدل من وضع قضيبه المنتصب بين فخذيه ,
لتنضحك ريم وتلصق جسدها بجسده وتحيط برجلها جزعه لتشعر بقضيبه ينغرز
فى عانتها .. وفجأة شعرت بتقلصات فى منطقة الحوض مع شعورها بإنسياب
سائلا منها .. أحست ريم أنها ليست إفرازات شهوانية فدفعت بيدها تلتقط بأصبعها
الأوسط ما يسيل ولما رفعت يدها أمام عينيها ورأت الدم .. امتعضت وابتعدت
بجسدها عن سيد الذى سألتها

- مالك ؟

- البريود نزلت لى ... محتاجة منك طلب عاوزاك تجيب لى ألويز
خرجت ريم من الغرفة إلى الحمام , بينما نزل سيد ليشتري الحفاضات النسائية ,
ولا يدري لماذا زاده الموقف إثارة وشرد ذهنه متخيلا الحفاضات المدماة التى
كان يراها ويتحسسها أثناء عملى الليلي كفرد أمن , لدرجة أنه لم يدري كيف
ذهب وكيف عاد من فرط شروده .. شكرته ريم وتناولت الحفاضات ... كان سيد
يتابع المنظر شاخص العينين وهو يرى ريم تلصق الحفاضة فى الكيلوت وترتديه
... نظرت إليه وضحكت وقالت

- معلش ... الظاهر إن ماليكش نصيب

اندهشت ريم وقطبت حاجبيها فى منظر أثار سيد ودفعه إلى حالة يرثى لها عندما
سمعته يسأل

- ليه يعنى ؟

لكنها سرعان ما ابتسمت بعدما فهمت سؤاله على نحو مختلف وقالت

- طب تعالى

قالتها ريم وهى تتمدد على السريـر عارية عدا من الكيلوت المنتفخ بين فخذيه
بفعل الحفاضة , وتعرى سيد سريعا وتمدد ملاصقا لها .. تولت ريم تدليك قضيب
سيد بيدها وهى ترنو لوجهه المستمتع ثم قبضت على قضيبه بباطن فخذيه تحرك

جزعها ليتأوه سيد وهو يشعر بباطن فخذيتها يحيط بقضيبه يعترضه , ولم يتمالك نفسه ومد يده ينزع الكيلوت لتصبح هي - بتعمل إيه ؟ ... عليّ الدورة !!

وكأنه لم يسمعها , كابد سيد لينزع عنها الكيلوت وتملكته حالة من الشهوة المجنونة عندما رأى الحفاضة تلتطخها الدماء , وألقى بجسده على ريم بين فخذيتها ... لم يكن هناك بدا لريم سوى من إعطاء سيد ما يريده , فباعدت بين فخذيتها وهي تسأل بصوت خافت وبنديرة متعجبة - أنت مش قرфан من كده ؟

كل ما تلقته ريم من سيد هو لفظة نفى خافتة بفعل لهائة المتزايد وهو يدفع بزبه في كسها الدامى .. وكلما نظر سيد ليرى منظر الدم حول قضيبه , كلما تأججت شهوته واستعرت في منظر جعل ريم ترنو وإليه وعلى وجهها علامات الدهشة المشوبة بالإشمئزاز , فهي لم تكن تتخيل أن تصادف رجلا مثل سيد , ورغم ذلك كانت تشعر بانزلاق قضيبه بإنسيابية بداخلها بفعل إفرازات الحيض يعطيها متعة لتتجاوب مع سيد وتعنصر قضيبه بعضلات مهبلها ليؤذف .. كان سيد مستمتعا لأبعد الحدود وهو يرى قضيبه ينزلق مرتخيا خارج كس ريم ومن حوله قطع من الدم المتجلط , فى الوقت الذى أشاحت ريم بوجهها ونهضت تغتسل فى الحمام وعادت لتحقق ذاهلة وهي تجد سيد جالسا على طرف السرير ممسكا بحفاضتها وكيلوتها الغارقين فى دماء الحيض يتحسسها بأنامله وينظر إليها بوجه ملؤه المتعة والنشوة , مما أصاب ريم برهبة مبهمة تجاة سيد ونهرته معنفة مشمئزة - أنا أول مرة أشوف بنى آدم كده .. إيه القرف ده ؟ !

تعاون سيد مع ريم فى استبدال ملاءة السرير , واغتسل سيد وعاد يتمدد جوارها على الفراش ويحكى لها ذكرياته مع الحفاضات النسائية بداخل حمامات المول التجارى .. تفهمت ريم أن إعتياد سيد على ذلك قد أفقده الإحساس بالإشمئزاز بل تحول بالنسبة له إلى مصدر إثارة طاغية .. لتمر خمسة أيام وسيد مستمتع بمضاجعة ريم اثناء حيضتها سعيدا مستلذا .

- مش عيب يبقى والدك أستاذ جامعي ووالدتك كاتبة مشهورة , وإنت ماشى
ورا الكورة مع شوية شباب فاضى
حاول أمجد الدفاع عن نفسه لكن الضابط استوقفه وأمر بإخلاء سبيله بعد تعهد
أبيه على عدم تكرار ذلك .

وفى طريق العودة من الإسماعيلية للقاهرة , كان الصمت يكتنف الجميع , وبعدما
وصلوا إلى البيت .. لم يتقوه أمجد بكلمة وهو يتلقى اللوم والعتاب من أبيه الذى
كان أشبه بمن يمارس دورا لأبد من أداءه أمام زوجته ليشعرها بأنه يقوم بدور
الأب فى تقويم ابنه

- الظاهر إنى غلظت لما سبيتك تمشى فى سكة الكورة اللى بوظت دماغك
دى .. ومن هنا ورايح مافيش حضور ماتشات .. تتفرج هنا فى البيت فى
التلفزيون وبس

ولكن مها تشعر بزوجها سامى , وتأكد لها أن عليها أن تكون أما وأبا فى نفس
الوقت وقالت تنهى كلمات سامى لأمجد
- خلاص يا سامى .. خليه يستريح النهاردة وأنا بكره هاقعد أتكلم معاه

ورغم أن تلك الكلمات حملت فى طياتها تهميشا لدور سامى إلا أنه وجد الخلاص
, فتنهد واتجه لغرفة المكتب يواصل كتاباته , بينما لحقت أمانى بأمجد فى غرفته
.. كانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل أمانى فيها غرفة أمجد منذ فترة طويلة
تجاوزت الثلاث سنوات .. ويبدو أن دخولها وجلوسها إلى جوار أمجد على
طرف السرير , جعل وجهه يحتقن ويتحاشى النظر إلى وجهها .. ربتت هى على
كتفه بحنان وقالت بصوت هادئ
- معلش .. ما تزعلش نفسك

نظر أمجد إلى وجهها شذرا ولمح النظرة الحانية من عينيها الحزينة , وتنهدت
أمانى تنهدا عيناها على وجه أمجد وكأنها تريده أن يعود .. يعود إلى سنوات
مضت هى تعلم أنه محق بالبعد عنها .. هى نفسها أرادت ذلك .. إنها خالته ..
أخت أمه .. صحيح أن الرابط بينهما كان من نوع فريد , إلا أنه لا يجوز أن يكون
بينهما رابط سوى أنها خالته وهو ابن أختها .

لكن لماذا ؟ ... لماذا تجنح النفس البشرية عن الطريق المجتمعى القويم ... ما الذى
يجعل القيم الأخلاقية والدينية والمجتمعية تتحطم وتتلاشى أمام مشاعر إنسانية
أخطأت الطريق إنها أسباب كثيرة وعديدة , ومنها الشفقة نعم الشفقة ..
الشفقة هى التى ربطت أمجد بخالته أمانى .. لكن ما الذى يدفع أمجد ليشفق على
خالته أمانى فتصبو نفسه إليها .

كانت أمانى منذ صغرها تشعر بأن بداخلها شئ ما مختلف عن قريناتها .. شئ ما يجعلها غير ذويها , وبالفعل اتضح ذلك مع مرحلة البلوغ حينما لم تأتئها الدورة الشهرية التي تستكمل بها كل أنثى أنوثتها , واصطحبتها أختها مها إلى الأطباء لمعرفة أين الخلل ؟ , وأخيرا تم معرفة الخلل ... لقد إنتقاها القدر لتكون حالة من حالات ترنر (turner syndrome) حيث حدث خلل جينى فى تركيبها الكروموسومى أثناء تكوينها الجنينى لتفقد أمانى الكروموسوم X وتصبح أنثى بكر وموسوم X سليم وآخر غير مكتمل .. ووضع ذلك تفسيراً لقصر قامتها وقصر طول رقبته وتساقت شعرها من عند مقدمة الرأس وعدم تناسق جسدها بالشكل الأنثوى المعهود , ونمو خيوط من الشعر تمتد طوليا على قفاها , وثدياها بارزان على الجنب وليس للأمام , ولم يكن فيما سبق من مواصفات أمانى الجسدية مشكلة كبرى رغم أن ذلك يجعل جسدها مفتقدا لمواصفات الأنثى المرغوبة بالطبع .. لكن إنتفاخ كفي اليدين وكذلك إنتفاخ القدمين بشكل شاذ عن باقى جسدها , كان يعطيها منظرا ملفتا للأعين , والأدهى من ذلك كله هو عدم إكتمال جهازها التناسلى حيث إمتلك أمانى مبيضين ضامرين عاجزين عن إنتاج بويضات , مما يعنى أنها لن تتمكن من الحمل وأن تصبح أما فى يوم من الأيام ... كانت أمانى تتسائل لماذا إختارها القدر لتكون على هذه الشاكلة ... عندما تم إكتشاف حالة أمانى , أشفقت أختها مها عليها بالطبع , وأوهمتها بأن عدم وجود دورة شهرية لها لن يعيقها عن الزواج والإنجاب وممارسة حياتها بشكل طبيعى .. لكن الفتاة الصغيرة كبرت وعرفت حقيقة حالتها .

كان على أمانى نعمان أن تمضى فى حياتها التى حاك خيوطها القدر بلا إرادة منها ولا إختيار ... وعندما تخرجت أمانى من كلية التجارة والتحققت بالعمل موظفة فى بنك مصر القريب من البيت , تواصل ما شبت عليه منذ صغرها حيث لم تشعر يوما أنها أنثى .. لم ترى رجل ينظر إليها بنظرة ذكر إلى أنثى , بل لم ترى هى فى نفسها ما يجعلها تشعر أنها أنثى .

وفى أحد الأيام عادت أمانى من العمل لتجد أمجد الذى يصغرها بأكثر من اثنى عشر عاما ويدرس بالمدرسة الإعدادية وقتها , وحيدا يبكى ... كان على أمانى أن تحتضنه وتعرف سبب بكاؤه , لم تدري لماذا شعرت بمشاعر أنثى فى أحضانها ذكر ... تردد الفتى الصغير كثيرا قبل أن يبوح عن سبب حزنه وبكاؤه , وأخبر خالته أن السبب أمه , وكيف يتناقل الصبية القصص التى تكتبها أمه وهو يرددون

- الشرموطة اللى اسمها مها نعمان كاتبة حنة قصة روعة ... أنا ضربت

عليها ثلاث عشرات بعد ما قرئتها

وطبعا كان لا يمكن للصبى الناشئ أن يبدي أن مها نعمان هى أمه .. أشفقت

أمانى على أمجد وقالت

- دى عيال متخلفة .. مالکش دعوى بيهم

إعتاد أمجد على أن يحكى إلى خالته أمانى , ما يشغل باله ويحزنه وكيف يشعر كثيرا بأنه يكره أمه وأبيه .. يمتلكه الخجل حين يقرأ ما تكتبه أمه ويشعر بالإثارة الجنسية تعتريه , ولم يتمكن ذات مرة من كبت إثارته وقام بتدليك قضيبه ليقذف نطفته الأولى .

مها نعمان لم تكن غافلة عن أن تدرك أن ابنها أمجد يتلقى موروثا ثقافيا دينيا من المجتمع والمدرسة والشارع , ويصطدم ذلك مع ما تريد أن تزرعه فى ابنها , لذا كانت تحرص من أن لآخر أن تجلس إليه وتحاوره فى رأيه فيما تكتب وتشرح له كيف يبني شخصيته ويفعل ما يحلو له شرط عدم المساس بحقوق الآخرين , كما لا يبالى بالآخرين طالما هو قانع بما يفعله .. لكن أمجد أغفل كتابات والدته عن العلاقات الإنسانية والعاطفية , وتجاهل قرائها المتدلهين فى كتاباتها وسألها فيما شغل باله

- أنتى ليه بتكتبى فى الجنس ؟

لم يكن السؤال مشكلة .. لكن المشكلة كانت فى طريقة إلقاءه حيث علامات الإشمئزاز والإمتعاض التى كست وجه أمجد , وأطرق رأسه يتحاشى النظر إلى وجه أمه وسمعها تدافع عن كتاباتها عن الجنس , وكيف أنه أساس الحياة , وبدونه لأنقرض البشر من على الأرض , ولماذا نخجل فى التعبير عنه فى كتاباتنا , وأوضحت له أن نظرتة ستختلف عندما يكبر وتتسع مداركه .. لكن الفتى الناشئ اصطدم مرة أخرى بكتابات أبيه عن الإيمان بالله والأديان , وبات أمجد يرى فى نفسه ابنا لمن يصفوها بالعاهرة المنحلة وابنا لمن يصفوه بالزنديق الكافر .. كان أمرا قاسيا جعل أمجد يفشل فى معرفة الصواب ؟ .. هل يسير خلف أبيه وأمّه , أم يسير خلف المجتمع والناس .. وجد أمجد نفسه حياديا تماما , لا يبالى بهذا ولا بذاك , وترك نفسه للحياة كآلة بلا روح .. لا يعرف هدفا ولا غاية , وبات شخصية مشوهة مذبذبة سلبية ... ذلك يفسر لنا لماذا تعمق أمجد متوغلا فى عالم الكرة حين أدمن تشجيع الزمالك عن طريق أحد أصدقائه بعدما التحق بالمرحلة الثانوية , ومع الوقت وجد أمجد فى هذا العالم منفذا للهروب من واقع يأباه , فتوحد مع هذا العالم وصار حريصا على الذهاب إلى الإستاد ومشاركة روابط المشجعين .. أصابه هوس التشجيع الكروى , واستلذ هو بذلك يحيا فى عالم زائف يستنفذ قواه .. وعندما تعرف على سيد مصطفى جاره فى المنطقة وزميله فى كلية التجارة , اندمج فى حواراته وجدالاته معه حول الأهلى والزمالك , وباتت المواقع الكروية والصحف الرياضية هى محور قراءته وإطلاعه , والزمالك ورفاقه من المشجعين هم عالمه ..

عندما وصل أمجد للمرحلة الثانوية إعتاد على أن يجلس إلى خالته أمانى لساعات تساعد على استذكار دروسه , من باب إشغال وقتها ظاهريا , والتقرب لأمجد والتحدث إليه عن حياتها باطنيا , ونشأ بينهما تقاربا ارتقى إلى صداقة جعلت

أمانى تحكى له سبب بكاؤها عندما عاد ذات ظهيرة ووجدها وحيدة فى الشقة
تبكى , وأفاضت أمانى فى أن تحكى لأمجد عن زميلها فى البنك الذى تقرب إليها
وصارحته منذ البداية بحالتها , وأنها لن تصلح لأن تكون له زوجة ... ورغم ذلك
واصل التودد إليها ويمضى قدما ليوطد علاقته بها , ثم كانت النهاية المحتومة
المتوقعة .. كان أمجد يستمع إليها شاعرا بالغيرة على خالته لكونها كانت على
علاقة برجل , لكن شففته عليها طغت على غيرته , وكان يشعر برغبة ملحة فى
الوصول لذلك الرجل ونهشه وتمزيقه إربا لأنه أذى خالته .

الطريقة الجادة التى كانت أمانى تحكى بها وكذلك بكاؤها المرير , لم يكن حتما
يعبر عما بداخلها , وكأنها كانت تريد أن تعيش دور الفتاة المجروحة ... أما
الحقيقة فهى لم تكن أبدا مجروحة .. لأنها أدركت منذ البداية أن علاقتها بهذا
الشاب علاقة زائفة , كل منهما يخدع الآخر ليقتضى معه وقتا لطيفا ممتعا بالتنزه
وإرتياد السينمات والكازينوهات والمكالمات الهاتفية الحاملة ولن يتعدى الأمر
ذلك .. لا تدرى أمانى لماذا هى حزينة هكذا على علاقة لم يكن لها يوما أن تكتمل
بنهاية سعيدة .. منذ ذلك اليوم تعاضمت شفقة أمجد على خالته أمانى , وأراد
تعويضها فقد كان يحرص على الجلوس إليها ومشاركتها الحديث دوما .. أخبرها
كم يتمنى لو كان يملك أبا غير أبيه وأما غير أمه , وأخبرته أمانى أنها تدرك أنها
لن تتزوج يوما ولن تحظى بأسرة ولا أبناء , ولا تعلم إلى أين سيجرفها تيار نهر
الحياة ؟ .. فقال أمجد

- فى رجالة بيكونوا متجوزين قبل كده ومخلفين أو أرمل وعاوز يتجوز
- ضحكة ساخرة من أمانى أعقبتها تقول
- وده شكل حد يفكر يتجوزه
- قالتها وهى تمرر يدها على جسدها من أعلى لأسفل , لتدل على إفتقادها حتى لما
يمكن أن يجذب رجل إليها , لكن أمجد عقب قائلا
- مش كل الرجالة بتبص للشكل وبس .. فى كثير يهمهم الصفات الشخصية
وما يهمهمش الشكل
- تنهدت أمانى تقول
- يعنى إنت ممكن تتجوز واحدة قصيرة وجسمها مبعكك وشعر راسها
بيتنحل , وايديها ورجليها منفوخين , وما بتخلفش زي كده
- رد أمجد مسرعا
- طالما إنسانة كويسة مش مهم كل اللى قلتيه
- ضحكت أمانى ضحكة عالية مجلجلة تردد صداها فى أرجاء الغرفة , ورغم ذلك
اكتسى وجهها بابتسامة حزينة وهى تمسح بيدها على وجه أمجد وتقول
- إنت لسه صغير
- نظر إليها أمجد حانيا وقال بنبرة مشفقة
- كنت أتمنى إنك ما تكونيش خالتي عشان أتجوزك
- علت ضحكات أمانى الحزينة مجددا وردت قائلة

- أد كده أنا صعبانة عليك
- لا أبدا ... أصل إنتى
- قاطعته أمانى مسرعة تقول
- طب ركز فى الجرامر اللى كل شوية تغلط فيه ده
- عاود أمجد استذكار دروسه بمساعدة خالته مجددا

وتمر الأيام لتتخذ علاقة أمجد بخالته مساراً آخر , ولاحظت هى نظراته إلى جسدها وصدورها من فتحة الجلباب وهى تميل على المنضدة حين تكون جالسة أمامه تساعده فى المذاكرة , وسرعان ما وجدت نفسها تستشعر أنوثتها المفقودة مع نظراته لها , فباتت تتعمد إرتداء جلابيب مفتوحة من على الصدر وتمعن فى إخفاء الشعر المنحول على مقدمة رأسها بإسقاط خصلات من شعرها عليه فتبدو جميلة الطلعة , وتحرص على أن تشب لأعلى برأسها لتظهر رقبتها القصيرة فلا يبدو إلحام رأسها بجسدها , باختصار أرادت أمانى أن تبدو أنثى أمام ذكر , لكنها حين تعى أنه ابن أختها الفتى الصغير , كانت تنقلب إلى النقيض تماما .. تصفف شعرها للخلف لتبدو صلعاء عند مقدمة رأسها وترتدى ما يبرز عدم تناسق جسدها .. وكان أمجد يحس بذلك , فلا يكون منه سوى أن يتخيل أنه رجلاً ناضجاً ويتقدم للزواج من أمانى ليعوضها عن الحزن بالفرح والضيق بالإشراح والهم بالسعادة , لكنه يفيق ويعود إلى الواقع .. واقع أنها خالته وهو ابن أختها الذى يصغرها بأثنى عشر عاماً .. لكن خيالاته جمحت وتخطت الحدود تحت وطأة الغريزة المراهقة ووجد نفسه يتخيلها فى أوضاع حميمة ومن ثم جنسية , واستيقظ محتلماً ذات مرة بعدما جمعه بها فراش واحد فى حلم مشوه مطموس .

ذات مساء عاد أمجد حزينا مهموماً من إستاذ القاهرة بعد هزيمة الزمالك فى المباراة , وكالعادة يشعر بالحزن الشديد والغضب الذى يجعله لا يريد التحدث لأحد , فساقته قدماه إلى غرفة أمانى وطرق الباب لتفتح الباب قليلاً تمد رأسها حاجبة جسدها خلف الباب لتجد أمجد بوجه شاحب ممتقع فتسأله

- إيه مالك ؟
- الزمالك اتغلب النهاردة وعكنن عليّ
- طب استنى ألبس الروب
- قالتها واتجهت لترتدى روبا على قميص نومها القصير , إلا أن أمجد دفع الباب الموارب برفق ودخل ليرى أمانى بقميص نومها الأسود القصير .. لم تلتفت هى إليه وارتدت الروب على قميص النوم , ولما استدارت وجدت أمجد جالسا على طرف السرير وقد امسك بالكتاب الذى كانت أمانى ممددة تقرأه ووجد أمجد أن الكتاب يحوى مجموعة قصصية مما كتبه والدته وتم نشرها من قبل بالصحف والمجلات , وسمع أمانى تقول
- سيبك م الكورة دى .. واخذ منها إيه ؟ !!

قالتها ووجدت أمجد يجرى بعينيه متصفحاً صفحات الكتاب قبل أن يطرحه جانباً على السرير ليقول

- هي كمان جمعت القصص بتاعتها وعملتها كتاب .. تعرفى إني ما بقتش أقرأ حاجة من اللي بيكتبها بابا ولا ماما
- ليه ؟

لم يرد أمجد واكتسى وجهه بعلامات الإمتعاض .. وردت أمانى وهى تجلس إلى جواره على طرف السرير

- أنا عارفة إنت حاسس بايه ؟ .. بس فعلاً لما تكبر نظرتك هاتتغير وهاتعرف إن كتابات باباك ومامتك دعوة للتحرر من القيود اللي ورثناها فى مجتمعنا الشرقى
ضحك أمجد بسخرية وقال

- أنا آخر مرة قريت فيها قصة لماما كنت حاسس إنها زى الأفلام إياها وبتخلينى افكر كلام العيال فى المدرسة عليها

قالها وأشاح بوجهه بعيداً , وعقبت أمانى قائلة
- دول شوية عيال مراهقين مش شايفين فى كتابات ماما غير الجنس وبس صمنت تنظر إلى وجه أمجد وتابعت

- ما تزعلش منى يا أمجد .. أنا حاسه إن تفكيرك لسه مراهق زيهم .. وإزاي تقارن مامتك بالأفلام إياها دى ؟

لم يرد أمجد لتواصل أمانى

- إنت بتتفرج ع الأفلام دى
داهم السؤال أمجد وأجاب متلعثماً

- ساعات يعنى

- وأنا اللي فإكراك مابتشوفش غير ماتشات الكورة وبس

قالتها أمانى بنبرة مازحة , ولاحظت نظرات أمجد لثدييها المتباعدين عن بعضها يبرزان على جانبي صدرها , ولا تدرى هي لماذا ابتسمت وأمسكت بثدييها

تضمهما إلى بعضهما تقول

- كان نفسى بيقوا كده

ضحك أمجد واحمر وجهه خجلاً يقول متلعثماً

- وإنتى ليه حاسه إن صدرك مش جميل ؟

ردت أمانى مسرعة

- وده منظر صدر واحدة مغرى

- آه

- إنت دايماً رافع كده من معنوياتى

قالتها أمانى بنبرة طفولية جعلت أمجد يضحك عالياً ثم بتر ضحكاته , وسأل سؤالاً لا يشغل باله

- هو أنتى عادية زى أى واحدة

تجيب أمانى مستفهمة

- مش فاهمة .. إزاي يعنى ؟
- تردد أمجد لكنه تابع
- قصدى يعنى ... حالتك بتخليكى غير أى واحدة
- فهمت أمانى ما يقصده أمجد وقالت
- أنا زى أى بنت .. غير اللى إنت شايفه وإنى مابتجلىش بريود وما اقدرش
- أخلف .. أنا زى أى بنت
- أوما أمجد برأسه , فى حين شعرت أمانى بشئ جديد يمكن أن تتحدث فيه مع
- أمجد وقالت
- أمال إنت كنت متخيل إيه ؟ !!
- أصل موضوع إنك ما تقدريش تخلفى أطفال .. خلانى أفنكر إنك مش زى أى
- بنت

- رنت أمانى قليلا لوجه أمجد وقالت باسمه
- قصدك إنى أعضائى التناسلية غير باقى الستات
- لم يكن ما دفع أمانى للحديث فى الأمر على هذا النحو , سوى أن سؤال أمجد زاد
- من شعورها بالنقص , فانسأقت فى الحوار لإثبات أنها مثل باقى الإناث بدافع
- إرضاء حاجة فى نفسها , لكن ضايقتها كلمات أمجد حين قال وحمرة الخجل
- تغرق وجهه
- أصل أنا كنت فاكرك حالتك زي اللى بيبقى عندهم أعضاء ذكورية وأنثوية
- علت ضحكات أمانى تقول
- يا ريت .. كنت قلبت نفسى راجل وأتجوز وأعيش حياتى
- صممت تسحب نفسا عميقا قبل أن تتابع
- لأ أنا مش خنتى ... دى حالات تانية ... عندى عضو زى أى بنت
- قالتها أمانى ورأت وجه أمجد أربد من الإثارة , وفى عينيه نظرات الفضول ,
- ووجدت نفسها تستعذب الحديث معه وهى ترى نظراته تجوب أنحاء جسدها ,
- فقال
- لما تنجح السنة دى هابقى أخليك تشوف
- قالتها بنبرة مازحة تماما , إلا أن تبدل تعبيرات وجه أمجد جعلها تدرك فداحة ما
- تفوهت به فقالت معقبة متلعثمة
- باهزر معاك
- لكن أمجد واصل نظراته الشهوانية لموضع ما بين فخذيها وقال
- لازم لما أنجح
- ردت أمانى ضاحكة
- عشان يكون فى حافظ ليك تذاكر وتنجح

بيدو جنوح الحوار بين أمجد وخالته أمانى إلى هذه المنطقة أمرا غير منطقيًا ..
لكن كل ما كانت تنطقه أمانى ما هو إلا تقمص لدور الأنثى المشتهاة الذى طالما

كانت تحلم به وتتمناه ووجدت فى ذلك تعويضا لإحساسها بالنقص من جراء حالتها ليطغى ذلك على أية شعور بالخجل والغرابة .. أما أمجد فقد تحركت شهوته التى كانت فى حيز أحلامه المحرمة لتتحول إلى واقع الآن .. يشعر بغريزته تصبو إلى خالته أمانى الجالسة إلى جواره على طرف السرير تضحك بميوعة , وقال

- طب ما تورينى
- إنت صدقت ولا إيه ؟ .. ما أنا قلتك أنا زى أى واحدة ست
- ألح أمجد فى طلبه
- عاوز أشوف ع الطبيعة

توحدت أمانى تماما مع الإحساس الذى تملكها فى تلك اللحظات .. إحساس الأنثى المشتهاة , فانصببت أمام أمجد فكت رباط الروب ورفعت قميصها وأنزلت كيلوتها وكأنه أمرا عاديا تماما , كما لو كانت تريه وشمة أسفل ركبتيها مثلا وقالت - أهو ... شفت ؟

- قالتها وعاودت إرتداء كيلوتها , لكن أمجد المحدق فيها قال لاهنا
- ما شفتش غير شعر كثير
- ضحكت أمانى تتدلل قائلة

- إنت هاتهيص .. ما خلاص
- لأ بجد ما لحقتش أشوف

النبرة الملحة فى صوت أمجد , أشعرت أمانى بمتعة أنثى يشتهيها ذكر , لذا عاودت فعلتها ولكن هذه المرة اقتربت من وجه أمجد أكثر ليرى كسها بوضوح أسفل شعر عانتها منتفخا وسمعها تقول

- أهو زى أى بنت

قالتها وهى تباعد بين شفريها بأصبعيها تقول

- زى أى بنت

وضعت أصبعها السبابة تتحسس به حواف فتحة مهبلها تقول

- زى أى بنت

أمجد الذى اشتدت به الإثارة ولم يتمكن من مغالبة إنتصاب قضيبه , لم يفطن إلى صوت خالته المبحوح المحتنق حين نطقت جملتها الأخيرة , وكذلك لم يرى الدموع التى ملأت عينيها حين أحست بجملتها (زى أى بنت) يتردد صداها بدوى هائل بداخل صدرها .. كانت تشعر وهى تعرض موطن عفتها أمام عيني أمجد أنها فى محاكمة ومتهمة بأنها مش زى أى بنت , لذا كان عليها أن تدافع عن نفسها وتثبت أنها زى أى بنت , وها هى تقدم الدليل على ذلك .. ما إن إرتدت كيلوتها وعدلت من ملابسها حتى بدأت الدموع تتقاطر على وجنتيها وأجهشت فى البكاء , مما دفع أمجد الذى كان على وشك مد يده لمنعها من إرتداء كيلوتها , بأن

يصدق في وجهها مقطب الحاجبين ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل ؟ .. وأخيرا وجد ما يمكنه فعله .. نظر إليها مليا وهي تبكي ثم بكى هو الآخر .. بكى بحرارة .

منذ ذلك اليوم وقد صار هناك رابط بين أمجد وخالته أمانى التى وجدت فيه ذكر تكمل بها نقصها الأنثوى .. وحاول أمجد أن يفهم ماهية ذلك , لكنه إذا كان لا يتمكن من فهم ذلك فهو على الأقل يحس .. وسار وراء إحساسه .. كلما اختلا ببعضهما يحتضنها بقوة مكابدا رغبتة لئلا ينتصب قضيبه بدفء جسدها فهى خالته , وأسلم نفسه إليها تستخدمه هى أداة ... أداة ... أداة ذكرية تكمل بها نقصها الأنثوى .. أداة ذكرية تشعر معها بأنها أنثى مكتملة زائفة .. يكاد قلبها يتوقف كلما احتضنته بقوة .. تكاد أنفاسها تنقطع وهى تستنشق فيه رائحة رجل طالما تمننت استنشاقها ... استغلت مرة خلو المنزل عدا سواهما وتجردت من ملابسها ورقدت على السرير عارية تلتصق به نائما .. استيقظ هو مرتعشا وامتثل لها تنزع عنه بيجامته والتحما عاريين .. ينتفض قضيبه وتشعر هى بنبضاته بين فخذيها فتملأ الدموع عينيها .. تحس بسخونة منيه على عانتها فيحترق صدرها .. لم يتجاوز الأمر ذلك .. لم يتعدى الأمر ذلك .

عندما التحق أمجد بالكلية كان عليه أن يبتعد ويعدو هاربا .. تعمد ألا يلامس جسده جسدها .. تحاشى حتى النظر إلى وجهها .. استفاقت هى وامتثلت واستسلمت .. لكنها لا تدري لماذا عاودها ذلك الإحساس المقيت الآن , وهى جالسه إلى جواره على طرف السرير وتضع يدها على كتفه تواسيه .. لم يكن ما يحزن أمجد هو توبيخ أبيه , لكن كان ما يحزنه هو المهانة التى تعرض لها لأول مرة فى حياته فى قسم الشرطة بالإسماعيلية .. تشعر أمانى برغبة جامحة فى احتضانه .. اقتربت بجسدها لتحضنه لكن الباب انفتح فى هذه اللحظة ودخلت مها تدير نظرها بين أختها وابنها وقالت

- سيبينا شوية يا أمانى .. عاوزة اتكلم مع أمجد شوية

هنا وقف أمجد وقال

- مش دلوقتى بعد إذنك يا ماما .. عاوز استريح شوية

قالها واتجه إلى الدولاب يتناول فوطة وبيجامة نظيفة ويتجه للحمام .

اتجهت مها إلى البلكونة وجلست تدخن سيجارة ترنو إلى النيل الساكن فى سكون الليل والسيارات على الكورنيش تتدافع مسرعة وشرد ذهنها فى أمجد .. هى تعلم أن هوسه بتشجيع الكرة إنما وسيلة للهروب من واقع لا يريده .. ولا تعرف كيف تعيد توجيهه من جديد .. أفاقته من شرودها على رنين جرس الموبايل .. فتحت الخط وقالت

- أيوه يا أسامة

- إزيك يا مها .. عاملة إيه ؟

- ماشى الحال
- صوتك مش عاجبنى .. مالك ؟
- أبدا مافيش
- عاوز رأيك فى رسومات ليا قبل ما أنشرها .. ما تيجى نتقابل دلوقتى
- لأ بكره فى المجلة أقابلك وأشوف الصور

انتهت المكالمة واتجهت مها إلى غرفتها وزاد إحساسها بالضيق الذى يخنقها عندما وجدت سامى ممددا على السرير نائما .. كانت تتسائل ماذا حدث لحياتها ؟ .. وكيف ضاعت السعادة التى عاشتها معه وبانت ذكرى أيام سعيدة مضت من عمرها .. رقدت ملاصقة له تداعب بأناملها وجهه ولثمت فمه فى قبلة رقيقة .. فتح عينيه ونظر لها مبتسما لتبادل الإبتسامة ومررت كفها تمسح صدره , لكنه أغمض عينيه مجددا لينام .. تنهدت مها بحرقة ونظرت فى ساعتها لتجد عقاربها قد لدغت منتصف الليل .. شئ واحد فقط هو ما تشعر أنه سيبيد ضجرها ... أسامة ... مالت تهمس بأذن سامى

- أنا خارجة دلوقتى

تأقت مها من سامى همهمة غير مفهومة , واتصلت بأسامة تطلب اللقاء .. وارتدت فستانا جميلا زاهى الألوان وتزينت بمكياج هادئ , ولم يفوتها أن تشد الفستان حول طيزها وتستدير لتتنظر فى المرآة لتعاين مدى تناسقها مع باقى جسدها .. نعومة قماش الفستان الضيق من عند الوسط كان يجعله ينحسر بين ففتى مؤخرتها , فخطر ببالها أن ترتدى كيلوت لكنها أمام الدولاب لم تطاوعها يدها , وخرجت كعادتها بلا أية ملابس داخلية تحت الفستان بعدما سمعت رنين جرس الموبايل معلنا قدوم أسامة لإصطحابها منتصف الليل .. نزلت وركبت السيارة إلى جواره وتفاجأت بالمكان الرائع الذى اصطحبها إليه حيث سفينة بديعة المنظر ترسو على شاطئ النيل , وجلسا بالأعلى على سفحها ينعمان بالنسيم الرطب يدغدغ وجهيهما , والأضواء المنعكسة على ماء النيل تعطى المنظر سحرا خلابا .. طلب أسامة عشاءا خفيفا وبيرة مثلجة .. الجديدة التى كست وجه مها أثناء تناول العشاء وهى تبادل أسامة الحديث حول آرائها فى لوحات معرضه الأخير , لم تخفى فنتتها الأنثوية , وأحس أسامة بأنها تتعمد أن تبدو جادة لتوارى ما يعتمل بداخلها , وبعدما إنتهى من تناول العشاء , أخرج أسامة من حقيبته مجموعة من الصور الزيتية يعرضها على مها ومد يده بواحدة قائلا

- إيه رأيك فى دى ؟

تناولت مها الصورة لتجد امرأة عارية بجسد مثير متناسق ممددة على بطنها ووجهها يعلن شبقها ولها مؤخرة كبيرة مستديرة إلا أن هناك إنبعاج عند موضع إلحام إلتئها بفخذيهما , فابتسمت وقالت

- جميلة جدا .. بيعجبني دقتك فى التفاصيل

قالتها وهى تشير إلى الإنبعاج الناتج عن كبر المؤخرة مع إلتفاف الفخذين , ثم تناولت صورة ثانية ورأت فتاة عارية وقد انحنى جزعها قليلا للأمام ووضعت

كفيها تخفى ما بين فخذيه ومن حولها مجموعة من النساء العجائز يرتدين
عباءات بيضاء فضفاضة وعلى رأس كل واحدة خمارا أسود مسدلا على صدرها
.. تنهدت مها وهي تتأمل الصورة وقالت
- فلسفية أوى الصورة دى .. تقصد بيها إيه ؟

رد أسامة

- بصى على وش كل واحدة من الستات دول .. هتلاقى تعبيرات وشها
بتجمع بين الإمتعاض مع الإعجاب فى نفس الوقت .. دا حال مجتمعنا
بالنسبة للفن الإيروتيكى .. بنرفضه ظاهريا لكن بنستمتع بيه وبنحبه بينا
وبين نفسنا
- الفكرة هائلة

هكذا قالت مها , قبل أن تتناول الصورة الثالثة , وضحكت لما رأت امرأة بوجه
ممتلئ مستدير وشعر أحمر متناثر ولها بطن كبيرة مترهلة بعض الشئ , وترقد
على ظهرها مباحة بين فخذيهما وقد خرجت من كسها رأس قطة والشعر من
حول رأسها منتصبا .. ثم تناولت صورة رابعة لإمرأة بجسد ساحر تجلس
القرصاء عارية عدا تاجا من زهور الياسمين يزين شعرها الكستنائى .. ويدها
اليمنى على بظرها المنتصب أما اليد اليسرى فتمسك بقضيب طويل غليظ
منتصب لا يظهر صاحبه فى الصورة وقد مدت لسانها تتذوق رأس القضيب
وعينيها نصف مغمضة وعلى وجهها علامات التلذذ والمتعة الفائقة .. أمعنت مها
فى تأمل الصورة الزيتية وقالت

- متهيألى لو كان الرجل ظاهر فى الصورة كانت هاتبقى أفضل
قالتها وعلى وجهها علامات الإثارة وتطل من عينيها نظرات الشهوة , مما دفع
أسامة ليقول

- أول مرة أشوفك مثارة وإنتى بتتفرجى على واحدة من لوحاتى
قطبت مها حاجبيها وعلا حاجبها الأيسر مندهشة من جرأة أسامة , وردت تغير
من مسار الحوار وكأنها لم تسمع جملته الأخيرة
- إنت حقيقى فنان يا أسامة .. بس كل الصور دى تتنفع تنشرها فى فرنسا
هناك .. إنما هنا مستحيل .. أديك شفت النقد والهجوم اللى اتعمل ضدك
عشان صور معرضك فى قصر الثقافة , مع إن لوحاتك ماكنتش على
درجة عالية من التعبير عن الجسد والغريزة زى اللى شفتهم دلوقتى
أخرج أسامة سيجارة وناولها لمها واشعلها لها وأشعل لنفسه واحدة وقال بصوت
هادئ

- بقالى أكثر من شهرين مش عارف أرسم .. محتاج حاجة تستفزنى للرسم
بدا لمها أنه لا يوجد نقطة تلاقى فى الحوار بينهما , فكلما تحدث أحدهما عن شئ
, يعقب الآخر عن شئ مختلف , فطرحت ما كانت تود الحديث فيه عن معرضه
الأخير بقصر الثقافة , وقالت
- دا عادى مع أى فنان .. بيحى عليه وقت يحس إن طاقته الإبداعية إنتهت ,
ومحتاج حاجة تجدد إلهامه .. لازم تدور على حاجة تستفزك للرسم

- بأدائها أسامة مسرعا
- ما هي الحاجة دي موجودة بس مش قادر أوصلها
 - إزاي
 - إنتي يا مها
- لم ترد مها واكتفت بنظرة متسائلة وهي تنفث دخان سيجارتها وترشف من كوب البيرة لتسمع أسامة يواصل
- عاوز أرسمك
- اكتسى وجه مها باتسامة جميلة مرحة وهي تقول
- هو إنت بترسم من خيالك ولا من موديلات قدامك
 - أول ما بدأت الرسم فى فرنسا .. كنت باستعين بموديلات فرنساويات ..
 - وبعد كده بقيت أرسم من خيالى .. من أول مرة شفتك فيها وأنا عاوز أرسمك
- ردت مها ودخان سيجارتها ينبعث من بين شفيتها المطلية باللون النحاسى تقول
- وتفكر صورتى هاتبقى حلوة زى الصور اللي وريتهانى دلوقتى
 - هاتكون أحلى بكتير
- قالها وصمت يرنو لوجه مها باسمها وتابع
- أنا متأكد إنها هاتكون أحلى بكتير

- رنت مها لوجه أسامة الوسيم وشعره الناعم المفروق من المنتصف وعينيه الجريئة التي تشعر أنها تخترق فستانها وتحس بنظراته على جسدها , وقالت بنبرة مازحة
- أفهم من كده إنك بتغويني
 - بنبرة محملة بأمنية دفينه رد أسامة
 - يا ريت أقدر أغويكى
- رشفة من كوب البيرة مع نفسا من السيجارة قبل أن يتابع
- ما أنكرش إنى عندى رغبة قوية إنى أنيكك .. بس حاسس إنه شئ صعب أو ممكن يكون مستحيل
- بنظرة بدت مهتاجة تبعث على الشهوة ردت مها مسرعة
- حد قالك قبل كده إنك وقح ؟
- حركة حاجبها المزججة بطبيعتها والطريقة التي نطقت بها جملتها الأخيرة , جعلت أسامة يدرك أن رغبته قد تكون صعبة لكنها ليست مستحيلة وأجاب على سؤالها
- كتير قالوا لى .. بس إنتى آخر واحدة كنت أتوقع منها تقول لى كده
 - سحب نفسا من سيجارته قبل أن يتابع
 - لإنك مش واحدة شرقية
 - بس أنا متجوزة
 - أنا كنت فاكتر إنه مستحيل .. بس دلوقتى شايف إنه صعب ومش مستحيل

ضحكت مها معجبة بنبرته المتحدية وجرعت ما تبقى فى كوب البيرة وقالت
وهى تشعر بخدر لذيذ

- ياااااااااااه .. دا أنت واثق من نفسك بأه
ويرد أسامة

- أنا ما قلتش عاوز أنيكك .. أنا قلت عندى رغبة قوية إنى أنيكك
قالها وهو يشعل سيجارة لمها وأخرى لنفسه ويتابع كلماته
- ومش هاقولك عاوز أنيكك إلا أما أكون متأكد إنك مش هاترفضى

تكرار الكلمة الأبيحة من أسامة , ووقاحتها الفجة فى التعبير عن إشتهائه للجنس
مع مها بهذه الطريقة , جعلها تشعر بإثارة لم تعهدها منذ زمن طويل , وأحست
ببلى لزج بين شفريها , وبحكم شخصية مها نعمان التى نعرفها من الطبيعى أن
تتصرف على أريحيتهما تماما دون أن تعبا بشئ .. حيث مدت يدها تتناول بعض
المناديل الورقية وسحبت طرف فستانها القصير قليلا أسفل المنضدة ومسحت
إفrazات كسها , وقبضت على المناديل تعصرها قبل أن تلقى بها على المنضدة
تقول

- تعرف إن دى أول مرة كسى يتبل من كلامى مع واحد غير جوزى
- ليا الشرف

قالها أسامة بزهو , بينما مها تضحك بميوعة فى الوقت الذى كان أسامة يضع
المناديل التى مسحت بها مها سوائل كسها فى الكوب ويصب عليها البيرة , ثم
يعتصر المناديل فى الكوب قبل أن يلقيها فى مطفأة السجائر ويبدأ الرشف من
البيرة .. اتسعت ابتسامة مها لتستعيد فى هذه اللحظات عالمها الذى تركته بعد
الزواج , وتسمع أسامة يقول

- مونيكا دى بوارنيه كتبت قصة بعنوان قمرى الصغير .. بنتغزل فى كسها
أثناء تبولها وإزاي أدمنت المتعة دى من صغرها .. المجلة كانت طالبة
منى صورة هاتتنشر داخل القصة , ولازم ابعتها فرنسا خلال أسبوع ..
رسمت خطوطها بس مش قادر أكملها

قالها وهو يخرج صورة مرسومة بالقلم الرصاص , تناولتها مها لترى فتاة
نحيفة ترتدى ملابس فرنسية من القرن الثامن عشر وعلى رأسها قبعة أنيقة
تجلس القرفصاء تحت الأمطار وعلى وجهها ابتسامة ضاحكة , وتتبول وهى
تنظر إلى بولها منتشية بعدما صنع دائرة صغيرة ينقرها رذاذ المطر المتساقط
عليها .. ظلت مها تمعن فى الصورة الرصاصية لتسمع أسامة يقول

- إيه مش عجاكى

- بالعكس دى تحفة

صممت تسحب نفسا من سيجارتها وتتابع

- أنا عاوزه أقرأ القصة دى

- بس دى بورنوغرافية .. مش زى كتاباتك الإيروتيكية

- أنا فاهمة

أخرج أسامة من حقيبته ورقات مطبوعة باللغة الفرنسية لتقول مها

- لا مابعرفش فرنساوى
- هاترجمهالك وأديهالك لما تيجيلى بكرة
- قطبت مها حاجبيها تقول مندهشة
- أجيلك !!؟
- عشان أرسمك
- ضحكت مها ترد

- إنت خلاص إفترضت إنى وافقت من الأساس
- بنبرة متحدية سأل أسامة
- إنتى خايفة منى ؟
- قبلت مها التحدى وأجابت
- أنا مابخافش من حاجة
- يبقى هاستنى تليفونك بكرة عشان آجى أأخذك

لا تدرى مها لماذا بدأت تحكى لأسامة موضوع تبولها على نفسها لحظة الأورجازم , وكيف اكتسبت القدرة على التحكم فى ذلك مع السنوات , وتطرقت إلى الحديث عن زوجها سامى لتمر ثلاث ساعات من الزمن لم تشعر بها مها , ويقترب الوقت من الفجر , فطلبت العودة إلى المنزل .. أوصلها أسامة وودعها قائلاً

- هاستنى تليفونك بكرة
- هافكر

لم تتم مها نعمان فى تلك الليلة وظلت تتقلب على السرير بقميص نومها المنحسر حول بطنها ونصفها السفلى عارياً , كلما نظرت إلى سامى الراقداً إلى جوارها ببيجامته القرمزية نائماً , كلما جرفتها الذكريات لتتري صوراً لأول قبلة وأول عناق , فيزداد إحتقان جسدها .. تمرر كفيها برقة وحنان تتحسس باطن فخذيها وتطرق بسبابتها على بظرها فيزداد فوراً .. تشعر بتوهج جسدها كما الأيام الخوالى , هل هى لوحات أسامة ؟ .. هل حديثها معه ؟ .. تعرف الإجابة لكنها ترفضها ؟ .. وأرادت الهروب فقلبت سامى على ظهره ونزعت بنظون بيجامته وأمسكت قضيبه النائم تستعيد معه الذكريات .. ألقنت برأسها على عانته , وفتحت فمها ببطء وعينيها نصف مغمضة تتلمس بشفتيها الملساء رأس زب زوجها , فينسال سائل شهوتها يحرق كسها .. تلهو مستلذة بلسانها على زب سامى .. تضحك متمحنة بعدما أعجبتها طرواته وهو لا يزال رخواً فى يدها كأنه قطعة مطاطية تلهو بها .. بدأ ينتصب تدريجياً وينتصب معه توتر جسدها , لتسرع فى إمتصاصه مستمتعة ضاحكة تسكرها الشهوة بعد البيرة .. أحست بيد سامى

تداعب شعرها وابتفت إليه تضحك وعلى وجهها آيات الشبق المتأجج بينما هو ينظر إليها بعينين نصف مغمضتين شبه نائما .. قامت تجلس عليه وتنعم بتلك اللحظة الأثيرة حين تشعر بزبه يعبر فتحة كسها , وتلقى بجسدها فوقه تعانقه بقوة , وتنعم بحرارة جسده تحت جسدها .. سرعان ما تعكر صفوها حين وجدت سامى لم يكلف نفسه حتى بمداعبة جسدها بيديه .. اعتدلت فى جلستها ولم تعد تشعر بمتعة فى إحتضان عشها لقصيب زوجها .. تحتاج إلى أيدى حانية تتلمس جسدها النابض .. تحتاج لأنامل تداعب وجهها .. أين سامى الذى أحبته ؟ .. إن من تحتها الآن شخص آخر لا تعرفه .. حاولت التشبث بمتعة اللحظة قبل زوالها , فمرت يديها على رقبتها وكتفيها ونهديها تمسح على جسدها .. تلم شعرها وتنتثره وهى تتماوج بجزعها فيتحرك زبه فى كسها .. لم تتلقى منه سوى نظراته الشبه نائمة , وعلى حين غرة تنبهت حواس سامى , وأمسك بها من وسطها وأرقدتها على ظهرها يعتليها بين فخذيه .. تشبثت هى به تحيط برجليها ظهره , وتداعب بقدميها مؤخرته , وتجرى كفيها تتهادى على ظهره .. فقط أحست ببضعة طعنات من زبه فى كسها ومنيه الساخن ينقر عنق رحمها وجدران مهبلها , قبل أن يستلقى جانبا يلهث , ويعود إلى نومه غير عابئا بها .. بينما هى شاخصة البصر إلى سقف الغرفة محدقة , تشعر بقمة الغضب والحنق يخنقها , وأدارت رأسها تنظر إليه بغيظ وترغب فى صفعه بيدها .. هدأت قليلا ومدت يدها تتحسس كسها وتعبث بمني زوجها تذاك أشفارها وبظرها , عاودتها المتعة , فأسلمت نفسها تستحلب كسها .. لم تكن تظن يوما أنها ستستجدى بنفسها لذة مبتورة لتكمل متعة ناقصة .. ولما أحست برغبة التبول , أرادت أن تفعل ما أصبح ذكرى من سنوات مضت .. نهضت تتجه إلى الحمام ووقفت وسط البانيو تستند بيدها اليسرى على الحائط , ويدها اليمنى تذاك بظرها وأشفارها بقوة وسرعة وعنف حتى انتفض جسدها وانثنى جزعها وتفرغ شهوتها المكبوتة فى الوقت الذى يندفع فيه بولها وتنساب قطراته على باطن فخذيه المرتعشة ويتحرر جسدها , وتشعر براحة واسترخاء .

أحست مها فى هذه اللحظات برغبة الكتابة عن نفسها , تريد أن تسكب ما تشعر به الآن على الورق .. جلست أمام مكتبها وجرى قلمها على الورق تكتب مشاعر حزنها على ما آلت إليه حياتها , وسرعان ما إنساق القلم لإجتراح مشاهد حياتها منذ وفاة أبويها وظهور سامى فى حياتها .. لتندرك مها أنها الآن تكتب الرواية التى تمنى كتابتها , تكتب الآن قصة حياتها , تبسّم وتضحك وتحزن وتتجهم مع مشاهد حياتها التى تستعيدها الآن على الورق .. ظلت تكتب ساعات وساعات .. لم تنتبه من فرط إندماجها بمغادرة سامى إلى الجامعة , وكذلك أمجد وأمانى إلى البنك .. وظلت تكتب وتكتب حتى أحست بوهن أصابعها وثاقل يدها .. خذلتها يدها فى مواصلة الكتابة , فاضطرت إلى التوقف وانتبهت لأذان الظهر .. حمام بارد جعلها تلقى بجسدها على السرير ولا تدري بعدها بشئ .. لتستيقظ بعد المغرب .. تشعر وكأنها عادت فتاة صغيرة حين كانت تسهر حتى الصباح تقرأ

كتب الباه وتستيقظ عند المغرب .. كانت تفكر فى سبب الحالة الوجدانية التى دفعتها لتكتب ما تمت كتابته منذ سنوات عديدة .. كان شئ واحد فقط يجول بخاطرها .. أسامة .. وابتسمت حين أدركت أن هناك نقطة تلاقى مشتركة بينهما .. فإذا كان هو يحتاجها ليعاوده إلهامه ويرسم .. فهى تحتاجه لتكتب ... أمسكت الموبايل تتصل به , ووافقت على الذهاب معه إلى شقته ليرسمها .

بعدها إنتهى سامى رضا من كتابة مقالاته وإرسالها إلى الصحف .. جلس يواصل كتاباته حول ماهية الخلق والوجود .. نفس الأفكار يعيد صياغتها ويكتب :-

("جهل الإنسان القديم فى تفسير ظواهر الطبيعة التى تعبت بمقدراته من زلازل وبراكين وأمطار وصواعق وفيضانات , دفعه ليلقى بجهله المعرفى وخوفه وضعفه على عاقل قدير يملك القدرة المطلقة , ومن هنا نشأت فكرة الإله , ولكن الإنسان الذى لا يستطيع إدراك ما لا يراه , كان عليه تجسيد هذا الإله فى صورة مادية , فنحت إلهه بيده وتودد له يسترضيه ناحرا القرابين ليسقط الأمطار لتروى زرعه وتسقى أغنامه .. ومع إرتقاء العقل البشرى أدرك سذاجة الفكرة لأنه رأى الإله لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئا , فاتجه إلى وضع الإله فوق السماوت غيبيا بعيدا عن الأعين , ولخص قدرته المطلقة فى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون , ومع ذلك ناقض نفسه وجعله يحتاج لسبعة أيام ليخلق السماوت والأرض!!!! , ثم طمس ذلك الإله حين أحس الإنسان أنه سكب عليه صفاته البشرية فأصبح الله روح .. الله كيان غير مادي .. من أين جئتم بتلك المعلومات ... لقد قالوا لنا .. وياتت الفكرة موروثا بشريا لا أكثر .. لكننا إذا تتبعنا مصدر نشوء فكرة الله سنجدتها تنتهى عند فرد ما .. ذو ثقافة ما .. ذو وهم ما .. ذو خيال ما .. إذن ما الذى يجعلنى أسلم له عقلى؟! .. ومن أهم أسباب إستمرار فكرة الإله أنها فكرة دافئة تمنح المؤمنين شعورا بالمحبة والسلام والتسامح , ولكننا عندما نتصور أن عالمنا الأرضى والذى هو بمثابة حبة رمل تافهة وسط صحراء شاسعة .. وإذا تخيلنا فرضا أن هناك من يمتلك تلك الصحراء .. وأنه مهوم ومتابع لما يحدث على سطح حبة الرمل ليرسل ابنه الوحيد ليخلص البشر .. أو يرسل ملاكه ليزوج رسوله بمن تأتى على هواه .. فإما أن يكون هذا الإله تافها حال وجوده .. أو نحن الواهون , وبذلك نجد أن الإله بدأ بفكرة خدمت كل الطغاة والأسياذ .. أو قل هم من رسموها لتخدم وتكرس وجودهم وحولوها إلى عقيدة لترسخ مفاهيمهم ومصالحهم , فهل من الممكن أن نتقبل أن الإله منزعج ومتوتر من بعض البشر فيدعوك لقتالهم .. أم أن الأمر لا يعدو أن لديك عداوات مع بعض البشر فقتلتهم وبعدها أو قبلها إستدعيت فكرة الإله .. وذلك يفسر لنا لماذا يكون الشيطان حاضرا بقوة فى الأسطورة والوعى الدينى بينما يكون دور

الملاك هامشيا مكتفيا بدور ساعى البريد !!؟ .. فندرك أن الشيطان هو إسقاط كل مانراه قبيحا زميما لنبرئ أنفسنا , ونلقى على الشيطان الكائن المسكين كل أخطائنا , وبالتالي نقبل نصف القول الإلهي القائل ما أصابكم من خير فمن الله .. ويأبى غرورنا الإنساني أن نتقبل النصف الآخر وما أصابكم من شر فمن أنفسكم , فنستبدل أنفسكم بالشيطان .

النبى هو الذى أخذ رخصة الحديث عن الخرافة بواسطة خرافة أخرى إسمها الوحى .. الغريب والطريف أن كل الأنبياء مارسوا إستقبال الوحى بدون أن يراهم أحد .. فإما هم كاذبون أو دجالون أو نصابون أو مصابون بحالات نفسية على أحسن تقدير .. ولذلك نجد النصوص الدينية هى نصوص بشرية محضة تعبر عن مكان وزمان النبى ودرجة ثقافته .. فموسى صور لنا الله الذى إنتقى شعب الله المختار وفضلهم على العالمين فى عنصرية فجة غير مقبولة ولا منطقية .. والطريف أن هؤلاء المختارين المفضلين على العالمين رفضوا الله تباعا ومرار , فتارة يرفع فوقهم جبل الطور بتهديد إنتقامى ليؤمنوا , وتارة يرسل عليهم البرق والصواعق , وتارة يمسخهم قرده وخنازير .. مشاهد أشبه بفيلم كرتونى للأطفال .. ولنتأمل أى نفس بشرية تلك التى ترى جبلا مرفوعا فوقها ولا تؤمن .. سذاجة ... أما عيسى فقد كان ملهما حالما لم يجسد الله والعالم الآخر فى صور بشرية , واكتفى بطلاسم الملكوت الربانى ومبدأ الثواب والعقاب .. أطع الله تنال الخلاص , ولا عليك أن تعرف ماهية الخلاص ... وجاء محمد ليتوارث الأسطورة ويكررها ويحيك خياله بعض تفاصيلها , إلا أنه وقع فى جملة أخطاء فادحة حين جسد الله فى صورة ملكية سلطانية جالسا على عرشه ومن حوله حاشيته من الملائكة فى الملاء الأعلى .. وبما أنه سليل صحراء جرداء كان على خياله أن يرسم الجنة وفقا لوعيه هو ويجعلها نخيل وزروع وأعاب , ولا بأس بخمر لا تسكر و عسل مصفى ولبن .. ولإرضاء شبقه الجنسى ملأ الجنة بالهور العين .. وكذلك أمعن فى تخيل الجحيم النارى الأسود ومقامع الحديد وسلسلة زرعه سبعون زراعا وشجرة الزقوم .. ها نحن أمام نصوص بشرية خيالية محضة .

سؤال برئ : لماذا لا يبالى المؤمن بعدم وجود أية أدلة تاريخية وأثرية على ما جائت به الأديان .. فأنا كلما أتأمل قصة يوسف وقصة موسى تتملكنى الدهشة من المؤمن .. نحن أمام قصتين أسهبت النصوص الدينية فى سرد تفاصيلها المهولة الجسام على أرض مصر فى حقبتيين زمنييتين , كان فيهما المصرى القديم يسجل على جدران المعابد والمقابر , وكذلك على ورق البردى والأحجار ما هو حادث فى يومه .. ألا تستحق حادثة إنشقاق البحر فكان كل فرق كالتود العظيم تدوينة صغيرة حتى ولو كانت على قطعة حجر صغيرة .. للأسف لا يوجد .. يستيقظ المصريون ونهر النيل المقدس تحول إلى دم , ولا يتم تدوين ذلك الحدث الجلل العظيم فى الوقت الذى يدونون فيه كيف يزرعون ويحصدون ويرقصون .. سبع سنوات عجاف أنقذ فيها يوسف مصر وما حولها من شعوب ألا تستحق رسما

صغيرا يعبر عنها .. للأسف لا يوجد .. إذن إما أن يكون المصرى القديم تناسى تدوين تلك الأحداث الجسام بينما لم يفوته تدوين ما هو أتفه من ذلك بكثير ... وإما أن تكون تلك الأحداث لا وجود لها سوى فى نصوص الأديان .. فأى الإحتمالين يقبله العقل والمنطق ؟ .. لذلك لا أتمكن من مكابدة ضحكاتى حين أقرأ أبحاثا ساذجة لبعض المؤمنين يسوقون فيها تلفيقات تاريخية وأثرية بسذاجة متناهية لإثبات صدق ما ورد فى الأديان .. أضحك حين أقرأ البحث الساذج عن أن قوم عاد هم بناء الأهرامات ؟ .. أضحك وأنا أقرأ كتابا يسوق أدلة لا وجود لها لإثبات أن إخناتون هو الخليل إبراهيم أو هو النبی يوسف أو هو موسى نفسه ... أشفق على هؤلاء من زهاء ما يبحثون .. فنخلص فى النهاية إلى أنه لا وجود لأية أدلة أثرية أو تاريخية على صدق معجزة أو قصة وردت فى الأديان .

إذن الدين هو هوية إجتماعية تم إستبدال العلم بالإله .. والقائد الملهم بالنبى .

وليبقى السؤال :

ما الغاية من الوجود ؟ ... لاشئ " .

ما إن وضع سامى رضا القلم بعدما كتب إجابة السؤال : لاشئ ... سمع أصواتا يتردد صداها قادما من بعيد يخترق أذنيه : ما الغاية من الوجود ؟ ... لاشئ ... لاشئ ... لاشئ .. الغاية من الوجود ... لاشئ ... لاشئ ... لاشئ ... وضع يديه على أذنيه ليتوقف الصوت .. لكنه تعاضم وارتفع أكثر وأكثر ... ما الغاية من الوجود ؟ ... لاشئ ... لاشئ ... لاشئ ... كان يشعر أن الصوت يصدر من داخله ... صداع رهيب يكاد يفتك برأسه .. نهض مسرعا إلى الحمام شاعرا برغبة فى التقى ... لم يتقيا .. وقف ينظر فى المرأة ليرى تقاطيع وجهه الجامدة المنحوتة , وشعره الذى كساه الشيب مبكرا .. شعر بخوف ووجل حين حدق ناظرا فى عينيه فى المرأة .. عاد إلى مكتبه بخطا مسرعة يلهث .. أخرج أجدته الخاصة , وأمسك بالقلم يكتب :

(" لماذا توارى الخالق عنا ؟ .. وما الحكمة من ذلك ؟ ... ليت سلسلة المسببات تنتهى ... ليت الطبيعة كانت عبثية وعشوائية ومجموعة من الصدف .. إن كل شئ حولى نظام .. نظام دقيق ... نظام محكم ... نظام يعلن عن عاقل يتحكم فيه .. لماذا لا يظهر ذلك العاقل ويعلن عن نفسه ؟ .. لماذا أراد الجدال حول وجوده أن يستمر للنهية .. ليتنى أفهم وأستريح ... حين أتأمل الجينوم البشرى المسؤول عن مواصفات الإنسان من كافة النواحي و منه يمكن إستنساخه مجددا ويتكون من ثلاثة مليارات من الحروف الكيميائية , كل حرف عبارة عن زوجا من القواعد النيتروجينية .. أندهش وأنا أتأمل تلك المخطوطة متناهية الصغر فى نواة الخلية البشرية فى حيز لا يتعدى بضعة أجزاء من المليمتر , وأن كتابة تلك الشفرة الجينية على الورق يحتاج إلى خمسة ملايين صفحة .. شئ مدهش وعجيب

يرفض عقلى ومنطقى الذى أدرك خرافة الأديان أن أسلم عقلى والإعتقاد بأن تلك المخطوطة المدهشة ما هى إلا نتاج للطبيعة العنثوية العشوائية .. كيف ذلك ؟ .. لابد من الإجابة على السؤال : من الذى كتب تلك المخطوطة متناهية الصغر والتي تحتاج لخمسة ملايين صفحة لكتابتها على الورق وفقا لعلومنا نحن .. تأمل ذلك يقودنا إلى إدراك أن ثمة عاقل هناك .. هو من خط ذلك بعلوم لم تتمكن عقولنا على معرفتها .. هو من علم البعوضة قوانين أرشميدس للطفو لتضع بيضها بداخل أكياس هوائية تجعلها تطفو على الماء ولا تغرق .. هو من علم النملة والنحلة قواعد النظام المجتمعى الدقيق ليتجانس الجميع ويتخصص كلٌّ فى عمله لتكتمل حياة الجمع فى مجتمع خلية النحل وجحر النمل .. لماذا يتوارى ذلك العاقل ويحجب نفسه عنا ؟ .. لماذا ترك أديانه يعبث بها البشر ؟ ... ما الحكمة من استمرار الجدل ؟ "

يظل سامى فى الدائرة المغلقة يدور .. تقوده الطبيعة إلى عاقل موجود .. فيذهب إلى الدين ليتعرف عليه فيجد نفسه يرفضه , ويعود للطبيعة مجددا .. دائرة لا تنتهى , وهو فيها يدور ويدور ويدور .

أشفق على نفسه وأراد الهروب من صرعاته , فعكف يطالع الأخبار .. لفت إنتباهه خبر عنوانه (إسلام قسيس) .. وضحك قبل أن يقرأ التفاصيل .. وحين قرأ التفاصيل تأكد له ما يعتقد .. زهو المسلمين وتفاخرهم بالقسيس المسلم يدل على أن المؤمن يريد أن تحيا عقيدته على حساب هدم وبطلان عقائد الآخرين .. يتأكد لسامى أن التحول من دين إلى دين آخر لا يعدو كونه قصصا طريفة كمسيحي أحب مسلمة فغير دينه من أجلها .. ومسلم عشق مسيحية ونال وعدا سخيا من الكنيسة ليعتنق المسيحية ويتزوج عشيقته .. وصحفية مسلمة تعانى من خلل عقلى وأعلنت إعتناقها المسيحية بحثا عن الشهرة .. ورجل فقد الفكر القويم فرض دينه وتقبل دينا آخر ... هكذا يرى سامى التحولات الدينية دائما ترتبط بأمور دنيوية تحركها .. أما من يعمل عقله وفكره ليجد نفسه يرفض دينه , فلماذا يلقى بعقله ويتقبل دينا آخر لا يقل تناقضا وخرافة , فمن يرفض هرطقة الثالوث ما الذى يجعله يتقبل الإله السلطانى على عرشه حاكما .. وهكذا يرى سامى أن من يعمل عقله وفكره لرفض دينه لن يتقبل دينا آخر , وسيجد نفسه بالتبعية وبنفس الفكر والمنطق يرفض كافة الأديان .. إذن لا يوجد تحول دينى ناتج عن فكر وتأمل ,, وهب مثلا أن هناك من أعمل عقله ورفض دينه لكنه تقبل دينا آخر .. ثمة شخصية كتلك ستدرك جيدا أن الدين ما هو إلا علاقة بين الإنسان والإله وسيتخذ من التدابير ما يلزم أن يجعله لا يدخل فى صدمات مجتمعية مع محيطه .. لأنه شخص وصل إلى رقى من الفكر ولا داعى لأن يشهر تحوله الدينى ويدخل فى صدمات مجتمعية مع بيئته لأن ذلك سيسقط عنه الفكر والعقل السليم .

كالعادة إمتلأت مطفأة السجائر وعبق دخانها ملأ الغرفة .. ففتح سامى الشباك
ينعم ببعض الهواء وينظر إلى السماء متأملا .. يناجى من توارى خلف الأحجية
عله يرشده أو يبعث إليه طالبا .

-12-

بيد مرتعشة ضغط القس عادل برسوم على زر الجرس .. وسرعان ما انفتح
الباب لتظهر سارا عارية عدا صليبا ذهبيا كبيرا يتدلى معلقا حول رقبتها على
صدرها , ويستقر على المجرى الفاصل بين نهديها .. ترنو إلى وجهه بنظرات

فاتنة قاتلة , وعطرها المثير الفواح يصعد به إلى معراج الهيام .. أطرق عادل رأسه إلى الأرض , فابتسمت وقالت وهى تشير إليه بالدخول - تحب ألبس حاجة على جسمى !؟

لم يجب عادل ودخل يجلس على الأريكة فى الصالة , بينما جلست سارا قبالة عارية بجسدها الأبيض الباهر واضعة ساقا على الأخرى , وقد أمسكت الصليب بيدها تداعب به شفتيها , وتتنظر إلى عادل بعينيها الزرقاء الساحرة بنظرات متحدية .. سحب هو نفسا عميقا يرنوا إلى وجهها وسأل - إنتى ليه بتعملى كده ؟

- زى ما كتبت لك فى رسالتى .. لقيتها حاجة ممتعة قالتها وعلى وجهها علامات اللامبالاة , ولاحظت نظرات عادل تتهدى على ثديها , فأنزلت ساقها من على الأخرى , وباعدت بين فخذها باسمة .. وسمعت عادل يسأل ثانيا

- إنتى حاسة إنك إمراة خاطئة ؟
- وإنت هاتمنحنى الغفران وتوعظنى ؟

قالتها وخلعت الصليب من حول رقبتها وبدأت تمرره على كسها وواصلت كلماتها وعيناها لا تطرف

- أنا حاسة بيك .. أنا وإنت واحد قالتها فى اللحظة التى كانت تدفع فيها بالصليب الذهبى الصغير بداخل كسها بينما السلسلة تتدلى بين فخذها , ويرد عادل بنبرة ساخرة - إنتى غلطانة .. أنا وإنتى مش واحد - بيتيألك

قالتها فى اللحظة التى كانت تجذب فيها السلسلة ليخرج الصليب مندفعاً بقوة من كسها , وتسبب ذلك فى أن يجرح الصليب الذهبى حافة فتحة مهبلها بجرح طفيف , إنسابت على إثره بعض الدماء , وعندما رآها عادل تلتقط بأصبعها الأوسط الدم النازف وتفركه بالصليب بين أصابعها , لم يتمكن من مكابدة إنتصاب قضيبه وبحركة تلقائية مد يده يعدل من وضع قضيبه تحت ملابسه الكهنوتية , فضحكت سارا ضحكة خافتة مثيرة , ونهضت تجلس إلى جواره تخلع عن رأسه الشملة السوداء وتقول بصوت هامس - إنت جيت ليه ؟

- حسيت إنك محتاجة مساعدتى
- وهتساعدنى إزاي

لم يرد عادل الذى أربد وجهه بالشهوة , مما دفع سارا لتقول - إنت مش قسيس .. إنت عايش فى دور قسيس

قالتها وهى تمرر كفها بحنان بالغ على وجه عادل وتداعب بأصابعها لحيته المهندمة وتواصل كلماتها

- طب يلا .. أوعظنى وامنحنى الغفران

قالتها بنبرة جادة متوسلة قبل أن تتدارك
- ولا أقولك .. تعالى وامسحني بزيت الميرون المقدس عشان تحميني من
الشیطان

قالتها وهى تنهض وتسحب عادل من يده إلى غرفتها والذي لم يكن أمامه سوى
أن يتبعها تاركاً لها أن تفعل ما تشاء مفضلاً الصمت , فهو لا يجد كلمات يتقوه بها

تحت ضوء خافت تمددت سارا على بطنها فوق السرير , لتتزايد ضربات قلب
عادل بصدرة يسابق الشهيق والزفير .. يشعر أنه الآن فى جهنم تماماً .. يتصبب
العرق من جسده بصورة لم يعهدها من قبل .. يمسح العرق المتقاطر على وجهه
بطرف كم التونيه الكهنوتى الأسود .. رأى سارا تمد يدها وتضغط زر تشغيل
الكاسيت .. فيصدح صوت عادل منبعثاً من الكاسيت وهو يعظ الناس فى أحد
محاضراته .. كان عادل يشعر كما وكأنه فى حلم يجمعه بالشیطان وینتظر أن
يستيقظ فى أية لحظة .. لكنه یتمنى أن یتستمر الحلم قليلاً , فهذا الجسد الساحر
النابض بالفتنة يستحق أن يطول من أجله الحلم .. يزدرد ريقه بصعوبة وهو يرى
مؤخرة سارا , ويكابد رغبته فى تحسسها .. ترتعش يده وهو يخرج زجاجة زيت
الميرون المقدس .

الميرون كلمة يونانية تعنى زيت وهو مزيج من 30 صنفاً من الطيب حيث يتم
خلط زيت الزيتون بمجموعة كبيرة من المواد أشهرها المر والعود واللافندر
والقرفة والقرنفل وحوزة الطيب والزعفران والمسك والعنبر والبلسم , ثم يتم
إضافة الخليط إلى خميرة من زيت الميرون سبق عمله فى مرات سابقة , بعدها
يتم تلاوة الصلوات عليه من أجل تقديسه , ويكون الغرض من مسح جسد الخاطئ
به هو طرد الشيطان , ولكى يحل فى الجسد الروح القدس .

ترتجف يد عادل وهو يسكب بعضاً من الزيت على ظهر سارا , ثم يشرع فى
مسح جسدها تحبو يدها من رقبتها تتلمس ظهرها .. تحول المسح إلى تدليك ,
وتصاعدت أصوات مكتومة متنهدة من سارا التى كانت تصغى إلى صوت عادل
المنبعث من الكاسيت يعظ , وتتخيله واقفاً أمام الناس فى الكنيسة يدعو , وهى
الآن تحت يديه عارية .. تكتنفها راحة ومتعة من مجرد فكرة قسيس يدلك لها
جسدها العارى تحت يديه وبزيت الميرون المقدس .. كلما تخيلت الأسقف
وبصحبتة الكهنة يتلون الصلوات لتقديس الزيت المناسب على جسدها الآن , كلما
استعرت شهوتها وتضاعفت متعتها .. يمسح عادل عرقه المتصبب على وجهه
بظهر يده , فيتلطخ الوجه بالزيت ليشعر بصهد حارق يلهبه .. كابد وكابد ولكنه لم
يستطع , لتمتد يدها تمسح بالزيت على مؤخرة سارا , وما أن شعر بطراوتها
ورأى تماوجها حتى طار عقله , وأطلقت سارا ضحكة خافتة وهى تهز مؤخرتها
وتقول بصوت متمحن

- عجايبك طيزى ؟

قالتها وأعقبته بشهقة حين أحست بكف عادل تنزلق بفعل زيت الميرون المقدس لتعوص بين فلتتى طيزها .. وينتفض قضيب عادل نابضا وهو يشعر بحرارة ثقب شرجها الذى إرتخى بعد مرور كفه عليه .. أدار أصبعه يتلمس تعرجاته , وأغمض عينيه غير قادر على النظر إلى منظره المثير الطاغى , ولا يفصله عن كسها سوى سنتيمترات قليلة .. انزلت يد عادل تتلمس وريقات كس سارا التى غرقت فى الزيت لتعلو تأوهاتهما مع إنتهاء صوت عادل المنبعث من الكاسيت وحل محله أصوات ترائيل المزامير المنغمة وضاعف ذلك من نشوتها ومتعتها , لنقلب نفسها على ظهرها ورأت وجه عادل مغمض العينين محتقنا , فتأججت لذتها من حالته .. فتح عادل عينيه ليرى الشيطانة الفاتنة تبعث بسحرها يأسر قلبه بها متدلها .. وفجأة تصلب جسده وتخشب وبات على الحراك عاجزا .. يشعر كأنه فى الجحيم مقموعا مسلسلا , وسمع صوته يتردد بداخله : ليس الآن وقت الجحيم .. إنها الجنة .. هب من سباته يخلع ملابسه الكهنوتية وصار عاريا .. ألقى بجسده فوق سارا ممسوسا لاهثا .. شعر بقضيبه يطرق بابها للدخول طالبا , فأدرك يدها تقبض على قضيبه عن الدخول مانعة , وسمع همسها وسط غشاوة الشهوة تحجب الرؤية عن عينيه

- لأ ... مش هنا

قالتها وطبعت قبلة حانية على شفثيه تلتئمها فى حين يزداد كفها على قضيبه قابضا وواصلت فحيحها

- عاوزاك تنيكنى وأنا باصلى فى الكنيسة

قالتها وهى تستحلب قضيبه بيدها فدفق نطفته على كسها .

كان ظهور سارا فى حياة القس عادل برسوم بمثابة الحجر الذى سقط فى البركة الراكدة , فحرك مياهها الساكنة .. مرت ثلاثة أيام منذ كان معها .. فارقه إحساس الكآبة والملل والحنق خلال تلك الأيام , حتى أن زوجته وأبنائه كانوا يتعجبون من تهلل أساريه وبشاشة وجهه وكثرة حديثه معهم .. لكنه عاد إلى سيرته الأولى بعد ثلاثة أيام أخرى .. مدفوعا بقوى غامضة تقوده إليها مساء كظمان يقوده عطشه إلى البئر السراب .. استقبلته سارا على الباب وقالت وهى تصوب عينيها الزرقاوين إلى عينيه , فلا يقدر إلا أن يتحاشى النظر إليها

- ألبس هدومى عشان نروح الكنيسة ؟

ورغم أنها لم تتلقى جوابا , إلا أن نظرات عينيه كانت تنضح بالجواب , فأسرعت سارا تنهياً , وفاح عطر الأندرا يعبق أجواء الشقة .. خرجت لتجد عادل يجلس فى الصالة بملابسه الكهنوتية السوداء وبأدائها قائلا

- استنى لما الكنيسة تفضى

جلست سارا وهى فى أوج فتننتها بشعرها الأشقر يتدلى خيوطا على كتفها أمام عادل ويفصل بينهما منضدة صغيرة .. أشعلت سيجارة ووضعت العلبة على المنضدة , فمد عادل يده وأمسك بالعلبة يشعل سيجارة , ليشعر بدوار وخدر لذيد مع النفس الأول .. ابتسمت سارا فالآن يخلع عادل رداء القس لأول مرة أمامها ويسألها

- ليه بتحقرى الأديان بالشكل ده ؟

- مش عارفة

قالتها بنظرة وتعبيرات وجهها تؤكد لعادل أنها بالفعل صادقة .. بالفعل لم تكن سارا تدرك أن نشأتها المرفهة المدللة فى أسرة أرمينية حافظت على تراث الأجداد , جعلها تفقد الهدف والغاية من الحياة التى رأتها تافهة .. ويواصل عادل إطلاق سحب دخان سيجارته ويقول بنبرة أليفة هادئة

- أنا مش مؤمن بالأديان وما باعتقدش فى وجود الله .. لكن دا ماخلاش عندى رغبة فى تحقير الأديان , ولا يمكن تكون دى حاجة ممتعة ليا .. ليه بقت ممتعة ليكى ؟ !!

- مش عارفة .. بس أنا ما أفكرش إنى روحت كنيسة أصلى .. كنت باروح أحضر مناسبات الأفراح والتعازى .. كنت باحس إن الدين ده حاجة مالهاش لازمة .. ومش فارق معايا إن كان الدين وهم ولا حقيقة , وإن كان ربنا موجود ولا لأ

صممت سارا تحرك رأسها يمينا ويسارا وتابعت بنبرة ملؤها الحسرة

- مش عارفة

بالفعل لم يكن الدين يشكل بالنسبة لسارا أية معنى , فتربيتها ونشأتها إفتقدت لوجود الدين فى حياتها , وكذلك هى لا تدرك أنه بات أساسا ذو معنى فى عقلها الباطن بعد إصابتها بمرض الفصام وبدأت المعاناة مع العلاج .. لماذا ؟ .. لأن المسجد الكبير المجاور لها أورثها الدين الذى غاب عن حياتها .. كانت تسمع آيات القرآن تصدح مجلجلة عبر الميكروفونات العديدة من أعلى مكان فوق المأذنة .. كانت كلما وقفت فى بلكونتها يفتك بها المرض , ترى الرجال يسرعون للحاق بالصلاة , وتلمح على وجوههم الرضا والحبور , وترى النساء يتدفقن نحو مصلى النساء راحيات وغاديات منقبات ومحجبات , وتسال نفسها : ما الذى يدفعهن لفعل ذلك ؟ .. حتما يجدن حلاوة وسعادة .. كم تمننت لو كانت بينهن تنعم بالإيمان الدافئ .. كم وددت لو كانت حياتها ذات معنى وهدف وغاية مثلهن .. خبا وميض عينيها وهى تسمع عادل يسألها

- كون إن عندك فصام وبتتعالجى .. دا مش سبب لتحقير الأديان .. ليه

كرهتى الأديان كده ؟

حركت سارا رأسها يمينا ويسارا تجيب بأسى

- مش عارفة

بالفعل لم تدرى سارا أن المسجد الكبير ورؤيتها للمصلين زرع فى عقلها الباطن حسدا وغيره من هؤلاء المؤمنين الذين وجدوا لحياتهم معنى وغاية .. بينما هى تترنح فى الحياة هائمة على وجهها .. تحولت غيرتها إلى كراهية , وتبدل حسدها إلى مقت .. فتولد بداخلها لوما وعتابا على الدين .. تتسائل لماذا لم ينتشلها من ضياعها ؟ .. لماذا لم ينيير لها الطريق ؟ .. لماذا غاب عن حياتها ؟ .. صور لها مرضها أن الدين إذن هو السبب .. هو المسؤول عن خواء حياتها , وأبدع غرور مريض الفصام بداخلها فى تغذية الفكرة ليبعد عن نفسه إحساس التقصير بأنها هى التى لم تذهب إلى الكنيسة .. لم تصلى ولم تطلب المدد .. هكذا دوما مريض الفصام فريسة للعند والغرور والمكابرة .. يلقى بالمسؤولية على أوهام باطنه فى نفسه .. لتتحول الفكرة عبر سنوات إلى إعتقاد .. أعتقدت أن الدين هو سبب معاناتها فى الحياة .. الدين هو من طرحها فى اليم لتغرق .. الدين هو من وضع رقبتها تحت مقصلة المرض النفسى اللعين .. وظل ذلك مكبوتا فى لاوعياها لكنه كان يبحث عن التفيت من أن لآخر , وظهر ذلك حين بدأت تنتابها نوبات من الهلع تتبدل إلى هيستريا كلما سمعت صوت القرآن من المسجد الكبير المجاور يملأ مسامعها .. تهرع كممسوسة تغلق الأبواب والنوافذ , ولكن الصوت وكأنه يصدر من داخلها هى ... لم يكن عادل يفهم ذلك لكنه يحاول أن يفهم فيتابع تساؤلاته

- سمعت وقريت عن ناس بتحقر الأديان بأنها تقطع الكتب السماوية وتف عليها .. أو حتى تتبول عليها .. ليه إخترتى الجنس تحقرى بيه الأديان ؟ نفس الإجابة وكأنه مشهد رتيب مكرر معاد , حيث تحرك سارا رأسها يمينا ويسارا وتقول بأسى وحسرة

- مش عارفة

بالفعل لا تدرك سارا أن مكبوتها الجنى حيث لم تمارس الجنس بأية صورة منذ طلاقها منذ سنوات عديدة , قد تصادف تنازعه الغريزى مع تنازع كراهيتها للدين , وتجلى ذلك يوم كانت فى أحد أشد نوباتها النفسية فتكا .. يوم خرجت وسط الأمطار تجوب الشوارع بسيارتها هربا من صوت القرآن المنبعث من المسجد الكبير , والصدفة وحدها هى التى جعلتها ترى نقابا معروضا فى أحد المحلات ليلقى عقلها الباطن بالفكرة الشيطانية , فنشترى النقاب وترتيبه .. شئ جديد أعطاها إحساسا بدد بعضا من هلعها فى تلك الليلة , وظلت تجوب الشوارع هائمة حتى صادفت الشاب على الطريق الدائرى .. ليكمل عقلها الذائب كشمعة فى النار التركيبية المعقدة .. لقد حرمت كافة الأديان الجنس وشرعت الزواج نظاما مجتمعيا للممارسته , بل تشددت فى عقاب من يخرج عن ذلك الناموس , فكانت فاحشة الزنا تستوجب الحرق و الجلد والرجم حتى الموت .. ساق لها عقلها أن تخرج لسانها للدين بأن تزنى .. تمارس الزنا فى أبشع صورته .. هكذا اختمرت الفكرة فى رأسها .. وبالطبع أدى ذلك للتخفيف من مكبوتها النفسى الهائل ,

وتخفت من الحمل الشاهق .. وتحسنت حالتها المرضية , فالبركان الفائز انفجر
وقذف بحممه الملتهبة .. وتمادت .. وظلت تنمادى .

نظر القس عادل برسوم فى ساعته ليجد أنها قاربت منتصف الليل , وبدا لسارا أن
اللحظة حانت , فخرجا يتجهان إلى الكنيسة .

الجنة الخضراء أصابها إعصار فتحولت إلى صحراء جرداء .. أو أصابها وابل
فطل فصارت مستنقع من الوحل .. هكذا كانت السكينة والهدوء والطمأنينة وسمو
الروح التى أغرقت حياة دميانة الجديدة , بدأت تتحول فى الأيام الأخيرة إلى حياة
روتينية يعترىها الملل , وكانت دميانة تتذكر دوما كلمات المراقبة الروحانية التى
كانت تحذرها دوما من أن هوسها الدينى ربما يكون ناتجا عن فشل حياتها
الزوجية , وأنه سرعان ما سينقلب عليها بقوة .. الآن فقط تشعر دميانة بذلك ..
وإلا فلماذا باتت صلواتها بلا خشوع كما كانت من قبل , وحتى التساييح والخلوة
الروحية لم تعد على مذاقها الدافئ الممتع كما كانت من قبل .. ولماذا صارت
تتبرم من أعمال الخدمة فى الدير التى كانت تأديها عن رضا وطيب خاطر ..
كثيرا ما تشعر أنها أصبحت سجينه بمنأى عن متع وملذات الحياة , لكن سريرتها
تهدأ بعدما تواسى نفسها بأنها حرة .. هى ليست راهبة .. إنما تقيم فى الدير للتعبد
والخدمة ويمكنها الرحيل متى شئت والعودة إلى حياتها , لكنها سرعان ما تتجهم
وينقبض صدرها وتتسائل : أين هى تلك المتع والملذات التى كانت فى حياتها
وتركتها لتقيم فى الدير وتتعبد ؟ .. فشلت فى حياتها تماما .. قتلتها الكنيسة برفض
طلاقها من عاطف ورفض منحها تصريحا بالزواج .. إذا تركت الدير إلى أين
تعود ؟ .. إلى بيت والديها تجلس قابعة وحيدة مهمومة ؟ .. كان تفكيرها كثيرا ما
يجنح إلى أفكار خيالية طفولية مثل أن تهاجر خارج مصر إلى أى بلد تبدأ فيه
حياة جديدة , وعندما تفيق من الخيال الطفولى تجد نفسها تضحك على ما آل إليه
حالتها .. تعودت دميانة حين تنازعها نفسها صريعة الملل والكآبة تهرع إلى
صديقتها الراهبة مارتيريا وتجلس إليها تحادثها وتفضفض بما يعتمل بداخلها ,
فتشعر براحة أشبه بمسكن مؤقت يجعلها تواصل حياتها .

وقفت دميانة بملابس الراهبات تطرق باب غرفة مارتيريا وحول عينيها هالات
بنية اللون تتم عن الهم الممتلىء به صدرها .. لم تتلقى جوابا , ولما حاولت فتح
الباب وجدته موصد بما يعنى أن مارتيريا ليست بالداخل .. نظرت فى ساعتها
ورأت الوقت يدنو من الثامنة مساء .. خطر ببالها أن تخرج لزيارة أسرتها لربما
خفف ذلك من إحترقان صدرها .. سارت بخطا هادئة نحو مكتب الأنبا بيشوى
سيكرتير مدير الدير لتحصل على إذن بالخروج لزيارة أسرتها , وأمام باب
غرفة المكتب تنامى إلى مسامعها تأوهات مكتومة خافتة .. أرهصت السمع

ليتمزج صوت الأنبا بيشوى مع أصوات التأوهات بكلمات مبهمة .. تجلى المشهد فى مخيلتها فتلك الأصوات لا تعنى سوى أن بالداخل من يمارسون الجنس , وحتما الصوت الأجهش العميق يعلن عن وجود الأنبا بيشوى بالداخل .. جلال الحدث بدد تماما من حالة دميانة التى وجدت نفسها تتخيل الفضيحة الكبرى التى سنزلزل الدير إذا افتضح أمر الأنبا بيشوى .. بالأخص إذا كانت فضيحة كنتلك , ولم يكن فى الأمر مفاجأة كبيرة حيث جال بخاطرها فى هذه اللحظات كيف لم ترتح للأنبا بيشوى وطريقته المائعة فى التعامل مع الراهبات ودعاياته معهن .. ولعل عدم راحة دميانة تجاه الأنبا بيشوى هو ما دفعها لتسعى لمدايمته بأن مدت يدها تدير مقبض الباب وتدفعه بقوة لتجده موصل من الداخل , فعكفت على الطرق بسرعة وقوة على الباب بإلحاح شديد .. كان على الأنبا بيشوى أن يصيح ردا على الطارق اللوح
- أيوه .. دقيقة واحدة

قالها بنبرة مرتعشة لأنه أحس من طريقة طرق الباب أن الطارق أدرك ما يحدث بالداخل .. وبعد دقيقة فتح الأنبا بيشوى الباب قليلا يجب بجسده السمين الضخم زاوية الرؤية عن دميانة , وبدا أنه لم يعنى بإرتداء ملبسه التى أعلنت تعجله واضطرابه فى إرتدائها , وبنظرات زائغة ووجه أشحبه الخضة قال بصوته العميق وبنبرة محتدة

- خير يا دميانة .. بتخبطى كده ليه ؟
- كنت جاية آخذ إذن أخرج أزور أهلى .. بس لقيتك مشغول
نطقت جملتها الأخيرة بنبرة ذات معنى , فهمها الأنبا بيشوى ورد مسرعا
- أه فعلا مشغول .. إفضللى روحى زورى أهلك
قالها وهو ينظر فى عيني دميانة بنظرات جريئة جعلت دميانة تدرك أنه لا يهيمه إفتضاح أمره أمامها , وعندما وجدها الأنبا بيشوى متمسرة فى مكانها تابع يقول
- خلاص واقفة ليه ؟ .. روحى زورى أهلك
استدارت دميانة مبتعدة وما إن سمعت صوت الباب يغلق حتى عادت مسرعة تنفض على الباب وتفتحه لتتدخل وتبهت مكانها وهى ترى صديقتها مارتيريا ترتدى ملبسها .. تقف دميانة ذاهلة للدرجة التى جعلتها لم تسمع توبيخ الأنبا بيشوى لدخولها عليهما على هذا النحو , بينما أسرعت مارتيريا تجذب دميانة من يدها وتخرج بها مسرعة تجررها إلى غرفتها .

وبداخل غرفة مارتيريا كانت دميانة تجلس مصدومة فى صديقتها الطاهرة , فى الوقت الذى كانت فيه مارتيريا مضطربة لا تعرف من أين تبدأ الحكاية وقالت بصوت خفيض

- شوفى يا دميانة .. إنتى بقالك كثير هنا فى الدير .. بس إنتى إندمجتى أوى فى التعبد للدرجة اللى خلتك ماتكونيش دريانة بحاجات كثير حواليكى هنا قالتها وثبتت عينيها على وجه دميانة الذى لم تتغير ملامح الصدمة والذهول من عليه وتابعت بنبرة هادئة

- أنا متجوزة الأنبا بيشوى
هنا تبدلت علامات الذهول من على وجه دميانة وحل محلها علامات أكثر ذهولا
وقطبت حاجبيها تبتلع ريقها فى إنتظار المزيد وتسمع مارتيريا تواصل
- الكتاب المقدس بيقول فى رسالة بولس الرسول (إن الزواج أفضل من
التحرق) .. ودا خلا كنائس كثير فى أوروبا تسمح بزواج الرهبان
والراهبات لأنهم لقوا إن كبت الجنس تحت شرط البتولية للرهينة ده مش
شئ عادل ويفسد حياة الرهينة بالكبت الجنىسى

لأول مرة تدرك دميانة كيف تسوق مارتيريا الآيات الإنجيلية للتدليل على منطقتها
ولم يكن لدميانة سوى أن تشعر بفساد ذلك المنطق ووجدت نفسها تصيح فى
مارتيريا
- بس بأة .. اسكتى .. إنتى إيه !!؟

تجهت مارتيريا من صياح دميانة فى وجهها , لكنها التمست لها العذر بسبب
وطأة الصدمة عليها , وقالت
- أنا هابقى أفهمك لما تهدى
قالتها ونازعتها رغبة عارمة فى تبرئة نفسها أمام صديقتها من منطلق الطرق
على الحديد الساخن وترك الأمور تجرى فى أعنتها , فسحبت نفسا عميقا جدا
وبزفرة حارة إنسكبت الكلمات من مارتيريا كشلال هادر
- لعلمك ... راهبات كثير متجوزين من رهبان وأساقفة , وكمان فى منهم
بيمارسوا الجنس من غير جواز .. ورئيس الأبرشية هو اللى بيجوزهم
لبعض .. والبابا شنودة عارف كده بس مش قادر يعمل حاجة لأنهم عاملين
جبهة معارضة ليه .. هو عاوز يحول الكنيسة من كنيسة روحية لملكوت
السموات إلى حزب سياسى , وهما معارضين له وعازين الكنيسة
المصرية تبقى زى الغرب وملهاش دعوى بالسياسة , أباحوا زواج
الأساقفة والرهبان , وحتى العلاقات الجنسية داخل الأديرة بدون زواج
معروفة للجميع وماحدث بيعمل حاجة .. بيشوى يبقى عميل للبابا شنودة
بيغرى زوجات الأساقفة المعارضين للبابا بالفلوس عشان يتجسسوا على
اجوازهم لصالحه

صمتت مارتيريا ترنو لعيني دميانة المغرورقة بالدموع , ولم تأبه بكلماتها
القاسية على دميانة لتتابع
- الراهبة تيريزا اللى معانا هنا اتجوزت راهب بعد ما حملت منه

أجهشت دميانة بالبكاء تصيح بشبه هيستريا
- بس اسكتى .. اسكتى .. اسكتى

قالتها ونهضت مسرعة تعدو حيث غرفتها .

كم كانت الصدمة قاسية على دميانة الطيبة التي شغلها توحيدها الديني والتعبد عن أن تدرك ما يدور حولها في الخفاء .. لأنها لم تكن من الممكن أبدا أن تتخيل صورة كهذه يمكن أن تكون بداخل المكان الملכותى السماوى الروحانى .. لم تتدرك دميانة أن الطبيعة البشرية فطرت على الإعتياد , وأن أية ممارسات حتى إذا كانت دينية تغرق النفس بهالة من المحبة الإلهية والأحاسيس الدافئة المتسامحة , سرعان ما ستتحول إلى ممارسات إعتيادية آلية وستقع تحت وطأة نزاع الأهواء البشرية .. أحست دميانة بذلك وهى ممددة على فراشها تبكى وهى تستعيد حياتها فى الدير منذ بدايتها وحتى هذه اللحظة .. وكيف تحولت الجنة الغناء إلى مستنقع أسن .. الآن فقط تشعر دميانة بأنها كم كانت ساذجة , واتخذت قرارها حين أشرق الصباح حيث جمعت حاجياتها , وغادرت الدير عائدة إلى أسرتها .

بضعة أيام عاشتها دميانة المصدومة مع أسرتها , تقضى أوقاتها تشاهد التلفزيون وتقرأ , وحاولت معاودة الإتصال والتزاور مع صديقاتها , لكنها وجدتهن منشغلات بحياتهن وأسرهن , فما كان منها سوى أن تقبع وحيدة فى بيتها .. ومرت أيام دميانة طويلة كئيبة مملّة , وشعرت برغبة الإحتياج إلى الرب , فذهبت إلى الكنيسة تصلى وقابلت الأنبا كيرلس الذى قابلها بوجهه الوقور البشوش ذو اللحية الرصينة البيضاء الطويلة وبادرها سائلا -
عاملة إيه يا بنتى ؟

كانت تعبيرات وجه الأنبا كيرلس تعطى دوما إحساسا بالراحة والألفة , وتشعر دميانة معه ببصيص النور المشع الذى يبدد الظلام الحالك , وبعد حوار قصير شعرت دميانة أن الأنبا كيرلس يعلم سبب تركها للدير , ووجدت نفسها مدفوعة لتحكى له .. ربما كان دافعها البوح بما يتقل كاهلها أو ربما أرادت ألا تصمت على فساد أدركته , وقالت

- إزاي الكنيسة تسكت على حاجة زى دى؟!!

إبتسامة ودیعة هادئة غطت وجه الأنبا كيرلس وأطرق رأسه قليلا قبل أن يعاود النظر فى وجه دميانة بنظرات حانية مشوبة بالشفقة وقال
- علاقة الإنسان بربه دى علاقة خاصة .. كل واحد بيختار فكره وطريقة حياته .. والبشر مش ملايكة

ردت دميانة محتدة متعجبة

- يعنى إيه؟!! .. المخطئ مش يتحاكم .. ليه الكنيسة ما تسلحهمش؟!!

ضحكة خافتة من الأنبا كيرلس أعقبها بقوله

- لجنة المحاكمات الكنسية المجلس الإكليركى لما بينظر فى قضايا زى دى

.. بتكون فى إعتبرات كتيرة غير تعاليم الكنيسة والكتاب المقدس .. الدنيا

بقت أكبر من الدين .. فى أحكام بشلح رهبان وقساوسة خالفوا تعاليم

الكنيسة والكتاب المقدس .. وفى مخطئين ماتقدرش الكنيسة عليهم

- ليه ؟
- إحنا فى بلد ديانتها غير دينا .. والناس اللي إنت عاوزاهم يتحاكموا دول بقالهم سنين فى مناصبهم اللي بيتسفيدوا منها , ومحاكمتهم معناها إنهم مش هايسكتوا وهايطلعوا يفضحونا قدام المسلمين اللي مش هايسيبيونا قالها الأنبا كيرلس و على وجهه سكنت الحسرة , ولم يبالي بامتعاض وجه دميانة المشمئز واستأذن مغادرا يقول وهو يربت على كتفها داعيا الرب
- الرب يرعاكى , وينير طريقك ... إفتكرى قول المسيح (أنا هو خبز الحياة .. من يقبل إلى فلا يجوع , ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا)

غادر الأنبا كيرلس إلى خلوته التى إعتادها حين ينتابه الحزن , وأمعن فى صلاة متضرعة إلى الرب يطلب هداية الخاطئين , وبكى من فرط خشوعه .. لقد كان الأنبا كيرلس نموذجا لرجل الدين الحكيم الرشيد بحق .

أما دميانة التى عادت إلى بيتها بعدما اتسع نطاق مداركها لتدرك أن النظام الكنسى إنما هو نظام إدارى يخضع للمصالح الدنيوية والأهواء البشرية .. وظلت تتردد بداخلها جملة الأنبا كيرلس (الدنيا بقت أكبر من الدين) .. وأدركت فعلا أن الفصام بين النصوص الدينية والحياة بداخل الكنائس والأديرة هو عنوان تلك الحياة .. لكنها حتما تدرك أن الدين فى حد ذاته أبعد ما يكون عن ذلك , فالبشر هم من يطوعون الدين ونصوصه لخدمة أغراضهم وأهوائهم .. وكلما تتذكر الأنبا كيرلس كلما يتأكد لها ذلك : حقيقة الحياة الأزلية : هناك الفضيلة وهناك الرذيلة والإنسان عليه أن يختار .. كذلك هى عليها أن تختار .. الأنبا كيرلس أم مارتيريا .

مقت دميانة على حياتها المملة خلال الأيام الأخيرة , جعل زيارة مارتيريا لها مفاجأة سارة حملت لها بعض الغيبة التى لم تتمكن دميانة من إخفائها بفتور إستقبالها لمارتيريا التى تحدثت كثيرا إلى دميانة فى موضوعات شتى دون أن تتطرق إلى ما حدث فى آخر لقاء بينهما فى الدير .. لكن ذلك لم يمنع دميانة من أن تقول

- ما تعرفيش أنا إتصدمت فىكى أد إيه يا مارتيريا ؟
- بدهشة حقيقية ردت مارتيريا
- ليه !! .. أنا متجوزة
- قاطعته دميانة محتدة

- إنتى راهبة يعنى المفروض تكونى بتولة تنهدت مارتيريا بزهدك تحرك رأسها يمينا ويسارا تقول

- يا بنتى ما أنا قتلتك .. إن فيه كنائس فى أماكن كثيرة فى العالم أباحت زواج الرهبان والراهبات .. وهنا فى مؤيدين ومعارضين , أنا أخذت برأى المؤيدين .. فىن الجريمة اللي ارتكبتها ؟

قبل أن تعقب دميانة تابعت مارتيريا
- ده حتى ممارسة الجنس بدون زواج فى كنائس فى أوروبا ما اعتبرت هاش
زنا

هنا صاحت دميانة بصوت إخرق مسامع مارتيريا
- إنتى عارفة (لا تزنى) وردت كام مرة فى الكتاب المقدس !
قاطعتها مارتيريا وهى تشير لها بخفض صوتها والهدوء تقول
- أيوه عارفة .. لكن مفهوم الزنا والزواج هو اللى فيه خلاف على تعريفهم
.. لأن الغرض من قصر ممارسة غريزة الجنس فى البشر على الزواج
هو إرساء نظام مجتمعى مش أكثر .. لكن فى ظروف خاصة بيبكون
الإتفاق بين اتنين على ممارسة الجنس حتى ولو كان إتفاق سرى هو فى
حد ذاته زواج
احتدت دميانة مقاطعة

- بس بس .. مش عايزة أسمع الكلام ده
ختمت مارتيريا زيارتها تنظر فى ساعتها
- ع العموم كل واحد له رأيه وطريقة حياته .. أنا إتأخرت ولازم أرجع
الدير

ما إن غادرت مارتيريا حتى تمددت دميانة على فراشها ترنو إلى الفراغ ممعنة
فى التفكير .. كان عقلها متوقفا على نفسه تتسائل عن ماهية حياتها وما الغاية
منها والهدف .. تتحطم القيم والمثل أمام عينها يوما بعد يوم .. صحيح أن طبيعة
الحياة تتلحف بالخير والشر والنور والظلام .. إلا أنها تشعر أن الظلام حالك
وطاغى على النور .. تتراءى أمام مخيلتها صوراً ضبابية لمارتيريا وبيشوى ثم
سرعان ما ينقشع الضباب وتبزغ صورة الأنبا كيرلس بابتسامته الوقورة الهادئة
يمد يده إليها .. إنتهت تساؤلات دميانة بأن قررت العودة إلى الدير .. لكن هذه
المررة لن تكون عابدة فى محراب العشق الإلهى , بل كانت نظرتها أنها ستحظى
بصحبة الأخوات وعمل الأيدي بداخل الدير لتملاً خواء حياتها وتبدد ملل أيامها ,
ولن تعبأ بما يحدث حولها .. وبالفعل سعدت دميانة كثيراً بإستقبال الأخوات لها
بترحاب كبير , ولم تفتن دميانة الطيبة إلى نظرات الأخوات المشفقة عليها بعدما
أدركن ما يعتمل بداخلها .. باتت دميانة أكثر قرباً من الأخوات تتجاذب معهن
الأحاديث وتفتن لما يحدث حولها من أمور لم تكن تدرى بها من قبل حين تقف
مع أختين وتسمع حواراً عن عوائد الدير التى ينيهبها رئيس الأبرشية بمعاونة
رئيس الدير , لكن الراهبتان إرتبكتا وتغير لون وجهيهما مع إقتراب مارتيريا
التي حيتها وسرعان ما غادرت الراهبتان لتخلو مارتيريا بدميانة , وفسرت
دميانة ما حدث بخوف الراهبتين من مارتيريا بحكم علاقتها بالأنبا بيشوى
سيكرتير الدير .

تتمشى دميانة بصحبة مارتيريا بفناء الدير الواسع

- أنا شايفاكى إتغيرتى كثير من بعد ما رجعتى الدير .. ما بقتيش منعزلة مع نفسك زى الأول
- هكذا قالت مارتيريا لتعقب دميانة وهى تشبك يديها خلف ظهرها أثناء مشيتها
- يعنى .. تقريبا بقيت مصاحبة كل الأخوات هنا .. ما كنتش أتخيل اللى بيقولوه عن الإبراشية اللى بيحصل فيها من تهليب
- إنتى اللى كنتى عايشة فى عالم تانى
- قالتها مارتيريا قبل أن تتابع وكأنها تذكرت شيئاً
- ما خدتيش بالك من حاجة لما جيت عليكم وإنتى بتتكلّمى مع كاترين ومارى
- آه زى اللى شافوا عفریت .. وشهم إصفر ومشيووا علطول أول ما شافوكى
- ضحكت مارتيريا تقول
- أصلى قفشتهم مع بعض
- بدهشة سألت دميانة
- قفشتيهم إزاي يعنى ؟
- كانوا عريانين وبيلعبوا فى بعض فى أوضة كاترين من يومين
- لم تبدو مفاجأة على وجه دميانة التى إعتادت أن تسمع مثل تلك الأمور , فبعد ما مرت به من قبل لم يعد يمكن لشيء أن يفاجئها .. تنهدت دميانة تقول
- وأنا اللى كنت فاكرهم خايفين منك لتكونى سمعتى اللى قالوه على بيشوى وتفنتى عليهم
- قالتها دميانة وهى تحرك رأسها بأسى وتابعت كلماتها بنبرة بدت متحشرجة
- أنا لما رجعت الدير .. رجعت على أساس إن فى كويسين وفى وحشين .. بس حاسه إن تقريبا ما فيش حد كويس
- شرعت مارتيريا تحكى لدميانة عن الراهبات الفضليات والغير فضليات , ومن منهن على علاقات مع رهبان وأساقفة ومن منهن عفيفات بتولات .. وسأقتهما الأقدام أثناء حديثهما إلى غرفة دميانة التى خلعت غطاء رأسها وجلست على طرف سريرها تقول
- كويس إنك عرفتيني من الكويس ومن الوحش
- جلست مارتيريا إلى جوار دميانة على السرير تسأل
- وإنتى ليه شايفاهم مش كويسين ؟ !!
- وهو فى مسيحي ملتزم يعمل الحاجات دى !!
- إقتربت مارتيريا بجسدها لتلاصق جسد دميانة التى إقشعرت حين أحست بدفء جسد مارتيريا وأسرعت تبتعد بجسدها , فى الوقت الذى كانت مارتيريا تمد يدها تتحسس خد دميانة بحنان وترنوا إليها بنظرات شيقة .. فصاحت دميانة بنبرة متوعدة محتدة وهى تزيح يد مارتيريا بعيدا
- أوعى تفكيرك يصورلك إنى ممكن أكون زيهم أو أكون زيك

رغم الحقارة التى ملأت وجه دميانة وهى تنطق كلماتها الأخيرة , إلا أن مارتيريا قابلتها بإبتسامة رقيقة وربتت على كتفها قبلما تنصرف .

إنتصف الليل ودميانة تنقلب على فراشها يخاصمها النوم , وكلما تستجدى النوم , كلما اشتد بها السهد .. عليها أن تنعم ببعض النوم فالغد يحمل لها عملا كثيرا إذ عليها أن تنجز بعض الأعمال فى الكنيسة باكرا إستعدادا للمعمودية الموسمية التى ستقيمها الكنيسة عند ظهيرة الغد لتعميد أطفال وأبناء أهالى المنطقة , فخطر لها أن تنزل الآن إلى الكنيسة وتنجز أعمالها ثم تنام صباحا عند حضور باقى الأخوات .. نهضت ترتدى ملابسها لتباهتها طرقات على الباب .. فتحت لتجد مارتيريا تقول

- مش جايلى نوم .. جيت أشوفك سهرانة ولا نايمة
- أنا كنت نازلة الكنيسة عشان أجهز للمعمودية بتاعة بكرة .. مش عارفة أنام
- عمرك أطول من عمري .. أنا كنت جاية أقولك كده

عند منتصف الليل والكنيسة خالية تماما .. كانت سارا تتمدد على بطنها عارية ملاصقة لجدار المذبح , بينما عادل يجلس على ركبتيه بملابسه الكهنوتية السوداء يمسحها بزيت الميرون المقدس .. تشعر براحة ما بعدها راحة ويتدغدغ جلدها بحركة يدي عادل المنسابة على ظهرها تنزلق بالزيت المقدس .. ووسط الإضاءة النيونية الخافتة تفتح سارا عينيها وترنوا إلى صور المسيح والعذراء .. تتخيل المسيح الإله يفتدى البشر وعلى رأسه تاج الشوك والسياط تنهال على ظهره تنهش لحمه وتتطاير الدماء .. تنتشى سارا وتهلأ سريرتها كلما غاص عقلها فى بئر الخيال السحيق وهى ترى المسيح يحمل صليبه ويترنج سائرا .. تنظر إلى المذبح فتري صورة المسيح مصلوبا فتننهد مستمتعة .. ملأ عادل المجرى بين فلقتي طيز سارا بالزيت وعاشت يديه إعصارا وتدلিকা لطيزها التى إحمرت على الفور .. ليشعر بصهد حارق يكتنف يديه ويسرى عبر زراعيه ليحيل جسده جمره متوهجة ويرفع رايته .. يزدرد عادل ريقه ويمتع عينيه بمراى تلك الحورية الساحرة الممددة عارية تحت يديه .. تلتخ وجهه بالزيت كلما مد يده يمسح العرق المتصيب عن جبينه .. يترقب اللحظة المنتظرة بصبر قارب النفاذ .. يعلم أنه لن يحصل إلا على ما ستعطيه هى إياه .. تتأوه سارا بخفوت كلما توغلت يد عادل بين فلقتيها وتلمس أصابعه شفرات كسها .. أدرك أن اللحظة اقتربت حين رأى سارا تقلب نفسها وتصبح على ظهرها تمسك بيديها ندييها تضمهما وتتأوه تنظر فى عيني عادل بنظرات شبة تستحثه .. أو بالأحرى تؤكد له بنظراتها أنها

ستكافئه على بديع صنعه , لذا تابع عادل بهمة ونشاط يمسح بيديه على صدر سارا ولما قبض بأصابعه على حلمتيها المنتصبة صدرت منها آهة منغمة مطوطة متمحنة جعلت أنفاس عادل تكاد تسقط صريعة من فرط لهاثها .. شرع عادل فى نزع ملابسه إلا أن سارا استوقفته صائحة - لأ .. خليك بهدومك

إمتثل عادل لأمر سارا التى كانت متعتها مستمدة من منظر القس عادل بكامل ملابسه الكهنوتية السوداء راكعا على ركبتيه يمسح جسدها العارى بالزيت المقدس .. تمنع سارا فى النظر إلى الصليب الكبير المتأرجح حول رقبة عادل وهو يتابع مسح جسدها ويديه تتهادى حول سرتها على بطنها .. ترتعش زراعى عادل وهو يقترب بيديه من كس سارا ولما باعد بين شفرتيها ورأى اللون الوردى لكسها لم يعد يحتمل .. نزع سرواله الداخلى ورفع التونيه الأسود ولفه حول وسطه وألقى بجسده فوق سارا التى فتحت فخذيهما وأحاطته بزراعيها تطلق آهة عالية لحظة عبور قضيب عادل لمهبلها .

التقطت مسامع دميانة ومارتيريا صوت الآهة أثناء عبورهما باب الممر الفاصل بين الدير وبهو الكنيسة .. أرهصا السمع ليتنامى لهما تأوهات بين عالية وخافتة .. أشارت مارتيريا إلى دميانة بالتسلل صوب التأوهات عند المذبح .. رأت سارا الراهبتان تقفان مشدوهان بجوارها , وبهدوء إحتضنت رأس عادل على منكبها حتى لا يرى الراهبتان , وواصلت التأوة بصوت أكثر علوا .. تتضاعف متعتها فى هذه اللحظة لتنتشى وتملكها رعدة قوية زلزلت جسدها وينتهى عادل لينهض ويسدل التونيه يغطى جسده فينتبه إلى دميانة ومارتيريا ويعم السكون يحلق بأجنحته فوق الرؤوس

ولد أسامة عز الدين من أب مصرى وأم فرنسية , فهو ابن رجل الأعمال الأرسقراطى المصرى بهاء عز الدين الذى ورث عن أسرته العمل فى تجارة السيارات الفرنسية .. وكان دائم السفر إلى باريس بصحبة أبيه للتعاقد مع شركة رينو الفرنسية لجلب السيارات وبيعها فى مصر .. وعندما استقل بهاء عن أبيه

إفتتح معرضا للسيارات وبدء فى جلب أنواع أخرى من السيارات الفرنسية .. مما استدعى لیتواجد فى فرنسا فترات عديدة وطويلة من السنة .. لیس بحکم عمله فقط ولكنه تدله عشقا بباريس , وكان یشعر أنه یعیش فى مدينة ساحرة جميلة بكل ما فیها .. لدرجة أنه اشترى منزلا یقیم فیہ هناك كلما سافر إلى فرنسا .. وتعرف هناك على موظفة فرنسية بشركة رینو كانت تسهل له عقد الصفقات مقابل عمولات مجزية ... سرعان ما أحبها بهاء وعشق جمالها الساحر وتزوجها .. لكنه أبقى على هذا الزواج بعيدا عن أسرته فى مصر .. وتزامن حمل زوجته الفرنسية مع إلیح عائلته فى مصر بالزواج , فاضطر إلى مصارحتهم بزواجه من فرنسية وحملها منه ... لم یتمکن بهاء سوى من الرضوخ لرغبة الأهل وتزوج من مصرية , وظلت زوجته الفرنسية لا یراها إلا كلما سافر إلى فرنسا .. أصر بهاء على تسمية ابنه الأول بأسامة معارضا رغبة زوجته فى إلیحار اسما فرنسیا له .. وعاش أسامه طفولته فى فرنسا تحت رعاية أمه .. كان یشعر أن له والدان .. الأول خاله الرسام التى كانت أمه دوما تقول أنه ورث منه موهبة الرسم .. والثانى ذلك المصرى الذى یأتى كل بضعة شهور ویمکث معهم ثم یعود إلى بلده .. مرت حياة أسامة على هذا النحو , لكن وفاة والدته وهو فى المرحلة الإعدادية من الدراسة , قنصت حياته كلها برصاصة مفاجئة .. فأخذه أبوه إلى مصر والتحق بمدرسة اللیسیه .. من الطبیعی أن یشعر أسامة بالغربة لأنه نشأ فى فرنسا ولیس مصریا , أما ما لیس طبیعیاً أن یستمر ذلك الإحساس على الرغم من بقاءه فى مصر ست سنوات .. رسب فى الثانویة مرتین , وكان مصدر دهشة الجمیع فهو ذكى بطبعه ولكنه لا ینجح فى أى مادة سوى اللغة الفرنسية والرسم .. كان ظهور أسامة أمام زوجة أبیه دوما یذكرها بحقبة فى تاریخ زوجها أرادت أن تنساها وتسقطها من الزمن , لذا مهما حاولت أن تحنو على أسامه تماما مثل أبنائها إلا أنها كانت تفشل وهى ترى فى ملامحه الوسیمة , صورة باهتة لضررتها الفرنسية الراحلة .. وحتى الأبناء كان أسامة لا یشعر بهم كأخوة .. لذا كان وحيدا , ولم تشفع لغته العربیة التى لم تکتمل قدرته على التحدث بها فى إندماجه بأخوته .. یعكف فى غرفته یرسم .. من هنا كان على الأب أن یستجیب لإلیح خاله الذى كان یحضر مصر لزيارة أسامة مرة كل عام , بأن یذهب به إلى فرنسا لإستكمال تعلیمه .. وعاد أسامة إلى فرنسا ودرس الفنون الجمیلة , وبزغت موهبته فى الرسم ... كان یكره إنتهاء الدراسة وبدء الأجازة إذ سیتعین علیه أن یسافر إلى مصر للمکوث مع أبیه وأخوته .. وعندما حان وقت تلك المرحلة التى یتعین على أسامة أن یمر بها : مرحلة الحب .. أحب أسامة فتاة زاملته الدراسة وكان جمالها الباهر وجسدها الذى یبعث الشهوة فى الأجساد الباردة فیحیلها إلى لهیب متقد , ملهما له لیرسم أسامه لوحات ولوحات یعبر فیها عن مدى جمال جسدها الأبیض الباهر , أمعن فى إبراز كافة مفاتن جسدها عاریة , وكما كانت تعجبها لوحة من لوحاته , كلما كانت تمنحه نوبة حب غریزية عنیفة تقذف به إلى سماء المتعة وجنة اللذة ... أدرك خاله حین رأى تلك اللوحات أن أسامة بارع فى التعبير عن الجسد أكثر من أى شئ آخر .. فنصحها بأن یواصل على ذلك المنوال , وأخذ منه

لوحنتين وعرضهم فى أحد معارضه فنالتا إنبهار الجمهور , مما شجع أسامة للإنضمام بعد التخرج إلى نادى الأدب الأيروسى الفرنسى .. وأختلط بكتاب وصحفيين ورسامين إنتهجوا الفن الإيروتيكى .. وإنتهت مرحلة الحب من حياة أسامة بعدما هجرته فتاته حين ملت من العلاقة دون أن تعبأ به .. مر أسامة بفترة سيئة كان يدخل فى علاقات باحثا عن فتاته فلا يجدها .. كلما رسم فتاة , ووضع صورتها إلى جوار صورة فتاته , فلا يجد سوى بدا من معاودة البحث عن فتاته .. لم يتوقع أسامة ذلك النجاح لمعرضه الأول حيث بيعت كافة لوحاته , وإلتحق على إثر ذلك بالعمل لدى العديد من المجالات الإيروتيكية فى أماكن متفرقة من العالم .. يرسل إليهم بلوحاته للنشر .. واستعان به غالبية مؤلفى الإيروتিকা لتصميم أغلفة الكتب ورسم لوحات تتسق ما سياق كتاباتهم .. ومضت حياة أسامة على هذا النحو .. كان أسامه يشعر أنه بعيد عن أبيه رغم الزيارات المتبادلة بين مصر وفرنسا , إلا أن والده لم يكن يعرف سوى أن ابنه صار فنانا مشهورا فى فرنسا وخارجها , وأراد أسامة أن يجعل أباه يرى بديع صنعه , فرتب لإقامة معرضا للوحاته فى أحد قاعات دار الثقافة المصرية .. ودعى إلى ذلك المعرض كبار كتاب مصر وعلى رأسهم مها نعمان التى أعجبهت كتاباتها وجرأتها فى تحدى الجميع .. فعمد إلى لقائها فى روز اليوسف وتعريفها بنفسه وتقديم الدعوة لحضور معرضه وأبدت إعجابها الشديد بلوحاته , وتفاجأ بأنها كانت تتابع أعماله على موقع المجلة الفرنسية (لوروتيك) , وكم هى سعيدة بلقائه شخصيا .

ورغم أن أسامة يعلم بالطبع الفارق الثقافى بين مصر وفرنسا فى مدى تقبل تلك النوعية من الفن .. إلا أنه لم يتوقع أبدا أن يحتجب غالبية المدعويين عن الحضور وفسر له البعض ذلك بأنهم لا يتقبلون لوحات تعرض أجسادا عارية .. ورغم ذلك كان سعيدا بالعدد القليل الذى حضر .. يدور بينهم يوزع إبتساماته , وتلقى إشادة مها نعمان وتمجيدها فى إبداعه .

وحانت اللحظة التى ينتظرها أسامة .. هاهو أبوه يصل .. تلقاه مرحبا , وما أن رأى الأب اللوحات والأجساد العارية المرسومة التى حركت غريزته حتى بان على وجهه الإمتعاض , وتنحى بابنه أسامة وقال
- ده اللى إنت جايينى أشوفه .. أنا كنت فاكرك إنك فنان
لم يجد أسامة ما يقوله وظل يستمع لكلمات الأب المعترضة على لوحاته , وأن ذلك يسمونه فى مصر
- عيب وحرام

صدمة أسامة الشديدة جعلته يقول بعربية خرجت متكسرة قليلا مشوبة بلكنة فرنسية من فرط ضيقه وإنفعاله .. واصفا رأى أبيه بالجهل والتخلف , فما كان من الأب سوى أن يصفع أسامة على وجهه ويغادر .. صفة لم تكن عنيفة فى لطمتها .. لكنها كانت شديدة البأس فى نفس أسامة الذى أنهى معرضه فى اليوم التالى

عائدا إلى فرنسا , مقررا رد الصفة لأبيه ... ذلك الأب الذى جاء من بلد متخلف وقذف منيه فى رحم أمه ليأتى هو إلى الدنيا .. ابنا بلا أب .. أب من نوع لا يرقى لأن يكون أبية .. أراد أن يخرج لسانه له , فعمد إلى رسم الأعضاء الجنسية فى لوحات بورنو .. كان كلما يتخيل شكل وجه أبيه وهو يرى تلك اللوحات , كلما أمعن فى إبرازها وسط الأجساد العارية والمناكحات الجنسية , حتى أنه ذات مرة رسم أبيه وصنع له مؤخرة كبيرة بفتحة شرح محمرة متسعة للغاية .. وظل يضحك سكيرا بفرح وهو يتأمل الصورة .. تحول أسامة إلى التعبير البورنوغرافى زاد من شهرته ووسع من دائرة عمله لتشمل المجالات البورنو , لكنه نال إستياء بعض من جمهوره كانوا يرون أن التعبير عن الجنس بهذا الشكل ينأى بغريزية بحتة تبتعد عن الدوافع والمشاعر والأحاسيس المتحكمة فى الغريزة , مما دفع أسامة لتتويج رسوماته بين كافة المراحل والمستويات , فنال رضا غالبية الجمهور .

إعتاد أسامة على مدار سنواته التالية كلما أتى إلى مصر أن يقيم معرضا بدار الثقافة , ينتقى فيه بعضا من لوحاته على مدار العام لا تظهر فيها أعضاء جنسية صريحة طبعاً , ولا معاشرات جنسية واضحة .. فقط أجساد عارية بنهود وأرداف يحيط بها إطار فلسفى يرمز لشيء ما .. ورغم ذلك كان ينال نقدا لاذعا من المعنيين بالفن التشكيلى والرسم .. ووصل الأمر لمطالبة وزير الثقافة من منع تلك المعارض الفاجرة من قبل حماة الفضيلة .. لكن أسامة كان يقابل ذلك بالتهكم والسخرية غير مباليا .. يستمع إلى أبيه كلما زاره عن رفضه وإمتعاضه فيواصل أسامه طريقه حتى بلغ الأربعين وهو على نفس المنوال .

إعتاد كذلك على الإتصال بمها نعمان ومحادثتها هاتفيا وزيارتها فى عملها بروز اليوسف .. وأثناء تواجده فى مصر فى زيارته الأخيرة على غرار معرضه .. كانت تنتابه تلك الحالة التى تنتاب أى فنان , حين يشعر بالملل وعدم وجود أى قيمة لما يقدمه .. إفتقد أية إحساس بالإلهام .. كلما وضع اللوحة على الحامل الخشبي وأمسك فرشاته وألوانه .. يجد يده لا تقوى على الرسم وعقله لا يستلهم أية فكرة , وأحاسيسه متبلدة .. يحتاج إلى مصدر إلهام , ورغم أنه لم يعد يستعين بموديلات أثناء الرسم , إلا أنه فكر فى ذلك فى الأونة الأخيرة وعزم أن يفعل عند العودة إلى فرنسا بعد أسبوع .. وفى مكالمته الأخيرة لمها نعمان , وجد نفسه يفكر فيها ويتسائل .. ما الدافع والنشأة التى تجعلها تكتب ما يصفه مجتمعها بالإنحلال والعهر والفجور ؟ .. وكيف تتوأم مع ذلك .. بالطبع نموذج جدير باجتذاب الفضول .. أراد محادثتها بعيدا عن العمل , فطلب لقائها واصطحبها بالأمس إلى باخرة ترسو على شاطئ النيل .. وصرح لها بإشتهائه لجسدها ورغبته فى أن يرسمها .

الآن يجلس أسامة فى شقته مرأهنا نفسه أنها ستوافق على أن يرسمها .. أمسك
الموبايل يتصل بها , فوجدها تتصل .. لم يكن يتوقع أنها هى التى ستبادر
بالإتصال ... تهيأ ونزل ذاهبا بسيارته لإصطحابها من شقتها .

بداخل السيارة , كان يبدو على وجه مها أنها شاردة .. فسألها أسامة
- مالك ؟

حكى لها لأسامة عن رغبتها منذ سنوات أن تكتب رواية طويلة عن قصة حياتها
وما مرت به من تجارب , وأنها كانت تعد مسودة لذلك لكنها لم تبدأ فى كتابتها
سوى ليلة أمس , بعد لقائها به , ولم تكن تعلم ما الذى كان يدفع قلمها لأن تكتب
وتكتب كل هذه الساعات الطويلة لدرجة أنها لم تنتبه لطلوع النهار إلا عند
إستيقاظ من فى المنزل .. إندهشت مها من نفسها عندما حكى خبيبة أملها فى
علاقتها الحميمة مع زوجها عقب لقائها بأسامة .. وكيف إستكملت متعتها بنفسها ,
وجرى القلم على الورق يخط ذكريات قديمة بائدة ويقارن بينها وبين ما آلت إليه
حياتها .

تنهد أسامة شاعرا بسعادة بأن تحكى له مها أدق تفاصيل حياتها على هذا النحو ..
فبالأمس حكى له واليوم تستفيض .. إذن المسافة بينهما تتضاءل متلاشية .. الآن
يستعيد أحاسيس الفنان التى كانت متبلدة .. وصلا حيث شقته بالمهندسين .. الشقة
على الرغم من إتساعها فإنها تخلو من الأثاث عدا أنتريه تناثرت أجزاءه بالصالة
وفى المنتصف منضدة صغيرة .. وطلاء الحوائط بألوان عديدة تبدو غير
متجانسة .. لكن الحوائط جميعها مغطاه بلوحات معلقة لأجساد متنوعة مثيرة
عارية من بين أوضاع حميمة هادئة وملتهبة ساخنة .. ظلت مها تدور تتأمل
اللوحات باسمه وتشعر بالإثارة تعترى جسدها .. وأمام صورة لفتاة عارية معلقة
فى الهواء كطائر يفرد جناحيه محلقا , وتتبول لتتناثر قطرات بولها كراداذا مطر
يسقط على بستان أزهار من تحتها .. ضحكت مها أمام هذه الصورة فى الوقت
الذى كان أسامة يقترب منها يحمل فى يده اليمنى كوبين وفى اليسرى زجاجة
فودكا مثلجة .. تناولت مها كوبها وملاها أسامة , وقال هو يصب لنفسه

- عجبك اللوحة دى

- إنت كل لوحاتك بتعجبني

قالتها وهى تتجه مع أسامة يجلسان فى الصالة ويجذب أسامة المنضدة ويضع
عليها زجاجة الفودكا .. يرشف من كوبه رشفته الأولى ويتنهد قائلا
- أنا كمان ما نمتش من بعد ما سيبنتك إمبراح

قالها أسامة وشرع بعدها يحكى لها عن حياته ونشأته وعلاقته بأبيه وجذوره المصرية .. ومتى أحب الرسم ولماذا إختار ذلك النوع .. كانت مها تستمع إليه وهي لا تتوقف عن إحتساء الخمر , ولم تمنع في التدخين وهي تبادلته الحديث .. الخمر جعلت مها شبه مغيبة في حالة خدر لذيد ممتع .. وتلألأ عقلها يجنح إلى الإمعان في دواخل نفسها وما تشعر به , فشردت تفكر أنها الآن لأول مرة تجلس وحيدة إلى رجل غير سامى .. ويبوح كل منهما للآخر بما هو مدفون تحت صدره .. وما أن تتذكر أنها باتت على وشك أن تتعري أمام رجل غير زوجها لأول مرة حتى بدت ملامح متوترة على وجهها .. عاشت عمرها في كنف سامى .. هو من زرع فيها كيف تفعل ما يحلو لها دون أن تعبا بالآخرين .. وهي الآن سعيدة إلى جوار أسامة , ترتاح في الحديث إليه , تشعر بأن هناك جديد طراً ليحدث من حياتها , ألم يمنحها وجوده رغبة أن تكتب رواية حياتها التي طالما تمننتها .. ثم أنها لن تفعل شيئاً , سوى أن تعطيه الإلهام الذى أعطاه لها .. سيرسم جسدها عارياً فقط لا غير .. لن يحدث أكثر من ذلك .. على الفور قفز بخاطرها أنها تعلمت من سامى أن تستمتع بالحياة شرط عدم المساس بحقوق الآخرين , وتساءلت أليس جسدها من حق سامى زوجها وحده , ألا يعد إطلاع أسامة عليه خيانة لسامى .. ضاقت عيناها مع الخاطرة الأخيرة ولا حظ أسامة شرودها التام والخدر الذى كسى نظرات عينيها فقال وهو يمد يده يمسح برفق على خدها - خائفة ؟

كان على مها نعمان أن ترد وهي ترفع حاجبها الأيسر فى منظر زادها جمالا - أنا ما فيش حاجة تخوفنى

إبتسم أسامة وبدا لها بشعره الناعم الطويل المنسدل على كتفيه وعينيها الجريئة تنفذ إلى أعماقها , تأملت وسامة وجهه وهي تسمعه يقول - تأكدى إنى مش هاعمل حاجة أكون حاسس إنك مش راغبة فيها .. ولو مترددة فى إنى أرسمك .. أنا ما عنديش مانع ننسى الموضوع

كلمات أسامة حملت لها إعجاباً مضاعفاً به , فما كان منها سوى أن وضعت كوبها على المنضدة ومدت يدها تجاه أسامة قائلة بصوت يحمل نبرة متحدية - يلا

أمسك أسامة بيدها وقبلها ونهضا إلى غرفة لم يكن بها سوى سرير وإلى جواره كرسي وثير ويتناثر هنا وهناك لوحات بيضاء وحوامل خشبية .. كل ما فعلته مها أنها نظرت بحدة بعينين ناعستين شبه مغمضتين إلى عيني أسامة , وأزاحت حمالتى الفستان الأسود ليسقط أرضاً ويتجلى جسدها لم تفارقه النظرة تحت الضوء البنفسجى الخافت .. ثديي امرأة ناضجة بارزان للأمام بملامتهما الطويلة النافرة , وخصرها النحيف لا يتناسب مع إتساع حوضها العريض , وكسها حليقاً عدا شعيرات متناثرة على حافتي شفراتها البنية الداكنة .. إتسعت إبتسامة مها وهي ترى نظرات أسامة تنهادى متجولة على جسدها , وحرکت رأسها بمعنى

ماذا عليها فعله .. إقترب منها أسامة ووجهها لكى ترقد على السرير على بطنها تميل قليلا على جنبها الأيمن , وتثنى ركبتيها اليسرى لتبرز طيزها الكبيرة المستديرة فى منظر خلاب , حيث ينتهى المجرى الفاصل بين فلقتيها ملتحما بجزء ظاهر من شفرات كسها .. حرك أسامة الكرسي الوثير حيث أصبح فى زاوية مناسبة , وأمسك القلم الرصاص وكراسة رسم كبيرة وقال

- أنا هاخذلك الصور بالرصاص الأول , وبعدين أبقي أرسم منها لوحات الزيت عشان الوقت

- زى ما تحب

- إنتى من إمتى إتعودتى ما تلبسيش حاجة تحت فساتينك

شرعت مها تحكى بصوت واهن حكايتها مع عدم إرتداء أية حمالات صدر أو كيلوات مطلقا , وكيف يشعرها ذلك بتحرر جسدها وإنطلاقه .. وضحك أسامة حين أخبرته أنها بالأمس وهى تتأهب للقاءه إرتدت كيلوت لأنها وجدت الفستان ينحسر بين فلقتيها , لكنها عادت وخلعته بسرعة بعدما أحست أنها سجيئة .. إنتهى أسامة من الصورة الأولى , ووجه مها لتسجد مباحدة بين فخذيهما , ثم على ظهرها وهى تضم ثدييهما بيديها لينتهى من ثلاث صور فى قرابة الساعتين لم تشعر بهما مها وهى تبادل أسامة الحديث .. تشعر بنشوة جسدها العارى ومن ورائها عينان ترقبان وتخط على الورق تفاصيل جسدها , واقترب منها أسامة وجلس على طرف السرير يريها ما رسمه .. إندهشت مها معجبة بدقته المتناهية فى إبراز أدق تفاصيل الجسد , من شكل الحاجبين المزججين بطبيعتهما , وحتى موضع إلتحام إلتيهما بفخذيها .. وعقبت على إحدى الصور وهى تشير نحو البظر المرسوم

- هو طويل كده

أوما أسامة برأسه إيجابا , لتمد مها يدها تتحسس بظرها تعالين مدى طوله , وضحكا الإثنان قبل أن تسأل مها

- الحمام فين ؟

- عاوز أرسلك وإنتى بتتبولى لحظة الأورجازم

قطبت مها حاجبيها لأنها فهمت أنها دعوة من أسامة لممارسة الجنس معها , وإلا فكيف ستصل للأورجازم الذى سيجعلها تتبول .. وعندما لاحظ أسامة تعبيرات وجهها قال

- أنا هاساعدك بس

قالها وهو يرقد مها على ظهرها بحنان شديد , ويمد يده بين فخذيها مدلكها بظرها وأنزلت أصابعه بفعل إفرازاتها المنسابة منذ بداية تعريها .. لكن مها باعدت يده ووضعت هى كفها تداعب كسها , ليتها أسامة جالسا على الكرسي الوثير يرسم ... إستكانت مها لإحساس جديد .. إحساس امرأة تعبت بنفسها أمام رجل يرسمها , الفكرة ذاتها ضاعفت من متعتها , وحالتها المخدرة هوت بها إلى عالم سحيق مأجوج بالشبق .. أغمضت عينيها تتسارع أصابعها فى تدليك كسها وبظرها , ودفعت بأصبعين من يدها الأخرى بداخل مهبلها تضغط على الجى سبوت

وتدلّها .. منذ أمد بعيد يرسم أسامة صورة وهو مهتاج جنسيا , لذا خلصت عبقريته الفنية فى إبداع تلك الصورة بسرعة ومهارة منقطعة النظير .. يستعيد معها ذكرى فتاته الضائعة .. هى الوحيدة التى كان يرسمها مهتاجا , والقلم الرصاص يرتعش فى يده مع إرتعاشة صوت تأوهات مها الممحونة .. وعلى الرغم من تزايد رغبة التبول لدى مها وهى تقترب من الأورجازم , إلا أنها قادرة على مكاببتها .. لكن لماذا تكابدها هذه المرة .. لأول مرة فى حياتها تستحث هى رغبة التبول بدلا من مكاببتها لحظة الأورجازم , فأعطاه ذلك لذة مضاعفة لم ترى لها مثيل , فأطلقت العنان لتقلصات جسدها المرتعد بعنف يتشنج والبول يندفع وهى تعترض مساره بكفها فيتطاير رذاذا حولها وهى تصرخ كعمسوسة من فرط اللذة .

أخذت مها حماما وجلست مع أسامة مجددا فى الصالة تدخن وقد وهن صوتها وثقلت كلماتها وبدأت أنها فى حاجة إلى نوم كامل بعد ما حدث لها منذ الأمس وحتى اللحظة .. وعرض عليها أسامة قائلا

- إيه رأيك تسافرى معايا باريس الأسبوع الجاي .. فى ندوة لنادى الأدب

الأيروسى الفرنسى .. ياريت تيجى تحضرها

عارضت مها لإنشغالها بأسرتها أولا وعملها ثانيا .. لكن أسامة أقنعها أنها فرصة لترى عالم آخر غير العالم الذى عاشت فيه , وأن كتابتها سترسلها إليكترونيا من فرنسا إلى الصحف والمجلات بمصر .. وأنها ستستفيد كثيرا من تلك الندوة وسيكون هو مترجمها الشخصى ودليلها فى تلك الرحلة .. فوافقت مها وعادت فى المساء إلى شقتها , ولم تفعل شئ سوى أنها نزلت فستانها وألقت بجسدها على السرير فى غيبوبة لم تفق منها سوى فى الصباح , لترتدى قميص نوم وتعاود نومها حتى المساء .. إستيقظت ولم تجد هناك جديد فى أحوال ابنها أمجد وأختها أمانى وزوجها سامى جالسا فى مكتبه يكتب .. وافق على سفرها دون أن يستفسر منها واكتفى أنها ستحضر ندوة أدبية .. زاد ذلك من حنقها عليه وجلست تكتب روايتها بأحاسيس متباينة بين الحزن والسعادة والأمل والإحباط .

من بين أحد العوامل التى تمكنا من المقارنة بين العالم المتحضر والعالم المتخلف هو التشجيع الكروى .. فعندما يتحول ذلك التشجيع إلى هوس يتراقص على فوهة بركان من الخواء النفسى والكبت ويتجلى التعصب والعنف , فهذا هو التخلف .. فإذا كانت الرياضة تحولت من مجرد مرتع للصحة البدنية إلى صناعة تدار فيها الأموال , إلا أن ذلك لا يعنى أن تصير سببا للعداوة والبغضاء والعنف .. يتخذ الإنسان المتحضر من تشجيعه لفريق رياضى نوعا من الترفيه والإنغماس فى متعة الإثارة والتشويق , فوقت العمل عمل والترفيه ترفيه ولا مجال للخلط ..

أما غالبية المصابين بهوس التشجيع فإن الأمر سيعود بالحنمية إلى خواء وفراغ نفسى وزمنى .. ليس ذلك فقط , وإنما شعور بالكبت من جراء أوضاع إقتصادية وسياسية وإجتماعية , أدت إلى تولد طاقة ضلت طريقها نحو منعطف خطير .

لذلك لا عجب فى أن نجد غالبية جمهور الكرة المصرى من الشباب صغير السن , وأغلبهم من الطلبة والعدد الأكبر من العاطلين وممن لم تمنحهم الحياة قدرا من التعليم أو الثقافة .. ذلك لا يعنى أن المثقفين والمتعلمين لا يوجد بينهم مهووسون بالتشجيع , فليس ذلك منطقيا بالطبع .. إنما حتى مع إمعان النظر فى هذه الفئة تجد دوما هناك حالة من الفراغ , فلا يعقل مثلا أن يكون هناك إنسانا له من الأعمال والمسؤوليات الكثير وتجده يترك كل ما لديه ليقتبع فى مدرجات الإستاد مرددا الأناشيد والتشجيعات .. ثمة أولئك لا ينغمسون فى هذا العالم لدرجة تصل إلى حد الهوس .. حيث لن يقف أحدهم بسبب ويشتم بأفزع الألفاظ على الملأ ولن يلقى بطوبة أو يحمل شمروخا مشتعلا .

ماذا يعنى الإعلام الرياضى ؟ .. إنه يعنى نقد وتفسير المنافسات الرياضية وملايساتها من الألعاب الجماعية والفردية .. فتصبح المباريات الرياضية هى المادة الإعلامية التى تتدور حولها الأحاديث .. أما أن يتحول الأمر إلى العكس حيث تنقرض المباريات الرياضية ويصبح الإعلام الرياضى حينئذ مرتعا للردى والقبل والقال والمشاكل والخلافات وحتى الخناقات , فهذا يعنى الإعلام الرياضى (المصرى) .. وإذا كان ذلك أمرا غير صحيح , فعلى من تقع المسؤولية هى مسؤولية الجمهور المستقبل لذلك الإعلام وتأثره الشديد به واللهات وراه .. وطبيعى أن يجذب الإنسان إلى الأجواء الصاخبة المثيرة للفضول , لكن الإنسان المصرى تحديدا تدله بعشق الهبكة ومتابعة المشاجرات والخلافات والترشق بالألفاظ .. مما جعل الميديا الرياضية تشكل حيزا كبيرا للغاية لجذب الجمهور .. ومما لا شك فيه أن الإعلام الرياضى الصاخب المعتمد على إبراز المشاكل والخلافات طغى على الإعلام الهادف .. وسار خلفه قطعان المهووسين , اللذين لم يكتفوا بما يشاهدونه على الشاشات .. بل قبعوا أمام أجهزة الكمبيوتر ينفسون عما بصورهم عبر المواقع والمنتديات التى تعاضم شأنها خلال السنوات الأخيرة ولم يعد هناك من رقيب ولا حسيب .. وكان آخرها تلك المعايير التى نشبت نيرانها بين الأهلية والزمالكاوية على نتيجة مباراة الستة الأسطورية .. فالأهلية يتباهون بمباراة الستة واحد الشهيرة ويرد الزمالكاوية بمباراة لا وجود لها سوى فى أرشيف التاريخ عن فوز سداسى للزمالك على الأهلى فى نهائى كأس مصر عام 1944م فى حضور الملك فاروق , وأبى الأحمر إلا أن يبحث الأمر وتراءى له من الملابس الحادثة وقتها أن تلك الهزيمة شرف وليست عار .

جعل ذلك مجموعة الألتراس الأهلاوى أن تصنع لافتة قماشية ضخمة سخرُوا فيها من أصل نادى الزمالك وشعاره , وكتبوا إلى مزبلة التاريخ .. نادى المختلط للإنجليز فقط ... كان ذلك فى مباراة جمعت الأهلى بالزمالك , ولم يشفع إنتهاء المباراة التى حفلت بستة أهداف بالتعادل كى يرضى الجميع , فأمجد سامى كان يشعر بالغضب والحنق لضياح الفوز فى الدقيقة الأخيرة , ولم تفلح محاولات خالته أمانى التى صاحبها معه إلى المباراة فى تهدئته , وعلى الجانب الآخر كان سيد وأعوانه قد باعوا كميات كبيرة من الترامادول الذى أصبح ملاذا زائفا لجمهور المشجعين لإستحضار طاقة وهمية من أجل إطلاقها فى التشجيع , وخرج سيد مصطفى بصحبة ريم ليتقابل أمام الإستاد مع أمجد وأمانى , وكالعادة شب الجدل المحموم بينهما حول المباراة والتف حولهم المشجعون من هنا وهناك .. الأبيض يرى نفسه الأحق بالفوز لولا الحظ الصديق الصدوق للأحمر .. وعلى ما يبدو أن الجدل الذى سرعان ما تحول إلى شجار كلامى لم يفلح فى تخفيف طاقة الشباب , فأسرعوا يرشقون بعضهم بعضا بزجاجات المياه وتلقفوا الحجارة يقذفون بها السيارات وأعمدة الإنارة وتسمع أصوات صيحاتهم وكأنهم فى معركة الدفاع عن الشرف والأرض .. فذلك الذى رشقت طوبته لمبة الإنارة وهشمتها , إنتابته حالة من الفرحة العارمة بالنصر الهائل الذى حققه , فأخذ يصرخ ويتمتم بصيحات بدت وكأنه مصارع رومانى قديم .. وآخر أصاب سيارة وهشم زجاجها فظل يجرى فى فرحة هيسستيرية وكأنه أسقط طائرة مقاتلة لعدو غاصب .. وإكتمل المشهد بتدافع عساكر الأمن المركزى بدروعهم الثقيلة وعصواتهم اللاسعة ينهالون على من يصادف طريقهم لإبعاد تلك الشرذمة الأثمة .. لكن الفئة الضالة وجدت فى صراعها مع الأمن منفذا لتبديد طاقتهم بشكل كان يبعث فى نفوسهم متعة ويحيل أجسادهم الشبة عارية لحمم بركانية تتلظى .. تصرخ أمانى وتولى مبتعدة لا تصدق ما تراه عيناها .. أمجد خلع التى شيرت الأبيض وصار نصفه الأعلى عاريا , وأمسك بعصا التقطها من أحد عساكر الأمن , وظل يكر ويفر يضرب بالعصا فيتفادها العسكرى المسكين على درعه ... مبهوتة ريم ترى سيد بصحبة عدد من مشجعى الأحمر يلحقون بمجموعة من مشجعى الزمالك ويشتبكون فى عراك بكل ما تطوله أياديهم .

كانت حالة فريدة حلت بأمجد وسيد , فكلاهما كان يصارع إحباطات حياته ونواقصه فى صورة معركة وهمية زائفة .. معركة صنعها الجهل والتخلف .. ومنشأها حصاد النفوس من كبت وإحباط وإنعدام الغاية من الحياة .. كلما حطم أمجد سامى شئ .. كان يشعر أنه يحطم أباه المدان بالكفر والزندقة , وكلما كان يهوى بالعصا على أحد , كان يشعر أنه يهوى بالعصى على أمه المدانة بالعهر والفجور .. يكسر ويضرب ويحطم , فيتلاشى من أمام عينيه ضباب متراقص لخيالات صور أبيه وأمه , تنتابه حالة عجيبة من النشوة والراحة فيسعى إلى المزيد والمزيد .

بينما سيد ليس بأقل شأنًا , إندمج هو الآخر فى الصراع .. يصارع شبح حياته الفقيرة البائسة التى ألقى بها وراء ظهره , ومضى يصنع حياته الجديدة بصحبة ريم , لكنه دوما يشعر أن حياته الجديدة التى بناها على جمع المال من بيع الشماريخ والترامادول , حياة غير شريفة .. حياة تجلب العار , ولما لا؟؟ وهو يرى فى عيون ذوييه من المشجعين نظرات الإحتقار التى كانت تولد فى داخله إحتقارا لنفسه هو .. يشعر الآن أنه يصارع ذلك الإحتقار وينهال عليه تكسيرا وتحطيمًا وتهشيمًا .. يحطم حياته القديمة ويكسر إحتقار حياته الجديدة .. يشعر بالراحة والنشوة فيسعى للمزيد والمزيد .

تضاعفت أعداد رجال الأمن للسيطرة على الموقف , وجاءت اللحظة الأثيرة حين تصلبت الأيدى المرفوعة إستعدادا لأن تهوى عندما إنتقت العيون , وجهها لوجه .. وجد سيد وأمجد نفسيهما أمام بعضهما , أمجد واقفا يلهث رافعا يده بالعصا , وسيد تتسابق أنفاسه ويخفق قلبه رافعا يده بقطعة من الحديد .. لحظات تفجر فيها كل ما يشعر به أحدهما تجاه الآخر .. فلأول مرة يدرك أمجد أنه طالما كان يحسد سيد على أبوييه , وكم تمنى لو كان له أبا لا يدينه مجتمعه بالزندقة مثل سيد , وكم تمنى لو كان له أم لا يدينها مجتمعا بالعهر مثل سيد ... أما سيد فقد كان يدرك أنه طالما حسد أمجد على حياته المرفهة وأبيه الأستاذ الجامعى وأمه الكاتبة .. تلاقت الرغبتان فى أن تهوى الأيدى على بعضهما , لكن ما بينهما كان أكبر مما تحمله سريرتهما .. نزلت الأيدى المرفوعة وفطنا إلى إقتراب عساكر الأمن فافترقا عن بعضهما .

تجمع مجموعة من مشجعى الأهلى حول أتوبيس يحمل مجموعة من مشجعى الزمالك متجها للعودة بهم حيث أتوا , وصاح أحدهم - هما دول إللى رفعوا الشباشب على علم الأهلى وحرقوه

صدق ما قاله حيث قام بعض مشجعى الزمالك بحرق علم الأهلى ردا على اللافتات المسيئة التى شملتها دخلة الأوترا الأهلاوى , فما كان من الجمع سوى إشعال الشماريخ وقذف الأتوبيس بالحجارة وتهشيم زجاجه ومن ثم إلقاء الشماريخ المشتعلة لتضرم النار فى الأتوبيس , ورغم فرار من كان فيه قبلما تشتعل النيران , إلا أنهم وقعوا تحت وابل من الحجارة المقذوفة أدمت أجسادهم .

بالطبع حدث كذلك يصلح لصدارة الميديا الإعلامية الرياضية لأيام وأيام , ويحمل الجميع لواء التصدى للتعصب والعنف , ويردد الجميع جملة - أنا قلت قبل كده وحذرت

وتتسابق الفضائيات والمواقع فى التحليل والتفحص , والنتيجة لا شئ , بل يؤدي أسلوب تناول البعض إلى مزيد من الفتنة تحت بند الإعلام الملون , ويخلص الحل فى مجرد تشديدات أمنية خلال المباريات .

ليلتها عاد سيد مع ريم إلى شقته بمصر القديمة .. لا يدري بسبب تلك الحالة التي تملكه , بكامل ملابسه ألقى بجسده على السرير , يشعر بإرتعاشة أعصابه , لكن صدره مقبوض لا يقدر على إنتزاع الهواء .. كاد يختنق فاعتدل يجلس على السرير ليشعر بيد ريم تمسح على رأسه .. هي الأخرى لم ترى سيد من قبل على هذه الحالة , فرغم حياتها التي إرتبطت بحياته منذ شهور , بعدما تركت الإسماعيلية واكتفت بالسفر كل فترة لجلب الترامادول من مصنع مدينة سراييوم ليقوم سيد ورفاقه ببيعه للمشجعين , إلا أنها لا تعرف سر الحالة الهستيرية التي تملك سيد وجعلته يتعارك مع كل ما حوله بعد المباراة .. نظراتها الحانية وهي تفك أزرار قميص سيد تنزع عنه ملابسه , جعلت سيد يفكر كيف كان سيتحمل الحياة وحيدا بدونها , يشعر أن الحياة ألفت ريم فى طريقه لتتبدد وحدته .. ساقته ريم إلى الحمام ليحظى بحمام بارد أنعش حواسه .. لكنه ظل صامتا شاردا حين إرتدى بيجامته وتمدد على السرير .. لا يدري سيد لماذا يملكه كل هذا الإحساس بالحقارة .. يحتقر نفسه ويحتقر حياته .. لم ينفعه جنى المال فى أن يرضى عن حياته .. عاش منذ طفولته كارها لحياته فى كنف أبيه بائع الكسكى .. يتردد على مسامعه الآن معايرة التلاميذ له بمهنة أبيه .. سيد كسكى سيد كس ... هرب من وساوسه الخائفة بتذكر ما جمعه من مال , وأنه الآن تخلص من حياته القديمة الوضيعة .. لكنه سرعان ما تذكر أنه مجرد إنسان حقير ... هكذا كان يرى فى عيون ذوييه وحتى ممن يشتررون منه الترامادول .. وكأن الحقارة إلتصقت بحياته ولم يعد بدا من ركلها بعيدا .. رأى حياته الأولى حقيرة .. وحياته الثانية أشد حقارة .. ياااااااااااااااا .. إحساس مرير .. لكن ما الذى دفعه إلى تلك الحالة .. لم يفهم سيد أن ما حدث بعد المباراة من عنف فجر مكبوته الذى طالما عاش يواريه التراب وظن أنه قام بوأده إلى الأبد .. لكن هيهات تنتابه الآن رغبة عارمة فى أن ينهض من على الفراش , ويحطم ويكسر ليشعر بالراحة .. إلتمعت عيناه بالدموع .. أفاق من شروده على صوت ريم التي كانت تحتضنه من الخلف تسأل بصوت مفعم بالشفقة

- مالك يا سيد .. أول مرة أشوفك كده ... بتفكر فى إيه ؟

مجرد وجود ريم إلى جواره كان يبعث بداخله بصيص من سعادة وسط حالة حزن قائم يكتنفه .. أدار سيد جسده ممددا وبات وجهه فى وجه ريم يبادلها الشهيق والزفير , ورأت هي الدموع فى عينيه وقبل أن تعيد سؤالها , خرج صوت سيد متحسرا باهتا , وبدأ كلماته ... أفضى لريم بكل ما يشعر به .. وحكى لها عن

طفولته ومعايرة العيال وأبيه بائع الكسكسى , وكيف يحس بأنه يحتقر نفسه الآن على ما آلت إليه حياته ... إحتضنته ريم بقوة وهدأ بعدما أزاح عما ب صدره كمن أنزل حملا أثقل كاهله .. رائحة جسدها عادت به طفلا فى حضن أمه .. دفس رأسه بين ثدييها يهرب من الخوف ليشرع بالسكينة , وبدأت هى تحكى ... حكى له كيف عملت بالدعارة وعلاقتها بالمحامى مرسى عويس وكيف إشتغلت مندوبة مبيعات تبيع الأدوية المستوردة والترامادول , وحكى له عن أبرز ما عرفت من رجال وكيف كانت تنتقيهم وفقا لشروطها وتقطف من كل بستان زهرة .. وكيف إنتهى بها الحال تجرى مهانة يطاردها العار ... لم يكن سيد مصدوما بالطبع وهو يسمع ذلك من ريم , فهو كان يشعر منذ البداية , فلا يمكن لفاتة عادية أن تلقى بحياتها فى طريقه على هذا النحو .. إن لم تكن سلبية عالم مظلم تبحث عن النور ... رفع سيد رأسه من على صدرها ونظر فى عينيها ... لقد إلتقيا عند نقطة مشتركة وحدث بينهما ... كلاهما عاش يحتقر حياته مهما بدل طريقها ... كلاهما يشعر بالعار ويفتقد إلى الشرف ... ورغم أن نفس الإحساس كان يغمر ريم فى نفس اللحظة إلا أنها بهتت وهى تسمع سيد يقول

- أنا عاوز أتجوزك

ضحكت ريم كمن سمع نكتة ... ضحكت عاليا بشكل جعل سيد يصيح

- بتضحكى كده ليه ؟

- إنت عارف أنا عندى كام سنة ؟

- زي 28 سنة

لم تكن ريم قد أخبرت سيد من قبل بحقيقة عمرها , تركته يستنتج حين سألها وأومات هى برأسها حين قدر هو عمرها بثمانية وعشرين .. تنهدت ريم بأسى تقول

- أنا عندى 35 سنة

لم يصدق سيد وظن أنها تمزح .. وسمعها تتابع

- ما حدش يدينى سنى ده

- أكيد بتهزرى

هذا كل ما عقب به سيد ليخرج صوت ريم مخنوقا تقول

- أنا شكلى أصغر من سنى بكتير جدا .. أنا فعلا عندى 35

لا يزال سيد غير مصدق , ومع شروق الشمس التى تسللت أشعتها عبر منافذ الشبالك الخشبى للغرفة , وتحت ثنايا الإضاءة الخافتة بدأ سيد يمعن إلى تجاعيد خفيفة تحت عيني ريم , وفطن لماذا جلد رقبتها يبدو مكرمشا , وفهم تفسير بروز أوردة ظهر يديها .. لاحظت هى نظراته تتابع عينيها المتجولة على وجهها باسمة ... صحيح أن ريم بضالة جسدها وتقاطيع وجهها الصغيرة وحتى نوعية ملابسها تجعل من يراها لا يقدر عمرها بما يتجاوز الثلاثين .. لكن سيد من البداية لم يشغل باله , فإنطباع اللقاء الأول بينه وبينها أمام إستاذ الإسماعيلية إلى جانب

شكلها فى المجلد , رسخ فى ذهنه أنها من نفس عمره , وقال وهو ممسك بيدها
بعدها إعتدل جالسا على السرير
- مش مهم .. برضه هاتجوزك
تضحك ريم وقلبها يتقطر حزنا تقول
- أنا ما أنفكش
حاول سيد أن يهون من فارق العمر لكن ريم تقاطعه
- أنا لو لحقت أخلف عيل مش هاخلف التانى

أرادت ريم أن تنتهى هذه الحالة المشحونة بينهما , فقطعت كلمات سيد حين حذبتة
ترقده على ظهره وتنظر فى عينيه بنظرات مشفقة حانية ثم تقبل شفثيه بقبلة رقيقة
.. أتبعثها بأخرى ساخنة , فثالثة ملتبهة أجبت من جسد سيد , لينبثق ضباب
الشهوة ويحجب الرؤية عن كل شئ آخر .. إستكان سيد لها وهى تعتليه بجسدها
الصغير , وتقضم شفثيه فيبادلها إمتصاص شفثيها , شعرت ريم بقضيب سيد
ينتفض بين فخذيه .. تعرت من قميص نومها وخلعت كيلوتها , وعرت سيد
يحتضان بعضهما بقوة فيشعران بالدفء .. ملمس الجسدين العاريين بث فيهما
متعة ونشوة كانت عند سيد أكبر من ريم التى كانت شاردة , فهى كأى فتاة طالما
تمنت زوجا , وحين ألفت لها الأقدار به شائت أن يكون الأمر ممسوخا مشوها ..
أفاقت من شرودها على لذة مفاجئة سرت بجسدها لحظة أن عبر قضيب سيد فتحة
كسها .. ظلت تتماوج بجزعها تعتصره بعضلات مهبلها قضيب سيد .. كانت
تحس به منتصبا على آخرة كجلمود يملأ أحشاؤها .. هى لم تكن ترغب فى
الجنس .. فقط كانت تريد أن تمنحه متعة ينسى بها ما ألم به تلك الليلة , لكنها
سرعان ما تملكها الشبق وسكبت به على سيد تتفنن فى إمتاعه .. كان هو يشعر
أنها تكافئه لأنه سيمنحها حياة أسرية تحلم بها أية امرأة .. مندهش سيد من طول
تلك النوبة فلربما ما بذله من طاقة اليوم جعل أعصابه المجهدة تستقبل المتعة
حنيثا دون الوصول للذروة سريعا .. علت التآوهات وإنطلقت الضحكات وهما
يتبادلان الأوضاع لدرجة أن ريم قضت وطرها وإنثشت وسيد لم يقذف بعد ..
أرقدته على ظهره وأمسكت زبه تمتصه , فلم يرق لها طعم إفرازات كسها المالح
التى تغرق زب سيد .. مسحتها بيدها وعاودت إمتصاصه بقوة حتى قذف سيد
وجاءت دفته الأولى فى فمها لتصبح مشمئزة وهى تبصق منيه من فمها .

خبا الجسدان تماما وغط سيد فى نوم عميق , بينما ظلت ريم شاردة تفكر ... هل
تقبل الزواج من سيد ؟ .. هى تعلم أنه مجرد إندفاع فى محاولة لتغيير حياته عله
يرضى بها .. لكنها تعتقد أنه حتما سيبدل رأيه بعد حين , وسيتلاشى الحب
وسيبينعد عنها حتما .. فكرت أن تتزوجه وحينما يزهد فيها ويبحث عما تناسبه ,
تتركه هى وتبتعد .. لكنها تؤمن أنها ربما لن تتحمل وقتها ... تتأرجح لا تعرف
ماذا تفعل ؟

لم يكن حال أمجد بأقل مما حدث لصديقه سيد , فما أن عبر باب شفته ورأته أمه التي كانت تتأهب للسفر على هذه الحالة المزرية وبعض الكدمات البسيطة تتناثر على وجهه حتى صاحت تستفسر .. دفاع أمانى عن أمجد بأنه لم يتشاجر مع أحد .. سقطت تحت الأقدام وسط المدرجات أثناء تدافع الجمهور للخروج من الإستاد .. لم يقنع هذا التفسير مها وبالأخص طريقة أمانى وإستماتتها فى الدفاع عن أمجد وتبرئته من تهمة التشاجر , وكادت مها تلغى سفرها , لولا أن ما يحدث فى البيت من حولها صار خانقا للدرجة التي جعلتها تشعر أنها بحاجة للهرب وليس السفر .. كالعادة كل ما فعله سامى هو نهر أمجد وتوعده بالعقاب فى حال تكرار ذهابه للإستاد .. مما دفع مها لأن تحمل حقيبتها وتخرج مغادرة بغضب وتستقل تاكسيا إلى المطار وتلتقى بأسامة هناك .

على الفور عاد سامى إلى مكتبه يقرأ ويكتب ويبحث عن ماهية الكون والوجود , يناجى العاقل القدير أن يلهمه إلى الحقيقة .. بينما أمجد حظى بحمام بارد وتمدد على السرير فى غرفته شاعرا براحة غريبة وعجيبة .. بعد كل هذا العنف الذى بذله منذ ساعة يشعر بهدوء جسده .. ومجرد غياب أمه عن البيت أعطاه إحساسا بالحرية , فوجود أبيه تماما مثل عدمه .. سيظل قابع فى مكتبه يكتب أو أمام الكمبيوتر .. كان يسخر فى سره .. كيف يكون على أعتاب عامه السابع والعشرين ويعمل محاسبا فى بنك , ولا يشعر أنه إنسان مستقل حر له إرادة .. لا يزال يحيا فى جلاباب طفل يرعاه أبويه .. حياته تسير على نفس المنوال بلا هدف ولا غاية .. فجأة إنتابته رغبة جنسية ملحة لم يجد لها تفسيرا , هل لأنه لم يحتلم منذ فترة طويلة ؟ .. هو لا يلجأ إلى ممارسة العادة السرية إلا كل حين , فهو كثير الإحتلام أثناء نومه بسبب وبدون سبب .. لم يدري أمجد سامى أن طاقة العنف التى تفجرت لديه بعد المباراة وما فعله قد أدى إلى توتر غريزى لطاقة أخرى تبحث عن التنفيس .. وظهرت على هذا النحو لإحساسه بالحرية جراء غياب والدته عن البيت لأسبوع كامل .. كان يشعر بإحتقان أسفل عانته جعله يمد يده ويقبض على خصيتيه من تحت بنطلون الترينينج سوت الذى يرتديه .. فزع على صوت طرقات على الباب , واضطر إلى أن يحرك جسده ليصبح على جنبه ليخفى إنتصابه مع دخول أمانى تطمئن عليه

- عامل إيه دلوقتى ؟

- كويس

- أنا أول مرة أشوفك كده .. إنت كنت واحد تانى .. إزاي واحد متعلم زيك

يضرب ويكسر كده .. أمال سبت إيه للناس التانية

نظراتها الحانية المشفقة , جعلت أمجد يعتدل بعدما زال إنتصابه ويجلس إلى

جوارها قائلا

- أنا نفسى مش عارف .. ماكنتش أتخيل إنى أعمل كده

بتر كلماته يسحب نفسا عميقا ويتابع

- بس حاسس إنى إرتحت

- إرتحت !!!؟!

قالتها أمانى بنبرة حملت كل معانى الدهشة وعدم الفهم .. ويعقب أمجد

- حاجة أنا نفسى مش فاهمها

- طب قول لى إيه اللي فى بالك

حكى أمجد لأمانى عما يشعر به .. ولم يكن فى ذلك جديدا بالنسبة لها فهى تعلم عدم رضاه عن أبيه وأمه .. لكن أن يتحول ذلك إلى عنف يكون سببا فى راحته , فهذا ما جعل أمانى تشفق على أمجد وتخاف عليه فى نفس الوقت .. هاهى نفس النظرات القديمة التى جعلت أمجد يستعيد ذاكرته مع خالته التى ألقى بها إلى النسيان منذ سنوات .. نظرات أنثى تخشى على ذكرها .. لا تدرى هى لماذا أحتضنته , هل بصفقتها خالته أم لسبب آخر؟ .. كذلك لم يدري أمجد لماذا انسابت دموعه رغم أنه لا يشعر بحزن .. الشفقة الشفقة الشفقة المتبادلة هى ما جنحت بعلاقة أمجد بخالته التى تكبره بإثنى عشر عاما إلى هاوية غير سوية .. وهى ذات الشفقة التى ملأت صدريهما فى هذه اللحظة .. ورغم أن سن الأربعين يقولون عنه سن الرشد .. إلا أن أمانى فى عمرها الأربعين لم تكن ابدا راشدة , تستحث النهل من رائحة رجل لا أمل لها فى أن تحظى بواحد فى يوم من الأيام بحكم حالتها التى إبتلاها بها القدر من جهة , ولأن قطار العمر غادر بها محطة الحياة من جهة أخرى .. تنعم الآن برائحة رجل وحضن دافئ أورثها شعورا بأنها أنثى .. ربما يلتمس بعضكم بعض العذر لأمانى بحكم حالتها التى نعرفها .. فأنثى مثلها إفتقدت إلى ما يمكن أن توصف بسببه بالأنوثة من جراء حالتها الجينية يجعلنا نشعر أنها معذورة على نحو ما .. ولما لا ؟ .. قصيرة القامة ورأسها يبدو كما لو كان ملتحما بجسها نظرا لقصر طول رقبتها , وشكل جسدها المضلع , وئديها البارازان على الجنب بدلا من الأمام .. وإنتفاخ يديها وقدميها بشكل ملفت , إلى جانب صلعة تتسع من عند مقدمة رأسها بإضطراد وخيوط من الشعر تنمو طوليا على قفاها .. أسمع أحدكم يقول (كفى) , لكن لا بد أن نتذكر أن أمانى تملك مبيضين ضامرين لا ينتجان بويضات ولا تأتيها دورة شهرية مما يعنى إستحالة حملها وإنجابها لأطفال .. لكن ما بال أمجد فإذا كانت أمانى إستخدمته من قبل كأداة ذكرية تشعر معها بأنوثتها الضائعة , قد نعزى ذلك لصغر سنه وقتها وشفقته العارمة على خالته .. لكن الآن لماذا تصبو غريزته الجنسية وتجأر وينتصب قضيبه وهو يحتضن خالته .. هل مجرد أمر عفوى عن دون قصد لما أحس بثدييها على صدره ؟ .. يبدو لا ... فهذا هو يستعيد ذكرى آخر مرة إلتقى فيها الجسدان قبل أن ينهى دراسته الثانوية .. يتذكر الإلتحام العارى ومنية الذى إندفق بين فخذيهما وتطل الشهوة من عينيه وهو ينظر إلى أمانى التى فرحت بنظراته , ومدت يدها بحركة تلقائية تبعثر خصلات من شعرها تدارى بها صلعتها عند مقدمة رأسها .. إبتسم أمجد وهو يراها تفعل ذلك , ففطنت للأمر وأطرقت برأسها

.. إلا أن أمجد باغتها باحتضانها بقوة .. تحس بأنفاسه الحارة متلاحقة يلفح هوائها حلمة أذنها .. كان ذلك كافيا جدا لتبدو أمانى وكأنها ساخت على روحها .. تسارعت دقات قلبها تزدرد ريقها بصعوبة .. واستسلمت ... أغمضت عينيها واستكانت تشعر بشفتي أمجد تتلمس خدها تحبو إلى فمها .. إبتعدت برأسها لكنه لاحقها , والتقت الشفاه , ليرتعش جسد أمانى كفأر مذعور سقط فريسة أمام قط يوشك على إتهامه .. تجتاحها تقلصات مهبلية وآلام فى الحوض وإفرازاتها تنساب .. تأكد أمجد أن أباه نائما فى غرفته .. أرقد أمانى على ظهرها وأعتلاها يقبل وجهها وفمها بسرعة ونهم كجائع أضناه العطش فى صحراء مقفرة ثم وجد أمامه وجبة شهية ساخنة .. سرعيا نزع أمجد ملابسه , بينما تباطأت أمانى فى الإستجابة لأمجد وهو ينزع جلبابها .. كانت تود لو توقف الأمر عند هذا الحد .. يحتصنان بعضهما عاريان تتلمس بأناملها ملمس ذكر وتشم رائحة رجل .. لا تريد أكثر من ذلك , ظلت قابضة فخذيهما من أسفل أمجد تشعر بقضيبيه يطرق بابها , يغوص بين فخذيها باحثا عن عشاها .. لم تعد تحتمل فباعدت بين فخذيها ليخترق قضيبي أمجد كسها ويمزق غشاء بكارتها لتشهق أمانى متأوهة وهى تحس بدفقاته تنقر جدران مهبلها و عنق رحمها .

بكاء ودموع أمانى وأمجد وهما فى أحضان بعضهما حتى الصباح , لم يعد لها أثر فى اليوم الثانى .. وتزينت أمانى كأنثى تنهيا لذكرها فى اليوم الثالث .. وبدأ الإعتياد على الأمر فى اليوم الرابع .. وأصبح اللقاء الجنسى بينهما حتميا كل يوم حتى إنقضى أسبوع .. وحن موعد عودة مها من سفرها .

رغم ما مرت به دميانة وما عرفته خلال أيامها الأخيرة , إلا أن رؤيتها للوضع المشين الفاضح للقس عادل برسوم عند المذبح بداخل الكنيسة , جعلها تشعر برغبة القئ وهى تهوول مبتعدة لا تدري ماذا عليها فعله .. أمعقول أن تصل الرذيلة إلى المكان المقدس الطاهر .. جلست على مقعد من صفوف مقاعد الكنيسة الخشبية , تترقب صاعقة ستنزل من السماء وتحرق الخاطئين اللذين لم يتورعا

عن تدنيس بيت الرب وإلى جوارها جلست مارتيريا , لكن لم يكن هناك من أية صواعق أو عقاب إلهي وهي ترى عادل يخرج من الكنيسة إلى جوار المرأة الشقراء , دون أن يحدث شيء .. إنطلقت بعدها تقسم بأنها لن تترك ذلك القس أبدا , وستفضحه وتشكوه , وهالها ضحكات مارتيريا اثناء سماعها لما تقوله .. نظرة حادة بدت مخيفة جعلت مارتيريا تبتر ضحكاتهما , لكنها أرادت أن تشرح لدميانة أنها لن تتمكن من فضح الأمر وأن الموضوع يخضع لحيثيات عديدة لا تتخيلها دميانة .. إشتاطت دميانة غيظا , ونهضت مسرعة غير عابئة بمارتيريا التي لم تكمل كلماتها بعد .. أودعت دميانة غضبها في إنجاز مهامها في الكنيسة والتحضير لمعمودية الغد .. بينما مارتيريا تتلأأ متباطأة , فأنجزت دميانة كل المهام مع إشراق الشمس وبزوغ النهار .. ثم أسرعت إلى غرفتها بالدير وأغلقت على نفسها الباب من الداخل كي لا تلاحقها مارتيريا .. وبالفعل فشلت طرقات مارتيريا في أن تجعل دميانة تفتح لها .

في الوقت الذي كان عادل يخرج من الكنيسة متوترا منفلت الأعصاب , وقبلما يصل هو وسارا إلى سيارته الفيات الحمراء , داهمته سيارة لادا رمادية اللون كادت تقضى على حياته , لولا أنها توقفت بعد أن دفعت بعادل وأسقطته أرضا .. نزل عربي مسرعا يصيح
- خير يا أبونا .. مش تحاسب وتاخذ بالك .. حد يعدى الشارع كده نهض عادل بملابسه الكهنوتية السوداء بمعاونة عربي .. بينما سارا هدأت بعدما وجدت أن عادل لم يصيبه مكروه .. شعرت سارا بنظرات عربي المتفحصة لملامحها وثيابها .. تابعهما عربي بعينيه حتى إستقلا السيارة ومضا في طريقهما .. وعاد إلى سيارته ضاحكا يردد بينه وبين نفسه
- ماشى ياعم القسيس

بداخل السيارة في طريق العودة بسارا حيث شقتها بمصر الجديدة .. كان عادل مضطربا , ولم تهتم هي بسؤاله عن تبعات ما حدث .. لم يكن الأمر يهمها .. فقط سألت

- الرجل اللي كان هايخبط بالعربية ده تعرفه ؟
- ده واحد بلطجي في المنطقة

ساور سارا شعورا بأن ذلك الحادث مقصود , وصدق حدسها فقد كان عربي يتابعهما منذ أن غادرا الشقة في مصر القديمة ودلغا إلى الكنيسة بعد منتصف الليل .. ترى ماذا كان يفعل قس مع شقراء في الكنيسة في هذا الوقت ؟ .. وما الذي حدث بالداخل يجعلهما على هذا الكم من التوتر , ولماذا كان شعر سارا مبعثرا والجزء الظاهر من صدرها خلال فتحة الفستان لامعا كما لو كان ملطخا

ببعض الزيت ؟ .. إجابات هذه الأسئلة سيتباحث فيها عربى مع رئيس المباحث مراد الدوغرى فى صباح الغد .

تحت دميانة جانبا بالأنبا كيرلس بعدما إنتهت المعمودية .. وحكت له ما رأته بالأمس بكلمات قليلة مقتضبة .. الأنبا كيرلس نموذج رجل الدين الفاضل بحق ذرف دموعه وهو يصلى فى خلوته من أجل نفوس بشرية خاطئة تحتاج إلى الهداية .. وبعدها إنتهى من صلاته أرسل فى طلب مارتيريا يسألها عما رأته مع دميانة بالأمس .. كان حتميا أن تقر مارتيريا برويتها للقس عادل بصحبة امرأة شقراء عند المذبح بعد منتصف ليلة الأمس .. لكنها نفت أن تكون قد تعرفت على ما كان يحدث بينها بالضبط .. لم يندهش الأنبا كيرلس من ذلك , رغم أنه متأكد من أنها رأت ما رأته دميانة , ولما يندهش طالما يعلم ما بينها وبين سيكرتير مدير الدير .. عدم حضور عادل للمعمودية اليوم يشى طبعاً أنه يترقب ما سيحدث .. ولم يمضى الكثير من الوقت حتى كان عادل واقفاً أمام الأنبا كيرلس الذى لم يتفوه بشئ , فقط حدقه بنظرات تجمع بين اللوم والعتاب , فقال عادل - أنا هاستقيل

لم يزد عليها بشئ , وغادر عائداً إلى بيته

لم ينم عادل منذ ليلة الأمس يفكر فيما حدث , وهل سيخضع لمحاكمة المجلس الكنسى ويتم شلحه .. كان يشعر أن الأمر ليس هينا على هذا النحو , فهم حتماً سيخشون من رد فعله , فلربما يخرج فاضحاً لما يحدث خلف الأسوار الحصينة من السرية المفروضة على ما يحدث بداخل الكنائس والأديرة .. أحس عادل بأنه ما كان يجب عليه أن ينساق وراء رغبة سارا , فعلى الرغم من عدم إعتناقه لأية ملة , إلا أن ما فعله يخالف بالقطع طبيعة النفس البشرية السوية .. كان ذلك الموقف هو المنشط والباعث على إتخاذ قرار طالما تمناه منذ أصبح قسيساً .. فلينترك هذا العالم الذى كان معتقل يقبع فيه منذ سنوات .. ليحطم حياة الفصام التى يعيشها ويكون نفسه .. ظل يجادل نفسه .. إذا كان أبوه هو من فرض عليه حياة جبرية لا يريد لها , فإن أباه قد مات .. ما الذى جعله يستمر إذن فى تلك الحياة لسنوات طويلة بعد وفاة أبيه .. وجد أنه تجاوز الأربعين ولا يجد طريقة حياة أخرى سوى حياته هذه , وكأنها مدفوعة بقوى غيبية مجهولة .. حانت اللحظة التى عليه أن يخلع فيها ثوب الفصام .. لن يجرؤ مهما كان أن ينظر فى عيني الأنبا كيرلس .. بل لعل أحد أسباب قراره هو الأنبا كيرلس .. ذلك الرجل النقى الفاضل , صحيح أنه لا يؤمن بما يؤمن به من معتقدات دينية .. لكن القيم المجتمعية والأخلاقية لا علاقة لها بالإيمان إطلاقاً .. هو تمنى أن لو كان نقياً مثل الأنبا كيرلس .. يعلم ما سيحل بسريرة هذا الرجل من جراء علمه بما حدث , حتى لو لم يقم بتصعيد الأمر وإكتفى بكتمان السر , فعادل نفسه لن يتحمل نظراته .. وأخيراً إتخذ قراره وذهب ليخبره فرأى نظراته التى توقعها .. لبيته لم ينظر فى

وجهه .. ليته أخبره بقراره دونما يرى عينيه .. كانت زوجته وأبناءه يشعرون أن هناك أمرا خفيا وراء إبتعاد أبيهم عن الكنيسة , وارتضوا صمته وعدم بوحه سوى أنه واجه مشاكل إضطرته للإستقالة ... جمع عادل مدخراته التى جمعها خلال سنواته .. وأضناه البحث حتى تمكن من إستئجار محلا بمنطقة السيدة زينب ساعده أبو هانى فى العثور عليه .. ومد له يد العون بإمداده بالأجهزة الكهربائية .. كان عادل أسعد ما يكون فى عمله الجديد حيث لا يعرف أحد أنه كان قسيسا , وبدأ حياة جديدة .. لن يكون مضطرا لأن يقف ويعظ الناس فى الكنيسة ويردد عبارات الكتاب المقدس وآياته كممثل يؤدى دورا على المسرح .. سيعيش حياته بالطريقة التى يرضاها .. بقى شئ واحد على عادل أن يقرر ما عليه فعله تجاهه .. سارا ..

يجلس رئيس المباحث مراد الدوغرى على مكتبه يدخل بشرافة .. مستندا على كوعه الأيسر يفرك أصابع كفه الأيسر على خده .. هذه هى عادته حين يكون ممعنا فى التفكير ... (المعرفة قوة) هذا هو نص المثل الإنجليزى الذى يوجز حياة مراد الدوغرى .. لا بد أن يعرف كل شارده ووارده فى منطقته ليشعر بالقوة والمتعة .. متعة إحساس المسيطر المهيمن الذى يمكنه تحريك الأحداث كلاعب شطرنج محترف يحرك قطعه , فيخدع خصمه تارة ويباغته تارة , ويستمتع بمتابعة إنفعالاته .. لكن الباشا معتكر المزاج هذا الصباح .. والسبب هو القس المعتزل عادل برسوم .. بالذمة هل يصلح ما حدث لأن يكون نهاية لقصة طالما شغلت تفكيره واسترعت فضوله وهو يدنو حثيثا من الإلمام بكافة خيوطها .. أمعن النظر أمامه فى ورقة بيضاء مكتوب أعلاها (ق . ع) أى القس عادل وأسفلها (أ . ر) أى الأرمينية ويصل بينهما خطوط عديدة عليها مجرد حروف مبهمه لا يفهما إلا هو .. كانت هذه هى طريقته المفضلة فى الإستمتاع بإحساس السيطرة والهيمنة , فهو لا بد أن يمر بمراحل شتى حتى يصل إلى ما يصبو إليه ساعتها يشعر بأنه عالم مخترع إحترق عقله من أجل أن يكتشف مجهولا أضاء الظلام .. فتتملكه جلاله العظمة منتشيا , حتى وإن كان الأمر سيتحول إلى مجرد ملف سرى ضمن ملفاته ولن يكون له شأن فى عمله .. لكن يكفيه المتعة التى جناها من جراء إكتمال ذلك الملف .. تبدأ الحكاية بمجرد شئ يسترعى فضوله .. مثلا قسيس تعاطمت أعداد تابعيه فى فترة وجيزة ومن ثم يظهر أنه على علاقة بإمرأة أرمينية تعيش وحيدة , ويتردد عليها .. الآن هو أمام لعبة القطع المتناثرة التى عليه تجميعها فى أماكنها الصحيحة لتضح الصورة .. ولحظة إتضح الصورة هى لحظة المتعة المنشودة .. عاود مراد تأمل الورقة أمامه .. يفكر ما هى نوع العلاقة التى ربطت ذلك القسيس بتلك الأرمينية ؟ .. المؤشرات تقول أنها علاقة جنسية .. لكن التحريات أفاضت بأنها مريضة نفسيا , فلربما لجأت إليه ليعالجها نفسيا بتراتيل دينية مثلا .. أو أقنعها أنه يمكن أن يشفيها بالسحر كبعض

القساوسة مقابل المال , لكن كيف توصلا لبعضهما لا دليل على صلة قرابة أو معرفة رصدتها تحرياته .. ثم إنها كاثوليكية وهو أرثوذكسي .. ثمة عدم ترابط في الموضوع .. والأدهى من ذلك هو سر تلك الليلة التي كان عربى يراقبهما فيها , ما الذى حدث بالداخل وعلى إثره إستقال عادل ؟ .. ما وصفه عربى عن حالتها لحظة خروجها يقطع بحدوث أمر مريب , فلا يمكن لقسيس أن يسطحب امرأة إلى الكنيسة الخالية بعد منتصف الليل إلا لأمر مريب .. فكر فى أنه ربما كان يمارس عليها سحرا أو تراتيلا دينية لشفائها مقابل المال .. وهذا أمر ترفضه الكنيسة فاكتشفوا أمره وأبعده .. لم يتقبل مراد منطقية ذلك التفسير فهو له أعوان بداخل كنائس المنطقة ويعلم عن قساوسة ورهبان يمارسون ذلك مع زبائن , والكنيسة تعلم وتتكتم الأمر ولم يترك أحدهم منصبه .. فلماذا يبتعد عادل برسوم تحديدا؟! .. هو متأكد أن الأمر لم يكن فضيحة وإلا لعرف بتفاصيلها من خلال أعوانه بداخل الكنيسة .. متيقن أن ما حدث لا يعرفه سوى إثنين أو ثلاثة لذا لم ينتشر الأمر وبات سرا .. لكن المؤكد أن السر كله عند الأنبا كيرلس وهو من أولئك الرجال اللذين لا يمكن أن تعرف ما يكتُمونه من أسرار .. يواصل عادل تدخين سجائره حانقا .. ليس لأنه لم يمسك بخيوط القصة ولكن لأن نهايتها لا ترضيه مطلقا .. هل تنتهى القصة بإبتعاد البطل عن دائرة الأحداث .. وحتى لو كان ذلك لا بد أن يعلم ما حدث لإرضاء غروره فحسب .. قطع شروده الأمين يعلمه بقدم أبو هانى فأذن بإدخاله .. دلف أبو هانى محييا وجلس أمام مكتب مراد قائلا

- خير يا باشا ... أول ما طلبتني جيت على طول
- موضوع القس عادل برسوم .. فى كلام كده إنه مشى بسبب مشاكل فى الكنيسة .. وإنت عارف إن إحنا إخوانكم وما فيش فرق بينا .. قلت أشوف إن كان فى مشاكل إحنا ممكن نقعد ونحل أى مشكلة
هكذا نصب مراد شراكه لأنه يعلم أن أبو هانى سيسترسل يحكى ما يعرفه وبالفعل سمعه يقول

- أبدا يا مراد باشا .. مافيش مشاكل ولا حاجة .. أنا كل اللى عرفته من أبونا كيرلس إن عادل كان مستنى ترقية أو منصب .. حاجة زى كده يعنى ولما ماعجبوش الوضع هو اللى طلب يمشى .. حتى أنا كلمت عادل وأنا باحبيله محل .. لقيت هو مبسوط كده

بالطبع لم يبدو على وجه مراد ما يعتمل بصدرة من غضب من جراء فشله فى الحصول على جديد .. تحدثنا عن الأحوال فى المنطقة ثم إنصرف أبو هانى .. ليعاود مراد الدوغرى تأملاته الثاقبة .. تأكد الآن أن ما حدث فى تلك الليلة بداخل الكنيسة أمر جلل , وإلا لكان أبو هانى بصفته كبيرا للمسيحيين فى المنطقة ومن المقربين إلى رجال الكنيسة وعلى رأسهم الأنبا كيرلس على علم ولو من بعيد بما حدث .. خلص مراد فى النهاية على مراقبة عادل برسوم مراننا نفسه أن القصة

لم تنتهي وسيعاود ترده على سارا ووقتها فرقع عادل أصابعه فى الهواء
وفى عينيه نظرات متحدية .

تنهد عادل وهو يرى الأمين يدخل عليه قائلا
- عربى عاوز يقابل سيادتك

دخل عربى وجلس على الفور ليستقبله مراد بفتور ولا مبالاة شديدة .. كنوع من
إمعان السيطرة عليه , حيث يتعمد ألا ينظر لعربى إلا شذرا ويبدو منهمكا فى
متابعة أوراق أمامه
- ها

بتلك الكلمة تلقف عربى الأمر بالحديث فقال بنبرة حماسية
- عاطف ابن أبو هانى

صمت منتظرا تعقيب من الباشا الذى لم يبدو أنه سمعه أساسا , فتابع عربى
- عاطف ابن أبو هانى .. مرافق اليومين دول بت مسلمة بيفضل سهران فى
الفرع الصغير ع الكورنيش بعد ما اللي شغالين كلهم يمشوا .. وأول ما
تجيلوا بيقل باب المحل من جوا
- إنت شفتهم

- الكذب خيبة ... واحد من الرجالة بتوعى شافهم مرتين .. البت من السيدة
وشوشو لا مؤاخدة .. بس بتشتغل مع اللي فوق بس .. بتتقى الزباين مش
بتطلع لأى حد

اللامبالاة المتناهية وعدم الإهتمام الذى يتلقاهما عربى من مراد الدوغرى جعله
يشعر بعدم أهمية ما قاله مطلقا , فأراد أن يمنح الموضوع الأهمية المطلوبة فقال
- أنا قلت الحاجات دى لما بتكون بين مسيحي ومسلمة .. ما بيجيش من
وراها غير المصايب .. عشان كده قلت أبلغ سعادتك

- إبقى شوف الموضوع ده وبلغنى
كانت طريقة مراد فى نطق جملته الأخيرة معناها أن المقابلة إنتهت .. لذا نهض
عربى قائلا

- ماشى يا باشا .. الحدوتة كلها هاتبقى عندك .. سلام
قالها عربى وهو يهم بالمغادرة لكنه توقف فجأة واستدار يقول
- ألا صحيح يا باشا .. ليا عند سعادتك طلب صغير
نظرة عابرة من مراد على وجه عربى مفادها أن يطلب
- فى معايا حتة سلاح كده كنت إستلقطها من أمين على المعاش سلكها هو
بمعرفته .. يعنى لزوم الشغل فى المنطقة .. كنت عايز حتة كده حديثة من
بتوع اليومين دو....

تهدجت كلماته وإنقطعت نهائيا إثر نظرة نارية من عيني مراد .. جعلت عربى
يرفع كفيه نحو رأسه محييا يقول

- سلام ... سلام يا باشا

قالها وغادر خارجا ...

لم يكن ما أبلغ به عربى ذو شأن كبير .. حيث من العادى أن تنتشر مثل تلك العلاقات فى منطقة تتساوى فيها أعداد المسيحيين والمسلمين .. لكن ما أكسب الموضوع أهمية لدى عربى هو أنه يخص عاطف ابن أبو هانى ... فطالما كره عربى المسيحيين وعلى رأسهم أبو هانى الذى كان سببا فى إيداعه الأحداث صغيرا ... ذلك من جهة أما الجهة الأخرى أن عربى قد تولد لديه رادار تبلور على مدار سنوات من الخبرة فى التلصص ومعرفة أدق ما يحدث بدروب المنطقة وشوارعها وحواريها .. فكان كلما أحس بحدث قد يبدو عاديا الآن لكنه سيصبح ذو شأن مستقبلا .. دائما ما يصدق رداره ... لذا عزم بنفسه على تتبع الأمر وتقصيه بمساعدة رجاله ... ولم يكن مراد الدوغرى بأقل حدسا من عربى .. فلا بد أن يكون ملما بكل ما يحدث فى المنطقة وبالأخص إذا كان الأمر يتعلق بأحد أبناء رجل له سطوته فى المنطقة مثل أبو هانى .

بعدها منحت الكنيسة عاطف تصريحاً بالزواج , ابتعد عن زوجته إيفون وتركها تفعل ما تشاء بعد تدخلات الأنبا كيرلس .. علم أنها تقيم فى الدير .. ومضى هو فى حياته مع زوجته الثانية التى لاقت منه نفس ما كانت تلاقيه إيفون .. يعود بعد الفجر تفوح من فمه رائحة البيرة , وتعلم زوجته بأنه يعاشر غيرها .. الفرق بينها وبين إيفون هو أن عاطف وأبوه أمعنا فى إنتقاء فتاة لا تصلح زوجة بل خادمة .. تصدع بما تؤمر به بلا نقاش .. لا هم لها سوى تلبية طلبات عاطف والحرص على إرضاءه تماما كخادمة .. إنتقطها من أسرة فقيرة من أصول ريفية ومنحها حياة لم تكن تحلم بها .. كان عاطف من ذلك النوع الذى يطلق عليه (يجب الرمرمة) .. يملك زوجة جميلة بيضاء نظيفة مطيعة , ومع ذلك يقضى لياليه فى أحضان العاهرات فى البارات والملاهى الليلية .. أدمن الرقص على المسارح فاردا زراعيه بينهما راقصة تتلوى وهو يقذف عليها النقود .. لم يقتصر الأمر على ذلك بل إنتابته خلال العام الأخير نوبة متدنية من الرمرمة .. لقد صار يلهث مدلدا لسانه كالكلب وراء مومسات بانسات قذرات يلتقطهن من أزقة منطقة القلعة والسيدة ودار السلام .. زهد فى الأجساد النظيفة اللامعة البراقة والوجوه الجميلة , وبات يلهث وراء الفتيات القذرة , يحتضن الفتاة منهن فيشم رائحة عرقها المكمم , فيحتاج على الفور .. وحين يتحسس جلدها الخشن وكعبها المشقق يتلذذ .. أما عندما تخلع كيلوتها وتهب رياح عطنة أسنة من بين فخذيه , فحينئذ لا يمكن له أن يكابد فرط إنتصابه ويصبيه ألم بالغ يكاد يفتك بقضيه .. وحين سأله أحد أصدقائه المقربين ذات مرة وهما يتبادلان أنفاس الحشيش - مش عارف إيه مزاجك فى البنات المعفنة دى

يرد عاطف ضاحكا

- مش عارف يا أخى لقيتها طالبة معايا كده
ربما هى عودة إلى الأصل... أصل عاطف وأسرته قبلما يتحول دكان أبيه
الصغير إلى مجموعة من كبرى محلات الأجهزة الكهربائية.. كان فى طفولته
يقف على الناصية يتابع البنات كبيرات وصغيرات وحتى سيدات يسيرن
ويتماوجن بملابسهن الرثة البالية والإشارات الكالحة والشعور المشعثة المغبرة
على نواصى حواري ودروب وأزقة حوش العجر, ورغم تبدل حياته وثرأه فى
كنف أعمال أبيه, إلا أنه عاد مخضوبا إلى أصله يستعيد ذكريات طفولته
ومراهقته.. حين بدأ حياته الجنسية بممارسة الجنس مع تلك النوعية التى لم يكن
متاحا غيرها وقتها.. لم يكن ذلك فحسب هو ما جعل عاطف على هذه الشاكلة..
إنما عشقه لنيك الطيز ومنظر فتحة الشرج المحمر المتعرج, فهو لا يقاوم
إحساس فتحة شرج ضيقة تقبض على قضيبه ككماشة وسخونة ملتهبه يحسها
حول قضيبه.. ولفقتين تتماوج مع دفعاته.

وفى الآونة الأخيرة تعرف على فتاة تدعى دعاء أثناء وجوده فى فرع السيدة
زينب يتابع العمل.. نظرتها الشهوانية ومشيتها المتقصعة وإيماءاتها وطريقة
مضغها لعلكتها, قرأها عاطف بخبرته جيدا.. لم تكن على قدر عالى من الجمال,
فقط وجه يشعرك بالألفة مع الإعتياد على رؤيته وشعرها هائش رغم أنه
مصفف.. أما جسدها فكان على تقاسيم مثيرة.. الصدر كبير وطيزها مستديرة
مرتفعة ومن أسفلها فخذان ملفوفان.. إنجذب عاطف يتابعها, فمنظرها يوحى
بأنها من أولئك اللذين يشاهدون ولا يشترتون.. إقترب منها أحد موظفى المحل
ليساعدها فى البحث عما تريد.. إنتقت ماكينة إزالة شعر براون, وإتجهت تدفع
ثمها, فدفست يدها فى جيب البنطلون الجينز الضيق وتدلى ثديها من تحت
البادى المنحسر حول وسطها.. لتخرج كومة من الأوراق المالية معجونة
ببعضها من فئة مائة جنيه.. فردت ثلاث ورقات وأعطتهم للكاشير الذى ظل
يفرد فى الأوراق المالية وكأنه يكويهم وأعطاهما الباقي.. ما إن غادرت المحل
حتى تسلل عاطف يرقب إتجاهها, وسرعان ما استقل سيارته الفور باى الفور
التي إقتناها خصيصا لسعة صالونها وعمد إلى إستبدال زجاجها بزجاج (فيميه)
.. تبعها مسرعا ووصل إلى جوارها يصيح

- أنا صاحب المحل اللي كنتى فيه من شوية.. تحبى أوصلك حته

ركبت دعاء وإنطلق عاطف بالسيارة وقال مختصرا المسافات

- إيه النظام؟

- زى ما تحب

قالتها دعاء وهى تلاحظ الصليب المعلق بالسيارة, ولم يكن الأمر يههما فى شئ
طالما أنه زبون من النوع الفاخر الذى لا ترضى إلا بمثله.. فى مكان خالى,
تناول عاطف حصيرة مفضضة من تلك التى تستخدم لحجب الشمس خلف زجاج
السيارة الأمامى.. وتكفل الزجاج الفيمة فى حجب الرؤية بالنسبة لمن فى

الخارج .. ونالها عاطف على المقعد الخلفى للسيارة , أعجبه رائحة عرقها وعانتها ومنظر جلدها الكالغ المتسخ , وقال لها بعدما إنتهى
- إنتى واخده المكنة عشان تشيلى شعر جسمك ده ؟
أومأت دعاء إيجابا وهى لا تكف عن مضغ العلكة , لتسمع عاطف
- ده عامل معاكى شغل حلو أوى .. سيبيه كده
أوصلها عاطف حيث أرادت عند مقام السيدة , وأخرج لها ورقة فئة مائة جنيه ,
فاعترضت
- أنا باخد ميتين جنيه .. على فكرة أنا كل زباينى ناس نضاف زيك ... أنا ما
بارمرمش

ضحك عاطف عاليا وراقه ما قالت لأن أكثر ما كان يضايقه مع تلك النوعية من
الفتيات هو إحساسه أن عشرات بل مئات من الجرابيع قد ركبوا هذا المطية قبله
.. أعطاه مائة ثانية ونزلت بعدما أعطته رقم الموبايل .

منذ ذلك اليوم إعتاد عاطف على أن يطلب دعاء لتحضر فى فرع مصر القديمة
الصغير المواجه لكورنيش النيل , لأن ذلك الفرع ينهى أعماله مبكرا .. فيحضر
هو إلى الفرع قبل إغلاقه لمراجعة الحسابات وجمع الإيراد وينصرف الجميع
ويبقى هو وبمجرد حضور دعاء يطفى الأنوار عدا لمبة نيونية واحدة .. ويغلق
الباب الزجاجى للمحل بعدما يجذب الباب الصاج حتى منتصفه .. تماما كما فعل
فى هذه الليلة

- وحشتينى يا بت
قالها وهو يتحسس مؤخرة دعاء قائلا
- عاوز أهري طيزك المبطرخة دى نيك
- لأ .. ما أنا قولتلك ماليش فى ورا
- ما أنا كده هازهق منك .. نيك الطيز دا كيف عندى زى الحشيش اللى فى
السيجارة دى

قالها وسحب نفسا عميقا من السجارة الملغمة وهو يسمع دعاء تقول
- قبل كده وجعنى وما قدرتش
- معايا أنا مافيش حاجة هاتوجعك
ترددت دعاء فصاح فيها
- يلا يا بت إقلعى
ممسكا قضيبه يشحذه تابع
- تعالى مصى لى زوبرى شوية
- أعملهولك بايدى
قالتها وهى تمسك قضيب الكبير تدلكه بقوة فنهرها صائحا
- إيه يا بت ... هو أنتى شغالة بكسك بس
ركعت دعاء على ركبتها وفتحت فمها تمتص قضيب عاطف , وسمعته
- يا بت سنانك بتوجعنى .. إفتحى بقك شوية وضمى شفائفك

وتوقفت أمام أحد المنازل غاصت أرضيته تحت مستوى أرض الحارة بمتري ,
ودفعت الباب تدخل حيث غرفة ملاصقة للسلم , فتستقبلها أمها بالأنشودة الإستنابية
التي حفظتها دعاء منذ سنوات

- جيتي يا مدهولة على روحك .. ما لسه بدرى يا لبوة .. دا احنا يدوبك فى
الفجرية .. ما كنتى تباتى بره
- بقولك إيه يا ولية إنتى .. أنا مش ناقصة
- هكذا صاحت دعاء فى وجه أمها الممددة على فراشها على السرير الموجود
بالغرفة , وسألت الأم
- جيتى القطرة بتاعة عينى
- لأ نسيت
- إلهى تننسى روحك يا بعيدة .. يا بت عينى ما بقتش أشوف بيها

- عينك الحولة دى بايظة من يوم ما ولدتيني .. قطرة إيه اللى هاترجع لك
عينك .. كفاية عليكى واحدة
- إن أعرف بس إنتى بتشتغلى إيه وفين
- قالتها الأم بصوت متهدج مشفق , لتصبح دعاء مجددا
- زينب ... إتمسى على آخر الليل
- هكذا إعتادت دعاء مخاطبة أمها أثناء شجارهما الذى بات كشروق وغروب
الشمس .. حقيقة كونية لا تتغير .. أقلت دعاء بملابسها على الأرض وفى الحمام
جلست القرفصاء على قاعدة الكابينييه البيضاء تمسك خرطوم الماء وتصوب
الماء على شرجها حتى برد تماما وزال الألم .

- بعدها خرجت دعاء تحولت هى وأمها وأصبحت كل واحدة وكأنها شخص آخر ..
فالأم تسأل بصوت حنون
- أقوم أجهزلك لقمة تاكليها
 - لأ .. كلت بره يا أما
 - إيه خارجة راحه على فين؟؟
 - سألت الأم لتجيب دعاء بصوت هادئ
 - راحة الصيدلية اللى ع الشارع العمومى ما بتقلش بالليل .. هاروح أجيالك
القطرة

بعدها حملت زينب سفاحا من زوج أختها عربى عطا مع سبق الإصرار ,
وإختفت من حوش العجر يوم أخبرت أختها بما حدث .. كانت زينب مثل السمكة
لا تحيا خارج الماء , فهى لم تتمكن من الإبتعاد بعيدا عن موطن مولدها ونشأتها
.. رست سفينتها حين استأجرت غرفة فى منطقة القلعة , وعملت فى السوق
تسترزق قوت يومها الفئات .. وسرعان ما أسلمت جسدها لكل طالب من بائعى

السوق , ليس من أجل القليل من المال فحسب , وإنما إشباعاً لغريزتها المستعرة بطبيعتها .. وعندما وضعت طفلتها أطلقت عليها دعاء لأنها إنزلت من رحمها بعد ولادة متعثرة كادت تزهرق فيها روحها وهي تتمتم داعية

- لأجل حبيبك النبي إنتعنى يا رب بالسلامة

فلم تمضى سوى دقائق حتى كانت الداية تنزع الطفلة التي علت أصوات صراخها

- هاتسميها إيه يا زينب

فكرت زينب فخطر ببالها دُعا .. هكذا دائما تنطق الأسم بدون الهمزة

- هاسميها دُعا .. لأنها جت بعد دُعا

كانت زينب تتوجس خيفة على الدوام من ماضيها القابع فى الجوار ليس ببعيد .. لكن مع مرور الأيام ألقت حياتها وإستكانت لرياحها .. فشلت كافة محاولات زينب فى تسجيل المولودة وإستخراج شهادة ميلاد لعدم وجود الأب .. زينب لم يكن لها يوماً شهادة ميلاد ولا تحمل أية إثبات شخصية .. بعد ثمانى سنوات كابدت الأم لتسجيل ابنتها حتى يتسنى لها إلحاقها بمدرسة .. وبمعاونة أهل الخير تم رشوة المعنيين لتصدر شهادة ميلاد لدعاء تحمل اسما رباعيا لا وجود له إختلقته زينب .. يومها كانت سعيدة ممسكة بشهادة الميلاد تقبلها بسعادة غامرة .. ولكن دعاء خيبت أمل أمها , حيث حصلت على الإبتدائية وهي بالكاد تفك الخط .. ولم يعد هناك أية فائدة مرجوة من إستكمال تعليمها .. شبت دعاء وقد ورثت عن أمها ميوعة حركاتها من العلكة والمشية المتقصعة إلى نظراتها الشهوانية .. لم تكذب حتى فقدت بكارتها على يد أحد بائعى السوق ممن لهم علاقة بأمها .. كانت الفتاة تحس وتشعر بأمها , فسارت هى الأخرى على دربها دون علم أمها .. لكن الأم عرفت ولم تكن هى الوحيدة التى علمت , حيث سار النسوة فى الحارة يتغامزن على البنات وأمها .. مما استدعى لتهجى زينب وتقيم فى غرفة أخرى فى أقل من أقل ضواحي السيدة زينب .. منطقة منعزلة ونائية .. وذهبت إلى سوق آخر تفتت رزقها هى وابنتها .

أحضرت دعاء علاج أمها عله يحافظ على بصيص النور الذى لا تزال تراه بعينها اليسرى , وقالت

- القطرة أهى يا أما .. إعتدلت الأم على ظهرها وقامت دعاء بالتقطير فى عيني أمها

تدعو الأم

- ربنا ينجح مقاصدك يا بنتى , ويرزقك بابن الحلال

زمت دعاء شفيتها .. وقالت

- ما هو لو تلبسى النضارة اللى عملتهاك على طول .. هتلقى عينيكى السلمية قبل ما يروح اللى باقى فيها

- يوه ... يا بنتى أنا كل ما ألبسها ألقى نفسى مش شايفة حاجة

على السرير فى الغرفة الوحيدة التى تجمعهما رقدت دعاء لتمام , بينما ظلت الأم
ترنو لوجه ابنتها .. هى تجسّد لأمومة سرقتها دون وجه حق .. لكن ماذا كان
عليها أن تفعل .. كل ما أرادته أن تصبح أما .. وقد كان .. تشعر أنه لو عاد بها
الزمن مرة أخرى .. كانت ستفعل ما فعلت .. تبتسم زينب وسط ظلام الغرفة وهى
ترى حركات دعاء وما ورثته عنها من تقصع مشيتها ونظراتها وإيماءاتها ..
تماما كما لو كانت ترى نفسها لكن ابنتها أجمل منها كثيرا على الأقل عيناها
الإثنان سليمة .. إتسعت إبتسامتها وهى تسمع أمها فى مخيلتها تصفها باللبوة ..
هى لا تصف دعاء بتلك الكلمة إلا لتستعيد ذكرى أمها .. لا تدري لماذا عاودتها
خشيتها من الماضى البعيد بالجوار .. تشعر أن دعاء ستخرج يوما ولن تعود ..
هى لا تعرف أين تذهب ابنتها وماذا تفعل ؟ .. تشعر وتحس فقط بصدرها , ليّتها
كانت ترى لأبعد من ثلاثة أمتار كى تتمكن من مراقبة ابنتها عساها تطمئن عليها
.. نحت هواجسها وقلبت رأس ابنتها النائمة تربت عليها بحنان , فلتدع الأمور
تجرى فى أعنتها .

كان أسبوعا ممتعا للغاية , ذلك الذى قضته مها نعمان بصحبة أسامة عز الدين فى
باريس .. لأول مرة فى حياتها تسافر خارج مصر وترى عالما جديدا وأناسا
مختلفة .. كانت كشعلة نشاط متوهجة تفور بالحوية وهى تنتقل بين جلسات ندوة
نادى الأدب الأيروسى الفرنسى مساء , والتنزه برفقة أسامة نهارا .. صعد بها
برج إيفل , وتجول بها بردهات متحف اللوفر ومتحف أورسى .. وذهب بها إلى
كاتدرائية القلب المقدس , وتنسم معها رائحة الحشائش والأزهار بحديقة جاردان

دو تيليريه .. أدركت مها لماذا تعد باريس عاصمة النور والعطور والأناقة , فكل ما حولها أنيقا جميلا بيت أريجا عطرا يصعد بها إلى سماء السحر والجمال .

في حديقة فيلا باهرة بدأت أولى جلسات نادى الأدب الأيروسي الفرنسى , حين ألقى المخرج الإيطالى تنتو براس كلمته لإفتتاح الندوة .. وقف بجسده البدين وشعر رأسه الأبيض المصفف للخلف , ووجهه السمين والسيجار الكبير لا يفارق فمه .. بدأ كلمته بجملة

- الجنس هو البائع الأول

إعترف أنه إنتهج تأليف وإخراج أفلامه من أجل المال أولا , ومتعته ثانيا .. وأجاب على أحد السائلين

- لماذا لا تقم بعمل أفلام بورنو

- لا تستهوينى .. فأنا أعشق التصور الذى ينسجه الخيال ... لا الفعل الذى يجبرك على الإثارة الغريزية البحتة .. القصة عندى أهم من المشاهد الجنسية

وسأله أحد الحاضرين

- لماذا عمدت فى أفلامك الأخيرة إلى قصص إيروتيكية قصيرة .. ولم تعد تناقش المشاكل السياسية والإجتماعية كأفلامك الأولى

ضحك تنتو وهو ينتف دخان سيجاره

- الجمهور عزيزى .. من يريد الجنس لا يريد أن تقمه فى أحداث سياسية أو إجتماعية ... ومن يتقبل ذلك يرى الجنس لا داعى له فى أحداث الفيلم

هتف أحد الحاضرين بالإيطالية

- إل كولو سوربرانديتى

فضح الحاضرين بالضحك , وضحكت مها بعدهم حين ترجم لها أسامة الجملة التى تعنى (الطيز الرائعة) , لكنها لم تفهم ما ترمى إليه .. فشرح لها أسامة أن تنتو براس ينتقى بطلات أفلامه دوما بمؤخرات رائعة حتى ولو كانت البطلة جسدها نحيفا مثل بطلة فيلم (لولا الطائشة) التى كانت تشبه فاتن حمامة إلى حد كبير فى شكل وجهها وجسدها , إلا أنها كانت تحمل مؤخرة رائعة .. عندها أشار تنتو براس يرسم بأصابعه مؤخرة وهمية فى الهواء يقول

- إنها حياتى

قالها وهو يشير إلى شريكته فى التأليف وبطلة فيلم مونامور (كارلا كيبيريانى)

.. إتجهت كارلا إليه وهى تضحك تتحسس مؤخرتها الكبيرة بيديها من فوق

فستانها الأسود ذو الفتحة الخلفية الطويلة الممتدة من أسفل مؤخرتها وحتى نهاية الفستان , وبدا للحضور أنها لا ترتدى شيئا تحته .. وقفت كارلا بشعرها الأشقر وعينيها الخضروان تتحدث عن بدايتها فى الكتابة الإيروتيكية , ولم تكن تتخيل أن تنتو سيحول إحدى قصصها إلى فيلم .. ورفضت فى البداية طلبه بأن تقوم هى بدور البطولة .. لكنه منحها الثقة لتفعل ذلك وكم هى سعيدة .

تعرفت مها نعمان خلال جلسات الندوة على عالم جديد .. جعلها أسامة تلتقى بأشهر صناع الإيروتيكا حول العالم أدباء وسينمائيين .. وكانت إستفادتها الأكبر خلال الجلسة الأخيرة للندوة , حيث حضرت الكاتبة الأمريكية (سوزى برايت) عن كتابها الذى صدر مؤخرا بعنوان (كيف تكتب قصة وسخة ؟) .. بتقديم نصائح لكل من (هو/هي) يريد تحسين مهاراته في كتابة الايروتيكا , فالسوق مزدحمة ولا تأبه بالأقلام والأصوات المعتدلة .. لا بد من الصدمة الحارة , البوح الصادق , التصوير التفصيلي , تسمية الأعضاء بأسمائها وأفعالها , رائحتها , حجمها , خطها البياني وما تتركه من إنفعالات على النفس والجسد .. وعلى قدر سعادة مها , كان حزنها لأن الأيام الجميلة الممتعة ولت مسرعة , ولم يتبقى لها فى باريس سوى الغد .. أراد اسامة أن يمنحها شيئا جديدا ومختلفا ومميزا فيما تبقى لها من وقت بباريس , حيث ساقها عقب إنتهاء الندوة عند منتصف الليل إلى نادى ليلي .. تفاجأت مها بلافتة كبيرة نيونية تتلأأ بعنوان (سكس بارتى) .. ولما صارت بالداخل يجذبها أسامة وسط الزحام الشديد من رواد النادى وغالبيتهم من الفتيات والسيدات , صمّت الموسيقى الإيقاعية الصاخبة أذنيها لدرجة أنها كانت تشعر بقرعات الإيقاع ترج صدرها وتدفع قلبها إلى الخفقان .. عبثا حاولت أن يصل صوتها لأسامة تستفسر عن ماهية ذلك .. لم تكن تتوقع أن ترى فتاتين على الملأ بأحد الأركان , وقد أنزلت أحدهما بنظولنها الجينز مستندة بظهرها على الجدار , تمسك بيدها كوبا من البيرة الثلجة , بينما الأخرى على ركبتها تلحس كسها .. إبتسم أسامة وهو يراها تشيح بوجهها , لكنها فجأة وجدت أمامها رجلا عاريا عدا ياقة قميص بيضاء حولها ببيونة سوداء على شكل فيونكة , وله جسد ممشوق العضلات متناسق على أبهى ما يكون , وقضيبه مرتخى .. يهتز الرجل متراقصا على الإيقاع الموسيقى الصاخب وهو يحمل بيده صينييه عليها أكواب من البيرة الثلجة .. المنظر رغم مفاجأته جعل مها تضحك بشدة وأسامة يتناول كوبين من البيرة ويعطيها واحدا .. نظرت مها حولها لترى نادلا آخر بنفس الهيئة يحمل صينية وعليها أكواب البيرة يتراقص بمهارة مهتزا على الإيقاع الصاخب , وفتاة ترتدى بادي أبيض ضيق وبنطلون جينز تمتص قضيبه وهى راكعة وسط الزحام على ركبتها .

شربت مها كوب البيرة على دفعتين , فى الوقت الذى كانت نادلة عارية بجسد فائن وشعرها أحمر طويل تقترب منها تأخذ الكوب الفارغ وتناولت كأسا من الشمبانيا , سكبته مها فى فمها على جرعة واحدة ووضعته على الصينية التى تحملها الفتاة تنظر إلى ثدييها المتقافزة مع إهترازتها ضاحكة .

- إيه رأيك مبسوطه؟؟

هذا ما وصلها بالكاد من كلمات أسامة وهو يميل على أذنها متراقصا .. حركت مها رأسها ذات اليمين وذات اليسار تعبر عن مدى دهشتها .. مها التى جاوزت الخمسين إندمجت مع الأجواء الصاخبة وبدأت تهز جسدها وتتراقص على

الإيقاع الصاخب كما لو كانت عادت إلى العشرين من عمرها .. كانت مختلفة وخارجة عن السياق بفتانها الأحمر القصير الذى يصل إلى منتصف فخذيهما , وفتحة الصدر الواسعة تبرز المجرى بين نهديها .. فى حين من حولها كأنهم متفقين على زي موحد من البنطلون الجينز والبادى الضيق .. علت التصفيقات والصيحات فجأة إثر دخول رجل أسود طويل مفتول العضلات وقد أحاط نصفه السفلى بعلم فرنسا بألوانه الأحمر والأبيض والأزرق .. يؤدى حركات راقصة متناغمة مع الإيقاع الصاخب على المسرح الخشبي البنى الممتد بطول القاعة وعلى أحد نهايتها كرسى , ويحتشد من حول المسرح عدد كبير من الفتيات .. إقتربت منها تتابع وهى لا تكف عن إحتساء الخمر كلما مر بجوارها نادلا أو نادلة .. فك الرجل الزنجى العلم الفرنسى وظل يحركه حول جزعه فى حركات سريعة متعاقبة , لبيظهر قضيبه الضخم المنتصب فى لقطات سريعة تعالت على إثرها الصيحات .. تضحك معها وهى تتراقص مثل الفتيات , وترى الرجل الأسود يقترب من إحداهن التى أسرعت تمسك قضيبه الضخم بكلتا يديها وتمتصه بسرعة .. إبتعد عنها الرجل متجها إلى الجهة المقابلة .. شاهرا قضيبه نحو فتاة أخرى تمنعت عنه مبتعدة , فأحاط الرجل رأسها بالعلم لتختفى هى وقضيبه تحته , وتظهر حركة رأسها للأمام والخلف .. الفتاة كانت تستحى أن تفعل أمام الأعين مما دفعها للضحك عاليا وهى تترنح راقصة وقد باتت شبه مغيبة بالمتعة والخمر والصخب الشديد .. منظرها الضاحك جعل الرجل الأسود يقترب منها شاهرا زبه تجاه فمها .. فتراجعت معها مسرعة وأسامة يشير للرجل بالتوقف .. لكن الرجل الزنجى جذبها من يدها لتصعد المسرح وأجلسها على الكرسى وهى لا تتوقف عن الضحك .. ظل يدور حولها والعلم معقود على وسطه يتراقص .. حتى توقف وفك العلم مجددا وأخفى به رأسها مضموما إلى عاتقه تماما عن الأنظار , باتت معها فى حالة يرثى لها , تتملكها حالة من الهياج الشديد , وهى تشعر بالقضيب الضخم يحتك بأجزاء وجهها .. فتحت فمها بالكاد تمكنت من إدخال الرأس تمتصها برفق .. ثم نزلت من على المسرح تضحك وسط الصيحات المتعالية .. تلقفها أسامة مبتسما يبتعدان عن المسرح تجاه أحد الأركان , وهناك وقعت عينا معها على فتاة من الحاضرين أنزلت بنطلونها الجينز حتى ركبتها , ومالت بجزعها للأمام بينما أحد النادلين ينيكها دافعا زبه ومن حوله الواقى الذكرى فى كسها من الخلف بسرعة وإحترافية , وتأوهات الفتاة تنمى تحت أصوات الإيقاع الصاخب للموسيقى .. ومن حولهما عدد يتابع ويصفق مشجعا .. إقتربت منها تتابع المشهد فى قمة هياجها الذى يجعلها تشعر أن قطرات بللها يكاد يتقاطر من بين فخذيهما على الأرض .. مع مضى الوقت كثرت المناكحات هنا وهناك بين الجميع .. ولم تعد معها تقدر على الإحتمال , فجزعت كأسين من الويسكى قبل أن تجذب أسامة إلى أحد الأركان , واحتضنته تقبل فمه وفى عينيها نظرات تستجديه أن ينيكها الآن .. لبي أسامة رغبتهما ... خلع بنطلونه وألقت هى بثوبها أرضا .. تمددت على ظهرها على الأرض وباعدت بين فخذيهما ليدفع أسامة بزبه فى كسها .. سرعان ما تجمع حولهما عدد من الحاضرين يتابعون ..

كلما نظرت مها لمن يتابعونها كلما تأججت لدرجة أنها تبولت على نفسها من شدة المتعة والإنقباضات المهبلية .. ليصفق المتابعون يشجعون .. إقترب نادل يركع على ركبتيه موجهها زبه إلى فم مها .. أشار أسامه له بالإبتعاد لكن مها أسرعت بإمساك قضيبه وإمتصاصه بمتعة وشبق لم تشهدهما طوال حياتها .. قذف أسامة منيه على بطن مها التي كانت غارقة في نار لن يطفئها شئ في تلك الليلة , فأسرع النادل يكمل ما بدأه أسامة ويطعن بقوة بقضيبه المحاط بالواقى الذكرى .. أشارت مها لأسامة بنظرات ممحونة ليقتررب منها , والتقت قضيبه تمتصه .. كانت مها تشعر أن مهبلها متسع للغاية وقضيب النادل لا يملؤه بما يكفي .. من فرط الدفعات وسرعتها , إنطلقت بعض قطرات البول ليتزايد أعداد المتابعين ويتزايد جنون مها ومتعتها .. إنتصب قضيب أسامة سريعا , غيرت مها وضعها تسجد على أربع لينيكها أسامة في كسها من الخلف وتمتص هي زب النادل الذي شعر بمدى تأججها وشبقها , فتمدد على ظهره أرضا وجعلها ترقد عليه ليغوص زبه في كسها .. وبان شرحها متعرجا متسعا بعض الشئ من فرط هياجها العارم .. وعلت صيحات بالفرنسية من حولهم لا تفهمها مها .. كان الجمع يطالب أسامة بأن يأتيها في شرحها .. بلل أسامة قضيبه وأمسك بيديه مؤخرة مها يدفع بزبه في شرحها .. مهما كان لم تكن أبدا مها نعمان يمكن أن تتخيل أنها ستحظى بهذا الكم من العهر والشبق في تلك الليلة المشهودة .. كان إحساسها بالعهر يعطيها متعة فائقة وفتحيتها تمتلآن بقضيبين بمساعدة أسامة تمكنت من العودة إلى غرفتها في الفندق شبه غائبة عن الوعي .. وبصعوبة أيقظها أسامة في الصباح الباكر , فهذا هو آخر يوم لها في باريس حيث ستعود مساء إلى مصر .. ولم يشأ أسامة أن يضيع اليوم فأراد أن يمنح مها شيئا مختلفا ومميزا آخر

- جهزى شنطتك للسفر .. عشان هاخذك دلوقتي لمكان وبعدين هانطلع منه

ع المطار

بصوت واهن جدا وصداع يثقل رأسها قالت مها

- أنا حاسة إني عاوزة أنام يومين

- عندي ليكي حاجة هاتطير النوم من عينك

ساعد أسامة مها في تجهيز حقبيتها , ونزلا من الفندق وأنها إجراءات تكلفة الإقامة التي تحملها نادى الأدب الأيروسي .. قاد أسامة سيارته ومها تسأل

- هانروح على فين ؟

- مفاجأة

بعد قليل وصلا إلى شاطئ باريس الإصطناعي على نهر السين .. ظنت مها أنها ستحظى بيوم على الشاطئ قبل السفر .. لكنها وجدت زحاما شديدا كما لو أنه جمهور يحضر مباراة كرة في الإستاد .. قرابة ثلاثة آلاف رجل وامرأة من مختلف الأعمار والأشكال والألوان وربما حتى الجنسيات .. وقف أسامة ومها وسط عدد قليل على بعد يتابعون ما يحدث .. حيث يصغى الجميع إلى رجل يتحدث عبر مكبر للصوت , وقال أسامة لمها

- دى واحدة من جماعات ال nudism حول العالم .. هو بيتكلم عن فلسفة التعرى وشعور الإنسان بتوحده مع الطبيعة

ظلت مها تتابع بعينها , حتى رأت الحشد الكبير ينقسم لقسمين : الرجال فى جهة والنساء فى جهة أخرى .. هناك توجيهات تصدر من القائد عبر مكبر الصوت فينفذ الجميع .. رأت مها الرجال ينزعون ملابسهم فيصبحون عرايا تماما .. لا يوجد أى شئ على أجسادهم مطلقا , إندهشت من بعض الرجال شبكوا أياديهم يخفون بها قضبانهم بدافع الخجل .. فسألت أسامة ما الذى يدفعهم لفعل ذلك طالما يشعرون بالخجل .. أجابها أنهم يرون الأمر برمته مغامرة ممتعة فيشتركون , ولكن يساورهم الخجل ... إصطف الجميع فى صفوف طولية منتظمة تماما على خطوط مرسومة على الرصيف الإصطناعي للشاطئ .. لم تفهم هى ما معنى أن يتمددوا عرايا على الشاطئ تارة على ظهورهم وتارة على جنوبهم يغمضون أعينهم تحت أشعة الشمس .. قال أسامة أن الإحساس بالتعرى وسط الآخرين على الملائكة كنوع من التوحد مع الطبيعة , يمنح النفس إحساسا دافئا ممتعا ويصفو قلبه ... ضحكت مها مندهشة ... صحيح أنها ككاتبة قرأت من قبل عن تلك الجماعات لكنها لم تعنى بفلسفة الأمر على هذا النحو ... نهض الرجال يرتدون ملابسهم .. وحين الدور على النساء اللاتي أصبحن عرايا كيوم ولدتهن أمهاتهن .. سيدات وقتيات كبيرات وصغيرات .. تضحك مها واضعة كفيها على وجهها وهى ترى عجوزا شمطاء فى أرذل العمر , تسير عارية بخطا متباطئة وسط مجموعة من أقربائها ... لمعت الفكرة فى رأس مها .. نظرت إلى أسامة وركضت نحو الحشد .. نزلت فستانها وتعدت تماما ولم تكن فى حاجة لأن تتشغل بملابس داخلية لأنها لا ترتدى شئ تحته كعادتها دائما .. عارية مها وسط النساء إصطفت فى الطابور .. تنظر إلى ما قد يأخذ نظرها من تلك البدنيات اللاتي ترهلت أجسادهن فى مناظر ملفتة .. ترقب عانات النساء بين مشعر وحليق .. والأثناء المتباينة بحلماتها من بين غائرة ونافرة .. شعرت بزهو بعدما قارنت بين جسدها وبين من هن أصغر منها فوجدت نفسها أجمل رغم أنها تجاوزت الخمسين .. فعلت مثلما فعلو حيث تمددت أرضا على بطنها تغمض عينيها .. إحساس جميل بالمغامرة وشعور ممتع بالتححرر , هى إعتادت على ذلك الإحساس منذ اليوم الذى قررت فيه عدم إرتداء أية ملابس داخلية تحت ملابسها .. لكن إحساسها الآن بالتححرر كان ممتعا ولذيذا لأبعد الحدود ... وانتها فرصة رأتها مها مناسبة لترقب قضبان الرجال المرتخية جميعها , حين إمتزج الرجال بالنساء عرايا فى صفوف متقاطعة .. كانت مندهشة من أن عينيها لم تقع على قضيب منتصب .. تستغرب الحدث , ألا يشكل نحو ألفي امرأة عارية تماما بكل هذه الأجساد المتنوعة أى إثارة لرجل من أولئك فينتصب قضيبه .. تابعت الشباب صغار السن عليها تجد أحدهم منتصبا لكنها لم تجد .. غريب هذا الأمر بالنسبة لها .. هى نفسها تشعر الآن ببعض الإثارة جراء متابعتها لأجساد الرجال العارية .. أدركت حينها أن الغريزة منشأها دوما الفكر الذى بدونه تصبح الأجساد العارية شيئا عاديا .. هى تشعر بالإثارة لأنها فكرت فى الأمر وراقبت الأجساد .. بينما الآخرون لم ينشغل

بال أحدهم بالجنس فلم ينتصب قضيبه لمجرد مرآه لأجساد عارية ... رقدت مها وتمددت ووقفت وسجدت .. فعلت مها كما فعل الجميع سعيدة بمغامرة لم تكن أبدا تتخيل أن تحظى بها .

فى المطار كانت مها نعمان لا تجد من الكلمات ما يمكن أن تعبر به لأسامة عن إمتنانها , فاكثفت بقبلة رقيقة على فمه ونظرات إمتنان شديد .. واقترقا على أمل اللقاء ... تسترخى مها فى كرسيها بداخل الطائرة تتمنى العودة إلى أسامة مجددا .. لكن كلما إقترب الوقت من الوصول إلى مصر , كلما تذكرت أنها ستعود إلى سابق حياتها .. فكرت فى أمجد وأمانى وسامى .. إرتسمت أمام مخيلتها صورة لوجه زوجها سامى تتغير ملامحه بدءا من يوم عرفته وحتى الآن .. إسترجعت ذاكرتها رسائل بعض قارئاتها المتزوجات وأرسلن لها يشكين عذاب الضمير لأنهن إنسقن وراء علاقات آثمة خارج الزواج .. أسندت رأسها للخلف على الكرسي وأغمضت عينيها تتأمل ما بداخلها من أحاسيس ومشاعر الآن .. لم تجد أن بداخلها إحساس بالذنب أو التائب , بل وجدت نفسها سعيدة مغتبطة بذلك الأسبوع المبهر من حياتها .. ولما لا ؟ .. طالما عاشت مها وشبت تستمتع بالحياة وتفعل ما تشاء دون أن تعبا بالآخرين .. لكن كلمة الآخرين التى جالت بخاطرها جعلتها تتذكر أن متعتها لا يجب أن تنتهك حقوق الآخرين .. وتساءلت : أليس ما فعلته يعد إنتهاكا لحق سامى زوجها .. تعلمت من سامى وفلسفته أنه مهما بدا سلوك ما وضيعا صادما , إلا أن تأمله بهدوء وروية يجعل رأينا فى هذا السلوك يختلف .. هكذا أمعنت مها فى التفكير .. إن جسدها ومشاعرها وأحاسيسها ورغباتها ملكا لها وحدها .. هذا ما زرعه فيها سامى .. ولا يمكن أن يكون زواجها منه حكرا على رغباتها أبدا .. الزواج نوع من التعاقد على علاقة بين طرفين .. أخل سامى بالتعاقد أولا .. هو من تغير وبات شخص آخر غير الذى أحبته وعشقت حياتها فى كنفه .. لكن إذا كان الأمر كذلك , فكان عليها أن تنفصل عن سامى أولا وتلغى العقد بينهما ومن ثم تفعل ما تريد .. لكنها فكرت أنها لم تفعل ما فعلت بدافع تخطيط مسبق أو رغبة ملحة مكبوتة .. فقط إنصاعت لظروف سارت بها تجاه رغبات ممتعة فلبت النداء .. أفاقت من شرودها على إرتطام عجلات الطائرة بأرض مطار القاهرة .

بعد الترحاب والإطمئنان على أحوال ابنها أمجد وأختها أمانى , ولم تجد جديد طراً على حياتهما , فكثيرا ما كانت تشعر وهى فى باريس بأنها معهما من خلال محادثات التليفونية .. طلبت مها زوجها سامى قبل حتى أن تستبدل فستانها أو تحظى بحمام بارد , وجلسا فى غرفة النوم .. مها لم يكن أبدا أن يصبح فى حياتها معنى لكلمة سر , فلم تملك يوما فى حياتها سرا خاصا بها لم يطلع عليه سامى ويشاركها فيه .. حكى له ما مرت به خلال أسبوعها فى باريس .. وما حدث فى الملهى الليلي وعلى رصيف الشاطئ .. لم تكن تسهب فى وصف الفعل إنما كانت

تحكى عن شعورها ورغباتها التى كانت تتقافز مع الأحداث فتنساق هى وراءها
بلا أية تفكير , وختمت كلامها
- إنت إيه رأيك ؟

هكذا سألت سامى الذى كان يستمع إليها بوجه محتقن رغم تعبيرات وجهه الجامدة
التى لا تتغير أبدا , ونظرات عينيه التى ترنو ساهمة إلى الفراغ إلى جانب الشعر
الأشيب على جانبي رأسه , كان يبدو كفيلسوف من عالم فريد .. الدكتور سامى
رضا أستاذ الفلسفة لم يكن مجرد دارسا ومدرسا لها فحسب .. إنما كان للحق
فيلسوبا حقيقيا ينظر إلى الأمور من عل .. فلم يكن بالطبع يشعر بما يمكن أن
يشعر به أية رجل شرقى بموروثه المجتمعى الثقافى , بعدما تحكى له زوجته ما
حكته مها .. فينهض ليقفلها أو يضربها أو على أفضل الاحتمالات يطلقها ويلقى
بها فى الشارع .. كل ما فعله هو أن رنا إليها بنظرات ذكرتها بأيامها الجميلة معه
, وسألها بهدوء

- لسه بتحبينى ؟

صمتت مها تفكر فى السؤال ثم أجابت

- أنا حبيت ووهبت حياتى لسامى اللى جه البيت عندنا يذاكر لي .. إنما

سامى اللى قدامى دلوقتى ده واحد تانى

تنهد سامى وقال وهو ينظر فى عينيه بحب

- أنا بحبك يا مها أكثر من زمان

قالها وهو ينهض متجها لغرفة المكتب .. بينما ذهبت مها إلى الحمام ومن ثم للنوم

موقف غريب يفرض على البعض النظر إلى مها بإعتبارها امرأة وقحة شاذة
فعلت ما فعلت وجلست تخبر زوجها بمنتهى الهدوء .. بدلا من التوارى خجلا فى
السر تندم على ما فعلت .. ويفرض ذلك أيضا إلى النظر إلى سامى بإعتباره رجل
ديوث بلا كرامة نظرا لرد فعله العجيب تجاه زوجته .. لكن المتأمل فى كلا
الشخصيتين , سيدرك أن ما حدث أمرا عاديا .. فمها نعمان بتربيتها ونشأتها تحت
جناح سامى إفتقدت إلى الرادع الدينى والمجتمعى الذى يمكن أن يعوقها عن
الإستجابة لما تحس وتشعر به من رغبات تبتث فيها المتعة .. بل هى تدعو دائما
إلى ذلك من خلال كتاباتها , وتردد : على الإنسان ألا يضع سلوكياته وتصرفاته
فى حالة فصام مع ما يشعر به من رغبات وأحاسيس .. أن يفعل ما يرغب شرط
ألا يعتدى على حقوق الآخرين .. هاهى فعلت ما تعنتقه وتدعو إليه .. أخبرت
زوجها بما فعلته , لا لأن تعترف كزوجة خائنة وتترك لسامى الحرية فى أن يتخذ
رد الفعل الذى يراه ملائما .. بل لتعرف رأيه الفلسفى فى ثمة موقف كهذا أولا ..
وإرضاء لشعور دفين بداخلها ثانيا , بأن تلقى عليه مسؤولية ما حدث وتشعره
بتقصيره نحوها وتبديل شخصيته وإنزاله عما حوله منغمسا فى فلسفته , قد أدى

إلى خروجها من تحت جناحه .. لذا لم تشغل بالها إطلاقاً في إعادة صياغة الأمر برمته , فرد فعل سامى جعلها تدرك أنه لا جديد .

أما سامى فقد أورثته تأملاته الفلسفية فى الأديان بالطبع إلى الاعتقاد بأنها جائت من أجل تكريس الهيمنة الذكورية على الأنثى , فدوما ما كان يكتب :-
("" الأديان الإبراهيمية كرسست الهيمنة الذكورية , فلو قلبنا كل التراث الإبراهيمى سنجد فويبا المرأة هى الحاضرة .. منذ حواء التى خلقت من ضلع أعوج من آدم , فهى حتى لم تستحق حفنة من التراب تُخلق منها كما خلُق آدم .. أو على الأقل ضلع سليم وليس أعوج .. هى التى أغوت آدم للأكل من الشجرة وكانت سبب معاناة البشر على الأرض بعيدا عن الجنة الغناء المثمرة .. لقد حفلت النصوص الدينية بكم هائل من إزدراء المرأة وتحقيرها وإعتبارها مجرد إناء جنسيا .. فالرجل فى الجنة من حقه أن ينكح ما يشاء من الحور العين ثيبات وأبكارا , أما المرأة زوجته فهى تتحول إلى سيدة الحور العين لتشرف عليهم من أجل زوجها نتيجة كبتنا الجنسى تحولت علاقة الرجل بالمرأة إلى مجموعة من المناورات الدائمة والمستمرة لإعتلاء الأنثى وتجلت عبقرية الرجل فى أنه حجب وغطى جسد المرأة ليخلق فى نفسه حالة من الشبق المستمر من أجل البحث الدؤوب عن الجنس .. من هنا كان الزنا ماهو إلا تشريع رأى الرجال أن يحافظوا على أوانهم الجنسية .. وألبسوا تشريعهم رداء مقدسا .. فإذا كان الرجل من حقه أن ينكح ما طاب له من النساء مثني وثلاث ورباع إلى جانب الجوارى وملكات اليمين وميراث هائل من الحور العين فى الجنة .. ألا يعنى ذلك أن تشريع الزنا جاء لفرض الهيمنة الذكورية على المرأة , ليس إلا؟؟ "")

لذا إعتقد سامى رضا بالطبع أراء متفردة فى العلاقات الجنسية بين البشر .. فهو لا يرى فيها ما يعيب طالما لم تصطدم مع حقوق الآخرين من المجتمع والناس , وهذا ما يفعله الغرب المسيحى رغم أن جملة (لا تزنى) تكررت مرارا فى الكتاب المقدس .. لكنهم آمنوا بضرورة وحتمية تلك الغريزة التى تعد أقوى الغرائز البشرية .. فسعوا إلى تنظيم ممارساتها ولم تعد تقتصر على الزواج فحسب .. بل إتخذوا من التدابير ما يحمى الحقوق المترتبة عليها إذا لم يكن هناك زواج .. إعتبر سامى أن الزواج هو إتفاق بين شخصين على ممارسة الحياة معا وفقا لشروط يحدونها ويرتضون بها .. فذلك الإتفاق هو الزواج حتى إذا لم يكن هناك أوراق ثبوتية لذلك .. المتزوج لا يحق له ممارسة الجنس خارج إطار الزواج , لأن فى ذلك إنتهاكا لشريكه ونقضا للإتفاق بينهما .. لكن فى حال علم أحد الطرفين وموافقتة يحق للأخر أن يفعل .. حيث لن يكون هناك إنتهاكا لحق أحد .. هكذا كانت أراء سامى التى وضعته فى تلك اللحظة جالسا أمام مكتبه يفكر فيما حكته مها .. يدرك أنه المسؤول عن ذلك وعليه أحد أمرين .. إما الإنفصال وإما الموافقة ضمنيا , ولاح له أمر ثالث هو أن يعود إلى سابق عهده يوم إقترن بمها .. لكنه آمن أنه يسير فى طريق منعزل بعيد عما حوله .. صامت على الدوام

يفكر ويتأمل ... يقرأ ويكتب .. هذا هو عالمه الآن الذى دخله منذ سنوات .. لا سبيل للعودة فعلى ما يبدو أن هذا الطريق ذو إتجاه واحد فقط .. نفص الأفكار عن رأسه وأذعن إلى المضى فى حياته كما تسير .

بدأ كتابة مقالة جديدة بعنوان (الله جعلناه لصا)

("" حسبما جاء فى النص التوراتى " وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين . فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين " سفر الخروج " وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين " سفر الخروج إندهشت من هذا السرد .. فالله هنا يشجع اليهود على سرقة المصريين وبخسة وندالة عند خروجهم من مصر !! .. حسب القصة فالمصريون تم خداعهم والخدعة لم تأتى من اليهود بل من المخطط والمدبر الأكبر !!

والإسلام جاء هو أيضا كمشروع سياسى توسعى ومارس الغزوات ونهب القبائل المجاورة قبل أن ينطلق خارج الحدود ليمارس دوره التوسعى تحت يافطة الجهاد فى سبيل الله ونشر الإيمان .. وكان الإيمان لا ينتشر إلا بالسيف .. ولتنددهش أيضا من علاقة الغنائم والسلب بالدخول فى الإسلام .

الإسلام يسمى سرقة ونهب الشعوب الأخرى بالغنائم " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم "

ولا تصل الأمور إلى حد تحليل الغنائم والنهب بل يتم إرسال تشريع من السماء لينظمه بعد حدوث حالات فوضى عند تقسيم الغنائم عقب غزوة بدر فنجد أن المقاتلين إتقسموا على أنفسهم لتوزيع الغنائم , ليتحرك الله سريعا أمام هذه المشكلة فى توزيع النهب .. فينزل آياته البيّنات التى تعالج هذا الخلاف العويص :

" يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين "

ثم أوضح القرآن أسلوب تنفيذ هذا التشريع : " واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير "

هل لنا أن نتصور إليها لصا بهذه الصورة وهذا المنظر الفج , أم الأمور لها معنى آخر .. بالفعل الأمور لا تكون بهذه السذاجة والسخافة فلا توجد آلهة لتشرع بتحريم السرقة وتحليلها , بل إزدواجية الإنسان الذى يحلل ويشرع ويرسم آلهته ويضع فيها مصالحه وأطماعه ويعرف كيف يسوقها .. تظهر بشرية الفكرة

والرؤية وتتأكد من خلال تحليل سرقة ونهب الآخر فتسقط القيمة والمعنى فى لحظة واحدة .

لقد روجوا بتعسف شديد بأن الأديان هى التى قدمت الأخلاق للإنسانية .. بينما الأخلاق هى حاجة الإنسان إلى نظام ينظم علاقته مع الآخرين ليسودها السلام ويحكمها تطور المجتمع الموضوعى .. الأديان قدمت لنا بالفعل أخلاقيات ولكنها أخلاق و سلوكيات مزدوجة ومهترئة .. فهى لم تقدم السلوك كمنهج عام للحياة لكل البشر بل هى طرحت الأخلاق والسلوك لأفراد المجموعة المؤمنة فقط .. وتحررت من هذه السلوكيات فى تعاملها مع الآخر لتمارس نقيضها وبدأوتها .. ولما لا ؟ طالما جاءت النصوص المقدسة ..

{ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم {
{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .. بعضهم أولياء بعض {
{ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء {
{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون {

ما كل هذا الكم من البغض والكره تجاه الآخر , حتى لو كانوا آبائنا أو إخواننا أو أبنائنا ؟ .. الآخر كافر مصيره إلى النار , فلتسحله أرضا وتطأه بقدميك وتقتله .. بعدها إلى جنة الخلد أما هو إلى النار وبئس المصير .. لماذا لا تسع النصوص الدينية لقبول الآخر وفكره .. لأنها نصوص بشرية جاءت تكرس مصالح وأطماع توسعية , فلا مجال هنا للآخر نهائيا .. وسط عنصرية كرسها كل فصيل لنفسه , فاليهود يرون أنفسهم شعب الله المختار .. والمسيحيون يرون أنفسهم أبناء الله المبررون بدمه .. والمسلمون يرون أنفسهم خير أمة أخرجت للناس .. ماذا يكون ذلك سوى عنصرية فجة ضد الآخر .

الميثولوجيا الدينية بقصصها وأساطيرها وخرافاتها حافلة بالآلاف الصور لم نستدعى منها إلا القليل , ويمكنكم أن تستدعوا الكثير ,والتي تبين سذاجة كاتبها ومسطرها .. هى صور تنال من فكرة الإله أكثر مما تدعمها .. فهذا الإله يخلق كونا بمساحة ألف مليون و 211 مليون و 40 ألف ترليون ميل , ثم ينتقى مجرة واحدة من مجراته , ومن ثم مجموعة شمسية من مجموعاته , ومن ثم كوكبا واحدا من كواكبه ليخلق عليها الحياة ويسخر كل شئ عليها للإنسان فصارت الكواكب والنجوم زينة السماء الدنيا .. كيف لنا أن نفسر هذا العبث الفكرى والتي تصيب فكرة الله نفسها بالسطحية والتفاهة عندما تجعله يهتم بتوافه الأمور وسط كون هائل وشديد الإتساع والتعقيد ولا تكون الأرض بكل ما عليها أكثر من حبة رمل فى الصحراء الكبرى .

كيف نفسر قبولنا ورسما لهذه الصورة العبيثة والشديدة السذاجة .. وما الذى جعلنا نعتقد بأن قصصنا الساذجة والعبیطة تحظى بإهتمام إله وأنه راصد ومهتم ومعتنى ومحب ومنتقم من كل واحد منا .. عندما خلق الإنسان آلهته أسقط غروره فيها , فجعلها تهتم به وتعتنى به وتقوم على خدمته وإحتياجاته .. بل جعلها تخلق الوجود من أجله فنصور له غروره مع عقله الجاهل أن النجوم الهائلة ما هى إلا مصابيح ولمبات للزينة والإنارة .

هو تصور أنه محور الكون فنسج قصصه وأساطيره ووظف فكرة الإله فى كل ثناياها لخدمة الأنا .. فلم يرهقه خياله ولا غروره فى أن يجعل الإله خالق الشمس والنجوم والأنهار والزرع والحيوان من أجله .. وبالطبع أوكل له ترتيب حياته ورزقه وأمنه وسلامه وحتى تعثره فى حجر .

لقد إستغل وإستثمر فكرة الإله أفضل إستغلال ليرضى حاجاته النفسية .. ويمكن القول أننا خلقنا الآلهة وأسقطنا عليها رغباتنا بالإهتمام وأنا ذو قيمة فى عالم قاسى يصفعنا على وجهه هنا ليقول لنا أننا بلا قيمة ولا معنى ولا غاية .. نحن خلقنا الإله الذى يدس أنفه فى كل صغيرة وكبيرة ليعطينا الشعور بأننا ذو أهمية وأنا محور الوجود وفى قلب الحدث .

لم تمنع فكرة الإله بهذا المغزى أن يستثمرها الأذكىاء والطامحين فى تمرير مصالحهم ومطامعهم ونزواتهم من تحت عباءتها فيصوروا ان الله إصطفاهم وكلمهم ويطلب منهم أشياء ويهبهم أشياء وليعطوا إیحاء للبسطاء بأنهم المصطفون والمتحدثون الرسميون بإسمه كأنبیاء ومرسلین .. فلا مانع أن يزعموا بأن الله أراد لهم هذه الأرض وبيبارك زواجهم ويلعن أعدائهم من فرعون وأبو لهب فالأمور غير مكلفة .

الإنسان تعامل مع الفكرة ليكون ذو أهمية فى هذا الوجود العابث ووسط طبيعة غير مهتمة به ولا مكترثة بوجوده فخلق الإله الذى يمنحه الثقة ويؤكد غروره ولتصبح الحياة ذات معنى وجدوى فهناك من يهتم ويهب ويمنح بل وينتقم من أعدائى .. فلأجعله فى ميدان القتال ليحقق أطماعى فى النهب والسيادة ولامانع أن أجعله يرسل ملائكة لها أجنحة من مملكته البعيدة ليعضد من موقفى ويشحذ نفوس المقاتلين .. ولا مانع أيضا أن أجعله الراعى الرسمى لعواطفى ونزواتى . ""

هنا توقف سامى عن الكتابة , وأشعل سيجارة وأسند مرفقه الأيمن على كرسى المكتب وأحنى عليها رأسه .. هذا الذى كتبه یحتاج إلى نظرة أخرى ممعنة .. هكذا حالته فى الآونة الأخيرة , يفكر ويكتب ثم يعاود تأمل ما إعتنقه .. الإنسان كائن إمتلك الوعى .. الوعى الذى جعله خارج الطبيعة راصدا لها بالرغم أنه جزء منها .. هذه ليست علاقة كمية بل إرتباط كیفى .. ليس الأمر تافها إلى النحو الذى يجعلنا نندش من الإله العظيم المنشغل بتوافه الأمور .. الإنسان حمل بداخله نفخة روحانية من الله .. أعطته هذه الروح , القيمة التى تستحق إهتمام

الخالق به .. نهض سامى من أمام مكتبه متجها إلى نافذ الغرفة وفتحها يستنشق بعض الهواء النقى وينظر إلى السماء الصافية بنجومها المتلألئة يفكر ... الروح ... ما هى الروح ؟ .. هل يوجد شئ اسمه الروح .. جال بخاطره مقولة الفيلسوف الإنجليزي فرانسس بيكون منذ أكثر من ثلاثة قرون .. إن قليل من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد .. أما التعمق في الفلسفة فيرده إلى الدين .. طالما التمس سامى حقيقة تلك المقولة فعلا خلال تأملاته الفلسفية .. لكنه أضاف عليها : أن قليل من العلم يقود إلى الإلحاد .. أما التعمق فى العلم فيقود إلى الإيمان .. ولما لا ؟ إذا كان إينشتاين عندما سأله عن وضع الله فى نظريته بشأن ماهية الكون والوجود , أجاب أن ذلك الإله لا وجود له فى نظريته النسبية .. هو كان يتحدث عن ذلك الإله الذى رسمته النصوص الدينية .. لكنه تحدث فى نظريته عن إله ... إله من نوع آخر .. أوزع إينشتاين فى نظريته أن الأجرام السماوية تخضع لقوى مهيمنة ترأب حركاتها حول بعضها , إذ أنه لو تحرك جرم من مداره قيد أنمله لأختلت قوى الجذب والطرء , وانهار الكون والوجود برمته وتلاشى .. إن هذه القوة تصلح لأن تكون إليها فقط .. ولا تصلح لأن تكون مادة , فهى لا تخضع لأية من قوانين المادة .. هكذا كان سامى يفكر وهو يتأمل النجوم فى السماء , أن التعمق فى فهم العلم يقودك إلى عاقل دبر وفكر وصنع هندسة فريدة للكون والوجود .. لا يزال سامى يرى أن الصاق ماهية الوجود بالطبيعة العبثية العشوائية أمر يستعصى على الفهم القويم .. إذ ماذا يكون ذلك سوى تأليها للطبيعة , دار بخلده تجربة أحد أكبر علماء علم الإحتمالات حيث تناول حمضا أمينيا من تلك الأحماض التى تشكل بروتين المادة الحية , ويتكون الحمض من خمسة عناصر هى الكربون والهيدروجين والأكسجين والنيتروجين والكبريت , من بين مائة واثنين عنصر موجودة فى الطبيعة .. وبقانون الإحتمالات .. أصبح إحتمال أن يتكون ذلك الحمض الأمينى يبلغ واحد إلى رقم عشرة مضروبا فى نفسه 160 مرة .. هل يعقل أن تقود المصادفة والعشوائية إلى نجاح إحتمالية بهذه الضالة المتناهية مع حمض أمينى وليس مركب كيميائى عضوى ؟ أجاب سامى فى نفسه ... هراء .. لا يمكن للمصادفة والعبثية أن تنسج كونا محكم بهذه الدقة .

قانون السببية لا يزال يتواصل حتى نصل إلى ذرتي الكربون والهيدروجين والتي نشأ من التواليف المعقدة بينهما كل هذا الكون والحياة .. من وراء ذلك ؟ .. من ؟

عاد سامى يجلس قبالة مكتبه وفتح أجدته الخاصة يكتب ("" أينما اتجهت بعقلى فى دنيا العلوم , رأيت الأدلة على التصميم والإبداع , على القانون والنظام , على وجود عاقل يتحكم فى المادة .. سر فى طريق شمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار , وإستمع إلى تغريد الطيور , وانظر إلى عجائب الأعشاش , فهل كان محض مصادفة أن تنتج الأزهار ذلك الرحيق الحلو الذى يجتذب الحشرات فتلقح الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول .. ليس من المنطق أن نعتقد بأن الطبيعة هى التى رتبت ونظمت هذه الأشياء .. من علم طائر

بالتيمور ذلك الفن الرفيع؟ .. أن يبني عشه بهندسة وفن غاية الجمال , ولماذا تتشابه جميع الأعشاش التي تبنيها الطيور من هذا النوع ؟ وفى هذا التوقيت .. إذا قلنا الغريزة البيولوجية وأن التجربة العلمية أثبتت أن هرمون الإستروجين هو المسؤول حيث ينشط بأشعة الشمس الدافئة فى الربيع .. بدليل أن الطيور التى تم حقنها بالإستروجين قامت ببناء العش قبل أوانه .. هكذا يقود قليل من العلم إلى رفض الإله .. لكن لتأمل وتعمق فى العلم .. ألا يدل ذلك عن أن الطائر لا يدرك ما يفعله ولا يعرف السبب .. إنه كآلة مكونة من خلايا حية يسير على نظام موضوع له .. فمن الذى وضع ذلك النظام؟؟ .. إنه هناك .. يتوارى خلف الأحبة .. هو أراد ذلك .. ليمنحنا حرية الإختيار .. القدرة على إستكشاف وجوده والوصول إليه .. لو وضع الله من الأدلة الباتة ما يدل على وجوده , لما إمتلك الإنسان حرية الإختيار سيكون مدفوعا إلى الإيمان بفعل أدلة راسخة لا تقبل الشك .. لكن حرية الإنسان فى إختياره بنيت على أن يتوارى الله خلف الأحبة .. إنه الروح التى تتوارى خلف المادة .. إنه المؤلف الذى يصوغ قصصه لتأملها الألباب .. كذلك القصة التى تبدأ حين تكون نبات اليوكا أحد النباتات الزنبقية , وتكونت زهرته تتدلى للأسفل على شكل كأس فى وضع يستحيل معه أن تسقط فيها حبوب اللقاح المنقلة بالرياح أو الحشرات , مما يعنى أن هذا النبات مآله إلى الفناء والإنقراض .. هكذا إذن هى الطبيعة العشوائية العبثية أخطأت فى خلق وتكوين نبات اليوكا فأودت به إلى الهلاك المنتظر المحتوم .. بكى نبات اليوكا متحسرا على حاله البائس الفانى لامحالة .. ينظر إلى النباتات من حوله فىرى شماتة عباد الشمس , وشفقة البنفسج وتعاطف الفل والياسمين .. ينتظر النهاية بدموع الوداع .. ولكن فجأة بعد مغيب الشمس بقليل تظهر فراشة رقيقة بألوان زاهية تطير بجناحيها , وكأنها خلقت لأداء مهمة محددة , حيث تملك فما تكون بطريقة خاصة لتتمكن الفراشة من جمع حبوب اللقاح وتخزينها فيه .. وبعدها تقف على زهرة اليوكا المتدللية وتقوم بوضع حبوب اللقاح على ميسم الزهرة بلصقه لصقا على شكل كرة , بمادة لاصقة تمنع حبوب اللقاح من السقوط بفعل الجاذبية نظرا لوضع الزهرة المقلوب .. عندئذ يتلحق نبات اليوكا وينتج بذوره ويستمر فى الحياة .. ياالله .. هى دهشة تفرض نفسها .. فإذا كانت الطبيعة هى التى تسببت فى تشوه نبات اليوكا وعجزه عن المضى فى الحياة وحده .. إذا فمن الذى ساق له هذه الفراشة وصمم تكوينها من أجله وجعل لها فما مهينا لجمع حبوب لقاحه .. من الذى أودع فيها المادة اللاصقة حتى تلتصق حبوب اللقاح بالميسم فلا تسقط أرضا ؟ .. لا يمكن أن يكون سوى عاقل خطط ودبر .. ثم أن القصة لم تنتهى على هذا النحو .. ثمه تساؤل : ما ذنب الفراشة لكى تهب حياتها من أجل نبات اليوكا , وكيف تواصل هى حياتها .. إنظر إلى ما حدث .. إن نبات اليوكا حمل فى طياته إمتنانا عميقا لفراشة اليوكا التى أنقذت حياته , فقد أبى على نفسه إلا أن يرد الجميل فمنح الفراشة مبيضه .. حيث تقوم الفراشة بثقب المبيض بواسطة أداة خاصة فى مؤخرتها تنتهى بطرف مدبب يشبه الأبرة , وينساب منه بيض الفراشة إلى داخل مبيض الزهرة , حتى إذا فقس البيض وخرجت اليرقات ,

منحها نبات اليوكا بذوره لتتغذى عليها فتكبر وتواصل الحياة .. يا الله .. ما أروع هذه القصة .. إنها لم تكن من نسج خيال مؤلف حالم , ولا من عالم الفانتازيا .. بل هي حقيقة من ضمن حقائق مبهرة فى عالم النبات .. فنبات اليوكا لا يمكن أن يحيا بدون فراشة اليوكا التى إرتبط مصيرها هى الأخرى به فلا يمكن أن تعيش بدون نبات اليوكا .. خلقت هى وتكونت من أجله هو فقط .. ورد لها هو الجميل بمنحها مبيضه .. هذا العلاقة التكافلية لا يمكن أن تكون نشأت عبثا وعشوائيا .. إنها نظام .. وبما أن المادة لا تهدف لشى , فى حين أن النظام يهدف لشى .. يستوجب ذلك حتما وجود عاقل وراء هذا النظام .. أليس مدهشا أن يتصف نبات اليوكا بصفة الإمتنان فيرد الجميل لفراشة اليوكا , على عكس ما يحدث فى الزهرة المسماة (جاك فى المقصورة) والتى تقوم الزهور الذكورية منها بإطلاق رائحة عطرة تجذب الحشرات , وتظل تترقب حتى إذا دخلتها الحشرة , أفرزت مادة لزجة على جدرانها الداخلية تجعل الحشرة المسكينة تنزلق كلما حاولت الخروج من الزهرة .. عندها يجن جنون الحشرة متشبثة بأمل واهى فى النجاة , فتدور حول نفسها بسرعة جنونية داخل الزهرة مما يودى إلى التصاق حبوب اللقاح بها لدرجة أن جسم الحشرة كلها يتغطى بحبوب اللقاح .. وحانت اللحظة الأخيرة حيث تسلم الحشرة البائسة أمرها وقد يأسست تماما من أية أمل فى النجاة .. فجأة تتوقف الزهرة عن إفراز مادتها اللاصقة وتجف جدرانها , فتتمكن الحشرة من الخروج والنجاة والعودة للحياة .. لكنها تنجذب إلى رحيق زهرة مؤنثة فتدخلها وتسقط حبوب اللقاح من على الحشرة إلى داخل الزهرة فتتلقح وتنتج البذور .. لكن زهرة جاك فى المقصورة , زهرة أنانية شريرة سادية إذ أنها تغلق نفسها على الحشرة الضعيفة وتسحقها سحقا وتقتلها بداخلها .. القصة هنا ليست رومانسية حاملة كما فى نبات اليوكا وفراشته .. فهنا جانى ومجنى عليه .. ما ذنب الحشرة المسكينة لأن تدفع حياتها ثمنا لزهرة جاك .. وما الذى كان يضير الزهرة إذا لم تقتل الحشرة وتتركها تواصل حياتها .. أين العدل هنا ؟ .. نتأمل ونفكر فإذا بنا نجد أن تلك الحشرة تغدت من قبل على حشرة أخرى .. إذا هى حشرة قاتلة .. قتلت أولا فاستحقت الموت قصاصا عقابا لها .. على عكس فراشة اليوكا التى لم تقتل أحد فاستحقت الحياة .. هنا العدل والنظام .. لو أن تلك الحشرة لم تمت بداخل زهرة (جاك فى المقصورة) لكثرت أعدادها وتضاعفت , وبما أنها حشرة قاتلة تتغذى على الحشرات الأضعف منها , لإنقرضت الحشرات الأخرى وبقيت هى .. وإذا إنقرضت الحشرات الأخرى لماتت النباتات التى تعتمد عليها ... يا الله .. لا يمكن أن يكون ذلك سوى أن هناك عاقل قدير صاغ بقلمه هذه القصص المبهرة .. إنه هناك ... موجود يتوارى خلف الأحجية . ("")

كان سامى بعدما كتب تأملاته الأخيرة , يشعر بدفء يغزو صدره , وسكينة تكتنف عقله .. كان يتمنى لو يجد مؤمنا يجيب على تساؤلاته دون أن يقصد النص , ولا يفر هاربا يردد (وأعرض عن الجاهلين) .. هكذا استشعر سامى أن الإلحاد أقوى من الإيمان .. ولما لا ؟ .. إذا كان الإلحاد يتحدث بنظريات علمية

وعن مادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم وعن علوم يتم قياسها وتحديدها .. أما الإيمان فهو يتحدث عن أمور غيبية عن عالم آخر بعد الموت لا دليل على وجوده .. يترسخ لديه أن الأمر برمته لا يعدو كونه دائرة مغلقة .. تبدأ بتأمل النص الدينى فتجده أو هام وخرافات وقصص ساذجة لترفضها على الفور , وبالتبعية ترفض الإله .. لكن ستصدم بعدها بماهية الخلق والوجود , وأن الطبيعة لا يمكن أن تكون هي من نسجت هذا النظام الذى تدفعك تأملاتك فيه إلى الإيمان بوجود عاقل يتحكم فيه .. دائرة مغلقة لا تنتهى .. يظل سامى فيها يدور ويدور .. خلق جدلية مع نفسه يبث فيها ما يعتمل بعقله .. أذعن ذات مرة بالإيمان بالله بعد تأملاته فى الوجود , فوجب عليه التعرف على الله ولم يكن هناك بالطبع سوى الأديان , فقفزت تساؤلاته مجددا .. يتسائل : لماذا سيحاسبني الله إذا كان يعلم بمصيرى قبل أن أوجد فى الحياة , وكتب إن كنت شقيا أم سعيدا وأنا فى بطن أمى ؟ .. هل يحاسبني إذا من باب اللهو والتسلية بأمر معادة .. أم أن الأقرب للعقل والمنطق أننا خلقنا الله ومنحناه صفة المعرفة المطلقة , فوقعنا فى العبث والعبثية . لماذا خلقنى الله ؟ .. لكى أعبده .. إذن هو فى حاجة لعبادتى فلماذا ؟ .. لا .. هو عزيز مقتدر لا يحتاج إلى طاعتى وعبادتى له .. إذن بماذا تفيده أعمالى الصالحة , وبماذا تضره أعمالى السيئة .. هل لأنه يستنصر بها فى معركته مع الشيطان أم أن الأقرب للعقل والمنطق .. أننا خلقنا الله ونحن كبشر لا نفهم أن يكون هناك أى فعل فى الحياة بلا غاية .. والإيمان والالإيمان هو فعل فلا بد أن يكون له غاية وهدف .. ولكن الإشكالية أننا لا بد أن نعتبر الله ليس له غاية وبلا مصلحة لأن بإعتباره صاحب مصلحة وغاية سنطعن بذلك فى ألوهيته وكمالته .. لماذا أعذب عذابا لا نهائيا على أفعال محدودة زمنيا ؟ .. أليس الأوقع أننا أنانيون ومغرورون .. فتحنا باب الخلود ولم نستطع إغلاقه .. فجعلنا منه عالم من اللذة اللانهائية لنا .. وصنعنا الجحيم لغير المؤمن والكافر والآخر والمنحرف , فنتلذذ وهم يعذبون أمامنا إلى مالانهاية .. لماذا هناك شعب الله المختار وأبناء الله المبررون بدمه وخير أمة أخرجت للناس .. هل لأن الله يحب ويكره وكل زمن وله محبين ؟ .. أم أن الأمر لا يعدو كونه أن كل دين وظف الله كما يريد فأرادوا أن يكونوا هم المميزون والجالسون على الحجر الإلهى وباقى البشر فى المزبلة .. لماذا هناك عدد معين من الركعات والسجودات والتمتمات فى الصلوات والطقوس ولا يجوز زيادتها أو نقصانها؟! .. هل لأن هذا العدد يتفائل به الله .. أم أن ألف باء ترويض الإنسان على الإيمان .. أن يمارس فعل مادمى دون أن يفكر أو يتسائل أو يعرف .. فينسحق وينبطح ليكون من السهولة أن تمرر كل حمولات الخرافة .

هكذا تحول الدفء إلى برد .. والسكينة إلى قلق وخوف , ليتبدل حال سامى جراء تساؤلاته .. صداع رهيب يفتك برأسه .. قذف أجنحته وكافة الأوراق أمامه على المكتب وأطاح بها فى أركان الغرفة بغضب عارم .. أين الحقيقة ؟ .. لماذا يستمر الجدل ؟ .. لماذا أراد هو ذلك ؟ .. إن كان لىمنحنا حرية الاختيار , فما هو عاجز عن الاختيار .. دمعت عيناه وألقى بجسده على كرسي المكتب مجددا .. أسند

رأسه على مرفقيه .. يحاول أن يللم شتات نفسه .. المعضلة كلها تكمن فى النصوص الدينية مما يجعل الإيمان ينبى على أحد أمرين .. إما أن تسلم عقلك وتؤمن دون أن تفكر , وتسير على درب الطاعة العمياء أملا فى الخلود فى جنة النعيم ونيل سعادة الدنيا والآخرة .. وإما أن تؤمن بالله ولكن تعيد صياغة النصوص الدينية فتقبل ما يراه عقلك سليما وترفض ما تراه خرافة .. هدا سامى قليلا مع بزوغ نور النهار يتسلل إلى الغرفة .. نظر فى ساعته فوجد موعد ذهابه للجامعة قد حان .. تهيأ ونزل يستقل سيارته إلى الجامعة .. حالة سامى من سهر الليالى , جعلته أثناء إنحرافه بالسيارة خارجا إلى الكورنيش , لا ينتبه إلى السيارة اللادا الرمادية التى كانت تتجه لدخول المنطقة من على طريق الكورنيش .. وعلى الرغم من الصدام كان بسيطا لم تسفر عنه أضرار بالغة بكلا السيارتين , إلا أن عربى نزل من سيارته وصوته يهدر

- إنت حمار يا جدع إنت .. مش شايف يا أعمى ؟

لم يكن أبدا سامى من النوعية التى يمكن أن ترد على ما سمعه .. فنزل بهدوء من سيارته عازما على إنهاء الأمر بتحملة أية أضرار لحقت بالسيارة الأخرى .. إقترب منه عربى متحفزا إستعدادا للمعركة , لكن هدوء ملامح سامى وعدم إفعاله جعل عربى يقف صامتا منتظرا رد فعله .. وسرعان ما تشكلت الصورة لكلاهما .. فسنوات المدرسة الابتدائية التى جمعتهما فى فصل واحد كانت كافية لأن تختزن الذاكرة وجهيهما رغم الشيب الذى غزا رأسيهما عبر السنون

- إزيك يا سامى

قالها عربى وكأنه إلتقى صديقا مقربا , ويتفحص بنظراته سامى ببدلته الأنيقة وهيبته المهيبة

- إنت عربى ؟

تصافحا وبادر سامى

- أنا أسف .. ماكنتش واخد بالى .. ومستعد أتحمّل أى تكاليف

- عيب يا راجل .. ده احنا كنا زمايل فصل واحد .. جت بسيطة

ود عربى سؤال سامى عن أحواله , لكن هيبته التى يراها عربى تتم عن أنه ذو شأن , وكذلك سامى كان يعرف عربى البلطجى , فسمعتة بالمنطقة فاقت الآفاق .. لذا إتجه كل منهما إلى سيارته بعد تحية سريعة .. ولكن سامى توقف فجأة إثر نداء من عربى الذى إقترب منه , ومد يده إليه بورقة فئة جنيه وقال

- دا كنت خدته منك سلف من أكثر من ثلاثين سنة

ابتسم سامى وهو يتناول الجنيه , فهو يتذكر تلك الليلة .. ومضى فى طريقه شاردا فى عربى .. لقد كانا زميلين فى فصل واحد منذ أكثر من أربعين عاما .. وصار هو أستاذا جامعيا بينما أصبح عربى بلطجى .. يرى سامى أن ما يتردد عن عربى عطا فى المنطقة أصبح موروثا شديد البلاغة يتناقله الناس .. ذلك لا ينفى سطوة عربى بالطبع , لكنه ليس على النحو الذى يروجه الناس .. من هنا خطر لسامى أن عربى دين .. شخص يسرق ويمارس العنف ضد الآخر .. ولأن ذلك أمر يخيف الناس ويرهبهم أولا .. ولأن الخيال البشرى يعشق نسج القصص ثانيا

.. تم تحميل الحدث فوق طاقته ليتحول إلى أسطورة شديدة المبالغة .. فروج الناس أن عربى لا يخشى أحد أبدا مهما كان .. يسرق ويقتل ويحرق ومدعما من الأمن .. الإقتراب منه يعنى خطر محقق .. يذعنون له خائفين مرتعدين .. نفس المنطق هو الذى قدس النص الدينى وقام بتحميله أكثر مما يحتمل .. ونفس المنطق هو الذى حول القصص الدينية إلى أساطير عظمى .. ولكن ثمة مصالح على الجانب الآخر , فمصلحة الأمن جاءت فى تعظيم أسطورة عربى وتمريرها للناس من أجل خدمة مصالحها .. تماما كما فعل الأنبياء والكهنة حين استغلوا جهل الناس بتعظيم الأسطورة الدينية وتمريرها إلى عقول الناس لخدمة مصالحهم .. ثم أين دور الإيمان فى ذلك .. هل عربى مؤمن بالله أم ملحد ؟ .. إذن الإيمان ليس له علاقة بالقيم الأخلاقية .. هذا ما كان سامى يكرس له بعض مقالاته الأخيرة .. أن تؤمن بأن هناك إلها خالقا لهذا الكون وأنه مدبر لكل شئ , ليس بالضرورة أن يشكل ذلك رادعا لمن يسرق ويقتل ويؤذى الآخرين .. لكن ما هو التفسير الذى يشرح التباين بين سامى وعربى .. العلوم المختلفة تقول أن سلوك الإنسان نابعا من جيناته المتوارثة التى تحدد سلوكه الذى يتباين ويختلف وفقا لبيئته التى شكلت وعيه وثقافته .. إذن معنى ذلك أن عربى صار على ذلك النحو لأنه سجين بيئته , فعلام يعذبه الله إذا كان ما فعله عربى نتاج ظروف قدر الإله أن يضعه فيها .. كان يمكن للإله أن يضع سامى مكان عربى والعكس .. أن ينال عربى التعليم الذى يجعله يقفز بوعيه على بيئته ومحيطه فيصبح إنسان آخر .. أين التقصير وعلام تقع المسؤولية .. وإذا سلمنا جدلا أن عربى حر تماما ويملك مطلق الإختيار , وهو الذى إختار حياته على هذا النحو .. فكيف تشكلت أدلته الثبوتية على أن حياته هكذا هى الأفضل والأنسب .. إنه لم يكن له الخيرة فى أمره .. دفعته ظروف نشأته وغياب العلم والمعرفة عن عقله لأن يصبح على هذه الشاكلة .. أين هنا حرية الإختيار .. هى مجموعة من الظروف والصدف العبيثية ساقطت عربى إلى هكذا حياة .. بحسب النصوص الدينية يكون عربى فى الآخرة من أهل النار , رغم أنه يؤمن بالله خالق هذا الكون .. لأنه يرتكب من المعاصى ما يستحق عليه الشوى فى جهنم .. وحتى إذا أدعنا للإعتقاد الذى يقول أنه سيعذب فى النار بقدر معاصيه وبعدها يدخل الجنة .. أى أن عربى سيأخذ من حسناته ويوضع على حسنات من سرقهم ونهبهم , ويعذب فى النار وبعدها يدخل الجنة لأنه مؤمن بالله , رغم أن إيمانه موروثا لا أكثر .. لم يؤمن بتأمل وفكر وقناعة .. قارن سامى ذلك بتطبيق المنطق الفلسفى على نفسه .. بحسب النصوص الدينية فسامى سيخلد فى نار جهنم إلى مالا نهاية لأنه لم يؤمن بالله .. لكنه لم يرتكب من الآثام والمعاصى ما أقترفه عربى .. فكيف يكون العدل هنا .. هل الإعتقاد المجرد يشكل هذا الفرق المهور ؟ .. فحتى لو كان عربى سيخلد فى النار ولن يشم ريح الجنة أبدا رغم إيمانه نظرا لبشاعة أعماله .. عندما يلتقى سامى وعربى فى النار .. أيستوى ذلك بذاك .. ليس ذلك عدلا .. صاغ سامى ذلك فى مقالة كتبها فى مكتبته بالكلية بعدما إنتهى من محاضراته .. ووجد دعوة من

أحد أصدقائه من الصحفيين .. دعوة لحضور إحتفال صحيفة آريف تلك الصحيفة
الأرمينية بعيد صدورها .

-16-

عربي هو الآخر كان شاردا , حين إتجه بسيارته إلى ورشة سيارات لإصلاح ما
أصابها بعد الإصطدام بسيارة سامى .. يفكر فى زميل الفصل فى الإبتدائية
ويتسائل لماذا لم يسلك هو نفس طريقه ؟ .. هل لأن أبوه لم يكن موظفا مثل والد
سامى .. هل لأنه كان بليدا ولم يستذكر دروسه ففشل فى إستكمال تعليمه .. شعر
ببعض النقص , لكنه إستعاد أنه الآن أفضل من سامى .. ولما لا ؟ إذ أنه سبه
ووصفه بالحمار والأعمى دون أن يقدر سامى على الرد عليه .. حتما كان خائفا
من سطوته وقوته .. لو لم يكن يعرفان بعضهما , لفتك عربى به وطرحه أرضا ,

وجعله يدفع أضعاف ما تحتاجه السيارة لإصلاحها .. هكذا قام عربى بتعويض إحساسه ببعض النقص بعدما قابل سامى .. وإمعانا فى تعويض نقصه , ترك سيارته فى الورشة وترجل سائرا إلى ناصية الشارع .. هناك حيث عربية الكسكى التى بات تلتها مدفونا تحت الأرض بفعل الزمن , ويقف الحاج مصطفى وإلى جواره الحاجة وفاء يزاولان عملهما بهمة ونشاط - إيه يا أبو نسب

قالها عربى وهو يسحب كرسيه ويجلس إلى جوار العربية الخشبية , فى الوقت الذى كانت وفاء تشيح بوجهها ممتعضة تتمتع كعادتها كلما رأت عربى .. تناول عربى طبقا من الكسكى المحلى بالزبيب وجوز الهند .. وأمعن وهو يأكل فى النظر إلى وجهي وفاء ومصطفى ليدرك أنه الأفضل .. هو يملك المال ويعيش حياة لا تقارن بتلك الحياة الفقيرة التى يعيشها مصطفى وزوجته وفاء التى جعلتهما رغم عمرهما الذى تجاوز الخمسين , يظلان أمام عربية الكسكى يكدان من أجل الرزق .. يتذكر عربى يوم كان يلح على مصطفى لإقراض بعض المال فيأبى .. شعر عربى بالزهو وبأن ذلك على محياه .. لكن إمعانه الشديد فى تأمل مصطفى ووفاء هذا الصباح , قفز به إلى منحنى جديد .. الحاج مصطفى إذا ذكر أحد من العامة اسمه , فدائما ما يكون مصحوبا بهالة من المديح والثناء لرجل يكد على رزقه بشرف منذ سنوات مديدة , وزوجته تسانده وتعاونه وتشد من أذره .. تزوجت ابنته الكبرى وتعلم أبناءه .. لكن إذا حضرت سيرة عربى العطرة , ترى ما يقوله عنه الناس ؟ .. تحول زهو عربى إلى غضب , وتذكر سيد الذى طالما كان ناقما على فقر أبيه , فصاح عربى وهو يمضغ الكسكى فتتأثر فتاته من فمه أثناء الكلام

- ألا هو سيد مش باين ليه ؟ .. هو مسافر بره مصر ؟
قالها عربى بنبرة شامته .. وبالفعل جرف ذلك السؤال الحاج مصطفى لكى يتذكر سيد الذى لم يعد يأتى لزيارتهم أو حتى يواظب على إتصال دائم - شغله فى شرم الشيخ واخذ كل وقته .. ربنا يصلح له الحال
قالها الحاج مصطفى وهو يتذكر سيد .. ابنه سيد الذى أشعره فراقه وهجره بوضاعة شأنه .. الحاج مصطفى طالما كان فخورا معتزا بنفسه , لا يعيبه كونه بائعا للكسكى على مدار ثلاثين عاما , ما من شئ يمكن أن يجعله يشعر بفقره وبؤس حاله إلا عندما يفكر فى ابنه سيد .. وفاء لم تمنع دمعيتين إنسابتا حنينا لإبنها .. شعر بها مصطفى فالأثير بينهما يعبر بأفكارهما دون كلمات , وربما دون نظرات .. ليظهر أمامهما ابنيهما الأصغر الذى سيتخرج من كلية الهندسة - عنك يا أبا .. إستريح إنت شوية .. وإنتى يا أما إطلعى بأه أنا جيت خلاص .. شوفى إيه اللى وراكى فوق

قالها وهو يتناول الكبشة من أبيه ويقوم بملاً الأطباق بالكسكى ومناولتها للزبائن .. هى الحياة التى تجمع الأضداد لتتكامل الصورة .. فدائما خير وشر ونور وظلام .. ربت الأب على كتف ابنه وجلس يستريح يرقبه بزهو .. بينما وضع عربى طبق الكسكى على الأرض ولم يكلف نفسه بوضعه فى جردل الماء

المثبت على جانب العربة كما يفعل الزبائن .. وتعمد أن يخرج ورقة فئة عشرين جنيها , ويقترب ليضعها في جيب الابن الذى أبى أن يأخذ إلا ثمن طبق الكسكسى

ظل عربى بجسده الذى تعاضمت تقاسيمه من جراء مواظبته على التمرينات فى صالة الحديد التى يملكها فى بيت أم وحيد القديم .. يدور على المحلات يجمع الإتاوة المقنعة .. فى الليل جلب سيارته بعد إصلاحها وطاف بها المنطقة بصحبة صديقيه ماهر و بربرى .. يدخنون الحشيش ويجرعون البيرة , حتى أتاه إتصالا من أحد أعوانه بأن الباب الصاج للفرع الصغير على الكورنيش لمحلات أبو هانى نصف مغلق , وإضاءة خافتة تنبعث من الداخل , فقال عربى لصديقيه

- ابن المتناكة الكفتس اللى اسمه عاطف ما بيثبعش نيك
قالها وتوجه بسيارته لمراقبة المحل .. وصل فى الوقت الذى كان عاطف يخرج ومعه دعاء وركبا السيارة .. نزلت دعاء بجوار مقام السيدة زينب , وظل عربى يتبعها , حتى خطرت الفكرة فى رأسه .. دنا منها بالسيارة عارضا خدماته , فأبت وتمنعت .. نزلوا وأحاطوها وسط الليل

- هاتصوتي وتلمى علينا الناس .. هى ديتها غزة وتكونى فى خبر كان
قالها عربى وهو يشهر مطواة فى وجه الفتاة المرعوبة وتابع
- ماتخافيش .. إنتى هاتيجى معانا وهانديكى اللى بتاخديه
خطر لدعاء , أيقون شكلها مفضوحا لهذه الدرجة .. أم أنهم يعرفون أنها شرموطة .. تفحصت وجوههم فلم تتعرف على أحد .. إلا أن وجه عربى بدا لها مألوفاً إلى حد كبير .. ركبت السيارة وذهبوا إلى صالة الجيم .. أضاء عربى الأنوار .. كان عربى قد عرف بمعاونة أصدقائه الشبيحة فى منطقة السيدة زينب ظروف دعاء وحياتها مع أمها العمشاء وحيدتان ..

مشهد من فيلم هندی قديم , ذلك الذى يجمع عربى برفقة صديقيه ماهر وبربرى على وشك مضاجعة دعاء ابنة عربى التى حملت بها سفاحا أخت زوجته زينب وهربت بحملها .. لكن هذا ما حدث .. الفرق الوحيد هو أنه لم تكن هناك نظرات حنين وعواطف وإحاسيس بين الأب وابنته كتلك التى تظهر فى المشهد الهندى ..
تعرت دعاء وإفتتح عربى الليلة الحمراء بصفته القائد والزعيم , ومن بعده صديقيه .. ظلوا يتناوبوا عليها حتى ألتهم ركبهم .. الفتاة أعياها ما حدث خصوصا أنه جاء بعدما أنهك عاطف شرحها فى بداية الليلة .. جعلها ذلك أثناء إرتدائها لملابسها أن تسقط فاقدة الوعى من فرط الإعياء
- يادى المصيبة

هكذا صاح بربرى وهم يتعاونون على إفاقتها , ومساعدتها لتمضى إلى السيارة التى إنطلقت بهم يقودها عربى .. لم يكن بدا سوى من معرفة عنوانها التى وصفته بصوت واهن .. ووصلوا إلى ناصية حارتها قرب الفجر .. لم تتمكن

دعاء من الوقوف على قدميها , فكلما إنتصبت أوشكت على السقوط أرضا تترنح .. جال عربى يبصره فرأى المكان خاليا .. حملها على زراعيه وسار بها حتى أشارت لباب بيتها .. دفعه عربى بقدمه ودخل .. طرق باب الغرفة المجاورة للسلم لتفتح زينب وهى فى غيابات النوم .. أرقد عربى دعاء على السرير وكاد يمضى عائدا .. إلا أنه توقف أمام ملامح تلك العجوز التى أحنى ظهرها الزمن .. تتفحص ابنتها متلهفة تسأل

- فى إيه ؟ .. بنتى مالها ؟

- شوية هبوط بس .. إطمنى يا حاجة

كان هذا رد عربى الذى لم يشفع للأم أن تطمئن .. منظر عينيها وشكل وجهها اثار ذاكرته .. تبدد الضباب واتضح الرؤية إنها هى زينب .. فنادى
- زينب ؟

نطقها بنبرة دهشة وإستفهام ينتظر الجواب .. رفعت هى رأسها ترنو لوجهه وإقتربت منه تتلمس شكله ببصيص النور الباقي فى عينيها التى إتسعت فجأة وهى تقول بصوت مرتعش

- عربى

أحست به أنه القدر الذى طالما توجست منه يقف أمامها

أه لو لم يكن الإنسان مفطورا على التعود والإعتياد , لما إعتاد عادل برسوم على حياته الجديدة , ولما بهتت فرحته بزوال فصامه كما تبهت نقطة الحبر فى كوب من الماء .. ألف حياته من البيت إلى المحل .. يكفيه ما يكسبه من مال لتغطية نفقات أسرته .. صار أكثر حميمية مع زوجته وأبناءه .. كل ذلك تحول إلى روتين ممل .. جرفه الحنين طبعاً إلى سارا , وجودها فى حياته سيبدد الملل .. لكنها إنسانة مريضة .. هوسها بتحقير الأديان لا يروقه على الرغم من أنه غير معنى تماماً لا بالإيمان ولا الأديان .. منذ فارق حياته الكهنوتية , ولم يعد قسيساً , إرتاحت سريره .. فكر فى أن يزورها فقط لمجرد الزيارة .. يتحدث معها ويحاول أن يفهمها .. اصطدم بسؤال ماذا إذا كان تركه للكنيسة قد أفقده بريقه عندها , فلن تقبل به فى حياتها لأنها أرادت القس عادل وليس شخص آخر .. قالت له أنه رأت فيه وجهاً آخر لها .. ربما يكون حدسها قد صدق فى كونه رفض الإله والأديان .. لكنه ليس مصاباً بهوس تحقير الأديان ولا تعنيه فى شئ .. ترى ماذا فعلت عندما إكتشفت تركه للكنيسة .. يدرك عادل أنها امرأة غريبة , هى حتى لم تسعى يوماً لتعرف عنوانه أو رقم هاتفه .. هل سألت عنه فى الكنيسة .. كانت ستعرف من هناك عنوانه وتحاول الوصول إليه .. ربما هى الآن فى أحضان شخص آخر يفعل لها ما تريد .. قرر أخيراً الذهاب إليها .

حالة سارا النفسية التي تحسنت بعدما أفرغت مكبوتها اللائم على الأديان بتحقييرها فى أبشع صورة ممكنة .. فإذا كان مرض الفصام بداخلها قد صاغ رؤيتها للمصلين يتوافدون من نساء ورجال على المسجد الكبير المجاور لمسكنها , وجعل إحساسا باللوم على الدين يتولد بداخلها لأنه لم يجعل لها هدف وغاية مثل الآخرين , وتحول على مدى بعيد إلى فوبيا .. فكان من الطبيعى أن تهدأ نفسها بفعل ما فعلت من تحقير للأديان .. إلا أن التجربة بعد مزوالتها تفقد بريقها الأول , ومن هنا تتبدل النظرة إليها .. هكذا سارا بدأت تتمعن فى مغزى ما فعلته , وتتساءل : هل عليها أن تمضى على نفس المنوال لتظل تنعم بالراحة أم أنها يمكن أن تتوقف .. ما هذا الجنون ؟ .. تشعر أنها إن لم تكن جنت فهي على حافة الجنون .. ذهبت إلى الكنيسة لحضور قداس بحثا عن عادل , علمت أنه ترك الكنيسة .. تعجبت لأنها لم تشعر بصدمة مهولة , كتلك التي شعرت بها بعد إختفاء فتاها الأول .. هل هى نزعة بداخلها وخزتها لتتوقف عن المضى فى طريقها القدر المجنون ؟ .. أم أنها تحتاج للتوقف لتعيد التفكير وصياغة الأمر .. تماما مثل هذه الأثناء التي كانت سارا تقف فى بلكونتها تتابع المصلين يتوافدون على المسجد الكبير بجوارها .. والمدهش أن صوت الأذان لم يكن له من الوقع على نفسها كما كان له سابقا .. دق جرس الباب لتفتح سارا وتجد عادل أمامها .. لأول مرة تراه بدون ملبسه الكهنوتية .. حلق لحيته المحفوفة وبدت حالة من الإرتياح على وجهه .. جلسا فى ردهة الشقة يتحدثان .. حكى لها عادل عما حدث منذ تلك الليلة التي مارسا فيها الجنس بداخل الكنيسة عند المذبح .. وكم يشعر بالإرتياح الآن لأنه تخلص من فصام حياته .. كلماته التي عبرت بالفعل عن سعادته بحياته الجديدة جعلت سارا تشرد تفكر , لماذا هى الأخرى لا تتخلص من فصامها وتشفى .. لماذا لا تعرف الراحة طريقا إلى حياتها .. حسدت عادل وتمنت لو أصبحت مثله .. حسدها له ولد بداخلها كراهية تحولت إلى حالة من التحدى وهو يقول

- أنا مش مؤمن .. بس ماليش أي عداوة شخصية بيني وبين الأديان .. ليه ما تكونيش زيي ؟

حركت سارا رأسها يمينا ويسارا تقول
- مش عارفة

هذه المرة لم تكن سارا بالفعل تجهل , بل كانت تشعر بإجابة ما تداعب سريرتها .. أرادت أن تحكى أنها كرهت الدين لأنها رأته سبب شقاء حياتها ومرضاها .. لكنها نهضت وجلست تلاصق عادل على الأريكة .. ألقت برأسها على كتفه تهمس

- خلاص ما بقتش قسيس !؟

إبتسم عادل وهو ينظر إلى وجهها الفاتن وعينيها الزرقاوان , ومد يده يمسح على شعرها الأشقر الناعم , وسمعها تهمس

- هاتوحشني

الكلمة وطريقة نطق سارا لها , لم يكن لهما معنى سوى أن كون عادل لم يعد قسيسا فذلك يعنى أن علاقتهما إنتهت .. ورغم ذلك تشبث هو بالمضى قدما , فأمسك رأسها بيديه وقبلها على فمها قبلة سريعة , وقبل أن يكررها كانت سارا تبتعد برأسها وفي عينيها نظرة تعنى أنها لا ترغب .. شعر عادل برسوم بالحرج , فابتلع ريقه يقول وهو يشعل سيجارة ,
- يعنى خلاص

قالها فى الوقت الذى كانت سارا تسحب السيجارة من فمه وتبدأ التدخين .. نفتت دخانها وقالت

- مش عارفة .. مابقتش ليا رغبة فى الجنس عموما دائما من يكون على شاكلة عادل برسوم ممن حظى بفترة من التأمل فى المقدس , وتكوين إعتقاد نابع عن فكر .. يرتقى فكره وعقله لتقبل الآخر دائما , حتى لو كان ذلك ضد رغباته الشخصية , فقال بنبرة حزينة
- مقدر رغبتك .. لكن ما أنكرش إني حزين

شرع عادل بعدها يحكى لسارا كيف إفتقد وجودها فى حياته خلال الأيام السابقة بعدما ترك الكنيسة .. صدق كلماته جعلت سارا تلتمس أوتار قلبه , فلمعت فى عينيها نظرة إثر فكرة خطرت لها .. عرضت على عادل أن تمنحه لقاء أخيرا فى الغد .. لقاء للوداع .. على أن يأتى إليها بملابسه الكهنوتية ويمنحها مسحة أخيرة بالزيت المقدس .. ضحك عادل وقال
- هافكر , وإذا قررت هأجى بكرة آخر الليل

حاجة عادل للتفكير كان منبعا , أن إرتداه للملابس الكهنوتية ثانية والإنصياح لرغبات سارا , سيعيده إلى حياة نسيها تماما وألقاها بعيدا عن طريقه .. كان يتمنى لو بقى إلى جوارها على وضعه الجديد .. أمضى يومه يفكر وإتخذ قراره بقاء أخير للوداع

كان ذلك اليوم يكفى لأن يدلى مراد الدوغري بدلوه , والذى ما إن وصله نبأ ذهاب عادل إلى سارا حتى لمعت عيناه بزهو , فها هو يربح رهانه مع نفسه .. وكان عليه التحرك سريعا حتى لا تضيع الفرصة .. تم زرع كاميرتين متناهيي الدقة بنجفتي الصالة وغرفة النوم بداخل شقة سارا .. ولم يكن ذلك يحتاج سوى ثلاثة محترفين إستعان بهم مراد , لينتحلوا صفة عمال الغاز يبحثون عن مصدر تسريب للغاز بالعمارة .. وتقننوا فى لفت إنتباه سارا بين المطبخ , وطلب رؤية المنور من خلال نافذة غرفة النوم المطلة عليه لتتبع مسار المواسير .. بمهارة وفى وقت لم يتجاوز دقائق تم الأمر .

فتحت سارا باب شقتها عند منتصف الليل لتستقبل عادل مرتديا كامل ملابسه الكهنوتية حيث التونية الأسود والشملة المستديرة السوداء على رأسه , والصليب

الكبير بلوني الفضى والأسود يتدلى من حول رقبتة , وفى يده حقيبته الجلدية ..
تماما كما عهدته من قبل .. جذبته بلا مقدمات تجاه غرفة النوم .. جلس عادل على
طرف السرير يتابع سارا ترش عطر الإنكاندسينس , فهامت روحه بمجرد
إستنشاقه يرقب وجهها فى المرأة وهى تضع اللمسات الأخيرة على شعرها
ووجها لتبدو فى أوج فتنتها ودلاها .. تعرت من ملابسها وتمددت على السرير
على ظهرها .. وبدأ عادل يمسحها بزيت الميرون المقدس .. إحساس سارا بأن
هذه هى المرة الأخيرة , جعلها تمعن فى تأمل عادل بملابسه الكهنوتية وحركة
الصليب على صدره يترنح .. غريب ومدهش أنها لم تشعر بمتعة ولا حتى حين
أغمضت عينيها تتخيل المسيح .. أمعنت وأمعنت فلا من جديد .. جعلها ذلك
تستدير على بطنها وعادل يبدأ فى تدليك أجزاء ظهرها .. فقط أحست بالمتعة
حين أسلمت نفسها للجنس ونحّت الأديان جانبا .. بدأ بلها ولذتها .. إعتدلت تنزع
عن عادل ملابسها حتى صار عاريا .. منحته ما يليق بلقاء وداع لا ينسى ..
تناغما على كافة الأوضاع والأشكال حتى إنتهيا .. حزين كان عادل وهو عائد
إلى بيته , لكن رضاه عن حياته الجديدة كان خير عوضا عن حزنه .

لم تعي سارا أن ما فعلته مع عادل ومن قبله فتاها الأول .. كان كافيا جدا لأن تهدأ
شحنة مكبوتها النفسى , وتبدأ فطرتها البشرية الطبيعية تأخذ مجراها وترى
الأمر بمعانى جديدة .. هذا ما جعلها تعاود التردد على جلسات العلاج النفسية ..
ربما بحثا عن مزيد من التحسن النفسى لحالتها , وربما كسرا لإحساس الوحدة من
جاء قبوعها وحيدة فى شقتها .. حتى أنها عاودت الإتصال بأسرتها وبعض
أقرباءها اللذين أسرعوا بالإلتفاف حولها .. ودعتها صديقة لحضور حفل صحيفة
أريف بمناسبة عيد صدورها .

* * *

نحو خمسة آلاف أرمني يعيشون فى مصر حاليا .. ومخطئ من يظن أنهم وفدوا
إلى مصر عندما قامت تركيا عام 1915 م بإبادة قرابة واحد ونصف مليون
أرمنى إبادة عرقية .. صحيح أن ذلك جعل عددهم فى مصر يتضاعف بنزوح
العديد منهم إلى مصر هربا من الإبادة .. إلا أن تواجدهم فى مصر يمتد لأبعد من
ذلك بكثير حيث العهد الفاطمى , حين كان رئيس الوزراء بدر الدين الجمالى
أصله أرمني , فقد جاء إلى مصر ومعه ثلاثون ألف أرمني .. وبرز دور
الأرمن فى عهد محمد على حيث كان يتم الإستعانة بهم كترجمين ومساعدين ,
وكانت وظيفة صك النقود حكرا عليهم لبعض الوقت , فازدهرت الطائفة
الأرمنية .. ورغم تعاقب الأجيال إلا أنهم لايزالون يتشبثون بتراث الأجداد , فلهم
مدارسهم الخاصة والكثير منهم يتحدث اللغة الأرمنية فيما بينهم , ولهم أعيادهم
الخاصة على رأسها يوم 24 أبريل إحياء لذكرى المذابح العرقية .. يصدر فى
مصر ثلاثة صحف باللغة الأرمنية تعنى بشؤون الأرمن : صحيفة شاهامبيرن

وتعنى حامل الشعلة , وصحيفة هوسابير وتعنى باعث الأمل , وصحيفة أريف وتعنى الشمس , وهى الصحيفة التى تحتفل الآن بعيد صدورها بأحد قاعات فندق هيلتون رمسيس .. وقف سامى يتحدث مع أحد الحضور عن عدم إهتمامه بالإتهامات والسباب الذى يتعرض له من جراء مقالاته .. وعلى الجانب الآخر كانت سارا تحضر الحفل ومالت صديقتها عليها تهمس لها - شايفة اللى واقف هناك ده أبو بدلة رمادى ؟

نظرت سارا حيث أشارت صديقتها لترى سامى بلامحه النائثة التى تبدو محفورة فى وجهه بإزميل من حديد , وشعره الذى غطى المشيب جانبي رأسه وقامته الفارعة مع نحالة جسده - ما له يعنى ؟

شرعت صديقتها تحكى عن أستاذ الفلسفة الذى يعد تقريبا المجاهر الوحيد بإلحاده وسط العديد من الكتاب معروف عنهم إلحاهم , لكنه تميز بمقالاته المناهضة للأديان , والفلسفة التى يقدمها بشأن ذلك دون أن يعبأ بالخطر المحقق بحياته جراء ذلك .. وأنها قرأت الكثير من مقالاته وأعجبت بمنطقه رغم أنها مؤمنة .. سارا بطبيعة شخصيتها تعد غير مألوفة مما يجعلنا نتوقع منها أفعالا غير مألوفة , حين ظلت تتابع سامى بنظراتها طوال الحفل حتى رآته يجلس وحيدا قبال منضدة دائرية صغيرة عليها مفرش أبيض لامع , فإتجهت إليه وجلست على الكرسي الخالى أمامه .. وبلا أية مقدمات سألت بنرة جادة وجافة - هو ربنا فعلا مش موجود ؟

بالخيوط القدر العجيب .. لقد وجهت سارا سؤالها إلى آخر رجل يمكن أن يجيبها على وجه الأرض .. لمحة نادرة للغاية تلك التى يمكن أن تتسع فيها إبتسامة سامى , وهو ينظر إلى سارا .. لم يسبق لأحد أن وجه له ذلك السؤال من قبل , وخصوصا إذا كان يرى فى عينيها الزرقاوان الآن وملامح وجهها الأبيض مدى صدقها وتلفها لمعرفة الإجابة .. تنهد سامى ينظر فى وجه سارا الفاتن وقال بنبرة أسفة

- مش عارف

على الفور قطبت سارا حاجبيها فما سمعته من صديقتها يجعل إجابة سامى تلك .. أبعد ما يكون عن التوقع .. لم تدرك هى أن مدامه السؤال وصدقها البادى فى نبرتها ووجهها جعل سامى لا يفتأ بالتعبير عما يكتبه ويدعو إليه .. بل أجاب بما فى صدره .. شبكت سارا زراعيها على المنضدة ومالت قليلا للأمام تستفهم - يعنى إيه !!؟

- إنتى عاوزاه موجود ولا لأ ؟

سؤال لا تملك سارا له جوابا .. وفكرت فى إجابة وقالت

- مش عارفة

- اللى عايز ربنا يكون موجود هيلاقيه .. واللى مش عايزه موجود مش

هيلاقيه

- فزورة دى ؟

إتسعت إبتسامة سامى وسرعان ما إتخذت هيئته بهاء فيلسوف قديم .. سحب نفسا عميقا وقال بكلمات هادئة خرجت تتهادى بتؤدة

- تقدرى تلاقى الله إذا تأملتى فى الحياة والوجود .. هاتحسى بوجوده وقدرته .. لكن إذا حبيبتى تقربى منه وتعرفى صفاته فى نصوص الأديان هتلاقيه إختفى ومابقاش موجود

ظلت سارا ترنو لسامى مليا وقالت بإسمة

- مش عارفة ليه حاسة إنى عاوزة أتكلم معاك

لم يرد سامى ومضت دقيقة كاملة يتأمل كل منهما وجه الآخر .. وقطعت الصمت سارا تقول

- تيجي نروح مكان نتكلم فيه

الموقف برمته كان يدفع سامى إلى التعجب من تلك المرأة التى أثارت فضوله الذى يندر إثارته .. ساقى سارا سامى للجلوس فى أحد الكازينوهات على النيل , وطلبت بيرة هنكل خالية من الكحول , بينما طلب سامى فنجانا من القهوة .. وبدأت هى كلماتها

- اسمى سارا وعندي أربعين سنة

أسهبت سارا فى الحديث عن نفسها , لم تدري هى لماذا حكى ما فعلته من تحقير للأديان لسامى , ختمت كلماتها قائلة

- وإنت كلمنى عن نفسك

لم يعتد سامى التحدث عن نفسه مع أحد , فلا يجد ما يمكن قوله تعبيراً عما بداخله , لذا تطلع إلى وجه سارا مليا وهو يشعل سيجارة وقال

- إنتى محتاجة للإيمان ... الإيمان فكرة دافئة تمنح المؤمن شعورا بالتسامح والمحبة والسلام .. بتخليه يقرقش الزلط بنفس محبة راضية .. لكن ما كانش ليه دور فى حياتك .. إنتى كان نفسك تكونى زى اللى بتشوفيهم فى المسجد اللى جنب بيتك .. إنتى عملتى اللى عملتية إنتقاما من الأديان لأنها ماكانش ليها دور فى حياتك ولا منحتك السعادة اللى منحتها للمؤمنين

قال سامى كلماته ونظراته تنفذ إلى أعماق سارا التى شعرت بأنها لأول مرة تعثر على إنسان يمحص ما فى صدرها .. واجهها بما رفضت نفسها مواجهته .. لم تجد ما تقوله تطلعت مليا لوجه سامى مشدوهة وتسمعه يواصل

- عارفة يا سارا .. الإنسان مش ممكن يدرك إنه ريشة فى الهواء , وإن وجوده فى الحياة هو صدفة وعبث .. وأن الغاية من الوجود هى لاشئ .. وإذا أفترضنا أن رقى عقل الإنسان وإتساع مداركه تميزا عن باقى المخلوقات هو سبب سعيه الدائم لإيجاد هدف من وجوده فى الحياة .. دا مش مبرر كافي .. الإنسان هو المخلوق الوحيد فى الحياة الذى بحث عن إله يوزع إليه بكل القدرة المطلقة .. مش ممكن تكون غير أن هناك فطرة داخل الإنسان هى اللى بتخليه يدرك أن هناك إله لهذا الوجود , وعليه أن يبحث عنه

كل ما قالته سارا وهى تنصت لسامي بإمعان

- إنت مش مؤمن .. بس بتدور على الإيمان

إكتفى سامي بإيمانه من رأسه مصدقا على كلمات سارا وقال

- الشجرة تمد جزورها إلى الأرض والأوراق إلى السماء .. هل ده معناه
أنها تدرك أن الأرض تحتوى على العناصر والأملاح فتمد جذورها إليها
.. وإن السماء فيها الهواء والشمس فمدت أوراقها إليها .. الحياة مش مادة
بس .. فى حاجة تانية بتتحكم فى المادة .. حاجة الدين سماها الروح

صمت سامي يرشف من القهوة ويعاود النظر لوجه سارا يقول

- مؤسس علم فسيولوجيا الأعصاب الحديثة شرنغتون عمل تجربة عشان
يشوف هل الإدراك العقلى يخضع للمادة فقط ولا فى حاجة تانية إحنا مش
عارفينها .. قام بتحليل التغيرات التى تحدث لكى يرى إنسان ما شجرة ..

حسب العلوم الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية .. الضوء يسقط على

صورة الشجرة وينعكس على بؤبؤ العين الذى يكون صورة مقلوبة

للشجرة على شبكية العين المكونة من عشرة مليون مخروط ومائة مليون
قضيب .. ثم تتحول الصورة إلى إشارات كهربائية وتصل إلى قشرة المخ

فيدرك الإنسان ويرى الصورة .. هنا المادة هى التى تتحكم فى الوعى

والإدراك .. لكن شرنغتون أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن نفس هذه

التغيرات الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية تحدث عندما يكون الإنسان

نائما وفتحنا عينه ووضعنا الصورة أمامها .. ليه ما شافش الصورة رغم

إن نفس التغيرات حدثت على العين والمخ .. ما لقاش شرنغتون تفسير

غير إن هناك شئ غير مادي بداخل الإنسان هو الذى يتحكم فى المادة

إبتسمت سارا وهى تسمع حديث سامى وقالت

- يعنى ربنا موجود

هز سامي رأسه يقول

- مش عارف .. أنا بادور عليه .. باشوفه كثير فى تأملاتي .. وباحس إنه

عاوز كده .. هو أراد للإنسان أن يبحث عنه كى يصل إليه .. لكن أوقات

أكثر باحس إنى موهوم , وإن الإله اللى جت بيه الأديان مش موجود

لأول مرة يحادث سامي أحد فى عدم توصله إلى حقيقة وجود الله , وجعله ذلك

يشعر بدرجة من القرب تجاه سارا التى هى الأخرى , لم يسبق لها أن سمعت

كلاما مس أعماقها , وجعلها تشعر بالحاجة إلى الإيمان , فقالت

- تفكر لو أنا كنت مؤمنة .. كانت حياتى هاتكون أفضل

- أكيد

هكذا رد سامي مسرعا , وتابع

- بصرف النظر عن حقيقة وجود الله من عدمه .. الإيمان يعطى للإنسان

الهدف والغاية من حياته .. بيمنحه الراحة النفسية اللى بتخليه مؤمن بأن

أحلامه وحقوقه سينالها فى الحياة الآخرة إذا لم ينالها فى الدنيا .. وحتى إذا
كان ذلك أملا زائفا , فهو كفيل أن يمنح الإنسان الرضا عن حياته
- إنت إنسان غريب
هكذا هتفت سارا بعدما سمعت كلام سامي الذى سأل
- ليه ؟
هزت سارا رأسها دون أن تجيب .. وانصرفا على أمل تكرار اللقاء .

عاد سامي إلى شقته ووجد مها تكتب .. إحتصنها وقبلها يمسح على شعرها ,
فلقاءه مع سارا أورثه حنينا إلى مها .. لأول مرة يعرف أحد عنه شيئا لا تعرفه
مها .. شعرت هى بأنه مختلف تلك الليلة لتتشبث بذكريات حبهما التى مضت ..
إختلجتها سعادة غامرة بين أحضانه .. تستعيد حياتهما التى بنياها فوق الغيوم ..
تلمست فيه تلك الليلة سامي الذى عرفته منذ أمد بعيد .. جذبته إلى غرفة النوم
ودخلا فى نوبة حب كما الأيام الخوالى , فجرت ما بداخلهما من كلمات جميلة
حالمة , عبر فيها كل منهما للآخر عن مدى حبه .. دخلا فى نوبة ثانية فثالثة
تدخل على إثرها جسديهما , وإلتحما الجسدان عاريان يغيبان عن الوجود .

منذ عودة مها من فرنسا .. عكفت على كتابة روايتها , ولأنها كانت قد صاغتها
وكتبت الجزء الأكبر منها .. لم تتكلف سوى ثلاثة ليالى سهرت على إعادة كتابتها
وصياغتها لتحمل كل كلمة فيها نبض حياتها .. بدأتها بفقدانها المأساوي لأبويها ,
وكيف أرسل القدر إليها سامي وما كان بينهما على مدار سنوات , وقارنت بين
حياتها معه قبل الزواج وبعده .. أسهبت فى وصف ما نالته من متع نفسية
وجسدية .. حتى تبولها على نفسها عبرت عنه , وكيف حول سامي ذلك من
وصمة تنقص أنوثتها إلى متعة أغرقتها .. أستشهدت فى روايتها بالنصوص
الإباحية التى أثرت فيها مما قرأته فى كتب الباه .. وكيف أدركت الحقيقة مع
سنوات عمرها .. عبرت مها بصدق عن إختلاجات النفس البشرية وتناقضاتها ..
وصاغت أفكار زوجها سامي التى تعلمتها منه عن الأديان .. وكما كانت تتوقع
فشلت فى نشر الرواية عبر دور النشر الكبيرة المعروفة رغم أنها كاتبة معروفة
.. فالمحتوى صادم للكثيرين .. فلم تجد سوى دارا صغيرة ناشئة تتبنى النشر
لصغار الكتاب من الموهبين .. ورغم تعثر الحصول على موافقة الجهات المعنية
للنشر , إلا أن الموافقة تمت بعد إذعان مها لحذف نصوص كاملة تحوي ألفاظا
جنسية إستشهدت بها من كتب الباه , وكذلك بعض الفقرات التى تنال من الذات
الإلهية .. وبقيت بعض النصوص وألفاظ قليلة متناثرة هنا وهناك .. تحملت مها
تكلفة نشر الطبعة الأولى على نفقتها الخاصة وصدرت الرواية .

سارا التي عاشت طفولتها مرفهة لأبعد الحدود , ثم عانت من تمزق حياتها بين موروث أرمني متوارث عن الأجداد و موروث مصري ولدت فيه وشبت عليه .. لم تكن تحفل يوما بماهية الدين والإيمان ودوره في حياتها .. كانت تدرسه كمجرد مادة دراسية في مدرستها الأرمنية .. في تلك الليلة التي عادت فيها بعد لقاءها بسامي , كانت تفكر : أصبح هي تحتاج إلى الإيمان ؟ .. أفعلا هي مخلوقة في الحياة لهدف وغاية , وأن هناك إله سيحاسبها بعد الموت في حياة أخرى أبدية .. إستشعرت للحظة أنها تتاجيه وتطلب المدد وهي ممددة على فراشها .. تأملت المسيح المصلوب على الصليب المعلق أمامها على الحائط .. هل هو ذلك الإله الذي إفتدى البشر .. كلمات سامي عن دفاء الإيمان ظلت تتردد على مسامعها .. غريب أن تسمع هي ذلك من رجل مناهض للأديان .. يا الله .. أليس معنى ذلك أن الله موجود , فمهما كان الرفض للأديان إلا أن هناك تلك الفطرة التي تقود للإله .. هي نفس الفطرة التي تقودها الآن للتفكير والتأمل .. في اليوم التالي كانت سارا تقف في بلكونتها تسمع الأذان .. الله أكبر .. ماذا تعنى ؟ .. غاصت في بحور من الشرود , لكنها إلتمست شئ ما يدعوها .. نبتة تنبت بداخلها .. فعلت ما لم تتوقع فعله .. أسرعت بإرتداء النقاب الأسود , ولم تلاحظ أنه ملطخ ببعض المني الجاف العالق به .. وحثت الخطأ تجاه المسجد .. إلتصق جسدها بأجساد الأخريات وهي تندفع بينهم داخل مصلى النساء .. كانت شاذة وملفتة للنظر وهي تجلس بأحد الأركان تتابع دون أن تكشف عن وجهها .. فقط ترقب النساء من مختلف الأعمار والأشكال وهن يركعن ويسجدن ويتمتمن بتسبيح الله وحمده .. ها هو المسجد الكبير الذي طالما ودت تحطيمه وهدمه يصبح منبعاً عجيباً لسكينة فريدة من نوعها .. لم تشعر بذلك من قبل .. تنظر ملياً في الوجوه الراضية من حولها .. تتلمس أنه ليس مجرد مكان .. ليس مادة .. هناك دائماً روح .. صدق سامي فيما قاله لها .. هي تشعر الآن بروح غريبة أضفت بهاءاً وراحة وطمأنينة على المكان .. فرغت النساء من صلاتهن , وهي جالسة بأحد الأركان تتابع شاردة .. إقتربت منها واحدة وقالت

- إنتى تعبانة يا أختى ؟

تنبهت سارا , وحدقت في وجهها وقامت مسرعة تغادر دون أن تتفوه بشئ .. تحولت رؤيتها للمسجد الكبير بعد ذلك إلى حالة مناجاة مع الله .. قررت أن تذهب للكنيسة وتواظب على حضور الصلوات .. شرد تفكيرها للإجابة على سؤال : من على حق ومن على ضلال ؟ .. المسيحيون أم المسلمون ؟ .. لم تجد بدا من البحث عن إجابة .. يكفيها أن تنتسم رائحة الإيمان .

قامت سارا بعد عدة أيام بدعوة سامي إلى دار الأوبرا للإستماع إلى أوركيسترا لندن السيمفوني الذي عشقت سارا موسيقاه منذ الصغر , وسعدت بعدما علمت بزيارته لمصر .. جلس سامي إلى جوار سارا بداخل دار الأوبرا , حيث بدأت الأوركسترا بقيادة السير كولن دافيس بعزف مقاطع من بعض السيمفونيات

القديمة الكلاسيكية لشوبان وبيتهوفن .. وبعدها بدأت مجموعات الأوركسترا تعزف المقطوعات الحديثة التي كانت موسيقى تصويرية لعدد من الأفلام الأمريكية .. كانت سارا هائمة في عالم روحاني حالم وهي تسمع موسيقى العبقري جيمس أورنر في مقطوعة الأميرة من سيمفونية القلب الشجاع .. كم عبرت موسيقاه بحق عن مدي إحتياج النفس للدفع والسكينة .. فساقتها خيالها لأن ترى نفسها تصعد إلى السماء تحلق باحثة عن الرضا , وتنازعت رغباتها وإختلاجات صدرها وهي تسمع مقطوعة الكمان الأحمر للرائع جون كوريجليانو .. ولم تتمكن سارا من منع دموعها وهي تسمع مقطوعة المعزول للمبدع ألان سيلفيستري التي ألفت بها إلى عالم سحيق من الوحدة والعزلة والحزن .. وسرعان ما تحول ذلك كله إلى أحلام وآمال وسعادة وهي تسمع مقطوعة تايترك التي أودع فيها أورنر خلاصة عبقريته .. تصعد سارا قمم الأحلام مع الكمان , وتحلق طائرة في السماء مع الفلوت والإكسيليفون .. ويغوص بها البيانو في بحور عميقة من الآمال .. رأت سارا الله وهي تصعد القمم وتطير في السماء وتغوص في البحار .. أحست براحة الإيمان .

السيمفونية هي كلمة يونانية تعنى تآلف الأصوات .. هكذا كان سامي يتأمل جالسا إلى جوار سارا , فإذا كانت السيمفونية هي قمة التعبير الموسيقي الذي يرتفع فيه مستوى التعبير إلى مستوى فلسفي , يعتمد على تجسيد أصوات الآلات الموسيقية المختلفة , وإعطائها شخصيات تتناسب مع طبيعة الصوت الذي يصدر منها ثم إعطائها أدوارا في النسيج الموسيقي .. فثمة تساؤل هناك .. ما الذي يدفع النفس البشرية لأن تشعر بالرومانسية الحاملة مع تلك الموسيقى , وتحس بالخوف والحزن مع موسيقى أخرى .. هذه المشاعر والأحاسيس التي تبتها الموسيقى في صدره الآن .. أين قوانين الطبيعة لتشرح ذلك .. هل من المعقول أن تتلاعب هذه الموسيقى بمستويات الأدرينالين والسيروتينين والدوبامين , فينتج على إثرها هذه المشاعر المختلفة .. تأمل سامي يفكر , لماذا إنتقلت مشاعر الموسيقار إلى لحن جعل المستمع يشعر بمشاعره التي ألفت بها تلك الموسيقى .. هذه المقطوعة جعلتني أشعر بالحزن لأن مؤلفها كان حزينا وهو يؤلفها .. كيف إنتقل إلى ذلك الإحساس .. لا يمكن لقوانين المادة أن تفسر ذلك .. هناك شئ أكبر وأعمق من المادة .. هناك روح .. روح تسيطر على المادة وتوجهها .. سامي في هذه اللحظة أثناء إستماعه إلى مقطوعة العائد من جديد مضيقا عينيه يشعر بالفعل أنه يعود .. يعود إلى فطرته النقية الأولى .. يشعر أن بداخله روح يتلمسها ويحسها الآن .. لأول مرة في حياته تدمع عيناه وقلبه ينبض هامسا يا الله .

تحت قبة البرلمان بداخل قاعة مجلس الشعب كانت الهمهمات تسرى كدبيب ٍ هادر , وسرعان ما تحولت الهمهمات الى أصوات تعلو وتخفت .. حالة من الجدل تملك جميع النواب .. ووقف النائب الإخوانى رجب عبد الصبور بجسده البدين وقامته القصيرة ولحيته المحفوفة التى خالطها الشيب وقد لمعت على وجهه قطرات العرق من فرط حماسته يصيح بصوته الجهورى - إذا كان سيادة الوزير بيوصف الإباحية وقلة الأدب والكفر والإلحاد بإنها أدب وفن .. يبقى نقول على أولادنا وبناتنا السلام .. إذا كان هو بيدافع عن الرواية واللى كتبتها .. طب أنا عاوز أسأله سؤال .. هل يوافق على إن زوجته أو أخته أو بنته تقرأ الكلام السافل ده ؟ .. مستحيل !!!

هنا قاطعه وزير الثقافة الواقف خلف المنصة الصغيرة أسفل رئيس المجلس متعجبا
- ما لكش دعوى بزوجتى ولا أختى ولا بنتى .. إنت مقدم إستجواب وطلب إحاطة فى أمورى العائلية ولا إيه !!؟

قالها وزير الثقافة محاولا كظم غيظه , ولكن عينيه الزائغة خلف نظارته ذات العدسات الكبيرة كانت تعبر عن بركان يعتمل بداخله .. واندفع النائب الإخوانى يصيح

- أنا بأرد على كلامك إن الرواية عمل إبداعى .. أديك هو عضبت من سؤالى .. يعنى إنت مش موافق على السفالة وقلة الأدب دى

هنا تدخل رئيس مجلس الشعب , وخطب بالمطرقة ثلاث خبطات لتخفت الأصوات وقال بصوت هادئ أجش
- على العضو الموقر أن يتحدث فى صلب الموضوع

سحب النائب الإخوانى رجب عبد الصبور نفسا عميقا وتابع كلماته بنبرة أمرة
- أنا باتقدم بطلب موقع عليه من 200 عضو بالمجلس بمصادرة رواية (شيق الشهد) والتحقيق مع كافة المسؤولين عن خروج هذه الرواية الى السوق وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا
قال جملته الأخيرة متقمصا دور المناضل المدافع عن الفضيلة وأشار رئيس مجلس الشعب للنائب الإخوانى بالجلوس وقال
- يتفضل سيادة الوزير بإكمال بيانه بشأن إستجواب العضو الموقر رجب عبد الصبور

ينتصب وزير الثقافة فى وقفته ويقول بصوت مجهد
- الأدب الإيروتىكى والأيروسى فى التعبير عن الجسد موجود منذ قديم الأزل .. كل الحضارات القديمة تركت كتابات إيروتىكية ضمن موروثها الثقافى .. ولا يصح أن نتعامل مع الأدب الذى يعبر عن الجسد والجنس بفكر غرائزى بحت وإلا يجب علينا محو تراثنا الثقافى الفرعونى من الإله مين إله الخصب الذى صورته الرسومات الفرعونية على هيئة رجل واقف ممسكا بعضوه المنتصب , وكذلك نحطم التماثيل الفرعونية العارية التى تملأ المتحف المصرى .. وعلينا أيضا أن نمحو شعر أبى نواس وإمرؤ القيس وكذلك نحرق ألف ليلة وليلة ونلقى إلى البحر بكتب الباه التى تتحدث عن الجنس فى التراث القديم

تصاعدت الهمهمات ليقوم رئيس المجلس بالطرق العنيف المتتابع ليعود الصمت ويواصل وزير الثقافة كلماته

- أنا لا أدافع عن رواية (شبق الشهد) ولا عن الكاتبة مها نعمان , ولكن أدافع عن رأى ومبدأ ومعى من المثقفين من أدباء وأساتذة ومواطنين يساندونى ويدافعون عن حرية الفكر والإبداع .. فالفن ليس له حدود

قالها وزير الثقافة وكأنه مناضل ثورى يدافع عن مبدأ .. ومال أحد النواب على زميل له يهمس

- الوزير ماله النهاردة مُنجلي ليه كده ؟ .. كان يصادر الرواية دى ويريح دماغه .. ويطلع من المطب ده بكلمتين سياسة حلوين يهدى بيهم الدنيا المولعة دى
- مش عارف ماله راكب راسه ليه كده ؟! .. ويقولك قال مبدأ قال ؟!

لم تهدأ المهمات رغم صيحات رئيس مجلس الشعب مطالباً الأعضاء الموقرين بالتزام الهدوء .. وبالقطع لم يعجب كلام الوزير السيد العضو الموقر نائب الإخوان رجب عبد الصبور الذى أمسك بورقة كبيرة يصيح بعلو صوته
- سيادة الوزير اللى بيقول الفن ليس له حدود .. وحرية الرأى والإبداع هل يوافق إن زوجته أو بنته تقرا الكلام المكتوب فى اللى بيقول عليها رواية دى .. ما نصه ورد فى الأثر أن حواء عندما نام معها آدم أول مرة , قالت له (ما هذا ؟) .. قال (يسمونه) .. قالت (إكتر لى منه فإنه طيب) .. هذا الكلام الفاحش البذئ اللى فيه تطاول وقلة أدب على أبى وأم البشرية آدم وحواء , يسميه الوزير فن وإبداع .. قال رسول الله (ص) (ليس المؤمن بطعانٍ ولا لعانٍ ولا فاحش ولا بذئ)

وكانه سيل هادر من عل لم يتوقف النائب الإخوانى إستجابة لصيحات رئيس المجلس وظل يدفق بالكلمات بحماسة مقاتل فى معركة الدفاع عن العِرض والشرف وتابع يقرأ من ورقه فى يده
- هل يرضى الوزير المحترم أن يقرأ أبناء وطننا ما نصه (وصية عجوز لابنتها قبل أن تهديها إلى زوجها: إني أوصيك يا بنية وصية: إن أنت سمعتها سعدت وطاب عيشك وعشقت بعلك .. إن مد يده فانخري وازفري وتكسري وأظهري له استرخاء وفتورا. فإن قبض على نهديك ارفعي صوتك بالنخير. وإن أولجه فيك ابك وأظهري اللفظ الفاحش فهو مهيج للباه ويدعو إلى قوة الاتعاض، فإذا رأيته قد قرب الإنزال انخري له وقولي له: صبه في القبة، وغيبه في الركبة. فإذا هو صبه طأطئي له قليلا، وضميه واصبري عليه وقبليه وقولي له: يا مولاي ما أطيّب) .. أعود بالله من هذا الفحش والمجون الذى يعف لسانى عن التقوه به ..
وكمان تطاول على الأديان فى الفقرة اللى بتقول : (الأديان هى وسيلة الطغاة للسيطرة على الكادحين والفقراء والمظلومين ..هى تحويلهم إلى عبيد يمتلكون أملا زائفا فى عالم آخر بعد الموت يرد لهم حقوقهم المغتصبة و أحلامهم المفقودة) .. وكمان تطاول على الذات الإلهية فى فقرة أخرى : (أن تتصور إنك إنسان وسط عشرات المليارات من البشر الذين عاشوا على هذا الكوكب الذى يمثل

بالفعل حبة رمل فى وسط صحراء شديدة الإتساع .. وأن خلف هذا الصحراء الكونية هناك إله يرصد حركاتك ويسجل أفعالك .. أن تصدق وتتهم هذا .. فإما أن يكون هذا الإله تافها ومختل عقليا أو تكون أنت شديد الغرور والنرجسية) .. دا قلة أدب وكفر ومجون .. إزاي يتوافق على كلام زى ده ؟!! , والصور الفاحشة البذيئة اللى فى الرواية دى .. من المسؤول عن المجون ده ؟

كابد وزير الثقافة ليصل صوته وسط الصخب الذى كسى المكان .. وقال
- دا مش كلام المؤلفة .. دا إستشهاد بما جاء فى كتب الباه القديمة .. ثم إن الكلام عن وجود الله دا مسألة جدلية بين المؤمنين والملحدين وكل واحد حر فى عقيدته

قاطععه بالطبع النائب الإخوانى رجب عبد الصبور مواصلا صياحه
- يا أخى هداك الله .. يعنى يرضيك اللى هى كتبته (قطع الله يدها التى خطت هذا الفحش) .. عاوز أسمعك كلامها هي إيه ؟

ودون أن ينتظر ردا , إلتقط سيادة النائب شهيقا سريعا قبل أن يندفع مسرعا كقطار خرج عن القضبان صائحا ببعض ما جاء على لسان مها نعمان مؤلفة رواية (شبق الشهد)

- " قال لى ذات مرة وأنا أغلب شهوتى إليه فى مكان ٍ عام .. لم أعرف قبلك إمراة يعلن وجهها إنتصابها .. كنت أصل إليه مبلة وأول ما كان يفعله هو أن يمد يده يتفقد العسل كما كان يسميه .. يذوقه ويقبلنى ويوغل عميقا فى فمى , وأقول له من الواضح أنك تطبق وصايا الرسول وتقتدى به : لا يقع أحد منكم على أهله كما تقع البهيمة وليكن بينكما رسول : القبلة والحديث .. وعن عائشة إن رسول الله إذا قبل الواحدة منا مص لسانها " .. إستشهاد بحديث شريف لوصف مشهد فاحش .. دا غير الألفاظ الإباحية التى تعج بها تلك الرواية القذرة ضج مجلس الشعب بالضحك , حتى رئيس المجلس لم يتمالك نفسه وإستسلم لنوبة ضحك , ولم يكن سبب الضحك هو ما قاله العضو الإخوانى إستشهادا من الرواية محل الجدل , وإنما مبعث الضحك هو الطريقة التى كان النائب الإخوانى يقرأ بها , حيث كان وكأنه فى سباق للنطق بأكبر قدر من الكلمات فى أقصر زمن ٍ ممكن , ومال أحد النواب على زميله
- إيه الكلام الجامد ده

فرد زميله على الفور

- عايزين نلحق نجيب نسخة من الرواية دى نقراها لحسن يصادروها وما نلحقتش نقراها

لم يبالي النائب الإخوانى رجب عبد الصبور بالضحكات من حوله وواصل كلماته

- ده يبأه إسمه أدب وفن يا سيادة الوزير ولا يبأه قلة أدب وسفالة وإنحطاط أخلاقي

بعد عدة طرقات عنيفة يعود بعض الهدوء تحت قبة البرلمان ويسأل رئيس مجلس الشعب بصوته الأجهش

- الموافق على مصادرة رواية (شبق الشهد) وإحالة المسؤولين عن صدورهما إلى التحقيق , فليتنفضل برفع يده وقبل أن يرفع أحد يده .. تابع رئيس المجلس على الفور
- موافقة .. ننتقل إلى جدول الأعمال

تبدلت ملامح نواب الإخوان ومن سانداهم في قضية رواية (شبق الشهد) إلى ملامح الرضا المشوب بزهو النصر .. إلا أن وزير الثقافة أبى أن ينتهى الأمر بهذا الشكل فقال قبل أن يغادر مكانه خلف المنصة الصغيرة

- كلمة أخيرة يا سيادة الرئيس
قالها ثم إبتسم مطرق الرأس وتابع

- من تحت قبة البرلمان اللي بيمثل الشعب .. أنا باعلن رفضى لمصادرة الرواية .. ليس للرواية فى حد ذاتها , أنا نفسى أرفض الرواية نفسها .. لكن دا مش معناه إنى أصادر الرواية .. كل واحد حر فى آرائه ومعتقداته , والقارئ هو اللي يختار .. ودفاعا عن مبدأ حرية الفكر .. أنا باتقدم لسيادة رئيس الجمهورية من مكانى هنا بإستقالتي من منصبى دفاعا عن مبدأ عادت الهمهمات والتساؤلات ونهض أحد نواب الإخوان مقتربا من المايك المثبت على البينش ليقول

- خيرا فعل الوزير إعترافا بخطأه وتقديره فى حماية عقول شباب وطننا قاطعه وزير الثقافة محتدا

- أنا لم أخطئ .. بل أستقبل إعتراضا على كبت وقمع حرية الفكر والإبداع نهض مجددا النائب رجب عبد الصبور يصيح

- لسه برضه بتقول إبداع .. يا أخى ربنا يهديك .. إنت لسه بتقول إنك رافض الرواية

لم يتمالك الوزير نفسه ورفع سبابته مشيرا إلى النائب الإخوانى قائلا

- أنا رافض الرواية كقارئ , لكنى ضد مصادرتها كمسؤول عن الثقافة فى البلد .. ثم أنا ما ينفعش أواجه حاله من الجهل المستعصى و.....

وقبل أن يتم عبارته إرتجت القاعة على صوت النائب الجمهورى يشق الهواء
- أنا جاهل يا ديوث

قالها وهو يخلع حذائه ويرفعه تجاه وجه وزير الثقافة وينتفض الجميع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه

كان المشهد السابق واحدا من مشاهد عديدة لحالة عامة من الجدل حول رواية (شبق الشهد) للكاتبة مها نعمان .. صارت هذه الحالة حديث الشارع المصرى طوال الفترة التى أعقبت صدورها .. خصصت برامج التوك شو مساحات زمنية واسعة لمناقشة الأمر .. فقطعا لن تجد برامج التوك شو أفضل من تلك القضية لحشو ساعات البث الطويلة على مدار الأيام السابقة .. ففى برنامج العاشرة مساء استهلته المذيعة منى حلقة اليوم قائلة

- حادث مؤسف يقع فى البرلمان صباح اليوم .. النائب رجب عبد الصبور يخلع حدائه ويرفعه فى وجه وزير الثقافة بعد مشادة كلامية بسبب تصديق البرلمان على مصادرة رواية شبق الشهد للكاتبة مها نعمان .. فى الحقيقة دى تانى مرة يتكرر فيها هذا الحادث بعد واقعة رفع الحداء من قبل النائب طلعت السادات فى وجه أحمد عز رئيس اللجنة الإقتصادية بالحزب الوطنى .. أنا فى الحقيقة مش عارفة .. هل رفع الحداء فى وجه الآخرين أصبح هو الطريقة المثلى للتعبير عن الرأى

لهجة المذيعة الجميلة ونبرة صوتها وحركة حاجبيها أثناء نطق الكلمات , أضفى على الموضوع لمسة فلسفية إلا أنك سرعان ما سنتتبه إلى خصلة الشعر السوداء الناعمة المنسدلة على جبينها حين تمد يدها لتزيحها جانبا قبل أن تشرع فى مناقشة الضيوف ويبدأ الجدل حول رواية (شبق الشهد) .. بضع ضغطات على الريموت لنرى المذيع معتر بنظرات ذاهلة تشعرك أن الأمر جلل , ولكن بطء الفهم البادى على وجهه يجعلك تتعاطف معه وهو يقول

- معانا سيادة النائب رجب عبد الصبور .. أهلا سيادة النائب

- أهلا أستاذ معتر

- بالتأكيد إحنا ما كناش نأمل أن يصل الأمر إلى هذا الحد

قالها معتر بنبرة حزينة أسفة , ليشرع النائب على الفور فى مقاطعته

- يعنى ينفع يا أستاذ معتر إن واحدة تكتب كلام جنسى فاحش وكفر وإلحاد ونقول عليها كاتبة .. ولما ندافع عن عقول شبابنا وأبنائنا نبقى جهلة ومتخلفين زى ما قال سيادة الوزير !!!

بضع ضغطات أخرى على الريموت لنرى المستظرف الظريف الإعلامى خفيف الظل منزوع الشعر عمرو يتهمك قائلا

- أنا بعد كده وأنا ماشى فى الشارع وحد ضايقتنى هاقلع الجزمة وأرفعها فى وشه لا مؤاخذه , ماهو دا النظام دلوقتى فى البلد .. ومش فاهم إيه الضجة والزوبعة دى كلها عشان رواية .. إيه يعنى رواية فيها مشاهد بورنو وصور أبيحة .. خلى الناس تعيش واللى مش عاجبه ما يقراش .. ولا إيه !!؟

قال جملته الأخيرة وهو يضرب كفا بكف ويتلفت حوله وكأنه ينتظر إجابة لسؤاله
من شخص غير مرئى

لكن المشهد الأبرز فى سلسلة مشاهد الجدل حول رواية شبق الشهد , لعله كان
المحاكمة .

الأستاذ أشرف أبو الفضل محامى الفضيلة كما يطلق على نفسه .. لا يفتأ يجوب
أروقة المحاكم ولا يتوقف عن تقديم البلاغات إلى النائب العام دفاعا عن الفضيلة
, وكان آخرها تلك القضية التى طالب فيها بالتحقيق مع وزير التربية والتعليم فى
واقعة الحفلة التى أقامتها إحدى المدارس الثانوية الخاصة ورقصت فيها الراقصة
دينا بملابس مكشوفة مثيرة للطلبة المراهقين .. وقطعا كان الأستاذ أشرف أبو
الفضل فى طليعة كتيبة من المحامين المحافظين ومعهم محامين الإخوان
المسلمين .. ملأوا الدنيا صراخا يندبون إنتهاك الأخلاق والفضيلة برواية الجريمة
الأخلاقية (شبق الشهد) التى تمثل الفحش والفجور وتدافع عن الكفر والرذيلة فى
بلد الأزهر الشريف

.. وبداخل قاعة المحكمة , نرى الأستاذ أشرف مرتديا روب المحاماه الأسود وقد
إختفت عينيه تماما خلف عدسات نظارته السميقة وشعره الأبيض الأشعث جعله
يبدو مثل كاهن إغريقى قديم .. إلا أن زبيبة الصلاة المنتفخة التى تتوسط جبهته
تبدو وكأنها قطعة متفحمة من الجلد ملصوقة على جبهته .. وبلغة عربية خطابية
فصيحة يزعم الأستاذ أشرف مطالبا نصرة الفضيلة والعفاف ودحض الباطل

- إن الباطل كان زهوقا

هكذا إختتم الأستاذ أشرف مرافعته أمام القاضى ومستشاريه بهذه الجملة ,
وارتسمت على وجه القاضى علامات الضجر والملل , وأشفق على نفسه من أن
يمهل القضية مزيدا من الوقت , فحينها سيسمع مثل هذه المرافعات التى تجعل
رأسه تتصدع , فأثر النطق بالحكم والذى هو عنوان الحقيقة , لتقضى المحكمة
حكما غيابيا بحبس الكاتبة مها نعمان ستة أشهر وتغريمها خمسة آلاف جنيه
وكذلك تغريم الناشر عشرة آلاف جنيه , كما قضت المحكمة بمصادرة جميع
النسخ المطبوعة من رواية شبق الشهد بعد أن ثبت لهيئة المحكمة أن الكاتبة
والناشر قد قاما بصنع وحيازة وترويج فعلا مخلا بالأداب العامة ويشجع على
الفسق والفجور .

ما معنى أن نحمي عقول شبابنا وأبنائنا ؟ .. هل معناه أن يتم تلقينهم بالموروث الذى ورثناه , وحجب ما دون ذلك عن عقولهم .. أم الأنسب أن نعلمهم كيف يطلعوا على كافة المعطيات من حولهم , ومن ثم إنتقاء شخصياتهم وبناءها بأنفسهم .. مصادرة رواية شبق الشهد , لم يحمي عقول شبابنا وأبنائنا كم توهم البعض .. بل على النقيض تماما .. أصبحت الرواية أشهر من ثلاثية نجيب محفوظ , فبمجرد بدء الجدل حول الرواية , وإلا وقد تم رفعها على المواقع والمنتديات على الإنترنت .. وكلما إختفت من موقع , كلما ظهرت فى آخر .. هكذا توغلت الرواية وأصبحت فى متناول الجميع .. للدرجة التى جعلت بعض الشباب من المعجبين بالرواية بالقيام بكتابتها على الورد وتداولها على أجهزة الموبايل بين الأصدقاء .. لقد نالت رواية شبق الشهد من القراء , ما لم تتاله رواية أخرى فى السنوات الأخيرة .. حتى وإن انقسم القراء بين مؤيد ومعارض .. إذن تجلى الفصام المجتمعي الذى نعيشه , فما حدث لم يؤدي إلا إلى العكس تماما .

لم تكن إستقالة وزير الثقافة مناصرة للرواية فى حد ذاتها , وإنما كان من أجل الدفاع عن مبدأ حرية الرأى والتعبير .. هو نفسه لم تروقه الرواية , لكن ذلك لا يجعله يحجر عليها .. وبعد تدخل عدد من الوزراء , تراجع وزير الثقافة عن الإستقالة وأذعن للأمر .

ما إن بلغ مها نعمان نبأ صدور الحكم الغيابى بحبسها وتغريمها , حتى أسرع محاميها بإستشكال الحكم فى دائرة أخرى .. وكان معلوما للجميع أن نظر القضية سيتأجل مرارا حتى تهدأ الزوبعة تماما .. وبعدها لن يكون هناك سوى غرامة على أسوأ تقدير .. حينما تلقت مها إتصال أسامة عز الدين من فرنسا لمواستها والشد من أزرها , وهو الذى أذن لها بالإستعانة بكثير من لوحاته داخل الرواية , حتى تذكرت مها أيامها فى باريس , وقارنت بين العالم هناك والعالم هنا .. ساندها العديد من الكتاب والصحفيون حتى ولو لم يكن منهم متقبلا لما جاء فى روايتها .. لم تغادر شقتها لأيام تطالع الرسائل الشاتمة والمهددة لحياتها عبر الإيميل والموبايل .. لكنها لم تدرك جدية الخطر إلا عندما حضر ضابط من الأمن , وجلس إلى مها يطلب منها أن تظل بشقتها ولا تخرج إلا بعدما يأذنوا لها حرصا على سلامتها .. لم تتمكن مها من الصمود , وحصلت على موافقة زوجها سامي للسفر إلى فرنسا على أن تعود بعدما تخمد النار تماما .

استقبلت فتحية أختها زينب بصدمة , فوجود زينب فى الحياة كان قد إنتهى بالنسبة لفتحية منذ أمد بعيد .. هما وحدهما من يعلمان أن دعاء بنت عربي الذى ظنت زينب حين وجدته أمامها أنه علم بحملها منه عن طريق فتحية .. لكنها حين وجدته لا يعلم ذلك .. أخبرته أنها هربت من حياتها الفقيرة وتزوجت وأنجبت دعاء قبل وفاة زوجها فى حادث .. بالطبع صدقها عربي فما قالته هو ما وصله من معلومات من قبل .. عادت زينب مع ابنتها دعاء إلى حوش العجر لتقيم فى شقة إستأجرها لهما عربي .. وتقبلت فتحية الوضع لتمضى الأمور على هذا النحو .. تكفل عربي بكافة نفقاتهما ورغم قطار الزمن الذى دهس بعجلاته زينب , إلا أنها لازالت تحمل رونقا بالنسبة لعربي .. على الأقل إستعداد هيمنته الذكورية التى ضاعت بعدما هربت منه زينب منذ عمر دعاء .. هذا هو ما دفعه إلى أن يسعى لتعمل دعاء بأحد محلات القماش إستجابة لرغبتها فى شغل وقتها بدلا من المكوث فى المنزل عليها تجد صاحب نصيبه .. ولكن الغرض الأكبر لعربي كان إستعادة الأيام الخوالى مع زينب .. لا ينسى شبقها وغريزتها الجنسية المتوهجة .. ف جاء إليها نهارا ودعاء غائبة فى العمل , وجلس على الكنية يتطلع إلى وجه زينب الذى إنمحت معالمه بفعل الدهر .. الغريب أنها كانت تجلس إلى جواره تخلص النظر إلى وجهه باسمه , فلم تضح لها رؤية شئ من جراء ضعف نظرها .. إستعادت زينب العجوز لحظات شبابها .. ربما ذلك هو ما جعلها تلتصق جسدها بعربي الذى أحاطها بزراعه يقول

- وحشتينى .. والله زمان يا زينب

أخرجت زينب من جيب جلابيها علكة , ودستها فى فمها تلوكتها بدلال .. فبدت العجوز فى منظر يبعث على الضحك .. لكن قلبها لم يكن عجوزا فى تلك الأثناء بعدما أضاقت عينها تنظر لوجه عربي الباسم ويده تتحسس صدرها .. رغم سننها وما مر بها إلا أن غريزتها كان لا بد أن تتحرك .. ضحك عربي يقول

- تعرفي إن ولا واحدة نمت معاها متعتني زيك

تأودت زينب بميوعة وأسرت تلوكت العلكة بمياصة بعدما أطربها إطراء عربي الذى وقف يخلع ملابسه ويقف أمامها عاريا يتدلى قضيبه .. ركزت زينب جيدا لرؤية قضيب عربي فاهتاجت وهى تمسك به تقول

- كبر عن زمان

قالتها ونزعت جلابيها وتعرت , وعلى الرغم من أن جلدها لم يكن مكرمشا ونحافة جسدها أخفت كثيرا من آثار الزمن , إلا أن شكل وجهها مع شعرها الأبيض الذى غطاه الشيب أعطاها منظرا منفرا .. لم يبالي عربي وهو يتحسس جسدها ووجهه محتقن بالشهوة التى كانت متأججة بفعل إحساسه بإستعادة أنثى فقدها .. وقال

- آه لو كانت أوشاشكم زي جسمكم يا بنات أم وحيد !

- يوه .. وهو أنت عاوز إيه من وشى

- معاكي حق .. أنا عاوز كسك يا بت

جملة عربي الأخيرة أعادت زينب بنتا صغيرة وهي تضحك بميوعة تنام على الأرض على ظهرها مباحدة بين فخذيه .. قبع عربي بجسده فوقها يحشر زبه في كسها , ولما شعر بأنه يكتم أنفاسها .. تمدد على ظهره يقول

- تعالي زي زمان لتفطسى تحتيا

همت زينب بالجلوس على عربي الذي إستوقفها يقول

- ولا أقولك .. تعالي كده

جعل عربي زينب على أربع , وأصابه مرآه لطيزها مفتوحة على ذلك الوضع أن يعيث في كسها حرثا لدرجة ألمتها , فقالت

- ما براحة شوية يا راجل .. هو أنا هاجرى منك

- أصلك وحشاني يا بت .. أختك خلاص ماعدش ينفع تتناك .. ومراتي

التانية عاملة زي المعزة الوالدة .. كسها وسع بعد ما خلفت عيلين

إنفتح الباب لتدخل دعاء وهما على هذا الوضع .. رفعت زينب جسدها لتنهض , لكن عربي أحكم القبض على وسطها جاذبا إياه , ليظل قضيبه في مهبلها .. لم يكن دخول دعاء هو ما يمكن أن يجعل عربي يتوقف .. ليس طبعا من جراء حالته المستعرة , ولكن لأنه يعلم حكاية دعاء التي إقتربت من أمها العارية التي تحاول التملص من عربي الذي لا يزال قضيبه يملأ كسها .. قالت دعاء لأمها

- يا ولية أفكرتك عميتي عن الموضوع ده زيى ما عميت عينيكى .. إنتى

لسه ليكى شوق

قالتها وهي تتجه إلى المطبخ لتعد طعاما تأكله دون أن تعبأ بشئ , ولما لا ؟ .. طالما إعتادت منذ صغرها على ما كانت تفعله أمها مع بائعي السوق .. وعندما كبرت ووعت الأمر , ظنت أن أمها كانت تفعل ذلك طلبا للمال .. لكن علاقة أمها بأحد الجيران دون وجود مقابل لم يكن له تفسير سوى أنها ترغب في ذلك .. صحيح أن أمها لم تفعل ذلك منذ أن إنتقلا من القلعة إلى السيدة زينب .. لكن الموقف لم يشكل لدعاء أية مفاجأة بعد ما مرت به في حياتها .. كانت زينب

تحاول التملص من عربي وهي تقول

- كفاية يا عربي بأه .. أوعى البت جت

- بت إيه بس .. بنتك دى أنا نكتها قبل كده .. ولا هى كانت بتشتغل من

وراكي

شهقت زينب , وهي تستجمع قوتها لتتخلص من يدي عربي القويتين القابضتين على وسطها بعدما سمعت ما قاله .. وتمكنت في اللحظة التي كان عربي يقذف

فيها من الوقوف تسرع بإرتداء جلبابها , ومنيه الذي تطاير يلطخ مؤخرتها ..

جلست زينب على الكنبه ساهمة قليلا .. لكن ما الذى يتركه معرفة زينب أن

عربي ضاجع ابنته وهو لا يعلم .. لا شئ .. من الطبيعى أن يكون لا شئ سوى

بعض الشرود .. وسرعان ما إنتبهت على صوت عربي يقول لدعاء التي وقفت

في الصالة ولا تزال تمضغ آخر لقمة من غداءها

- ما تيجى يا بت

ردت دعاء تنظر لعربي بإشمئزاز و عيون متنمرة
- وهو أنت جبتنا هنا عشان تريحنا من الهم اللي كنا فيه , ولا عشان تنيكني أنا
وأمي

أخرج عربي بعض المال وأعطاه لزينب قبل أن يغادر .. بينما جلست دعاء إلى
جوار أمها .. رأتها تشيح بوجهها خجلا , فقالت
- يا لهوي ع الكسوف .. معلش يا حبيبتى دخلت عليكى وقطعت خلوتك ..
المررة الجاية إبقى عرفيني عشان أرجع متأخر

إتجهت زينب إلى غرفة النوم وتمددت على السرير .. إن ما تعف عنه النفس
البشرية السوية , يمكن أن تتقبله فى حال حدوثه .. ومن ثم تألفه وتعتاده مع الوقت
الطويل إذا تكرر حدوثه مرارا .. لكن دائما تكون هناك لحظات يدرك المرء فيها
بشاعة سلوكه ويجعله ذلك يتوجس النهاية التى يشعر أنها لن تكون أقل بشاعة ..
تماما كتلك اللحظة الآن التى كانت زينب تستعيد فيها حكايتها .. لماذا عمدت إلى
فعل ما فعلت مع زوج أختها عربي فى بادئ الأمر .. أختها الكبرى فتحية
تزوجت عربي وأختها الصغرى وفاء تزوجت مصطفى .. وبقيت هى تبت
أحقادها على نفسها قبل غيرها .. إنتقمت من نفسها , ولما أحست أنها فى حاجة
لأن تكون أما مثل أختها .. لم تأبه بأن تحمل من عربي وتهرب .. حتى هنا هى
تدرك ما فعلته لأنها الوحيدة التى أحست به .. أما أن تمتد البشاعة إلى أن يضاجع
عربي ابنته , فإن ذلك يشعرها أنها ليست مصادفة .. بل هناك عقابا قادمًا على ما
فعلته .. هو اجسها طوال سنوات عمر دعاء تؤكد ذلك .. ترى أى عقاب ستناله
على ما فعلت ؟ .. هذا ما كانت تفكر فيه زينب .. تمننت لو ينالها أى شئ دون أن
يمس دعاء .. فما ذنبها هى ؟ .. نهضت من فراشها وخرجت من الغرفة تبحث
عن دعاء , فوجدتها فى غرفتها نائمة .. رقدت على السرير إلى جوارها تحضن
ظهرها .. تنبتهت دعاء فإستدارت تحضن أمها .. تأملت زينب وجه ابنتها ونامت
تبكي فى صمت .

منذ اليوم الذى رأت فيه دعاء أمها مع عربي .. لم يكن الأمر ذي بال , لكنها
شعرت أنها تحتاج هى الأخرى لما إحتاجته أمها .. ورثت الفتاة عن أمها غريزتها
الشهوانية المستعرة , ولم تظن دعاء لإلحاحها إلا بعدما توقفت عن لقاء زبائنها
منذ أن جلبها عربي مع أمها إلى حوش العجر .. لم يعد أحد يطلبها من زبائنها
بعدها إمتنعت عن الرد لفترة طويلة .. كادت مرة تبادر هى بالإتصال بأحد زبائنها
طلبا للجنس الذى إشتاقت إليه .. وذات ليلة كانت جالسة تتابع التليفزيون وأمها
نائمة , رن الموبايل .. نظرت فى الشاشة المضاءة لتجد اسم عاطف .. ترددت
كثيرا قبل أن ترد .. لكنها فتحت الخط .. لم يمضى الكثير من الوقت حتى كانت

بداخل المحل على الكورنيش مع عاطف تحت لمبة نيونية واحدة مضاءة .. وباب
المحل الصاج مغلق لنصفه

- فين أراضيكى يا بت .. إختفتي كده مرة واحدة .. أنا قلت إنك مش
هاتردى ع الموبايل
- كنت مسافرة

- حمد الله ع السلامة يا جميل .. مالك إحلويتي كده ؟

قالها عاطف وهو يتحسس مؤخرتها , فقالت دعاء بصوت خفيض
- لأ .. مالكش دعوى بدى الليلاى

- ليه بس كده .. دا طيزك دى هى اللى خليتنى مش قادر أنساكي
إقتربت دعاء بكرسيها من عاطف تطل من عينيها نظرات الشهوة , وقالت
بصوت مثير

- أصل أنا ليا مزاج أوى الليلاى

صاح عاطف

- تعجيبني أنا أموت فى البت لما يجيها مزاج للنيك

أشعل عاطف سيجارة حشيش , وتابع

- بس ده ما يمنعش .. أدكى مزاجك وأكيفك .. وبعد كده إديني طيزك
زمت دعاء شفتيها وقالت

- يادى النيلة .. بتاعك كبير وبيوجعني من ورا

ضحك عاطف مزهوا وقال

- سيبيلى إنت نفسك بس .. طالما طالبة معاكي وليكى مزاج أنا هاكيفك

قالها ونهض يخلع ملابسه وتبعته دعاء التى رأت شواية كهربائية يصطف من
فوقها عدد من الأسياخ الحديدية لها سنون مدبية .. إقتربت منها تتفحصها وسألت
- بتبيعوا الشواية دى بكام ؟

- دي غالية شوية .. عشان دى شواية فحم وكهربا إثنين فى واحد

أزاحت دعاء وهى تجلس القرفصاء عارية أسياخ الشواية جانبا , تتطلع إلى
معدنها وأمسكت سيخا تكحت به باطن الشواية تعالين إن كان سيتحمل لهيب الفحم
أم يتلف سريعا .. وصاح عاطف الواقف عاريا ممسكا بقضيبه يملكه يلهث
- شاغله أمك بالشواية دى ليه .. ودا وقته ؟

- إيه .. هاشترىها

- مع إنها برعميت جنيه .. بس يالا يا ستي .. إعتبريها هدية .. إبقى خديها
معاكي وإنتى ماشية

هكذا قال عاطف وهو يسن قضيبه .. فتركت دعاء السيخ منتصبا على حافة
الشواية , وساعدت عاطف فى فرش بعض قطع الكراتين على الأرض .. بالفعل
كان عاطف صادقا حين قال لها أنه سيمتعا , فقد أمعن فى حفر مهبلها وإعتصار
ثديها .. تجاوزت دعاء إشبعا لجوعها الجنسى .. مما دفع عاطف إلى نهزها بقوة

بعدما رقدت على ظهرها وأحاطت جزعه بقدميها .. إنتشت دعاء بمتعة حقيقية ..
جعلت عاطف متوهجا يلاحق أنفاسه , وهو يقول
- ياللا بأه فلقيسي

فعلت دعاء بوجه ممتعض , وقبل أن يضع رأس زبه على شرجها هتفت
- إستنى

قالتها وهى تبصق على كفها وتريق شرجها , وتدفع بأصبعها فيه لتوسعه , فصاح
عاطف ضاحكا

- بتبعبصى نفسك وأنا موجود

دفع عاطف بأصبعه يساعد دعاء على إرخاء شرجها الذى إتسع قليلا .. وبمجرد
أن أحست دعاء بقضيب عاطف على شرجها .. خفق قلبها بعنف وتهاوى بين
ضلوعها إثر صوت إنفتاح الباب الصاج للمحل وطرقات عنيفة على الباب
الزجاجي الداخلي .. لم يكن عاطف بأقل من دعاء فزعا وهو يرى أخاه هانى يكاد
يكسر الباب الزجاجي .. توقف هانى عندما رأى عاطف يرتدي ملابس إستعدادا
لفتح الباب .. ما إن فتح هانى الباب من الداخل حتى إندفع هانى كبركان وصوته
يهدر فى أركان المحل

- والعذرا والمسيح الحي ما أنت مهوب ناحية محل تانى يا كلب يا نجس ..
إنت إيه يا أخي .. قلبت المحلات ماخور

لم تفلح أية محاولات لعاطف فى إحتواء غضب أخيه الأكبر الذى ظل يتوعده
بإخبار أبيه ويقسم على ألا يجعله يظاً محلا من المحلات مرة أخرى .. عاطف
أخذته العزة من إهانات أخيه المتتابة .. وصاح غاضبا
- إيه يا عم .. أنا ليا فى مال أبويا زي ما أنت ليك بالظبط .. أنا حر أعمل
اللى أنا عاوزه

نشب شجار بالأيدي بينهما .. إندفعت دعاء بعدما إرتدت ملابسها للفرار .. لكن
هانى أمسك بها ينهال عليها لظما
- يا بنت الوسخة يا شرموطة

جذب عاطف دعاء لتخليصها من هانى .. جرت للداخل مجددا تلطم وجهها تبكي
.. إضطر عاطف لدفع أخيه حتى لا يصل لدعاء , فترنح هانى وسقط فوق دعاء
التي سقطت أرضا على ظهرها ليخترق سيخ الشوية رقبتها من الخلف وينفذ
خارجا من الأمام .

كان الأمر يحتاج إلى تدخل عاجل من الأب الذى حضر على الفور بعدما تلقى
إتصال هانى , وعرف بحقيقة ما حدث .. لم يطق أبو هانى منظر الدم المنساب
الذى غطى أرضية المحل .. خرج يجلس فى سيارته وأمضى قرابة الساعة
يتصل بجميع معارفه قرب الفجر ليعرف ما يتعين عليه فعله .. وحضر محاميه
سريعا عند الفجر , وكان حتميا إبلاغ الشرطة .. فالموضوع لا يعدو كونه قتل

خطأ , وقضية آداب .. هذا هو الحل الأمثل , لكن أبو هاني قال متنهدا وملاحم
المصيبة تكسو وجهه
- البت مسلمة والدنيا هاتولع
رد محاميه بنبرة متحدية
- إذا كانت هي مسلمة .. فأحنا كمان مسيحيين

* * *

شاهد مراد الدوغري الشريط الذى وصله لما كان يفعله القس السابق عادل
برسوم مع سارا غير مرة .. يشعر بزهو لأنه ربح رهانه .. لم يعد يأبه بأن عادل
لم يكرر زيارته لسارا .. يكفيه أن يملك فيديو مسجلا لقسيس بكامل ملابسه
الكهوننية يمارس الجنس مع امرأة أرمينية .. حتى لو لم يكن الأمر يحمل اية
أبعادا سوى أنها علاقة جنسية , لكن هذا الشريط مكن قوة , قد يحتاج إليها يوما
ما .. أغلق ملف عادل وسارا مستمتعا على أمل البدء فى إعداد ملف جديد .. فى
هذه الليلة إستيقظ مراد الدوغري رئيس مباحث المنطقة على ما حدث .. ومع
إشراقه الصباح كان يتراس فريق البحث لمعاينة مكان الحادث , وبدء التحقيقات .

إستيقظت زينب منقبضة الصدر هذا الصباح , ولم تجد دعاء على فراشها ولا
حتى أثرا لكونها نامت عليه بالأمس .. أسرعت تعدو إلى عربي الذى عرف بما
حدث فى أقل من ساعة .. وكان عربي واحدا ممن إستعان بهم مراد الدوغرى
بالطبع فى تحقيقاته للوقوف على سيرة الفتاة .. ليس لأن عربي كان متابعا للقصة
من بدايتها فحسب , ولكنه أيضا زوج خالة القتيلة .. غريب أن أقوال عربي جاءت
بكل ما عرفه حقيقة ً عن أن دعاء عاهرة , وسبق له رؤيتها بصحبة عاطف ..
مما دعم من موقف هاني وعاطف , ولم يذكر عربي أن الفتاة توقفت عن عملها
حين جلبها إلى حوش الغجر .. كراهية عربي للمسيحيين هى التى جعلته يفكر فى
الموضوع على نحو مختلف .. لا يهمه إن كان قتل دعاء جاء خطأ أم متعمدا ..
يفكر فى أبو هاني الذى أودعه الأحداث صغيرا , والآن تسبب ابنه هاني
وعاطف فى مقتل ابنة زينب التى تلقتة وهى فى حالة هستريا وسط النسوة
المتشحات بالسواد حولها

- بنتك إنتقلت يا عربي .. قتلوا بنتك يا عربي .. أنا السبب .. أنا السبب
تلطم وجهها وتخبط صدرها بحركات هسترية مجنونة .. لدرجة أن أظافرها
كانت تمزق جلد وجهها .. لم يكن بدا من أن تفقد زينب عقلها ويتم حجزها بأحد
المستشفيات .. فى الوقت الذى باءت فيه الفضيحة , وعرف عربي من زوجته
فتحية أن زينب حملت منه قبل هروبها .. أسطورة عربي إتخذت أبعادا جديدة
بين الناس وهم يرددون سيرته وحكايته مع أخت زوجته .. مزيج من العار

والهوان جعل عربي يري في نظرات الجميع الإزدراء الذى لم يتجروا يوماً على إظهاره .. الآن فقط يشعر بشماتة الجميع , حتى أنه لم تعجبه طريقة أحدهم يعزبه ونبرة الشماتة تغلف صوته وعينه .. مما دفع عربي لينهال عليه ضرباً , فاستدعاه مراد الدوغري ليقراً ما يعتمل بصدرة .. تمكن عربي من التعامل مع الموقف بشكل جعل مراد الدوغري لا يخشى رد فعله .

أما أبو هانى فقد تحرك على كافة المستويات والأصعدة خشية أن يتم النظر للأمر بعين الفتنة الطائفية , ويتورط هانى وعاطف بعيداً عن حقيقة ما فعلوه .. فدفع الكنيسة لإنتداب عدد من أكبر المحامين الأقباط , فى الوقت الذى لم تتدخل فيه جهة مسلمة لأن التحقيقات التى تم إعلانها قطعت بأن البنت كانت عاهرة .. وكعادة ما يحدث فى مثل تلك الأمور , كانت التحقيقات تسير تحت إشراف مدير للمخابرات , حتى يتم وضع الموضوع فى إطاره وعدم الجنوح به إلى فتنة بين المسلمين والأقباط .. لكن ذلك إن كان هدأ من حدة الأمر على المستوى الإعلامى من برامج وصحف .. لكنه لم يمنع الألوف المؤلفة من الشباب القابع عبر الشبكة العنكبوتية فى مواقع ومنتديات الإنترنت من التوغل بعيداً عن حقيقة الحدث .. بزغ مجموعة من الأقباط على رأسهم شاب حمل إسم (محمد مش رسول) والذى إعتاد على تصميم الكليبات والفيديوهات المسيئة للإسلام والمسلمين , رداً على إنتقادات المواقع الإسلامية للكتاب المقدس والمسيحية وإبراز ما اسموه بإباحيات الكتاب المقدس .. سار هؤلاء وراء أحمد ديدات , وتبع هؤلاء زكريا بطرس , ليتأجج جدال محموم يسعى فيه كل قطيع لهدم الآخر وإثبات صدق معتقداته .. لماذا يبني المؤمن إيمانه على هدم معتقدات الآخرين , ويلقى بعقله عندما يقترب من غيبياته .. هكذا يدفع الجهل والتخلف إلى طاقة زائفة لنصرة واهمة .. من الطبيعي إذن أن تحمل حادثة دعاء مادة خصبة لإشعال الجدل وترديد الشعارات خلافاً لحقيقة ما حدث .. ليتحول الأمر من قبل الأقباط من ساحات الإنترنت إلى مبادرات إيجابية بالتجمهر والتظاهر السلمى أمام الكنائس مساندة لهانى وعاطف وضماناً لحصولهم على محاكمة عادلة , وعدم ذبحهما من أجل مسلمة عاهرة , وعلى الفور يتحرك الجانب الآخر لنصرة الفتنة المسكينة مؤكداً أنها لم تكن عاهرة , وما تردده تحقيقات النيابة مجرد أكاذيب لإخفاء الحقيقة خوفاً من الأقباط المدعومين من الخارج .

تحرك الأمن يضرب بقوة لمنع التجمعات والمظاهرات , وإخماد النار المشتعلة قبل تأججها .. طالت جلسات المحاكمة ليمل الناس من الحكاية وتهدأ الأمور .. وعلم الجميع أن القضية تسير تجاه القتل الخطأ لا أكثر .

المشكلة أن الشباب القبطي ربما وجد فى خروجه فى مظاهرات ومسيرات , تفريغاً لطاقة مكبوتة من جراء شعورهم الدائم بالإضهاد , وأنهم أصحاب البلد

الأصليون قبل أن يحتلها المسلمون إحتلالا إستيطانيا بقيادة عمرو بن العاص ..
فما لبثت تظهر المظاهرات مجددا بعد فترة .. يطالبون بمنح الأقباط حقوقهم
المهدرة ووقف الإضطهاد ضدهم .. مستعبدين صورا لذكريات مذبحه الكشخ
الشهيرة .. ولكن ما جعل الأمور تتفاقم هو وصول أنباء لدى الجهات الأمنية أن
هناك سلطات كنسية تدخلت فى الموضوع , واستغلت حماسة الشباب القبطي
باللعب على وتر الإضهاد والحقوق الضائعة , ومن ثم توجيههم .. هنا كان لا يمكن
للأمن سوي أن يتدخل .. ذهب مراد الدوغرى إلى مبني المخابرات يتملكه
إحساس بالسيطرة والمتعة والزهو , وأنه حتما سيقطع مساحة واسعة لفوق فى
حال قبول مبادرته التى جلس يقدمها أمام مكتب مديرا مخباراتيا هاما ,
وبصحبتهما لواء من أمن الدولة .. شاهدوا ثلاثتهم الشريط الذى يجمع عادل
برسوم بسارا , ولمعت العيون وصاح مراد متقمصا دور الزعيم

- مش كفاية كل يوم والتاني يطلع قسيس ولا راهب مشلوح من المعارضين
لشنودة , يفضح اللي بيحصل فى الأديرة والكنائس .. مخدرات بتتباع جوا
فى الكنائس وزنا ونصب وإحتيال , وسرقة ونهب لإيرادات الأديرة ,
والحكومة بتعتبر دا شأن خاص بالأقباط وسيباهم .. إنما يعيشوا فى الدور
ويحركوا العيال تطلع فى مظاهرات والكلام ده .. يبقى لازم نقف لهم
هكذا قال مراد الدوغري ليتلقى طرف الحديث مدير المخابرات
- فعلا .. الظاهر إنهم مش فاهمين إن الحكومة عارفة كل حاجة وسيباهم

بمزاجها

تدخل لواء أمن الدولة

- بدل ما يحمدوا ربنا ويبوسوا أيدهم وش وضهر .. يعملوا مظاهرات
وعايزين بينوا كنايس .. البلد كلها بقت كنايس .. فاكرين أنفسهم مسنودين
من الغرب وهايستقوا علينا
- الشريط ده نصعده للقيادات

هكذا قال عادل قبل أن يعقب مدير المخابرات

- لأ مافيش داعي نورط القيادات .. الموضوع مش محتاج

صمت يرنو للفراغ قبل أن يتابع

- حرك بلاغ من مجهول للنيابة وإبعت نسخة من الشريط .. يحققوا مع
القسيس والست الأرمينية دى .. وسربوا الشريط للإعلام .. كفاية عليهم
كده

إبتسم لواء أمن الدولة قائلا

- ده يخليهم يعرفوا كويس إننا سايبينهم بمزاجنا .. ويتبظوا ويهمدوا شوية

قال مدير المخابرات متداركا

- بس دا هايخليهم يهيجوا فى الأول

مسرعا عقب مراد الدوغري

- أنا عندي واحد هايشيل الليلة .. وبالمره نخلص منه

كان أمجد يشعر بسعادة شامتا فيما حدث لأمه عقب صدور روايتها .. وكأنه بهذه الشماتة يدفن تحتها إحساسه بالعار من جراء ما تكتبه أمه .. فرح كثيرا بعدما سافرت إلى فرنسا , وعاش مع خالته أمانى فى دفن أحزانها فى أجساد بعضهم .. لم يعبأ أى منهما بوجود سامي الذى إستشعر شيئا ما بينهما لكنه لم يشغل باله .. كان أمجد جالسا أمام الكمبيوتر يرتاد المواقع والمنديات الرياضية ويشارك بمواضيعه متوحدا مع هذا العالم حتى الثمالة , وإلى جواره التليفزيون مفتوح يستمع إلى أحد البرامج الرياضية اليومية .. دخلت عليه أمانى تحمل صينية الطعام .. تناولوا الطعام معا يتبادلان إطعام بعضهما كحبيين عاشقين .. تبدو أمانى فى أبهى صورها حيث صبغت وجهها بمكياجها هادئا جذابا مثيرا .. وإرتدت سوتيانا تحت جلبابها يضم ثديها ليظهر عامرا بارزا للأمام .. وصفت خصلات شعرها لتخفى صلعتها من جراء الشعر المنحول عند مقدمة رأسها , وكما إعتادت , تشب برأسها لأعلى حتى لا يظهر فرط قصر رقبتها .. كلما كان أمجد يغازلها كلما شعرت بأنوثتها التى أضاعها القدر .. أمانى التى تجاوزت الأربعين من عمرها لم تعد تأبه لا بفارق الإثني عشر عاما بينها وبين أمجد ولا كونه ابن أختها .. تشعر به حبيبها الذى تمنته , ورجلها الذى طالما تمننت أن تتلمس خلاله أنوثتها المفقودة .. كان أمجد يشعر بذلك فدأب على منح خالته ما يشعرها بأنوثتها من فيض الحب والحنان قبل أن يطأوها .. بات الجنس بينهما درجة قصوى من الحميمية , يندمل معها كل شئ تحت جحافل اللذة والمتعة الفائقة .. أن يعبر قضيب أمجد لمهبل خالته أمانى , هى اللحظة الأخيرة التى تأتى بعد أن يؤرجح ثنايا جسدها مداعبا يتغزل فيها , فتطربه ضحكاتها المائعة وتدللها .. ما أن تغوص حلمة ثديها فى فمه , حتى ترى رضيعها الذى لن يأتى أبدا على حجرها تطعمه .. تلسعها دقات منيه على جدران مهبلها وعنق رحمها , بذور للحياة تموت بداخل أرضها الجذباء .. كم تمننت لو نبتت بذرة من تلك ومنحتها أمومة لن تحصل عليها أبدا .. هذه فقط هى اللحظة التى تفيق فيها أمانى ويتحول وجهها من المتعة والسعادة إلى التجهم والعبوس .. يشعر بها أمجد فيفيض عليها من نفحاته .. يحتضنها بقوة يجعلها تستنشق أنفاسه .. يبكي على صدرها .

إستيقظ أمجد فى صباحه , وذهب لعمله فى البنك , وبعدها إنتهى أسرع لمقابلة أصدقاءه وزملاءه المشجعين أمام صالة الملك فيصل الخاصة بالنادي الأهلى لحضور مباراة كرة اليد بين الأهلى والزمالك .. تفاجأ بمنع أمن النادي لدخولهم وسماحهم لمشجعي الأهلى بالدخول والتعلل بأن الصالة قد إمتلأت .. ربما الأمن قد فعل ذلك بدافع ما حدث سابقا .. حيث يقوم جمهور الأبيض بتكسير كراسي الصالة وتحطيم كل ما تطوله أياديهم سواء أكان فريقهم خاسرا أم فائزا .. التكسير

والتحطيم لمجرد أن الصالة تنتمي للجهة الحمراء .. ويرد الجمهور الأحمر الدين في مباراة العودة بتكسير صالة الزمالك .. هذا ما دفع الأمن لتقنين عدد الجمهور الأبيض بداخل الصالة ليسهل السيطرة عليه .. لكن ذلك بالطبع لم يعجب أمجد ورفاقه , فبدأوا بالإشتباك مع الأمن وتطور الأمر إلى صراع .. لم يكن أمجد الذى جرب ذلك من قبل أن يفوت الفرصة .. جعل هؤلاء الشباب من تشجيعهم إلى هوس , وأوروثهم شعورهم بالضياح وفقدان الهدف والقيمة والبطالة وصعوبة المعيشة أمالا زائفة فى بطولات رياضية .. وعندما غابت البطولات عن ناديهم , كان لابد من إيزاع ذلك إلى إحساس زائف بالإضهاد , وأن نادي الزمالك يتم التآمر عليه من الأحمر , رافعين شعار : حمرا يا بلدي .. فدفعهم الإحساس الزائف إلى الإنتقام .. ساروا فى تجمهر كبير يهتفون - هيللا هيللا وهيللا هيللا هو .. الأهلى كس أمه

يحطمون ويكسرون ويفذفون بالحجارة كل ما يعترض طريقهم أثناء توجههم إلى مقر النادي الأهلى القريب .. يمسك أمجد بعصا وينهال على زجاج السيارات الموجودة أمام بوابة النادي , يصرخ بهيستريا .. يلقي نغمته وإزدراءه لأبويه وينهال عليها تحطيماً .. تسلق أحدهم ونصفه الأعلى عاريا ليقف على سور بوابة النادي الأهلى يهتف بشتائم وسباب ضد الأهلى , وترى علامات وجهه وصيحاته وهو يهتف لرفعة ناديه , وكأنه واقف على قمة المجد بعد الإنتصار فى معركة الدفاع عن الوطن .. تمكنوا من تحطيم البوابة واندفعوا إلى داخل النادي الذى أصاب الذعر أعضائه وهروا يبتعدون .. دخل المنتصرون المظفرون يلوحون بأعلام الزمالك هاتفين بأصواتهم كهزيم الرعد .. وجرى أحدهم يغرس علم الزمالك وسط الحشائش فى قلب حديقة النادي ويصرخ كمجنون ليعلن الإنتصار العظيم .. وصل الأمن أخيرا , ورغم أن من يقع فى أيدي الأمن , كان ينال من الضرب والسحق ما يمكن أن يودي بحياته , إلا أن ذلك لم يمنع الباقين من مواصلة التكسير والتحطيم .. هرعوا يبتعدون وصاروا بشارع جامعة الدول العربية يترجلون .. وفجأة ودون سبب واضح تحولت هتافاتهم وشتائمهم إلى الحكومة .. ربما زهدوا شتم الأحمر , أو بدأ مكبوتهم يتخذ مساره نحو حقيقة ما يشعرون

- الجوز الخيل طم طم طم والعربية طم طم طم ... كس أم الحكومة المصرية

هكذا كانوا يهتفون , وتفننوا فى سب البلد والحكومة والنظام حتى طالت الشتائم رئيس الجمهورية نفسه

بعدها خرج مشجعي الأهلى من الصالة بعد المباراة , ووسطهم سيد مصطفى بعدما باع كمية لا بأس بها من الترامادل .. علموا بنياً إحتلال الأهلى من قبل مشجعي الزمالك .. فأسرعوا للإنتقام بإحتلال مقر الزمالك , لكنهم وجدوا عربات

الأمن المصفحة تحيط بالنادي , وجاءهم خبر مسيرة مشجعي الأبيض فى شارع جامعة الدول العربية .. فاتجهوا لملاحقتهم ومعابقتهم .

لحق مشجعي الأحمر بمشجعي الأبيض , وبدلا من أن تبدأ المعركة , إذا بالطائفتين تنسجمان معا فى سب النظام الحاكم , وأطلقوا لأنفسهم العنان , ومع أول بادرة لظهور عربات الأمن المركزي المصفحة .. تبخر الجميع وختل الطرقات تماما .

عاد سيد مصطفى بعد ما حدث إلى شقته ليصطحب ريم ليتزوجها الليلة , كما أقنعها ووافقت .. ولكنه لم يجدها فى الشقة .. جمعت كل حاجياتها وغادرت أو بالأحرى هربت .. ألقى سيد بجسده على الكنبة فى الصالة يفكر .. هى إذن لم تقتنع بمبرراته ورأتها زيجة فاشلة قبل أن تبدأ .. خطر له أن يذهب للإسماعيلية لملاحقتها , هو لا يعلم لها عنوانا , لكن سيبحث عنها فى قريتها .. ربما لم تذهب ريم إلى الإسماعيلية .. هكذا خطر له , وحتى لو وجدها هل ستوافق على الزواج منه .. كان يتمنى أن تعلن عدم موافقتها على الزواج , ليقضى حياته معها على هذا النحو كما هى بدلا من أن تهرب .. لا يكف عن تدخين السجارة تلو السجارة .. تتصاعد أذنتها وتعيق الأجواء كما لو كانت تجسد فشل حياته الوضيعة .. ماذا يفعل ليرضى عن حياته ؟ .. نظر حوله .. ها هو عاد وحيدا كما كان .. سيصارع الحياة وحده .. بل أية حياة تستحق أن يصارعها , تمنى لو تخلص من حياته .. هرب من إحساسه بوضاعة حياته لأنه ابن بائع الكسكسي الفقير , تخلص من إزدراءه لنفسه وجمع المال يبيع الترامادول , ليرى الإزدراء فى عيون ذوييه , فيعود أكثر إزدراء واحتقارا لحياته .. هذا ما كان يعتلم بداخله .. هدا قليلا وهو يتخيل أباه وأمه وإخوته .. يشعر أنه يحتاج إليهم الآن .. لم يكن أحد ينظر إليه بإزدراء فى حياته الأولى .. هو وحده من كان يحتقر نفسه .. والآن لم يعد هو من يحتقر نفسه فحسب , بل يحتقره الجميع .. يا الله .. جرفه حنين غامر لأن يرى وجه أبيه القانع ووجه أمه الحاني .. بكى بحرقة كالأطفال , وأسرع يحث خطاه .

وقف الحاج مصطفى يللم حاجياته من على عربة الكسكسي بعد إنتهاء يوم شاق من العمل , ووفاء تحمل الصواني والأطباق .. وإذا بسيد يقف أمامهما بعيون دامعة .. ولم تكن هناك كلمات .. فقط دموع .

إستيقظ المصريون صبيحة أحد الأيام على فضيحة مدوية , بطلها القس عادل برسوم وإمرأة أرمينية تدعى سارا .. وقد ملأت الصور المشينة صفحات تلك الجريدة التي أشتهرت بنشر فضائح المشاهير , وأطلق المعنيون عليها أنها تجسد الصحافة الصفراء .. أثار ذلك غضب المسيحيين بالطبع , ومعه إستياء المسلمين المثقفين .. ولم تفلح مصادرة عدد الجريدة في منع تدارك الحدث الذي إنتشر كالنار في الهشيم .. أما على مستوى العامة فقد تداول المسلمون الجريدة وتم إضافة الرتوش اللازمة على القصة ويتردد

- بص القسيس ابن الوسخة بيعمل إيه .. بيقولك إن المية اللي بيستحمي فيها
القسيس بيشربوها عشان ياخدوا البركة .. واللى عايزة تحبل بتروح
للقسيس ينيكها

خرج الأقباط الغاضبون يتجمعون متظاهرين حول الكنائس يطالبون بالقصاص
.. والتف الحبل حول رقبة رئيس تحرير الجريدة , وتمت محاكمته وسجنه , ليهدأ
الأقباط .. وقد أوضحت الكنيسة أن عادل ترك الكنيسة ولم يعد قسيسا , وأن ما
فعله يعبر عن نفسه هو لا رجال الدين المسيحي .

بعدها هدأت الزوبعة , ورغم إترافات عادل وسارا بعلاقتهم الجنسية .. إلا أن
الأهداف المرجوة من تفجير الفضيحة قد تمت , ولم يعد مجرد علاقة جنسية بين
عادل وسارا تكفي لمحاكمتهم , فتم نسج القصة على أنهما كانا ينويان الزواج ,
ليتم حفظ التحقيق ويكفيهما ما نالاه من فضيحة .

حياة عادل برسوم الجديدة تحطمت تماما , فإذا كان بإمكانه الإنتقال إلى مكان آخر
هربا من الفضيحة ومردودها الذي يراه على وجوه معارفه وجيرانه , فمن أين
يهرب من نظرات زوجته وأبناءه .. أغلق على نفسه باب غرفته .. وأخرج الناي
الخشبي القديم .. يدخل بشرافة ويعزف على الناي ألحانا شجية حزينة وكأنه
إنفصل عن العالم وذهب إلى عالم آخر .

حينما تصاب بجرح أثناء الإنهماك فى العمل , فإنك لا تشعر بألمه من جراء
سخونة دمك وإنهماكك .. فقط تعكف على مداواته , ولكن بعد مضي بعض الوقت
ستنشع حينها بالألم .. هذا ما حدث لسارا حيث بدأت تشعر بمدى وطأة الفضيحة
التي دفعتها إلى البقاء وحيدة فى شقتها تتجنب رؤية أصدقائها وأقاربها .. كثيرا ما
كانت تبكي وهى تفكر : هل هذا هو العقاب الإلهي على ما فعلته ؟ .. ولماذا
جاءها العقاب فى الوقت الذى توقفت وأحست بحاجتها للإيمان ؟ .. أدركت أنها
تتطهر , فما العقاب إلا تطهيرا لها , وإتجاهها للإيمان هو ما منع العقاب أن يكون
على قدر بشاعة أفعالها .. هكذا ساقها عقلها لتهدأ .. أدركت أنها الآن فى حاجة
لبدء حياة جديدة .. ربما ما حدث هو بداية بدء تلك الحياة .. فكرت كثيرا ماذا
عليها فعله ؟ .. عاودت الإتصال بزوجها السابق الذى هاجر إلى أرمينيا ..
لدهشتها أن تجده بعد كل هذه السنوات لازال يحبها وينتظر عودتها إلى أحضانه
.. إتخذت قرارها بالهجرة إلى أرمينيا .. وما أن رأته فى استقبالها بالمطار حتى
إرتمت فى حضنه .. الآن تشعر بدفء الإيمان .

إعتاد سامي منذ تلك الليلة التي كان بصحبة سارا في دار الأوبرا , أن يستمع إلى السيمفونيات الحديثة أثناء الكتابة .. كم كانت تلهمه الموسيقى حين تشعره بروحه .. بات في الآونة الأخير أقل شراسة في نقض الأديان , وأصبحت مقالاته تحمل أبعادا فلسفية تحتمل الكثير من المعاني .. كان دائما يترك الباب مواربا .. كعادته يجلس وحيدا في غرفة المكتب التي ظلت على العهد منذ عمرا كاملا , حيث أرفف المكتبة الضخمة المنصوبة على ثلاثة حوائط , ولون خشبها البني اللامع يبدو وكأنه مطليا بالأمس .. كل ما تركته السنوات على المكتبة أنها صارت مكتظة عن آخرها بالكتب , لاتظهر فرجة تتسع لكتاب جديد .. وعلى نفس المكتب الخاص بالأستاذ صالح نعمان , كان سامي يواصل تأملاته ويكتب وصوت الموسيقى يملأ الغرفة :-

("" في داخل كل منا صندوقه الأسود الذي يحتوى على مجموعة كبيرة من الأحاسيس والصور .. الكثيرون منا لا يعرفون محتواه .. لو أدركنا مافى داخل صناديقنا السوداء سنعرف لماذا نعتقد ونتعصب .. سنعرف لماذا نحب ونكره .. سندرك لماذا نتشبت بالإيمان .

لا توجد فكرة في الوجود إلا وتكون تجميع لمجموعة هائلة من الصور المادية .. كينونة الفكرة هي قدرتنا على ترتيب الصور ولصقها مع بعضها حسب قدرتنا وحالتنا النفسية والمزاجية وما أدركناه من منطق وخيال , فعروس البحر هي فكرة جاءت من تجميع صورة جذع وذيل سمكة مع رأس و صدر فتاة .. وبالرغم أننا أبدعناها إلا أن البعض منا قد أعتقد بوجودها !! .. هكذا الإنسان تميز عن باقي المخلوقات بامتلاك الخيال الذى يجعله يصيغ من أية معطيات واقعية , قصصا وأساطير يعتقد بها .. لكن لننتريث قليلا ونحن نحاول فهم ماهية الخيال .. تلك القدرة المدهشة التى إمتلكها الإنسان .. هل هي نبع تفاعلات كيميائية فى الجهاز العصبي , أم أن الموضوع أبعد من ذلك بكثير .. إذا جلس شخص ما وسط غرفة مظلمة وأغمض عينيه وأمعن فى الخيال ليرى نفسه فى حديقة غناء يتنسم رحيق الورود والأزهار , ويتقافز بين الحشائش والأشجار .. لماذا يشعر هذا الشخص وقتها بالسعادة , ولماذا يشعر بالحزن والضيق والخوف إذا أمعن خياله فى إجتراح ذكريات قديمة محزنة .. هنا تعجز قوانين المادة عن تفسير ماهية ذلك , فيبقى ما تسمى بالروح ذلك الكيان الغير مادي تظل برأسها .. يساعد على ذلك قصور علم النفس عن تفسير ماهية النفس البشرية بسلوكياتها وتناقضاتها وغرائزها ورغباتها .. فمهما تطورت علوم النفس إلا أنها تقف عاجزة عن تفسير نماذج من البشر مثل النمساوي جوزيف فريدل .. ذلك الرجل الذى دفع الحكومة النمساوية للإعتذار للعالم بأجمعه , من جراء بشاعة قصته .. يعمل مهندسا للكهرباء ويحيا حياة عادية أسرية هادئة مع زوجته وأبناءه , وإذا به يحتجز ابنته التى تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما بداخل قبو أعده خصيصا لذلك على مدار سنوات .. ويضاجعها ويضربها إذا حاولت الهرب لتسلم الفتاة أمرها وتظل بداخل

القبو لربع قرن من الزمان .. خمسة وعشرون عام لم تری النهار , وأنجبت من أביها سبعة أطفال .. ورغم بشاعة ما فعله جوزيف إلا أنه حمل بعض الشفقة على الأطفال , فكان يضعهن أمام بيت منزله مع رسالة بخط ابنته تطلب رعاية الطفل .. ويظهر النقيض حين يقوم بحرق أحد الأطفال توفى بعد ولادته بثلاثة أيام في مقلب للقمامة .. عاشر ابنته جنسيا ما يقرب من 3000 مرة على مدار ربع قرن , وأنجب منها سبعة أبناء .. قصة كهذه تحمل في طياتها إعترافا ضمنيا بعجز علوم النفس عن التفسير .. كيف تتناقض النفس البشرية إلى هذه الدرجة .. يعيش حياة فوق الأرض مع أسرته كرجل أسري عادي .. وحياة أخرى تحت الأرض مع ابنته السجينة وأبناءها منه بصفة لا تمت لعالم البشر .. ثمّة فطرة وروح تتحكم في أنفسنا , وتعجز عن معرفة ماهيتها علومنا .. وغذاء تلك الروح هو ما يقود سلوكياتنا .. ولكن ما هو غذاء الروح ؟ .. قد يكون الإيمان ""

توقف سامي عن متابعة الكتابة , وانقطعت خواطره إثر رنين الموبايل , ليجد مها تتصل من فرنسا للإطمئنان على أحوالهم .

شخصية مها نعمان التي نسجتها ظروف نشأتها , لم يكن من الممكن أن تسمح لها بالشعور بالهزيمة .. فبعد مصادرة روايتها وإتهامها بالعهر والفجور والمجون , حتى أن الأمر طال تهديد حياتها .. كانت تتسائل : علام كل ذلك ؟ .. إنها عبرت عن حياتها وشخصيتها كما عاشت وشعرت وأحست .. لماذا كل ذلك الهجوم عليها لمجرد أن ما في عقلها لا يروق للغير .. مقتها في البداية تحول في فرنسا إلى تحدي .. ستتحدى الجهل والتخلف والرجعية , لن تستسلم مكتوفة الإرادة .. إنطلقت في رأسها فكرة أوحى لها بها أسامة .. ستنشئ مجلة إلكترونية تعنى بالجسد والجنس وآدابه لأول مرة باللغة العربية , وستدعو من ناصرها من زملائها من الكتاب والصحفيين للكتابة فيها .. ظلت الفكرة تتبلور حتى تحولت إلى واقع .. ترأست مها نعمان رئاسة تحرير مجلة إلكترونية مدفوعة الأجر على شبكة الإنترنت اسمها (شبق) .. صدر العدد الأول متاحا بالمجان , وكان يحوي مجموعة من القصص الإيروتيكية المترجمة لأشهر كتاب الإيروتيكا العالميين إلى جانب كتاب وصحفيين عرب , بعضهم بأسماء مستعارة والآخر بأسماء الحقيقية .. قصص وتقارير ودراسات وأخبار كلها تعني بالجنس والجسد عربيا وعالميا .. وفي طليعة العدد أعدت مها تقريرا ضخما عن هدف المجلة , وأسهبته في كتابة تاريخ الأدب الإيروتيكي عبر العصور , وأبدع أسامة في تزيين المجلة بأروع صورته التي تتسق مع القصص والمضمون .. عدد القراء فاق ما توقعته مها , مما ضاعف من سعادتها وفرحتها , وكان من الطبيعي مع العدد الثاني أن يضمحل عدد القراء , حيث كان يتعين الدفع ببطاقات الإئتمان لتحميل المجلة .. فتوصلت مها إلى فكرة جيدة مع ظهور العدد الثالث حيث جعلت مقتطفات من المحتوى متاحا بالمجان .. لم تكن مها نعمان تهدف إلى الربح .. فقط هي تريد

تغطية تكلفة المجلة لا أكثر .. ما كان يهمها هو أن يقرأ المجلة أكبر عدد ممكن .. كانت تشعر أنه سيأتي اليوم الذي تتحول فيه المجلة إلى نسخ ورقية مطبوعة ومتاحة للجميع .. سعادة مها بالمجلة الإلكترونية تزداد ونجاحها الباهر المتزايد أدى إلى أن يرسل إليها عدد من الكتاب والصحفيين أعمالا كتابية بين شعر ونثر بدون مقابل , فقط إعجابا منهم بالمجلة والرغبة في الإسهام في نجاحها .. لكن شاب ذلك شعور مها بالحنين لسامي وأمجد وأمني , فقد مضى أكثر من ثلاثة شهور وهي بعيدة عن مصر .. ها هي الأوضاع هدأت تماما , ولم يعد هناك داعي لبقائها في فرنسا فقررت العودة .. ودعها أسامة بعدما تأكد لهما أن كل منهما بات ملاذا للآخر , فتواعدا على تبادل اللقاءات بقدم أسامة لمصر أو سفر مها لباريس .. عادت مها إلى حياتها تواصل كتاباتها , وتستقبل رسائل قراءها وترد عليها .. ولدهشتها وجدت قراءها يتزايدون وقد بدا لها جيلا جديدا متفتح العقول .

حرصت مها على التقرب من ابنها أمجد , ووجدت أن الوقت قد حان ليتزوج أمجد ويستقل بحياته .. عرضت عليه الأمر , فوجدته غير مباليا .. إلا أن أمجد وجد أنه في حاجة لبدء حياة جديدة .. فكرة إستقلاله عن أبويه وتأسيس أسرة جديدة , جعلته يشعر أن هذا ما يحتاجه بالضبط .. رشحت مها ابنة أحد معارفها , وحسب الموعد كان أمجد بصحبة أبويه وخالته في زيارة أهل العروس .. إنجذب إليها من أول وهلة , ولما رأت أمني ذلك كابدت دموعها في عينيها .. تمت الخطبة في حفل عائلي صغير , وبدأ أمجد يتغير ويشعر أن حياته بات لها معنى وهدف .

أدرك سيد مصطفى أنه كشجرة لا يمكن لها أن تحيا بلا جذور .. قرر أن يبيع ما تبقى معه من ترامادول , ومن ثم إنشاء مشروع صغير بما ادخره من مال .. لن يفقد دفء الحياة التي يشعر بها بين أبويه .. سيظل دائما بالجوار .. لم يكن هناك أنسب من مباراة الأهلئ والزمالك في كأس مصر ليتخلص سيد مما تبقى معه من شرائط الترامادول وبعدها يبدأ حياته الجديدة .. إعتياد سيد الدائم هو ورفاقه على بيع الترامادول بداخل المدرجات , إلى جانب السعى الشديد لبيع كل الكمية المتبقية , جعلتهم لا يراعون السرية بالشكل الذي فضح أمرهم , بالأخص التشديد الأمني المتزايد بعد أحداث الشغب الأخيرة .. وكان سيد بين برائن عساكر الأمن في مقدمتهم رائد ينهال عليه لظما , وتم إقتياده إلى القسم بما معه من ترامادول .

جاءت نتيجة المباراة صادمة للجمهور الأبيض الذي كانت تحدوه الآمال بالفوز , بعد آخر لقاء جمع بين الفريقين .. وخاب ظنهم في فريقهم مما أورثهم غضبا عارما ضد اللاعبين والمسؤولين .. ودفعهم الحصار الأمني إلى الإبتعاد بمجرد

خروجهم من الإستاد .. كان أمجد مهموما حزينا بسبب خسارة الزمالك , يسير بخطا متناقلة ويشعر بإحتكاك الشمروخ على جلده تحت ملابسه , والذي اشتراه قبل المباراة ليشعله إحتفاء بالنصر الذى لم يتحقق .. خطر بباله أن يشعله أثناء خروجه من الإستاد وسط أقرانه من المشجعين .. فتلقفه منه أحدهم وألقى به على مجموعة من مشجعي الأهلي .. اللذين أسرعوا بالرد الفورى .. ولما لاحقهم الأمن إبتعدوا .. أراد عدد من مشجعي الأبيض الإنتقام من حرق أتوبيس لهم بعد المباراة السابقة , فانهالوا يقذفون أتوبيسا يقل مجموعة من مشجعي الأحمر .. وجد أمجد نفسه لا يعبأ سوى بأن يبتعد وهو يتلقى إتصالا من خطيبته لتواسيه بعد الخسارة .. إنشغل أمجد بالحديث معها فى الموبايل يطربه صوتها الأنتوى المثير .. فى الوقت الذى سعد سائق الأتوبيس ليفر من مشجعي الأبيض قبل أن يتحطم الأتوبيس .. أدار المحرك فى لمح البصر , وضغط دواسة الوقود ليرجع الأتوبيس إلى الخلف بقوة حتى يمكنه الإستدارة والمغادرة .. لم ينظر سائق الأتوبيس فى المرأة من فرط تعجله , فدهس أمجد لحظة عبوره خلف الأتوبيس منشغلا بالحديث فى الموبايل , ليلقى أمجد حتفه تحت عجلته .

واصلت دميانة حياتها بداخل الدير .. إنغمست فى نسج المنسوجات والرسم على الزجاج بدأب ونشاط .. تحرص على صلواتها وتعبدها تتقرب إلى الله دون أن تعبأ بالآخرين .. دوما تجلس إلى الأنبا كيرلس تتعلم منه وتستلهم الطريق .. إرتضت بحياتها وقنعت أن تحمل الصليب وتتبع المسيح .. تتلو المزامير وتصلى من أجل خلاص الخاطئين .. لكن مارتيريا كانت دوما عائقا فى طريق دميانة .. لا تفتأ تتحرش بها وتردد عليها هرطقتها بشأن الزواج , وأنها يمكنها أن تساعدها لتتزوج راهبا , فما يكون إلا أن تنظر إليها دميانة شذرا وتبتعد كأنها تعدو من أمام شيطان رجيم .. كانت مارتيريا تشعر بالنقص كلما رأت دميانة حيث يتولد بداخلها إحساسا بالمهانة .. عجبت من صمود دميانة وودت لو جرفتها إلى عالمها لتتساوى الرؤوس .. طهارة دميانة وعفتها كانت تجعل مارتيريا تشعر بالنجاسة والدنس , فسابت مارتيريا لتصل إلى هدفها , وبدأت تشعر أنها ستصل لمأربها حين وجدت دميانة أصبحت تنصت لأحاديثها من جديد , فعمدت إلى إلهاب غريزتها بأن تحكى لها تفاصيل علاقتها السحاقية بإحدى الراهبات , حيث لم يعد زوجها بيشوى قادرا على تلبية إحتياجاتها .. رأت مارتيريا الشهوة تطل من عيني دميانة خلف نظارتها الصغيرة وهما يتمشيان فى حوش الدير الواسع بملابس الراهبات .. أدركت مارتيريا أنها تقترب من الهدف المنشود .. لم يكن ما جعل دميانة تستسيغ أحاديث مارتيريا سوى أن غريزتها الجنسية المكبوتة طوال هذه الفترة الطويلة , بدأت تنغزها وتلح عليها .

* * *

فى الليلة التى تسبق ليلة عيد الميلاد .. كانت دميانة تتمدد على ظهرها عارية فوق الفراش , ومارتيريا تتحسس جسدها برفق وحنان .. تشعر دميانة بالمتعة المشوبة بالإحساس بالذنب وإقتراف الإثم .. تنهادى يدا مارتيريا على جسدها فتمنحها دغدغة لذيدة ممتعة .. كانت دميانة ترى صوراً هلامية غير واضحة المعالم , فتارة ترى مارتيريا عارية وتارة تراها بملابس الراهبات .. تحس بأزرع مارتيريا عديدة كما لو كانت أخطبوط , لا يخلو موضع من جسدها من يد مارتيريا تتلمسه وتمسح عليه .. رأت وجهها تتبدل ملامحه وهى تقترب برأسها من وجهها تقبل فمها , وتلحس بلسانها شفثتها .. أحست دميانة بجسدها ينبض بالإثم والمعصية .. حاولت المقاومة كغريق يتعلق بقطعة من الخشب , لكنها كانت تشعر وكأن قوى خفية تحكم القبض على جسدها وتمنعه من الحراك .. تركت نفسها وشهقت وهى تشعر بأصابع مارتيريا تخترق كسها .. وثديها ينسحقان تحت ثديي مارتيريا .. سوائلها تنهمر من مهبلها فتشعر بإحتكاك شفراتها لزجا يمنحها نشوة .. يخفق قلبها وتتعالى أنفاسها وهى تشعر بحلمتها فى فم مارتيريا الرطب الدافئ .. تراءى لها الصليب معلق على الحائط والمسيح مطأطئ الرأس مصلوبا عليه .. إمتزجت المتعة والنشوة بالحزن والحسرة والإحساس بالذنب .. تريد أن تبكى فلا تقدر .. تشعر أن الدموع نضبت .. يبدأ جسدها فى الإرتعاش وسرعان ما ينتفض ويدهامها تقلصات عنيفة أسفل بطنها , لتقبض فخذها بعنف على كسها وتستيقظ من النوم تلهث بشدة .. أول ما فعلته دميانة بعدما أدركت أنها كانت تحلم , هو حمد الرب على أن ما حدث لم يكن حقيقة .. أسرعت تغتسل وهى تشعر بأن جسدها خفيفا متحررا .. أمعنت فى تنظيف جسدها وكأنها تمحو من عليه الدنس .. عادت إلى غرفتها تركع أمام الصليب تشبك كفيها أمام وجهها تصلى وتستغفر .. أمضت نهارها تتعبد حتى حان موعد حضور القداس فنزلت إلى الكنيسة بصحبة الأخوات .

تنهار أسطورة عربي عطا وتتداعى كما جبل الجليد طلعت عليه الشمس وغزا الدفء ما حوله .. امتنع الكثيرون عن دفع الإتاوة ورأى عربي على وجوههم زوال خوفهم منه ومن سطوته على الرغم من حملته بندقية آلية جليها بمساعدة أمين شرطة متقاعد .. يشهر بندقيته متباهيا بين دروب وحواري المنطقة .. لكن الناس لم تعد تخشاه .. وتجلى ذلك حين ذهب عربي لأحد أصحاب المحلات يطلب الشهرية فصاح الرجل

- وهو فى حد عاد بيقف يحرس المحلات .. هادفع فلوس على إيه يا عم عربي

النبرة المحتدة المتمردة التى خاطب بها الرجل عربي , كانت كفيلة ألا يطلع النهار على المحل إلا وقد تم كسر بابيه وتهشيم زجاجه وبضاعته .. وكان هذا ما قضى على عربي تماما .. إذ أدرك مراد الدوغري أنه قد آن الأوان لتفريغ تلك البالونة .. تم القبض على عربي وبداخل القسم نال عربي من الضرب والإهانة فى هذه السن ما لم يناله صغيرا .. ذاق الويل على مدار ثلاثة أيام حتى كادت تزهر روحه , وساقوه إلى مكتب رئيس المباحث يترنح , ليقف أمام مراد بك والكدمات تغطى وجهه والزرقان يحيط بعينيه , وجسده محطم لا يقدر على الوقوف , لم يرى عربي من إنغلاق عينيه بفعل الكدمات وجه مراد .. فقط سمع صوته الأجهش قادمًا يتردد فى أذنيه

- عملة زي دى توديك السجن .. أنا هاخلى الموضوع واخلي صاحب المحل يتنازل بعد ما تدفع ثمن اللى كسرتة .. وحسك عينك تعمل عملة زي دي تاني

صمت يسحب نفسا عميقا قبل أن يتابع بعلو صوته
- وإلا .. إنت عارف هايجصلك إيه

قالها وأشار للرجال اللذين سحبوا عربي وألقوه بعيدا عن القسم .. علم الجميع بما حدث لعربي , وتأكدوا أنه لم يعد مسنودا من الأمن لتنتهى أسطورة عربي عطا الذى لم يعد قادرا على السير وسط الناس ورؤية السماتة فى نظراتهم .. فقبه وحيدا منعزلا عدا صديقيه ماهر وبربري .. تفجرت كراهيته للجميع فى أن يضاعف ما يتناوله من مخدرات .. حين يجلس وحيدا وهو مسطول بفعل الحشيش والحبوب والبيرة , يتراءى له أنه يفحص هؤلاء المتمردين بقدميه ويسحقهم سحقا .. وإمتدت كراهيته لتطول نفسه هو .. عاش عمره منبوذا يحتقره الناس , لكنهم يقفون له تعظيما خشية سطوته , وإتقاء لشره .. أما الآن فهم يحتقرونه علنا بل يبصقون خلف ظهره إذا مر أمامهم .. من السبب ؟ .. هكذا يسأل عقل عربي المغيب .. لو لم يقتل أولاد أبو هاني دعاء ؟ وتغطيه الفضيحة التى جرأت الناس عليه .. هو أبو هاني من دمر حياته فى صغره بالإبلاغ عنه وتسبب فى إيداعه الأحداث .. والآن أبناءه قضوا عليه .. سيعرف كيف يؤدبهم .. سيعرف الجميع من هو عربي عطا .. هكذا كان يصور له عقله المغيب .. ظل فى متاهة من السطل والتوهان يبعث به عقله لتلمع الفكرة فى رأسه .. لم يصرح بها لصديقيه اللذين استشعروا أنه يخطط لأمر ما حين يسمعانه يقول بصوت ثقيل ومتلثم بكلمات منقطعة من فرط توهانه

- هانت كلها كام يوم ويشوفوا عربي هايعمل إيه

كان ماهر وبربري يوعزان كلمات عربي إلى هلوسة , بعدما إنكب ينهل من الحشيش والحبوب والمخدرات , ويات شبه مغيبا عن الدنيا .. حتى ظهر عربي بسيارته اللادا الرمادية ومعه بندقيته الآلية فى ليلة عيد الميلاد .. ووقف أمام المقهي ينادي ماهر وبربري وإنطلق بهم يجوب شوارع وطرقا المنطقه بلا

هدى ولا وعي .. عقله المغيب كان يرسم له زهو الإنتقام الوهمي دون أن يعبا
باية عواقب أو يتوقف أمام أية رادع .

* * *

بداخل الكنيسة كان صوت الصاجات والطاسات يعلو أثناء تلاوة المزامير
والتراتيل في قداس الإحتفال بعيد الميلاد .. وتكسو الإبتسامة وجوه الجميع ..
يحتشد الأساقفة والبطاركة في ملابسهم الكهنوتية البيضاء التي يزينها صور
المسيح والعذراء , وقد بدت الكنيسة فى أبهى صورها .. وقف أبو هانى مرتديا
بدلة سوداء أنيقة بلا رابطة عنق على القميص الأبيض وسط المعارف يتبادلون
التهانى ومن حوله ابنه هانى وعاطف حيث صدر الحكم بالغرامة عليهما فى
قضية القتل الخطأ .. وعلى الجهة الأخرى التفت الأخوات الراهبات يحتفلن بالعيد
, ومن بينهما مارتيريا ودميانة التى كانت متأنقة بملابسها الراهبانية , ونظارتها
الصغيرة تعطىها إلى جانب منابت شعرها الاسود الفاحم من تحت غطاء الرأس
منظرا جذابا .. إنتهى القداس قرابة العاشرة مساء وخرج الجميع فرحين متهللين
بالعيد .

فى الوقت الذى كان عربى يقترب بسيارته ويتوقف يراقب الخارجين من الكنيسة
, حتى رأى أبو هانى وأولاده , فنزل من سيارته يترجل مترنحا مشهرا بندقيته
الآلية وأطلق النار عشوائيا على جميع الخارجين أمام باب الكنيسة .. ليسقط أبو
هانى وابنيه ومارتيريا ودميانة إلى جانب أربعة عشر آخرين فى مذبحه جماعية
جعلت عربى يضحك وهو ينظر إلى الأجساد المدماه الممددة على الأرض ,
ويحاول من بقيت فيهم الحياة الزحف بعيدا .. بينما يهرع الجميع يصرخ ويعدو
مبتعدا .. تابع إطلاق بعض الأعيرة النارية فى الهواء .. وركب سيارته يجوب
منطقة أبو سيفين وحوش العجر .. يطلق أعيرته فى الهواء .. يغتاله الزهو بخلو
الطرقات من الناس اللذين أسرعوا بإغلاق محلاتهم والإختباء فى منازلهم .. هاهم
الآن منكمشين فى جحورهم يرتعدون .. كان عربى سعيدا بما يراه وهو يسمع
صافرة عربات الشرطة تدنو منه .

إستفاقت دميانة من هول الصدمة لتدرك إصابتها بجرح صغير فى زراعها
الأيسر , ورأت مارتيريا جاحظة العينين غارقة فى دماؤها ولم يعد صدرها يعلو
ويهبط .. وقفت تبعد متجهة إلى الدير .. تبكى وتتمتم

- يا رب .. يا رب

تزدرد ريقها وتنطق بصوت هامس

- يا الله

كان وقع الصدمة مهولا على ثلاثتهم .. مها تعيش ثانية ً صدمة فقدانها
المأساوي لأبويها , وهذه المرة بقدان ابنها الوحيد أمجد .. وأماني إنتابتها فى
الأيام التي تلت ذلك رغبة بالتخلص من حياتها .. أما سامي فعلى الرغم من أنه
كان يبدو أكثرهم تحملا وجلدا , إلا أنه فى حقيقة الأمر كان أشدهم إنهيارا ..
تتصارع أحاسيسه بفقدان ابنه الوحيد مع فلسفته فى ماهية الوجود .. الأمر رشق
عقله وحياته فى مقتل .. أمعقول أن تكون هذه هي النهاية .. ألا يكون أمجد الآن
فى حياة أخرى بعد الموت .. ما هذا العبث ؟ .. لماذا انتقته الصدفة التي شكلت
الكون والوجود , لتحرمه هو بالذات من ابنه الوحيد ؟ .. فى هذه الليلة كان سامي
يجلس فى البلكونة مطرق الرأس .. منذ عدة أيام يوم مات أمجد لم يكتب كلمة
واحدة .. ماذا يكتب ؟ ولماذا يكتب ؟ .. إذا كانت الغاية من الحياة هى لاشئ ..
وأنها حياة واحدة على الإنسان أن يستمتع بها ؟ .. فأين هذه المتعة , لم يجد سوى
حيرة وشك وقلق ؟ .. تسائل : هل لو كان مؤمنا , لتحمل فقدان ابنه الوحيد بصبر
وجلد , معزيا نفسه عن العوض فى العالم الآخر بعد الموت ؟ .. تنازعت مشاعره
وظنونه وهواجسه وأحاسيسه .. إذا كان الله موجود , إذن هو من أخذ ابنه .. هل
يعاقبه على رفضه لدينه ؟ .. إنتابه شعورا بالتحدي , لكنه سرعان ما أذعن وهو
يرنو إلى السماء , والبرد يكتنف جسده رغم الروب الصوف الثقيل الذى يلتحف
به .. يداهم ذات الصداع اللعين , فنهض من على الكرسي يمسك بيده السور
الحديدي الصغير .. أحكم القبض عليه وهو يشعر بدوار , وضباب وغيوم تتكاثف
أمام عينيه .. تشبث بيديه أكثر فى السور وكأنه يتشبث بمعرفة الحقيقة .. رفع
رأسه يسحب نفسا عميقا , وأجهش بالبكاء .. لأول مرة فى حياته يبكي سامي ..
يبكي بحرقه .. الدوار يتزايد والنور ينمحي من عينيه .. لم يعد يرى شيئا .. ظلام
دامس حالك السواد حط به فجأة .. صداع رهيب لا يُحتمل .. ظن أنه يحلم , لكنه
يחס ببرودة السور الحديدي فى يديه .. أدرك أنه ذاهب .. خفق قلبه يضرب
ضلوعه بعنف .. خنجر حاد يمزق صدره .. أتكون هذه هى سكرات الموت ..
هكذا ظن سامي بعدما فقد بصره , ورفع يديه يمسك برأسه التي على وشك
الإنفجار .. ترنح خطوتين للوراء قبل أن يسقط أرضا فاقدًا للوعي .

ترك عربي سيارته فى أحد الشوارع وترجل سائرا على قدميه .. وصل إلى
المقابر بجوار القلعة .. تبقى شيئا أخيرا عليه إنجازه قبل النهاية .. ترك رنين
الموبايل الذى لم يتوقف منذ الصباح الذى تلا ليلة المذبحة .. حتى رأى مراد

الدوغري يتصل .. حتى فى هذه اللحظة يظل مراد الدوغري هو الوحيد الذى على عربي أن يجيب فوراً .. إشتراط حضور مراد بنفسه ليسلم نفسه للشرطة , وإلا سيطلق النار على كل من يقترب منه .. لم يكن هناك بدا سوى أن يتصدر مراد الدوغري طليعة قوة كبيرة من الشرطة للقبض على عربي .. واتجهوا حيث أخبرهم هو .. يدرك مراد جيداً أن ما حدث سيحيل كل جهات الأمن بالمنطقة من شرطة ومباحث إلى النقل والتقاعد .. لكنه كان متشبثاً بأمل واهى , ألا وهو أنه ليس مسؤولاً بصفته رئيساً للمباحث عن حماية الكنائس .. ما سيطوله هو إذا ما اعترف عربي على علاقته به .. الآن قوته تخور وسيطرته تنهاوى .. غالبية رجال المباحث على علاقات بمن هم على شاكلة عربي لإمدادهم بالمعلومات .. لن تنسب أية أقوال لعربي فى النيل من منصبه .. عند الظهيرة كان مراد الدوغري يقف وجهاً لوجه أمام عربي يقول

- إنت كنت شارب ومش فى وعيك .. ودى حاجة هاتكون فى صالحك فى القضية .. تعالى معايا

نظر عربي ملياً فى وجه مراد الدوغري .. وكست وجهه إبتسامة ساخرة قبل أن يصبوب بندقيته الآلية ويفرغ ما بها من طلقات فى جسد مراد الدوغري , ويلقى بها أرضاً ويرفع يديه عالياً .

بداخل الرعاية المركزة كان جسد سامي ممددا , ومن حوله الأجهزة تآز بأصوات خافتة .. حالة نزيف فى المخ نتيجة إرتفاع شديد فى ضغط الدم .. المشكلة كما ظهرت فى الأشعة المقطعية التى تم عملها فور وصوله المستشفى .. أظهرت أن مكان النزيف فى موضعاً عميقاً بداخل المخ , بشكل يستحيل معه التدخل الجراحي .. بل حتى أصبح من العسير تحريكه من مكانة بعد مضي ثلاثة أيام للتعرف على حالة النزيف من خلال أشعة الرنين المغناطيسي .. فطالما لا يزال فى هذه الغيبوبة , فلا بد من إبقاءه هكذا .. مجرد شهيق وزفير عبر جهاز التنفس الصناعي , ونبضات قلبية بطيئة ترسم مثلثات متباعدة عبر جهاز رسم القلب .. لقد كان سامي فى (كوما) من درجة متقدمة للغاية .. لا توجد أية إستجابة عصبية نهائياً .. هو ذاهب حتماً خلال أيام , ويمكنهم مساعدته فى رحلته بنزع جهاز التنفس الصناعي .. سامي مات إكلينيكيًا .. لكن الحقيقة أنه لم يموت , فبمجرد سقوطه فاقد الوعي .. استيقظ على أشعة الشمس الحارقة يتصبب عرقاً , ليجد نفسه فى صحراء لا أول لها ولا آخر .. قام ينظر حوله وبدأ السير وقدميه الحافية تنغرز فى الرمال فيشعر بلسعات تحرقه .. جف ريقه تماماً ولم تعد قدماه قادرة على حمله من كثرة السير .. أخيراً تراءى له شبح إنسان يقترب نحوه من بعيد .. حث خطاه نحوه .. ظن أنه سراب , لكنه بدأ يراه بوضوح كلما اقترب منه .. أخيراً وقف سامي أمامه وجهاً لوجه جاحظ العينين يلهث .. لا يصدق ما يراه ..

يرى نفسه وكأنه ينظر فى المرأة .. لا , ليست مرآة .. هذا الواقف أمامه يبتسم
إبتسامة ساخرة ولا تبدو على وجهه أية قطرة عرق فى هذا الحر القانظ .. يرتدى
ثوبا عجبيا شفافا بلا لون .. لكن ما من شئ يظهر من خلفه

- من أنت ؟

هكذا سأل سامي , ليبتسم الرجل بسخرية أكثر ويجيب

- ألا تعرفنى ؟ .. أنا أنت .. تذكر قليلا .. ستتذكرني

أمعن سامي النظر إلى وجه الرجل الذى يعد نسخة منه , فلم يتذكر شيئا , فأشاح
الرجل بيده يقول

- كنت أعرف أنك ستنساني .. فلماذا سُمى الإنسان إنسان ؟

قالها الرجل ورفع رأسه إلى السماء وتابع

- لأنه يجسد النسيان

قالها الرجل وشبك يديه خلف ظهره , سائرا فى طريقه .. لم يفهم سامي شيئا
وسار يتبعه ليجد الرمال تحولت إلى أرض جافة صلبة , تتحرك قدماه فوقها بخفة
وسرعة ليلحق بالرجل ويسير إلى جواره ويعاود السؤال

- من أنت ؟

- أنا روحك التى نسيتهما بعدما حللت جسدك فى الدنيا .. ألا تذكر حين كنت

تحوم حول عرش الرحمن .. أنسيت يوم وقفت وسط الأنفس تشهد على

نفسك بأن ربك هو الله

قالها الرجل وأختفى تماما .. أسرع سامي يدور حوله يبحث عن الرجل , فإذا به
يراه هناك يمشى على قمة جبل وقرص الشمس إختفى ثلثه وراء الجبل .. أسرع
سامي لاهثا حتى وصل إلى الجبل وبدأ يتسلقه ووصل حيث الرجل مع مغيب

الشمس .. سار إلى جواره وقال

- أمضيت حياتي أبحث عن الله

- وماذا وجدت ؟

داهم السؤال سامي , ففكر قليلا وأجاب

- كنت أراه كلما تأملت الكون والحياة ومخلوقاته وأجده متواريا هناك ..

لكني حين ذهبت للتعرف عليه عبر الأديان لم أجده موجودا

ضحك الرجل عاليا فجأة , وقد بدأ يهبط من على الجبل رويدا متجها حيث واديا
أخضر يلوح فى الأفق , وسامي إلى جواره منتظر كلماته .. توقف الرجل عن
المسير فجأة ونظر لسامي يقول

- أنا الآن سأرسلك رسولا إلى مجموعة من البشر يعيشون قبل خمسة آلاف

سنة , والرسالة التى ستحملها إليهم هى أن تخبرهم بكل شئ عن العالم

الذى عشت فيه .. عليك أن تخبرهم أنهم يعيشون على كوكب لا يمثل

بالنسبة للكون إلا حبة رمل فى صحراء شاسعة .. وتخبرهم عن المجرات

والشموس والكواكب والأقمار .. وتشرح لهم كيف يكلم إنسان فى شرق

الأرض إنسانا آخر فى مغرب الأرض ويراه دون أن يلتقيا .. إشرح لهم

الموجات الميكرونية , ووسائل النقل والمواصلات والاتصالات التي
شهدتها فى عصرك أنت

صمت الرجل يرنو ممتعضا للفراغ , قبل أن يتابع
- ستذهب أنت هكذا وحيدا .. فما الذى يمكنك فعله
تنهد سامي دون أن يجد إجابة .. القمر يرسل ثنايا ضوءه تنير المكان , وعاد
الرجل يواصل سيره وإلى جواره سامي ينصت بكل حواسه
- سيتعين عليك أن تجد من واقع وزمان هؤلاء البشر ما يمكن أن تقرب
الصورة إلى عقولهم .. ومن يؤمن لك حتما لم يرى ما قلته , لكنه صدقك
.. وسيكفر بك من أراد ألا يؤمن قبل أن يرى بعينه
وجد سامي نفسه وسط زروع وأشجار ونخيل وأعشاب , وضوء القمر أقوى من
الظلام .. الإضاءة الفضية الخافتة تنبعث وتنعكس متألئة على الورود والأزهار
.. توقف الرجل عن السير , وربت بيده على كف سامي يقول
- هكذا العالم الآخر .. إنه كيان لن تدري كنهه طالما لازلت فى لبستك
الدينيوية .. وهكذا كانت الأديان .. إنها صور جائت مستقاه من زمن وواقع
ومكان الرسل والأنبياء .. مجرد رموز لتقريب الصورة , لكنها ليست
حقيقة الأمر .. البشر هم من أضافوا وحذفوا تبعاً لأهوائهم ورغباتهم ..
إنظر بداخل نفسك سترى الحقيقة

قالها الرجل وإختفى تماما .. ظل سامي يبحث عنه حتى أشرقت الشمس .. بماذا
ينادى , لا يعرف اسما لذلك الرجل .. هذا الرجل هو نفسه بل روحه .. بدأ ينادى
- سامي .. سامي

فلا من مجيب سوى صدى صوته يتردد بقوة ويصم أذنيه .. توقف عن النداء
يفكر .. ماذا عليه فعله الآن .. التقطت أذناه همهمات وتمتمات التساييح , لا يدري
من أيت تأتي تلك الهمهمات .. هل الأرض أم السماء أم الأشجار أم الجبال ..
شعر بإعياء شديد , فما كان منه سوى أن يتمدد وينام , ليستيقظ ويجد نفسه فى
غرفة الرعاية المركزة , وقناع الأكسجين مثبت على فمه وأنفه , وأسلاك
وخرائط دقيقة تمتد من جسده إلى الأجهزة من حوله .. دقيقة واحدة أدرك سامي
أنها المهلة الأخيرة , فتأمل ما حوله يستوثق أنه حيا , قبل أن يخلع قناع
الأكسجين ويهمس بصوت خفيض
- يا الله

شعر بعدها براحة غريبة , جعلته يشعر أنه بحاجة إلى نوم عميق .. كله شوق
ليذهب إلى سامي ويحادثه .. كم إرتاح لحديثه .. أسلم سامي نفسه ليواصل الحلم
متجها إلى مثواه الأخير .

لم يعد لهما نعمان شيئا تبقى من أجله , فعزمت الرحيل تهرب من كل ما يمكن أن
يبثها ذكرياتها .. تعيش فى فرنسا تنتظر موعد ذهابها إلى ابنها أمجد وزوجها
سامي .. بعد أن إختفت أمانى تاركة رسالة تقول فيها أنها تزوجت .

النهاية

محمود مودى

www.moodyerosia.blogspot.com

مؤلفات محمود مودى

رواية الجنس والحياة

رواية سحر الشرق

رواية السما والأرض

رواية جدال